# رسالة إلي الرئيس

## "عائلة الحنوني"

## رواية

*بالحلم والأمل والعمل*

*تبنى الأمم أمجادها*

تأليف/ أسامة على الصادق

**رســـــالة إلي الرئيـــــــس**

**عــائلة الحنـــــــونـــــي**

روايـــــة

.....

**الطبعة الأولي : ديسمبر ٢٠٠٧**

**الطبعة الثانية : يوليــو ٢٠١٠**

.....

تصميم الغلاف

**كريم آدم**

.....

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية

**٢٠٠٧/٩٩٨٧**

الترقيم الدولي

**I.S.B.N:977-279-474-8**

.....

**حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف**

موبايل : ٠١٢٧٩٧٠٠٣٢

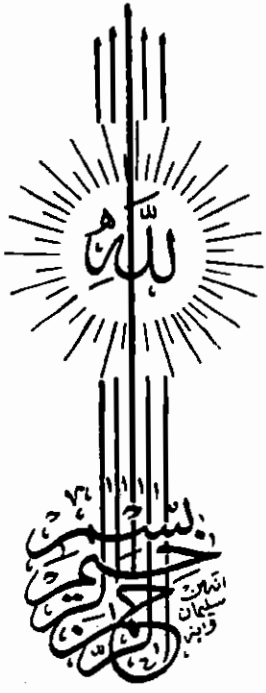
بسم الله الرحمن الرحيم
انشاء سليمان وابنه

# إهـــــداء

إلى المصريين فى كل مكان وعلى طول الزمان .. نظرة إلى المستقبل ..كيف نقتدي بالأجداد اللذين نتغنى بأمجادهم .. هل نتبع طريقهم وإبداعاتهم .. ألا يمكن أن نعيد تجارب الماضي سواء من حفر قناة السويس أو إنشاء السد العالي .. ماذا نريد ؟ هل نريد التقدم العلمى والاقتصادى لنضع وطننا فى موقعه المناسب بين الأمم .. وماذا نحتاج لكى نصل إلى ما نصبو إليه ؟

نحتاج إلى:

العمل .. القدوة .. الاخلاص .. روح الفريق .. والعلم والعلماء .

هل يمكن أن نبتعد عن التعصب بين البشر؟ .. هذا صعيدى وذاك شرقاوى وهذا مسلم وذاك نصرانى .. الا نترك الصراعات إلى الأبد والتى لن نجنى من ورائها إلا الدمار والخراب .. كيف نبدأ؟ .. والى أين نتجه؟ .. وما السبيل لتحقيق تلك الأغراض النبيلة ؟

هل ننتظر " دليسبس " آخر لكى يقودنا إلى تحقيق أهدافنا؟ .. هل ننتظر محمد على آخر للوصول إلى التقدم؟ .. هل عقمت مصر من القادة والعلماء لتحقيق الهدف؟ .. الهدف النبيل الذى يُمكن الأبناء والأحفاد من الوصول إلى التقدم وعيش حياة آمنة رغدة بين جنبات الوطن .

ألا يكفى شبابنا هوانا والإذلال فى العمل لدى الغير؟ .. ألا يكفى أن شبابنا يلقوا بأنفسهم الى عرض البحر للدخول خلسة الى دول أوروبا للعمل؟ .. البعض يلقى حتفه والبعض ينجح فى

الوصول .. ومن نجح فى الوصول للشاطىء تضعه أجهزة الأمن بتلك الدول فى سجونها ..

تعالوا معاً لنجمع مدخراتنا القليلة ولنبدأ مثل ما بدأ ابطال تلك الرواية .. فالزوجان من ديانتين مختلفتين وجنسيتهما مختلفة أيضاً لكنهم بشر .. تعاونا وبذلا من الجهد والعرق والاخلاص .. وقبل أن يجنوا كسبا ماديا كان قد انجبا جيلاً من الأبناء والبنات وأوصلاهم للتعليم اللازم لتحقيق نهضة البلد وليس للتعلم للحصول على ورقة ولقب يسبق الاسم .. التعليم هنا لغرض الاحتراف فى مجال كل واحد منهم .

مصر حبيبة شعبها لكننا لا نعرف كيف نعبر عن حبنا لها سوى بالأغانى ومصمصة الشفاة .. هل أدلكم على طريق لهذا النجاح .. إذن تعالوا معاً لنقرأ هذه الرواية ومعظم أبطالها من صعيد مصر أحفاد الفراعنة ونرى كيف عبروا حاجز الفقر والتخلف ليصلوا إلى العلا فى العلم وفى الاقتصاد وذلك ببذل الكثير من الجهد والعرق ..

أساس عملنا ونهضتنا متوافر فى مصر .. رباعى الخير .. الشباب .. الأرض .. المياه .. العلم والعلماء .. إنها معركة الزراعة التى هى الأساس فى نهضة الشعوب والتى كان لنا الريادة فيها ونحن حتى الآن لم نحقق ميزة تنافسية مع العالم الخارجى سواء فى الصناعة أو غيرها .. إنها الزراعة أم الاقتصاد والتى بدأها سيدنا " آدم " عليه السلام .

**وبالحلم والأمل والعمل تبنى الأمم أمجادها .**

## أهلاً بكم فى عائلة الحنونى

# الجـــزء الأول

# على الحنونى

# ( ١ )

## إبراهيم الحنونى

أقبل الفيضان وقد بدأ لون المياه يتغير ويتعكر إيذانًا بفيضان قوى وعنيف مثل كل عام وإبراهيم الحنونى من بلدة ميت البرامونى على الجانب الشرقى للنيل وهو يمتلك قطعة أرض غرب النيل فى هذه المنطقة والمسماة { حن ون } وهو اسم فرعونى وغير معروف المعنى ولذا فإن أهل بلدته يطلقون عليه اسم إبراهيم الحنون ثم تطور الاسم إلى الحنونى بإضافة { حرف الياء } فى آخر اسمه دليلاً على ملكيته لهذا الاسم لكن اسمه الحقيقى إبراهيم عثمان .

ولإبراهيم الحنونى (سبعة) من الأبناء الذكور ولم يرزق بأنثى .. وقد يكون قد رزق بإناث توفين فى بداية أعمارهن والثابت من المعاصرين والمعاشرين له أن لديه (سبعة) رجال .

عُرف عن إبراهيم الحنونى صلابته كأهل الصعيد وطيبته فى التعامل مع الناس وخاصة أهل بلدته وجيرانه وأقربائه .. وفى بداية كل صيف عندما ينتقل إلى البر الغربى لأرض { حن ون } فانه يصبح شخصا آخر قوى الشخصية قاسيًا يعمل اربعا وعشرين ساعة يوميًا لا يهدأ ويستمر على هذا المنوال لأكثر من شهرين طوال فترة فيضان النيل حيث أن الفيضان يأتى كاسحاً مدمراً لكل شئ يقف أمامه .. فالمنازل تتهدم والأشجار تقتلع والأرض تغرق بالماء والفلاحون يهربون إلى المناطق المرتفعة فى الصحراء يأخذون حيواناتهم ودواجنهم وكل ما يستطيعون حمله معهم هربا بأرواحهم .

وكما أن النيل ضارٌ فى فيضانه لكنه فى نفس الوقت يحضر معه الخير بالأسماك الكثيرة التى يتسابق الفلاحون لإصطيادها والاستفادة منها كطعام لمدة شهرين على الأقل .. فإنه يأتى رحيماً بالأرض المرتفعة التى لم تصلها

المياه قبل الفيضان فتكسوها الخضرة .. بل إن بعض المناطق الصحراوية التى يغرقها النيل أثناء الفيضان يكسوها الطمى ويظهر هذا بعد انحساره .

إبراهيم الحنونى أحد هؤلاء المغامرين المستفيدين بفيضان النيل ورزقه .. حيث يصطحب أبناءه إلى البر الغربى قبل الفيضان فيمهدون الأرض للزراعة ويضعون البذور والشتلات أثناء ه ويعيشون على طعام الأسماك وهم يعملون بجد ونشاط وبعد انتهاء الفيضان وانحسار النيل تكون هناك مساحة كبيرة لا تقل عن سبعة عشر فداناً قد زرعت واخضرت وانبتت من ذرة وخلافه .

يوالى " إبراهيم الحنونى" وأبناؤه الإشراف على الأرض وريها بالطنبور ويتبادلون رفع مياه النيل إلى أرضهم حتى يجف المحصول فيستعدوا للحصاد مما رزقهم الله من محاصيل مثل الذرة وبعض الخضروات ونبات التيل الذى يستخدم كحبال ثم يعودون إلى البر الشرقى مستخدمين المعديات حاملين الخير الذى يساعدهم على الحياة طوال العام حيث ينخفض منسوب المياه ويقل الزرع .

" إبراهيم الحنونى" يستعين بأبنائه عندما يبلغ احدهم العاشرة أو الثانية عشرة حيث يساعده فى زراعة منطقة ( حن ون ) ستة من أبنائه أما الابن الاصغر (على) فقد أرسله إلى "عصّارة الخواجة دوكيا ليسس " وهو رجل إيطالى يعيش مع زوجته "مارتا" منذ أكثر من عشر أعوام فى ميت البرامونى وقد رزقا بطفلة جميلة اسمها "لوتسيا" وعمرها الآن تسع سنوات بينما كان "على " لم يكبر يبلغ من عمره الثمانيه أعوام حينما أخذه والده إلى الخواجة " دوكيا ليسس " للعمل وقد رفض "دوكيا" أن يعمل الصبى عنده لصغر سنه حيث لا يستطيع العمل .. لكن تحت الإحاح والإقناع استطاع الأب اقناعه بالعمل وأن يساعده فى نظافة معمل العصير فالولد بدون عمل وسيلعب مع الصبية ولا يستطيع أن يصطحبه معه إلى البر الغربى خوفا عليه من مياه الفيضان كما أنه لا يفكر فى عائد مادى

فليعمل بدون أجر وفى هذه اللحظة وهذا اليوم بدأت حياة جديدة أمام الصبى على الحنونى حيث عمل مع الخواجة " دوكياليسس " .

"على" الحنونى صبى دقيق الملامح وقليل السمرة وهو دائمًا في حالة انتباه لما حوله ويلاحظ الخواجة والعمال وهم يعملون ويسأل ويدقق فى كل شيء وكان ذلك بالطبع ضايق العمال الذين كانوا ينهرونه فى بعض الأحيان .

أصبحت "لوتسيا" ابنة الخواجة أسعد من فى المنزل بوجود الطفل على مع والدها فلقد وجدت صديقًا تلاعبه أما على وهو الرجل فمن واجبه عدم اللعب معها لأنه أمر لا يتناسب مع رجولته ولهذا لم يكن يهتم باللعب معها ولا بحديثها أيضا وكانت لوتسيا مرافقة لأمها دائماً حيث الأم "مارتا" تُعلمها وتدربها على ظروف الحياة ومبادئها ومنها إعداد أنواع الطعام وترتيب البيت بالإضافة إلى أن مارتا سيدة ماهرة فى الإشراف على حسابات المعمل فهى على علم بكل دقائق المصروفات وأسعار المنتجات وأسماء المشترين والبائعين وكل زبائن المعصرة والديون التى على الزبائن وديون المحل للآخرين وبالتالى كانت تدربها بالملاحظة والمتابعة وهى تكتسب من أمها كل تلك الصفات التى تساعدها على إدارة هذا المعمل فى المستقبل.

وبعد مرور عام أصبح أشد عوداً نسبياً ولمع ذكاؤه فحفظ أسماء الخامات الموجودة بالمعمل والمواد المضافة مما جعل "دوكيا" ان يعتمد عليه فيرسل لشراء احتياجات المعمل من بعض المحلات التى يمتلكها أجانب فى مركز دشنا القريب من قريتهم .

اكتسب على الحنون من الخبرات فى اعمال المعمل ما ساعده دون أن يدرى فى الاندفاع الى حياة التعلم والكفاح والاعتماد على النفس وكيفية إدارة الأعمال الحرة من تجارة وأمور العمل الذى يكلف بها والإشراف على العمال .. وقد فتحت أمور العمل فى المعصرة عيون هذا الطفل

الصغير على معرفة كيفية إدارة الأجانب لأعمالهم فى مصر والفصل بين العمل والعطف والمساعدة المادية للفقراء والعمال .. كما أن سبب نجاح على الحنونى فى هذه السن المبكرة هو الاستعداد الشخصى له والذكاء الفطرى وبدون هذا الاستعداد لن تنفع معه أى محاولات للتقدم والرقى .

# ( ٢ )
# عصـــارة دوكياليسس " دوكيـــا "

كان من المعروف عن الأجانب الذين استوطنوا إلى مصرا فى بداية القرن التاسع عشر هو سحرهم بها وبما سمعوه عنها منذ أيام الحملة الفرنسية بقيادة القائد الفرنسى الشهير نابليون (بونابرت) ثم تلى ذلك دخول الإنجليز إلى مصر عام ١٨٠٧ فى بداية عصر محمد على (وحملة فريزر) عليها ومنذ ذلك الحين والصحف الأوربية تكتب عن مصر وحضارتها وآثارها ومن أهم تلك المعلومات هو الدوى الهائل لفك طلاسم ورموز حجر رشيد ووقعه الشديد على الأوربيين بعد نجاح الشاب الفرنسى (شامبليون) فى هذا العمل .

ومن هنا بدأ المغامرون والفقراء منهم الهجرة إلى مصر لفتح باب عمل ورزق لهم ولأسرهم واقتداءً بمن سبقوهم فى الهجرة إلى العالم الجديد فى أمريكا وأستراليا وخاصة بعد الاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢.. أما الذى ميز مصر عن مناطق العالم الجديد هو قرب المسافة وإمكانية العودة وسهولتها .

وكان هذا هو السبب الأول لهجرة الايطاليين واليونانيين إلى مصر أما السبب الثانى فهو الخلفيه التاريخيه فأصحاب الحضاره الرومانية واليونانية كانوا عبر التاريخ القديم غزاة لمصر الفرعونية على يد الأسكندر الأكبر ودخول مصر فى عصر البطالسه وحفيدتهم " كليوباترا " أخر ملوك مصر ثم " يوليوس قيصر " الرومانى الذى أنهى حياة كليوباترا وحُكمها .. فهناك تاريخ سابق للشعبين اليونانى والإيطالى فى مصر منذ عقود وبالتالى فهو تاريخ مليء بالحكايات والأساطير عن مصر .

وصل " دوكياليسس باملیو " إلى مدينة " دشنا " منذ عشر سنوات برفقة قريب له من ذوى النشاط التجارى فى مدينة " قنا " وكان يعرف هذه المنطقة جيداً وعلى دراية كاملة بتقاليد الشعب المصرى فى جنوب الصعيد

و" دوكياليسس " مشهورٌ باسم دوكيا .. وعصارة " دوكيا " تقع خارج المنطقة السكنية فى الجهة الشرقية وعلى منطقة مرتفعة من سطح النيل وتحيط بها أشجار النخيل والكافور من عدة جهات ثم صحراء ورمال ومبانى العصارة شيدت من الطوب اللبن وبعض الأجزاء الأخرى من الصاج .. أما منطقة الماكينات فكلها مشيدة بالدبش الأبيض الذى تبطن به أجناب الترع .

المنطقه الأساسية للعصارة ذات مساحة متسعة حيث يتم تشوين كميات كبيرة من أعواد قصب السكر والذى يستخدم عصيره فى استخراج المولاس المنتج للسكر الخام ومعروف أن هذا القصب يعتبر درجة ثانية أى الذى ترفضه مصانع السكر فتأخذه العصارات بسعر رخيص وبتسهيل فى الدفع .

أما المنطقة الشمالية (بحرى) كما يطلقون عليها هذا الاسم فى الصعيد فيقع فيه مسكن الخواجة "دوكيا" حيث يقيم مع زوجته " مارتا " وابنته " لوتسيا " .. المسكن مكون من دور واحد ويعلو عن الأرض المتاخمة له حوالى مترين وأمامه منطقه فضاء ثم سلم لمدخل المنزل بارتفاع عشر درجات والسلم يأخذ شكل هلال أيمن وهلال أيسر ومسافة بينهما حوالى ثلاثة أمتار يتوسط المسافة حوض به نباتات وخضرة وورود وزهور جميلة والسلم له درابزين مبنى من المصيص الأبيض والذى يأخذ شكل برانق منتفخة من المنتصف ومسحوبة من الجانبين مع وجود درابزين بعرض حوالى ثلاثين سنتيمترا وله شكل انسيابى جميل أما السلم الأيمن فهو مخصص للصعود والسلم الأيسر للنزول وبه فرانده كبيرة الحجم بواجهة المنزل حوالى خمسة عشر متراً وعرض أربعة أمتار وعليه غطاء من الخشب المحمل على أعمدة ومعلق فى الفرانده فوانيس تعمل بالكيروسين تضاء ليلاً .. الأرضيه بلاط متداخل بين اللونين الابيض والأسود .. مُشكّله على هيئة رسوم هندسية .

يوجد بالفرانده كنبه ووسائد من القطن وفى الأطراف كراسى خيزران مغطاه بوسائد من القطن أيضا والمنظر يغلب عليه الجمال والفن مع النظافة التامة بالمقارنة مع مساكن قرية ميت البرامونى القريبة منه أما باب المنزل فمكون من ضلفتين بهما زجاج ملون ثم تواجه فى الداخل بصاله كبيرة الحجم تصل إلى حجراته المختلفة .. فى الخلف توجد حديقة ترعاها السيدة " مارتا " وتقوم بزرعها بنفسها وبها الخضروات التى تحتاجها وعدد من أشجار الليمون والبرتقال واليوسفى والمانجو والجوافة .

الأشجار العالية تحيط بالمنزل لتوفر الظل نهاراً وتقلل درجة حرارة شمس الصعيد أما فى الليل فالهواء الجاف المنعش يساعد من بالمنزل على تحمل طقس الصعيد الحار .

يعمل فى عصارة " دوكيا " اثنا عشر عاملاً يعملون من السابعة صباحاً حتى السابعة مساءً بفترة راحة ساعة ويحصلون على راحتهم الأسبوعية يوم الجمعة وأجر العامل يتراوح ما بين ثمانين إلى تسعين قرشاً شهريا حسب درجة مهارته وإنتاجه .. "دوكيا" رجل مرح يحب الضحك ويسمع أغانى العمال ويفهم العربية بدون احتياج لمترجم وعماله محبون لعملهم وسعداء بصاحبه وخاصة زوجته مارتا التى كانت تمدهم بالفطائر والشاى فى أوقات راحتهم بالنهار وتسير بينهم تشجعهم بابتسامتها رغم ضعفها في التحدث بالعربية .

في الغرب ترى إبراهيم الحنونى جالسا ينظر إلى مياه النهر التى تبشر بوصول فيضان مرتفع هذا العام وقد حضر أحد أبنائه يطلب منه الحضور لتناول طعام الغذاء معهم فيجيبه الأب بأنه سيحضر بعد أن يتوضأ .. بعد دقائق انتهى إبراهيم الحنونى من وضوئه وقام متجهًا إلى مكان تجمع أسرته حيث يتضاحكون ويتسامرون فرحب الأبناء بوالدهم وقُدم الطعام إليهم .

من عادات إبراهيم الحنونى أن يصطحب عائلته كل عام إلى هذه المنطقة حيث يعمل الرجال فى الزراعة وتقوم النساء على خدمتهم وامدادهم بالطعام والشراب وتنظيف ثيابهم وكان العمل موحدا فلا توجد امرأة تخدم زوجها او أبنائها ولهذا تقوم بتقسيمه عليهم الحاجَّة الكبيرة أم الرجال زوجة إبراهيم الحنونى .. فعدد من النساء يُعد الطعام والبعض لتنظيف الملابس وآخرين يتولون العناية بالحيوانات والطيور والإشراف على الأطفال .

الحاجَّة " أم عاشور" وهى مشهورة بهذا الاسم كناية عن ابنها الأكبر عاشور ينتابها حزن عميق هذا العام لأن ابنها الأصغر " على " لم يحضر معها كما اعتادت كل عام حيث إن والده قد الحقه منذ عدة اشهر للعمل عند الخواجة " دوكيا " وعندما حانت أيام انتقال العائلة من " ميت البرامونى " إلى البر الغربى طلب اراهيم الحنونى والد " على " من الخواجة " دوكيا " أن يوفر له مبيتاً لأنه من الصعب عليه عبور النيل فى ظل ظروف الفيضان حيث المراكب والمعديات أحيانا تنقلب بركابها وهذا خطر على الصغير ..

وافق "دوكيا" على أن ينام الصغير فى العصَّارة ولهذا أمده والده بشريط أو كليم من الصوف يصنع يدويًا من وبر الجمال لينام عليه وأن يذهب يوميا لتناول الطعام فى منزل عمه " حجازى " كل ظهيرة حيث المسافة بين العصَّارة ومنزل عمه يقطعها في حوالى نصف ساعة وقد دفع هذا بالعم حجازى لأن يمد ابن أخيه بطعامه المكون من قطعة من الخبز وقطعة جبن يرسلها له يوميا إلى العصارة مع أحد العمال ليوفر على ابن أخيه عناء المشوار الطويل فى حر الصيف القائل.

مساء كل يوم وبعد ان تهدأ حركة الناس ويعم الظلام يسمع على اصوات بعض الحيوانات مثل "ابو الحصين" التعلب الجبلى وعواء الذئب وقد اخاف كل هذا الطفل وهو باق بمفرده فى هذا المكان الموحش ليلا

بدون سند او ونيس فيهرع الى اعلا غلاية العصير متسلقا سلمها الحديدى بعداً وهربا من هذه الحيوانات المفترسة وفى احدى الايام اثناء تفقد "مارتا" المعصرة لاحظت شحوب الطفل فحدثته واستأنس بها بديلا عن فقده لامه وعلمت منه ما وتره وقد كان هذا واضحا على وجهه البرىء فغضبت من زوجها " دوكيا " الذى لم يخبرها بأن الصبى ينام فى هذا المكان بمفرده منذ أسبوع ويأكل الخبز والجبن المملح واتهمته بالقسوة وطلبت منه ان يحضر الطفل كل مساء لينام فى الفرانده على الكنبه ويأكل من أكلهم فزمجر " دوكيا " وثار على " مارتا " معترضًا على دخول أبناء الفلاحين منزله ينامون فيه ويأكلون مع اهله .

كانت "مارتا" أشد إقناعاً من دوكيا فقد اصرت على تنفيذ رغبتها وبعد أن حضر الطفل وجلس يلاعب ابنتهم " لوتسيا " قالت مارتا لزوجها .. أنظر لهؤلاء الأبرياء أنهم ملائكة كيف نترك مثل هذا الصغير بمفرده فى مثل هذا المكان الموحش طوال الليل ؟ أين الرحمة التى أمرنا بها الرب (ويسوع) تذهب لتصلى ولكن لا تعمل بما نقرؤه فى الصلاة أو الكتاب المقدس لا رحمة فى عينيك يا دوكيا .. دمعت عيناه وقام يلاطف الطفلين.

استمرت فترة الفيضان لأكثر من شهرين والصغير يرافق دوكيا صباحاً إلى المعصرة ويعود معه آخر اليوم يتناول طعامه مع مارتا ولوتسيا ويلعبان سويًا وأصبح الطفل سعيداً معهم وقد فارقه هاجس الخوف عندما تركته عائلته في رعاية دوكيا وذهبت إلى البر الغربى .. أما الآن فلقد تغير كل شىء إلى الأحسن والأفضل فأصبح سعيداً وسيطر على تفكيره بانه سيعود للمنزل ويلعب مع " لوتسيا " صديقته رغم أنه متعب من العمل ولكنه يرغب فى اللعب معها .

تعودت " مارتا " على وجود "على" في منزلها واتخذته كابن لها بل وتشركه مع ابنتها في مساعدتها في إعداد أنواع الطعام التى تقوم بطهيها خاصة يوم الجمعة حيث يتوقف العمل بالمعصرة لأنه يوم اجازة كما تطلب

منه مساعدتها فى ترتيب ونظافة المنزل بالتعاون مع " لوتسيا " ورش المطهرات والمبيدات لقتل الحشرات الضارة ومحاربة الذباب والبعوض بالمنزل حتى تعود " على " على أسلوبهم ونظامهم فى النظافة والحياة وقد سعد بهذا النظام .

" دوكيا" هو الاخر اعتاد على مرافقته والتحدث معه ومناقشته فى عمل اليوم وأخطاء بعض العمال بل وأسبابها وكان "على" رغم صغر سنه وكما هى طبيعة أهل الصعيد بصدق القول عما يعرفه بل ويعطى رأيه رغم مخالفة هذا الرأى في بعض الأحيان لرأى" دوكيا" وأحياناً كان يُغضب هذا الخواجة ولكن بمرور الأيام اكتشف أن للصغير رأيًا صائبًا وخاصة فيما يتعلق بأسلوب "دوكيا" فى معاقبة العمال بالخصم من راتبهم الذى يسبب لهم الحزن والضيق بما ينعكس سلباً على احتياجات عائلاتهم المادية .. مضى على وجود "على" فى المنزل شهران حتى الآن وقد تطبَّع وتأقلم على نظام حياة أسرة " دوكيا " سواء لسلوك السيدة " مارتا " معه أو معاملة ابنتهم " لوتسيا " له ..

فى الغرب كانت عائلة الحنونى فى صراع مع الطبيعة حيث مياه النهر تزداد ارتفاعا وهم يسابقون اندفاعها باصلاح وتمهيد الأرض ووضع البذور فى الأماكن التى بللت بالمياه ولم تغرق لارتفاع الأرض وتليها منطقه منخفضة بالارض مساحتها حوالى فدان وهى منطقة عميقة وعندما تمتلىء بالماء تصبح خطرا داهما حيث إذا سقط فيها الرجل غرق وكانوا يعتبرونها مخزناً للمياه بعد إنحسار الفيضان حيث تروى منها المزروعات .. بعد امتلاء البركه بالمياه يجاهد الرجال فى غلق فتحة المياه الموجودة حتى يضمنوا عدم تسرب المياه الى مجرى النيل عند انحسار الفيضان وكان البعض يعمل فى اصطياد الأسماك من النيل باستخدام شباك صغير ووضع هذه الاسماك فى البركه حتى ينمو ويساعدهم على المعيشة .

شهرا يوليو وأغسطس من أكثر الشهور عملاً عند عائلة الحنونى مع أن باقى العائلات كانت عاطلة لأن الفيضان أغرق كل شىء بالاضافة إلى ارتفاع درجة الحرارة فى ذلك الوقت من السنة .. لكن الشىء الهام أن الجميع يعملون بروح الفريق وتحت قيادة روحيه للأب والأم فالكل رجل واحد والنساء كلهن سيدة واحدة ولهذا لم يكن يحدث اى نزاع أو خلاف أو تكاسل أو إهمال فالكل يعمل ومن أنهى عمله يذهب لمساعدة من لم ينته من عمله .. فهم يعلمون أن رزق العام القادم لهم ولأبنائهم متوقف على هذه الفترة .. صحيح أنه بعد انتهاء الفيضان ينتظرون حتى جفاف المحصول لكن درجة العمل تقل لأنها مسألة وقت لنضج المزروعات وأيضاً مسألة وقت لتمام جفاف الذرة وحبوب " الفاصوليا - اللوبيا - نبات التيل " وخلافه من محاصيل اخرى مثل القصب .

"أم عاشور" تستقى أخبار ابنها علىّ من القادمين للبر الغربى على متن المراكب التى تمدهم بإحتياجاتهم وتعود إلى شرق النيل أما " علي " فقد نسى عائلته واندمج مع هذه العائله الجديدة وقد يكون قد استساغ وأحب الحياة المترفه التى يعيشها حاليًا بالمقارنة بحياته مع أسرته كثيرة الأطفال والحيوانات والحشرات حيث هناك لا نظام ولا نظافة مثل المتوفرة بهذا المنزل الذى يعيش فيه مع " لوتسيا " رفيقته فى اللعب فهى لا تسُبه ولا تؤذيه مثل أبناء إخوته الذين يعاملونه بخشونة ولا يراعون تعرضه للأذى وهم يمرحون .. إن عدم تفكيره فى أسرته لهو دليل واضح على سروره وسعادته فى الاقامة و الصُحبة مع تلك الفتاة التى تلاحقه باللعب فى كل وقت .

" مارتا " سيدة ذكية وتمتاز بفراستها وبُعد نظرها وفى حالات كثيرة يصدق حدسها وتتحقق أفكارها السابقة لأحداث لاحقة .. و " مارتا " هى المرجع والسند القوى لزوجها " دوكيا " ولهذا كان يقدر ذكاءها ويعترف

به أمام أهل بلدته الإيطاليين عندما تجمعهم احتفالاتهم وأعيادهم الخاصة بهم .

تجلس " مارتا " فى فراندة منزلها الجميل وهى ترتدى فستانا طويلاً وله أكمام طويلة تقيها من حرارة الشمس ولدغات البعوض كما أنها تترك شعرها الكستنائى المسترسل على ظهرها وجزء من خدها الأيمن كعادتها وقد غربت الشمس عن هذا اليوم الحار وهى تنظر بسعادة وحنان إلى الطفلين اللذين يلهوان سويا قريبا منها .. بينما زوجها مشغول يراجع بعض أوراقه وقد عاد إلى الفراندة وهى ما زالت على هذا الحال ولم تلاحظة أو تنتبه إليه وجلس يرمقها بنظره وهو يعرفها جيداً عندما تكون فى هذه الحالة فهذا معناه فكرة طويلة وعميقة لا يستطيع أن يخمّن فيما تفكر لكن الذى يمكن أن يستنتجه أنها فكرة ها ة تدور بخلدها.

استمر الجميع على وضعهم .. الأطفال يلعبون بعفوية والأم طارت بفكرها بعيداً وهى جالسة على كرسى " فوتيه خيزران " دون حركة ورأسها مائلا للخلف ويداها متشابكتان أسفل صدرها وابتسامة صغيرة على شفتيها بينما " دوكيا " ما زال يراقبها فى سكون دون أن يقطع خلوتها منتظراً ما سوف تظهره الدقائق التالية من أخبار .

قطع هذا السكون صوت الخادمة " أم الخير " وهذا هو اسمها الحقيقى فليس ابنها الأكبر اسمه الخير بل اسمه الحقيقى " توفيق " وهو يعمل خفيراً نظامياً فى القرية لدى عمدة البلدة .

قالت أم الخير ( يا ست هانم هتاخدو الشاى هنا ولاّ فى الصالة جوة ) فانتبهت . مارتا .

( أم الخير إهضرى الساى والكيك هنا .. واكملت حديثها آه انت هنا يا " دوكيا " ) . فأجاب

( منذ فترة طويله بس إنتى كنتى سرهانه ) !

أجابت : سرهانه ؟ مس سرهانه ! كنت أفكر .

دوكيا : فى إيه ؟ بتفكرى فيه مارتا ؟

مارتا : أيوه بافكر .

دوكيا : طيب فى إيه يا مارتا ؟ ضحكت مارتا وهى تساعد الخادمة أم الخير التى أحضرت صينية وعليها أكواب الشاى وإناء لبن وسكر وعدة قطع من الكيك وبعض أكواب المياه .

قالت مارتا (فكرة هلوة كتير دوكيا "وبصوت أعلى قليلاً " على ولوتسيا تعاليا هنا ) فحضر الطفلان فى خفة وهما يتضاحكان .. فأجلستهما أمام بعضهما وبينهما ترابيزة صغيرة ووضعت أمام كل منهما طبقا به كيك وكوب شاى مضافاً إليه اللبن .. وقالت ( كلا أولاً ثم أكملا لعبكما .. غدا الجمعة وليس أمامك عمل .. مضبوط " ألى " ) .

وأخذت طبقاً وعليه كيك وكوب شاى مضافاً إليه اللبن ووضعته أمام دوكيا الذى نظر إليها سائلاً مرة أخرى .

دوكيا : ( إيه يا ترى إللى كنتى بتفكرى فيه ) ؟

إصبر علىّ بعد أن أذوق طعم الكيك وأتناول الساى باللبن ونكون لوهدنا .. أجاب .. لوهدنا ؟ ( يعنى الهكاية مهمة وسرية ) .

أجابت : أيوه دوكيا فكرة هلو كتير ومهمة وسرية .. دوكيا يسأل نفسه ماذا يدور فى هذا الرأس الجميل من أفكار وقطعت عليه تفكير قائلة :

الأتفال هلصوا وذهبوا للعب .. اسمع فكرتى :

إهنا موس عندنا ولد .. لم ننجب ولد .. ومفيس قريب لنا هنا له أولاد إيطاليين .. إيه رأيك أن ناهذ " اللى " ابناً لنا ؟ .دوكيا : صارخاً ..

إنتى ناسية إن له عيله وأهل .. أنتِ مس عارف الناس دول ممكن يذبهونا لو عملنا هاجة زى دى إنت .....

" مارتا " : بس كفاية واسمعنى لآهر كلام من فضلك .. نهتم به ونعلمه أصول هرفتك ويكون لك بمثابة الابن .

أجاب : كده صه "صح" بمثابه الابن موس ابن لنا .

مارتا : وعندما يكبر جوزتوا لوتسيا .

دوكيا : آه تانى لهبطة ماذا هدث اليوم ؟

مارتا : انتظر مس كل بنت لازم جوزتوا ؟

دوكيا : آه لازم جوزتوا ...

مارتا : طيب مين جوزتوا لوتسيا ؟ نرووه بيها الإسكندرية أو القاهرة أو إيطاليا ونترك عملنا أو جوزتوا وتسيب البابا والماما .

دوكيا : هم مسلمون ونهن مسيهيون .. هم مصريون ونهن إيطاليون

مارتا : ده مس يمنع .. انا عرفتوا ان نبيهم اجوزتوا واهده مسيهيه .. وكمان قيصر روما اجوزتوا ملكتهم كليوباترا وكلها هاجات تمت من ألف سنة .. البسر هما البسر ونهن تجمعنا الهضارة .

دوكيا : على كل هال سيبى الأمور تمسى وهنسوف .. ثم ضحك وقام يسير فى الفرانده .. يتحدث بصوت مرتفع " مكار كتير مارتا " وظل يرددها أكثر من مرة ثم توجه إلى حجرة مكتبه وجلس كما هى العادة قبل النوم ليراجع أعمال ذلك اليوم من مكسب وخسارة ولكنه لم يعمل أو يراجع حساباته بل فكر وراجع حسابات زوجته مارتا ..آه .. مارتا إنها فكرة مجنونة ولكنها تستهق التفكير والتدبير وكل الأمور والأعمال تبدأ بفكرة ثم يليها التطبيق .. آه .. لقد نسيت فكرتى منذ عسرين عاما للهضور لمصر فكرة وتمت وأثمرت .. فما المانع أن نهاول فى فكرة " مارتا " ؟ .

# ( ٣ )

## صراع الإرادة والحيـاة

فى غرب النيل كان هناك صراع إرادة قوى وصراع من أجل الحياة .. يخوضه ستة من الرجال الشباب بقيادة والدهم ابراهيم الحنونى ومعاونة أمهم وزوجاتهم وبعض الأبناء (الأحفاد) .

المياه المتدفقة على جانبى نهر النيل ومحملة بالطمى تقول .. جئت ومعى الخير ولكن من يقف أمامى ليس أمامه سوى الموت غرقاً .. كانت المياه قد تغير لونها منذ بدء الفيضان بحكم " مادة الغرين " التى تحملها معها من هضبة الحبشة ويصبح لون المياه داكناً أقرب ما يكون إلى مادة " الطحينة " التى تضاف إلى العسل لتقليل حلاوته كما أنها خليط بين السيوله واللزوجة وإذا أخذت قليلاً من الماء فى كف يدك فلن تراه بوضوح لأن ذراته تقلل من شفافية الماء وهذه المادة محملة بالمواد العضوية التى تقوم مقام السماد البلدى فهى تساعد النبات على الغذاء .. كما أنها تحتفظ بالمياه فى التربة المحيطة بالنبات لفترة أطول ولهذا لا يحتاج النبات للرى على فترات قصيرة .

أبناء وأحفاد الحنونى يسابقون المياه غرباً بفئوسهم ومعاولهم لتسوية الأرض أمام المياه فيقسمون الأرض أحواضاً وبتوناً حتى يستطيعوا زراعة الأرض بعد انحسار المياه عنها بسهولة وهذا يطلق عيه رى الحياض.

إن المياه وكميتها هى التى تحدد المساحة التى تزرع كل عام حيث تترك "الطمى" الذى تحمله بعد جفاف المياه وبالتالى تجد الأرض ذات لون داكن وآثار مزروعات العام الماضى باقية فى الأرض .. لكن فى بعض الأحيان يختلف منسوب المياه من عام لأخر ولكن النتيجة فى النهاية واحدة ألا وهى غرق الأرض وفيضان كاسح ومناطق صحراوية فى الغرب تُغطى بمياه وطمى النيل ويستطيع الأقوياء أصحاب الإرادة القوية أن يستفيدوا بخير الفيضان .

كانت المساحة المنزرعة لاتتعدى " سبعة عشر فدانا " وهى مساحة كبيرة بالنسبة لعدد الأفراد الذين كانوا يستيفدون منها ولكن " إبراهيم الحنونى " كان يزيد من المساحة المنزرعة كل عام حوالى نصف فدان مستغلاً قوة ابناءه ولهذا كانت المساحة فى ازدياد عاماً بعد عام .

استمرت الأيام على هذا الحال حتى بلغ (على الحنونى خمسة عشر عاماً ) فطلب منه والده أن ينضم إليهم فى الزراعة فترة الفيضان وقد أغضبه هذا كما أغضب أسرة الخواجة " دوكيا " أيضاً .

حاول " دوكيا " إثناء ابراهيم الحنونى عن قراره وإقناعه بأن " على " تفهُم طبيعة عملهم ويجيده والأب مصممٌ على رأيه ومرة أخرى يحاول أن يوضح له أنه كبر فى السن و " على " يقوم بأشياء كثيرة نيابة عنه والرجل يطيب خاطره قائلاً له شهرين يا خواجه ثم يعود .. استسلم " دوكيا " وبدا كأنه قد أذعن لكلام ورغبات الأب وظهر هذا عليه بعد أن تركه " على " فشعر الرجل بالإرهاق والتعب وأنه فقد جزءاً عزيزاً عليه .

كسى الوجوم والحزن وجوه الاسرة خاصة " لوتسيا " وقد بلغ عمرها ستة عشر ربيعاً وجمالها يزداد تألقا .. فى المساء جلس " دوكيا " فى فراندة منزله بجوار زوجته بينما كانت " لوتسيا " فى الداخل تساعد الخادمه " أم الخير " و بادرته بالحديث .

مارتا : إيه دوكيا ؟ بتفكر فى إيه .. فى ولد أللى ؟

دوكيا : أه " مارتا " أفكر فى حالى الآن وفيما سوف أكون عليه أنا وأنت "ولوتسيا" بعد بضعة أعوام .. دون أن أسعر وجدت الزمن قد جري بي ودون أن أنتبه وجدت الصهة تعتَلُ .. الآن اقتنعت جيداً بفكرتك عن " أللي " وكيف نعتبره ابناً وولداً لنا ويساعدنا فى السيهوخة والكبر ..

لوو .. هبيبى تكتسف أننى مهقه بعد هوالى سبع سنه منذ قدوم "أللى" لأول مرة عندما كان ينام عندنا وهو تفل صغير اكتسفت أننى مهقه عندما

كنت أفكر فى ذلك كان هناك واهد سيىء أهم من مرور العمر واعتلال الصهة .. انه .. " لوتسيا " آه هبيبتى " لوتسيا " من سيقف معها ؟ من سيكون مؤنسها ؟ من سيدافع عنها ويهميها ؟ كل هذا " دوكيا " هبيبى هلانى أفكر فى ولد " أللى " .

دوكيا : ( أصدق كلامك " مارتا " لكن نهن لم نفكر في " أللى " إنه إنسان له راى وله أهل يهططون له كما فعلوا مع إهوته كما أنك نسيت ابنتنا " لوتسيا " وما هو رأيها ) ؟ .

مارتا : ( آه " دوكيا " دع لى " لوتسيا " فأنا أعلم أنها تميل إلى " أللى " ولا تطيق الافتراق عنه ) ..

دوكيا : و" أللى " يفكر فيها يا " مارتا " ؟ .

مارتا : ( أعتقد هالياً لا.. لأن عمره أصغر من التفكير فى كده .. ولكن بعد اتنين سنة يكون " أللى " مهتما ومهبا لابنتى الهبيبه " لوتسيا " ) .

فى الجهة الأخرى من النهر يعمل "على" مع أسرته بهمة ونشاط وسعيد بهذه المغامرة الجديدة وإخوته جميعا بجواره يساعدونه و يوجهونه حيث أنه الأصغر سنا والأحدث عملاً ويجهل أعمالهم وعندما حان وقت الغروب جلس مستندا بظهره على حائط منزله ووجهه جهة الغروب متذكرا " لوتسيا " على الجانب الآخر من النهر وصورتها أمامه وهى تجلس الآن فى فراندة منزلها كالعادة قبل غروب شمس كل يوم.

*******

فى صيف عام ١٩٣٢ شعر الأب إبراهيم الحنونى بأن صحته معتلة وعلى غير ما يرام وزاد من هذا الشعور مهاجمة الأمراض له فاجتمعت الشيخوخة والمرض عليه ولم يستطع أن يقاوم وقد بلغ من العمر ( واحداً وسبعين عاماً ) فلقى ربه في شهر مايو وكان أبناؤه مشغولين بضم

محصول القمح الهام قبل أن تعمل الحرارة على فرط حبوبه من سنابلها .. وقد دفن بالقرب من نهر النيل وسميت المنطقه باسمه ( ميت الحنونى ) وحزن الأبناء على أبيهم وخاصة " على " الذى لم يبلغ العشرين عاما وانشغل الأبناء بعملهم وزوجاتهم وأبنائهم بينما يعود "على" من عمله قبل الغروب ليجلس على المصطبه امام منزلهم تحت تكعيبة العنب المثمرة وحيداً ليتذكر أباه حينما كان ينتهى من عمله كل مساء فيصافحه مقبلا يده ثم يدخل ليغتسل ويغير ملابسه ثم يعود ليجلس أمامه يسمع منه ويسمعه حتى تحضر أمه الطعام فيجتمع الأبناء حول صينية العشاء كل يتناول طعامه الذى لا يخلو من الكلام والضحك ..

يناجى " على " نفسه قائلا : فينك يا با ؟

أقبلت الأم وهى تجرجر قدميها من آثار الشيخوخة والحزن على زوجها .. قائلة "على"

فأجابها : نعم يا امه .

تعالى ناكل بصحن الدار أحسن .

" على " : وين اخواتى ؟ .

الأم : فى ألم وحسره .. أخواتك من يوم وفاة المرحوم وكل واحد بياكل مع مرته وعياله .. آه يا على يا ابنى وعلى الزمن اللى بيروح مش بيرجع )

علقت فى ذهن " على " الجملة الاخيرة من أمه " اللى بيروح مش بيرجع " إيه يعنى أبى راح ولن يعود .. فليكن لأنها سنة الحياه .. اخوتى بدأوا فى التفكك وكل واحد يسير فى طريق .. آه يا ربى ..

هذا ما قاله لى الخواجه فى يوم من الأيام ( أللى افتكر يوم إنك واخواتك مس هتبقوا كويس سوا سوا بعد البابا ما يسيب الدنيا ويرووه عند الرب .. كل واهد يسوف مصلهته لوهده " أللى " انت كمان لازم تسوف مصلهه لنفسك بعد البابا ما يترك الدنيا سوف سغل .. سوف زواج بنت كويس تتزوج تعيسوا سواسوا وتعمل بيت كويس وتجيب بيبى فاهم أللى ؟ )

لقد قالها الخواجه .. إنه على حق فقد انفرط عقد الأسرة بوفاة أبى .. رحمك الله يابا .. نظر على بجواره فوجد أن الدنيا أصبحت موحشه بدون والده ..

قال ( ياه .. الأب حياته نعمة لاولاده .. طيب اطلب من مين ؟ واشتكى لمين ؟ ولما استلم شهريتى من الخواجه اديها لمين ) ؟ بكى " على " بمفرده فى الظلام وشعر أنه مثل الطفل الصغير الذى فقد أباه فى مولد القرية .

فى اليوم التالى واثناء العمل جاءت " مارتا وابنتها لوتسيا " أو لوو وكانتا يستقلان العربه (الكاريته) كعادتهما ولاحظتا أن "عليا" شاحب الوجه وغير منتبه لوجودهما بل لم يبادر إلى التحدث معهما كعادته حينما يراهما مُقبلتين .. وتساءلتا عن السبب .. هل السبب فى ذلك حزنه على والده ؟ ولكن هذا تم منذ شهرين .. اذن ما هى المشكله ؟ أوماءت مارتا لابنتها بأن تذهب إليه لتحادثه فاسرعت اليه سعيدة متلهفة تلبية لرغبة امها.

" لوو " : صباه هير .

" على " : أهلا صباح الخير .

" لوو " : النهارده أنتى مس كويس ومس هلو ومزاج نص نص ؟ .

" على : آه يا " لوو " ( كل ما افتكر أن ابوى مات الدنيا بتسود فى وجهى ) طيبت " لوو " من خاطره وجلسا سويا عند مجموعة من الأشجار التى تظلل ماكينة العصير وبعد عدة دقائق كانا يضحكان وأضاء وجه " على " وعاد لطبيعته وعفويته التى ترافقه عندما يكون مع " لوو " .

حضر " دوكيا " وقال : ( إيه " مارتا " مس ينفع كدا عطله عطله .. " أللى " مس لازم يسيب عمل ويكلم ابنتى " لوو " وقت عمل ) ..

تجيبه " مارتا " : ( أسكت " دوكيا " هذا وقت مهم ولازم " لوو " يسوف سغل " أللى " مهتاج " لوو " وأنت " دوكيا " رووه عند سغل وسوف ماكينات عصير ) .

أصبح اللقاء اليومى بين " على و لوو " فى المعصرة شيئاً هاماً للاثنين وقد اعتاد والديها على ذلك حتى العمال انفسهم اصبحوا معتادين على هذا الوضع والذى لا يمثل لهم اى جديد او مفاجىء والبعض يهمس فى أذن الآخر " على " ولد الحنونى حيجوز بنت الخواجه ؟! .

اقبل الفيضان وذهب الأخوه إلى الضفه الغربية من النيل للعمل مثل كل عام وكان الأخ الأكبر " عاشور " هو الذى تولى شئون الأسرة مكان والده المرحوم ولكن شخصية " عاشور " ضعيفة بالإضافة إلى أن العلاقة مع الأب تختلف عن العلاقة مع الأخ وهذا الصيف كان مخالفا عن الأعوام السابقة وأيقن الأخوة إن الأب ترك فراغاً كبيراً بقيادته وحكمته وبراعته .

عاد " على " إلى المعمل بعد انتهاء عمله مع إخوته فى البر الغربى وقد أستبدل أمه فى استلام أجره الشهرى من العمل فى العصارة بدلاً من المرحوم والده .

تتوالى الايام ورابطة الأخوة وعلاقتهم الاسرية مع بعضهم البعض تتفكك .. كما بدأ "دوكيا " فى الشكوى من شدة العمل وسؤ حالته الصحيه وقد زاره اكثر من طبيب وقد اطمئن من بقاء " على " فى المعصرة حيث أعد لنفسه حجرة ليقيم بها حتى يشفى من مرضه وأصبح "على" يزور أمه كل اسبوع حيث يذهب لصلاة الجمعه فى مسجد القريه ويسعد بلقاء إخوته وأمه وأصدقائه ثم يعود فى نهاية اليوم إلى المعمل .

فى أحد تلك الأيام جاءت " مارتا " إلى المعمل بمفردها وبعد أن لاحظت سير العمل طلبت من " على " أن يلحق بها فى حجرة مكتب الإدارة .. فكر " على " فيما تريده هذه السيدة الطيبة .. فهو منذ صغره يعلم إنها سيدة حنون وعطوفة عليه لكن قد يكون جد شىء جديد بعد توعك صحة " دوكيا " .. لحق بها إلى المكتب وطلبت منه الجلوس أمامها ووضعت ابتسامة على وجهها عندما لاحظت إضطرابه وبادرته .

" مارتا " : إيه " أللى " ( مس باين عليكى مبسوطه ) ؟ .

على : ( أنا بخير يا هانم .. المهم صحة الخواجه ) .

تنهدت مارتا : ( آه " أللى " جيت لكلام مهم .. صحة دوكيا مس تعلم .. مس عارف أعمل إيه ؟ .

" على " : ( ربنا معاه ويجوم من مرضه ويبجى عال ) .

" مارتا " : ( مس عارف أللى أقول إيه ؟ لكن إنت ليه مس تتزوج ؟ إنت مهتاج واهد أروسه .. إنت مس صغير " أللى " .

" على " : إن شاء الله .. إن شاء الله ...

" مارتا " فيه هاجة سايفها أللى ؟ يعنى فيه واهد بنت انتى سوفته ويمكن جواز قريب ؟ .

" على " : لا : لا .. مافيش ..

" مارتا " : بس أنا واهد بالى " أللى " انك تسوف " لوو " كتير .. تكلم " لوو " كتير سوا سوا يعنى فيه هاجه بهصوص " لوو " .

تجمد " على " وما كان يخشى حدوثه قد حدث .. وها هى الأم قد لاحظت غرامه وحبه لابنتها وقال في داخله .. دول خواجات وإيطاليين وبيضربوا في الحبشه "أثيوبيا" وبيعذبوا الناس في ليبيا .. يعنى مش حتعدى على خير وممكن يبلغوا الحكومه واحنا سمعنا من الناس عن إللى يزعلهم طوالى يبعتوه للسجن .. حضيع أنا وعيلتى ولم يعرف كيف يجيب ؟ .. أيكذب .. أينفى طاقة النور التى فى سمائه ورحيق الأزهار التى يتنفسها عندما تتحدث معه .. أنقذته " مارتا " من هواجسه وخوفه .

مارتا : ( " أللى " أنا فاهم كل هاجة وعارف كل اللى بينك وبين بنتى وممكن أنت " ولوو " زواج سوا سوا ) ..

قفز " على " فرحاً قائلاً : بصوت مرتفع ( ربنا يخليكى يا خاله .. بركاتك يا شيخ يا عبد الرحيم يا جناوى ) ثم نظر إليها ثانية وقال :

(بس ازاى ؟ إزاى أجوز بنتكم وأنتم خواجات ؟) .

" مارتا " ( آه " أللى " هواجات يعنى إنسان .. يعنى زواج تروه عند واهد مأذون وأعمل فره وسربات وغنا ورقص وأصدقاء ودوسه زى ما باسوف وأسمع وبيت ثم دخله بعدين بيبى هذا هو زواج مثلكم تماما ) .. غادرت " مارتا " المعصرة و " على " غارق فى أحلامه وأماله وهو غير مصدق وغير قادر على التفكير فيما سيقول وفيما سيفعل .

# (٤)
# " لـــوو "

تشتهر " لوو " فى القريه بين الناس باسم " نور الشمس " والبعض يطلقون عليها " شمس الصباح " حيث أن وجهها البهيج المضىء مثل الشمس وبدون حرارة لاسعة مثل الضوء فى الصباح .. فهى تميل إلى الطول حيث يبلغ حوالى مائة وخمسة وستين سنتيمتراً متوسطة العود فليست بدينة أو نحيفة وكانت تسير مشدودة القوام ولو نظرت إليها من أحد الجناب وهى واقفة لرأيت ظهرها حتى رأسها خطا مستقيما فلا ندوب ولا حدوب .

واثناء سيرها في الطرقات تلقى بتحيتها على جميع الناس من جميع الأعمار وبالعربية ثقيلة اللسان ولا تشعر بوقع خطواتها اثناء سيرها من فرط الخفة والرشاقة وتلاحظ أشعة الشمس وقد تسلل من بين خصلات شعرها فتشاهد وميض الضوء من خلال شعرها الكستنائى الذى ينسدل على ظهرها حتى يغطى كتفيها .

كان من الواضح والمعلوم أن " على الحنونى " يعشق " لوو " ويعتبر مثل هذا العشق المعلن ليس من الكبائر رغم تقاليد الصعيد والسبب يرجع الى نقطتين هامتين فى التقاليد فى هذا الوقت وهى :

١- ان العلاقة واضحة بين شاب يعمل عند العائله منذ أكثر من اثنى عشر عاما ونشأ كأطفال وشبا سويا فأنتجت علاقة حب أمام الجميع ولم تفاجئهم فى يوم وليلة أو كانت مستورة وفى الخفاء حتى تعطى أصحاب النفوس الضعيفة الفرصة لأقاويلهم المسمومة .

٢- إن الطرف الثانى فى العلاقة وهى الفتاه " لوو " اجنبية اى خوجايه .. وهذا فى العرف السائد لدى الريف المصرى انها من عادات الخواجات وليس عيباً العلاقة بين الشاب والفتاه .

أما عنصر الإثارة ضد الشاب وإثارة المشاكل فهو غير موجود والسبب أن كل أطراف عائلة الفتاة موافقون ومؤيدون لهذه العلاقة والتى يعتقد الناس أنها لن تدوم لأن الخواجة لن يوافق على زواج ابنته الجميلة الميسورة من هذا الشاب الفلاح ابن الفلاح الفقير وبالتالى لم تتوافر لدى " على " أى مزايا تساعده على أن يكون الشاب المثالى كزوج لـ " لوو " الجميلة هذا من ناحية فكر المصريين .

لكن فات على هؤلاء الناس أن الفتاه والفتى لهما قلبان يعملان ويشعران ويترجمان أحاسيس وأفكار أخرى غير افكارهم هذه .. الأفكار والأحاسيس التى لا تراها عيون الآخرين أحاسيس تجعلك لا تنام .. وإذا نمت لا تنام بعمق .. وإذا ذهبت فى نومك فثمة شىء يوقظك فجأة ليذكرك بأطياف الحبيب .. كل هذا أيضا بعيد عن أفكار الآخرين لأنهم خارج التجربة وثانيا لأنهم يعملون مثل ماكينة تواصل العمل ليل نهار لسد جوع وطلبات الأسرة .. فإذا ارتقى أحدهم فى العمل وزاد دخله فاجأته امرأته بمستهلك جديد لهذا الدخل ألا وهو قدوم طفل لهما وهكذا .

فى أحد أيام الخريف وقد أقبل الظلام مبكراً وولى ضوء النهار ودرجة الحرارة تميل إلى البرودة أكثر منها الى الدفء .. جاءت " أم عاشور " وفاتحت ولدها فى الحديث قائلة :

سل خير يا " على " ؟

سل خير يا امه ..

إيه يا ولدى جاعد لوحدك على المصطبة والدنيا هتضلم وشوية برد فى السما .. فيه إيه يا ولدى بتفكر فيه ؟ أطلق "على "زفرة .

مفيش يا أماى .

أنا أمك وفاهماك .. أنت دايما بتفكر فى بنت " مارتا " الخوجاية .. صُح .. ابتسم " على " لفراسة أمه التى قاربعمرها على السبعين عاما وكل

المعلومات والأخبار تأتى اليها وهى جالسه فى المنزل .. تعرف كل شىء عن البر الغربى يوما بيوم وعن عزبة " ميت البرامونى " ومعلومات عن العرائس والزوجات الصغيرات وانتظارهن للإنجاب ومن أنجبت ؟ وماذا أنجبت ذكراً أم انثى ؟ كانت ذاكرتها قوية ولا تنسى خبراً لم يكتمل وتريد من إحدى زوجات أبنائها أن تكمل لها بعض المعلومات الناقصة .

ضحك " على " : صحيح يا اماه أنا بافكر فى البنت " لوو " بنت " مارتا " ضحكت أمه وقالت : ووصلت لحد فين ؟

أجابها ضاحكا : مافيش ؟ جلست بجواره على المصطبة بعد أن زعقت على البت " بهية "بأن تحضر لها كوبيتين شاى .

أنت يا وله مخك ضلم .. إزاى يا ولِد مش تجنع أبوها وأمها وتجوزها .. فوجىء " على " بوقع كلام أمه .. بل وسُر بداخله لهذه المفاجأة السارة .. فلم يكن يتوقع أن يقف معه أحد أو يؤيده ويناصره من عائلته سوى شقيقه الأكبر مباشرة " عبدالله " والذى يعتبر صديقه من بين إخواته ويعلم كل شىء عن ظروفه وأحواله مع حبيبته " لوو " ابنة دوكيا صاحب المعصرة

الأم : ولد ..مُخك إمعاى والا طار فى السما ؟! .

كلامك زين يا اماى .. بس تفتكرى اخواتى حيوافجوا على الجوازة ؟ .

مش مهم اخواتك .. المهم كله أنا يا وله .. وإنت والخواجايه "مارتا " وجوزها الخواجه والبنت .. أما إخواتك حيوافجوا على اللى حتشاور عليها لأننى موافجه ثم نظرت إلى الخلف قائلة :

هاتى "يا بهية " الشاى .. خد يا ولد كوباية شاى إوزن بيها إدماغك الفاضى عشان تفكر فى كلام أمك .. إنت الوحيد فى ولادى عزبنجى وملكش مرة ولا دار .

بعد عدة أيام وكان حل يوم جمعه وكان جميع الإخوة قد انتهوا من تناول طعام الغداء وبدأت النسوة فى رفع الأطباق وتنظيف المكان

واحضرت إحدى زوجات الأخوة منقداً " شاليه " به قوالح مشتعله وأخرى أحضرت الجوزة وملحقاتها من حجر وماشة وباكو معسل . بينما أحضرت " بهيه " براد شاى كبير مملوء بالماء والأكواب ومجمع الشاى ومجمع السكر ومعلقه .. وبدأت الأم تضع براد المياه المخصص للشاى على النار وهى تتحدث مع أبنائها ثم بدأت حديثها .

كل النسوان بره الأوضه واجفلى الباب علينا يا بهية .

حاضر يا ست أم عاشور .

( كلامى معكم الآن تسمعوه وتفكروا فيه وبعد ما تشربوا الشاى تنورونى بردكم ورأيكم ) .

الأبناء فى اصوات متداخله ( خير يا اماه .. خير تفضلى اتحدتى ) .

الأم ( كلكم مجوزين ومخلفين وربنا ساترها معاكم .. ومفيش غير أخوكم الصغير " على " عايزين نجوزه عشان يكون زيكم .. وهو معدى العشرين سنه .. " على " مقاطعاً .. تنين وعشرين سنه يا اماه ..

الأخوه على بركة الله .. هو يشاور واحنا نروح نخلص كل الطلبات .

أحد الاخوة .. تجول إيه يا " على " فى البت " فتحية " اخت مرتى " سعاد " .. قطعت امهم الحديث ..

" على " اختار وأنا موافجة على اختياره .

الأخوة جميعا .. مبروك يا خوى ..

الأم : البنت اللى وافجت عليها هى " لوو " بنت الخواجه .....) سكوت تام وكل أخ ينظر إلى شقيقه وأحدهم نفث دخان الجوزة وظل صامتاً ..

بلهجة حازمة وعالية الصوت ( إيه ؟ مش موافجين على اختيارى ) ؟ .

الإخوه : اختيارك زين يا اماه .. بس الخواجه مش هيوافج .

وتجولوا إيه لو الخواجه وافج ؟ .

الإخوة : على بركة الله .

الام ( "على " عرف الخواجه و" مارتا " إنى وأخوك " عاشور " هنزورهم فى طلعة رجب) كان متبقى ثلاثة أسابيع على هذا الموعد .

فى الموعد المحدد ذهبت " الأم وابنها عاشور وزوجتة برفقة "على" لزيارة عائلة " لوو " واستقبلتهم " مارتا " بابتسامتها المعروفه عنها بين أهل القرية وكذلك " لوو " أما " دوكيا " فقد كان ما زال مريضاً وملازماً الفراش وجلس الجميع فى حجرة دوكيا وأوضحت أم عاشور أنها جاءت بغرض خطبة " لوو " لابنها " على " .. وكان استقبال هذا الكلام غير مفاجىء لأسرة " لوو " لأنهم عرفوه من " على " .. وأن والدته سوف تحضر برفقة أخيه الأكبر لإتمام هذه الخطبه .

تبادلوا التهانى والابتسامات والأمنيات بفرحة سعيدة لهم جميعا .. وكان طلب " دوكيا " هو إتمام الزواج قبل وفاته لأنه يشعر أنه على موعد قريب مع " الرب " لكن الجميع دعا له بالصحة وطول العمر .

أم عاشور طلبت أن يكون الزواج فى " عيد الفطر " حتى تكون مناسبة طيبة وخير والكل حيحتفل بيها .. اتفق الجميع على هذا الموعد وإنه فى أول يوم رمضان ستحضر العائله كلها لإحضار "مهر وشبكة العروس"

بعد جلسة عائلية اتفق خلالها كل الأطراف على كل شىء بدون مناوشات ومناقشات كثيرة وشد وجذب .. حيث كانت " مارتا " متفهمه الموقف وكان " دوكيا " مريضاً وغير قادر على المجادلة مع شعوره بقرب أجله فكان مستعدا للتضحية بأى شىء لاستكمال زواج ابنته حتى يترك فى المنزل رجلا يحمى زوجته وابنته وممتلكاته كما كان يخبر زوجته بذلك من سرير المرض .

عادت الأم برفقة ابنها سعيدة قريرة العين بهذا الاتفاق الذى تم أما " على " فكان على موعد مع السعادة لأن كل شيء مر بسلام على غير ما كان يتوقع ويتخوف ..

الأسبوع التالى يوم الجمعه وبعد الانتهاء من الصلاة والعودة من المسجد والاستعداد لتناول طعام الغداء طلبت الأم من الأخوة ألا يغادروا قاعة الطعام لأنها راغبة في التحدث معهم .. وبعد أن انتهى الجميع من طعامهم ورفعت النسوه الأوانى الفارغة وإحضار " بهية " للشاليه المتقدة ناراً وإحضار الجوزة وملحقاتها وبراد المياه لعمل الشاى طلبت الأم غلق باب الحجرة للحديث مع أبنائها وأخبرتهم بما تم الأتفاق عليه في زيارتهم الاسبوع الماضى لعائلة الخواجه " دوكيا " وزوجته وابنته وذكرت كل شيء وكان السرور بادياً على وجوه الأخوه الذين قدموا التهنئة لشقيقهم الأصغر .. ذكرت الأم الطلبات والأشياء المطلوب تجهيزها للعروس من شبكة ومهر وهدايا وطلبت من عاشور وإخوته تجهيز المبلغ المطلوب حتى يصبح جاهزاً قبل شهر رمضان لشراء تلك الأشياء ولوازم العروس .

لم يعترض أحد من الأخوة على اى شيء بل تسائل بعضهم أن نزيد من قيمة الشبكة لأن العروس خوجايه وأن العريس هو أصغر إخوتنا .

سارت الأمور كما خطط لها فالأيام تلى الأيام وموعد الزفاف اقترب وفى أحد الأيام قالت " لوو "

( " أللى " فى أى مكان سنعيس ؟ أين سيكون منزلنا ؟ ) ولم يكن " على " يفكر فى مثل هذا السؤال من قبل مثل أى إنسان لم يفكر لماذا خلقنا ولماذا نتحدث ؟ أشياء طبيعية بديهية وكانت إجابته طبيعية هادئة .

عندنا فى الدار .

آه " أللى " ( مس ممكن زواج فى منزل أسرة دى مس كلام طيب .. فيه ناس كتير .. رجال ونساء وأطفال وهيوانات مس ممكن زواج مع هيوانات ونعيس سوا سوا .

ابتسم " على " فهو يعرف طباع الخواجات .. عشرة أكثر من خمسة عشر عاماً فسلوكهم ودقة نظامهم مختلفة .

قال " على " تجولى إيه لو نبنى دار صغيره لنا ؟

" لوو " فكرة مس بطال .. ولكن " أللى " إيه رأيك نعيس هنا مع الماما والبابا بتاع أنا ؟ بيت كبير واسع .. ومكان هلو هوا من غير دهان سوف زهور في جنينه سوف مكان واسع بيبى يلعب ويكون مبسوط .. كمان مافيس ناس كتير مافيس هيوانات آه " على " .. ووضعت يدها على أنفها علامة القرف والنفور من تلك الرائحة الموجودة بمنازل الفلاحين وهى خليط من روث البهائم ورائحة الدخان المنبعث من الأفران .

" على " أنا مافكرتش فى الحكاية دى .. وكييف راجل صعيدى زيى يوافج ويجبل يعيش فى بيت مرته ؟ دى مش حلوه واصل وحاجه عفشه خالص يابوى .

" لوو " : فكر كويس ومس تستعجل رد .. روه قول " للماما " بتاعك وهى تفهم .. واتفقا على هذا الاقتراح .

آخر النهار وقبل غروب ضوء الشمس غادر " على " عمله عائداً إلى قريته وهو يفكر كيف سيفاتح والدته بخصوص هذا الموضوع .. رجل صعيدى يتجوز ويقيم فى دار أهل مرته مش حلوة خالص وتبجى فضيحه .. وصل إلى منزلهم يلقى بتحيته على أخوته وزوجاتهم وأبناء وبنات أخوته .. ووجد الدار تعج بالرجال والنساء والأطفال والبهائم من كل نوع وكل حجم وأصناف كثيرة والصياح والأصوات متداخله بين جميع الكائنات بالدار حتى الدجاج والحمام كان له نصيب فى هذا الصخب الهادر .. ولأول مرة ينتبه إلى أن دارهم ممتلئة بالبشر والحيوانات وروائح من روث ودخان وروائح طعام يطهى وخبز يُعد .. كيف فاته كل هذا ولم ينتبه له طوال هذا العمر .. إنها العادة التى تصيب الانسان بالتعود على الشىء وعدم الاندهاش من حدوثه إلا عندما يرى ذلك إنسان آخر لأول مرة فتكون

الدهشه وبالتالى ينتبه إلى ما يحدث .. نعم " لوو " كانت محقه فى الجزء الأول من حديثها بأن الدار مثل السوق .. أما الجزء الثانى فهو خطأ ولن اوافقها على ذلك .

فى المساء بعد أن هدأت الحركة فى الدار وأنسل الأخوة وزوجاتهم وابناؤهم إلى دورهم وحجراتهم وجد " على " أن الفرصة مناسبة للحديث مع والدته فيما ذكرته له " لوو " هذا الصباح وقد بادر امه .

آمـــــه .

أيوه يا " على " طيب شويه يا " على " لما اولع فتيل اللندة الصاروخ وجايه لك جوام .. وما هى إلا دقائق وحضرت أم عاشور والدة " على " وهى تسير بتثاقل تحت حمل السنين والأعوام وهموم الحياة وقد وضعت لمبة فتيل مصنوعة من الصاج وبداخلها قطعة فتيل تشعل وتسمى باللندة الصاروخ وقد وضعتها على رأسها بدلاً من أن تمسكها بيدها لصغرها وخفة وزنها حتى تستطيع أن تعتمد على يديها وهما خاويتان .. وصلت إليه وهو جالس على الأريكه فى صحن الدار وهى تلهث وأنفاسها تتلاحق ( أيوه يا ولدى ) .

آمه " لوو " النهارده تحدتت معاى وجالت وين حنعيش بعد الجواز ؟ كيف احنا مش فكرنا فى الحكايه دى ؟ ضحكت الأم من كلام " على " ابنها

إنت لسه صغير على الحاجات دى وأنا الجمعة اللى فاتت إتحدت مع أخوك "عاشور" وهنبنى ليكم مجعد فوج .. ريح مجعد أخوك عبد الله .

سعد " علىّ " بهذا الاقتراح وشعر أن والدته تفكر فى كل شىء ثم تذكر كلام " لوو " بأن المنزل مثل السوق والكل يعيش سوياً .. البشر والحيوانات وهى لا تستطيع أن تعيش فى مثل هذا المنزل .. والتفت إلى أمه

آمه .. " لوو " بتجول إن الدار هنا زحمه وهى مش تجدر تعيش فيها .. ضحكت للمرة الثانية على كلامه وانفعالاته .

على مهلك شويه .. كلامها زين ( فوجىء " على " وانتبه ) يا ولدى دى عايشة فى سراية ودار طويله عريضة وعندهم الخدامين مش خواجات إحنا فين وهما فين ؟..

يا آماه دى بتجول أنا اجوز عندهم بدلاً من اجيبها إهنه .. دى تعجل يا آمه !! ده كلام يا بوى ؟.. الراجل يمشى ورا الوليه والا الوليه تمشى ور جوزها .. كلام يكسف أنا خجلان ياماى .

حيلك يا ولدى واجعد وفكر .. الناس بتتطلع فوج مش بتنزل تحت .

إيه يا امه ؟ إنتِ موافجة على كلامها ؟ .

عين العجل يا ولدى .. البنيه كلامها زين .

طيب يا آماه .. إخواتى يجولوا إيه ؟ والناس فى الكفر يجولو إيه ؟ .

كل الناس هتجول إن الولد " على " اترجى وطلع فوج وعايش مثل الخواجات والناس بتوع البندر .. أنا داعية لك يا ولد ..

اوافجها يا آماى ؟..

وافجها يا ولدى .. وكمان تبجى ولد للخواجه " دوكيا " والخوجايه " مارتا " .. دول غلابه ووحدانيين وربنا يوفجك يا ولد ..

تصبحى على خير يا آماى .

تصبح على خير يا ولدى .

بعد افطار أول يوم من شهر رمضان ذهبت نساء عائلة الحنونى ووالدة " على " وهم يحملون الهدايا والمشغولات الذهبية لزيارة العروس " لوو " وعائلتها .. وقضى الجميع أمسية رمضانية جميلة وكانت " مارتا " سعيدة جداً بعادات وكلام السيدات الصعايدة وهى من أشد المعجبات بعاداتهن ومالت أم " هريدى " زوجة عاشور تحدث شقيق زوجها "على" .

أم هريدى : تفتكر مرتك حتصوم فى رمضان الجاى ؟ وضحكت وهى تغطى فمها الواسع بطرحة رأسها .

وأجاب " على " : وهو يضحك : والله ما أنا عارف يا عمه .. نظرت اليهم " مارتا " قائلة: إهنا نهب نضحك قول "أللى " إيه كلام يضهك ؟

فأجابها ناظراً جهه أخيه عاشور ( والله العمه ام هريدى بتجول " لوو " رمضان الجاى هتصوم زينا ) ؟ ضحك الجميع .

أكملت " مارتا " كلامها وهى تضحك " صهيه " " لوو " تصوم رمضان قادم .. واليوم " لوو " كان صايم ) ! صمت الجميع بدهشة واستغراب وإعجاب .. ابتسمت " لوو " قائلة :

أنا أصوم اليوم .. أكون متعود صيام زى مسلمين .. " مام " قالت لى إنها الطريقة السليمة فى هياه علسان اعمل زى مسلمين يقوم مفيس مساكل ولا زعل .

أشارت اليها ام عاشور قائلة : ( تعالى يا حبيبتى ربنا يخليكى لأبوك وأمك وجوزك وتكونى جدم سعد علينا إن شاء الله .. بركاتك يا سيدى عبدالرحيم يا جناوى ) .

حل عيد الفطر وكان الزواج فى اليوم التالى حيث أن الزواج فى عيد الفطر لا يمكن تحديده باليوم الأول لأن رؤيا هلال العيد قد تختلف فى الموعد من رمضان ٢٩ يوما أو يكون الشهر مكتمل وكان رمضان هذا العام ٢٩ يوما .

فرح الأهل والأصدقاء بزواج " على " و " لوو " وحضر مأذون القرية لعقد القران وارتبك الناس فى البدايه فى كيفية عقد القران .. فهذا مسلم وهذه مسيحية وحدث لغط وقام كل يفتى وكل يعلن خطأ رأى الآخرين وهذا يؤيد وذاك يرفض وكما هى العادة بينما نحن المسلمين نمسك بفتله

نقيس ونبحث فيها ونترك باقى الثوب واحتار " على " ماذا يقول ؟! وكذا اخوته ولكن جاءتهم " مارتا " كعادتها ودخلت على الجميع وهم رجال .

وقالت : مسلمون سلام عليكم .. فرد البعض السلام .

( أنا قرأت تاريه "تاريخ" مسلم وعرفت إن نبى مسلم " مهمد تزوج من مسيهيه " فهل أنتم تعرفون هذا ؟ أو أنتم لستم من تبع نبى " مهمد " وهنا اجاب الجميع " صلى الله عليه وسلم " نحن أمة محمد .

قالت : أكتب يا سيهه رضوان ( المأذون ) ونهن كلنا شهود والله بارك لكم فيما أنتم فيه .

تزوج " على ولوو " وعاشا سوياً فى منزل الخواجه " دوكيا " أو سراية الخواجه كما كان الفلاحون يطلقون عليه .. وكان إخوة على واصدقاؤه دائماً ما يداعبونه قائلين " الخواجه على " .

تدهورت صحة الخواجه " دوكيا " وأصبح واضحاً إنها أيام بقيت ويودع الدنيا .. وبدأ الأصدقاء القدامى من القاهرة والأسكندرية الذين وفدوا معه من إيطاليا زيارته والشعور بالأسى على حاله وكانت وصيته أن يدفن فى مقابر الكاثوليك بالقاهرة .

وبعد عدة أسابيع توفى الخواجه " دوكيا " عند عمر يناهز الستين عاماً تاركا خلفه أمراته " مارتا " ذات الـ ٤٥ عاماً " ولوو " ذات الـ ٢٥ عاماً والتى تزوجت منذ عدة شهور من "على الحنونى " كما ترك الخواجه دوكيا خلفه عصّارة "مادولى" لصناعة العسل الأسمر وبعض منتجات عصارة القصب .. حزنت "لوو" كثيراً على والدها فلم يكن لديه أطفال سواها ولذا كان كل حبه لها .. أما " مارتا " فكان حزنها أقل لأنها كانت ملازمة " لـ دوكيا " طوال فترة مرضه وكانت تتوقع وفاته بين لحظه واخرى حيث أجمع الأطباء على أن حالته الصحية لا تتقدم وبالذات فى الشهور الأخيرة وعليها الإستعداد للأحداث القادمة .

اهتم " على " بعمله فهو المشرف والمدير وصاحب العمل وخاصة إنه قبل وفاة " دوكيا " أصبح المسيطر على العمل ومعروفاً لدى اصحاب المعامل والشركات التى يتعامل معها الخواجه " دوكيا " وبعد وفاة " دوكيا " لم يجد " على " أى مشاكل مع العملاء .

فى اول كل شهر يسلم "على" أمه مبلغاً من المال للمساعدة مثل ما كان يفعل فى السابق قبل زواجه عندما كان يعطيها أجره بالكامل .. وفى إحدى المرات خلال زيارته لأمه كعادته كل أسبوع حيث الراحة أعطاها مبلغاً من المال فشكرته أمه وأعادته اليه ثانية .

فتساءل : ( ليه يا أماى بترجعى الفلوس ) ؟

قالت : ( الخير كتير والحمد لله ) ثم قامت وأحضرت أسطوانة صفيح ولها غطاء وهذه الأسطوانة ( طولها حوالى ٣٠ سم وقطرها ٨ سم ) تقريباً والصدأ يلفها من الخارج حيث كانت تحفظها فى حجرتها بفتحة فى جدار الحائط كعادتها حيث تخبىء أغراضها الثمينة فيها والجميع يعرفون عنها ذلك .. جاءت إلى " على " وأعطته إياها .

فيها إيه ؟ .

افتحها يا " على " فأخذها بين يديه .

وقال : " بسم الله الرحمن الرحيم " .. وفتحها ونظر إلى أمه .

قالت : ( طلع الورج منها يا ولد .. فأخرج الأوراق .. كانت أوراقاً رسمية حكومية قديمة يدل على ذلك إصفرار لونها .. وأوراقا نقدية ومد يده إلى أمه بها .

قائلا : ( تفضلى يا اماه ) .

قالت له : ( الفلوس دى بتاعتك ) !

دهش " على " قائلاً : بتاعتى .. كيف ؟

فقالت : ( من يوم ما عملت عند الخواجه وأبوك بيوفر كل فلوسك وأجرك من عملك هنا ووصانى جبل وفاته أن أعمل زيه مع أجرك .. كل الفلوس دية من جهدك وعرجك ومافيش ولد من إخواتك يعرف أيتها حاجة)

أخذت " أم عاشور " باقى الأوراق ووضعتها فى الأسطوانة الصفيح واغلقت الإسطوانة عليها وقالت وهى تنهض من مكانها .. دى حُجة الدار والأرض غرب النيل " عقد الملكية " .

عاد "على" إلى منزله فى المساء وجلس مع زوجته و " مارتا " وتحدثوا عن أحوال العائلة وأحضرت الخادمة " أم الخير " طعام العشاء وبعد تناولهم الطعام جلسوا بعضاً من الوقت وفيه استفسرت " مارتا " عن المعصَّرة وحالها وخاصة إنها منذ أسبوعين لم تذهب لزيارتها ولا تراجع مستنداتها .

وقد طمأنها " على " على الأحوال وخبّرها بإن الأمور التجارية فى تحسن حيث إن طلبيات بعض العملاء زادت من ١٥ : ٢٠ % عن طلباتها عن العام الماضى .. وطلب منها أن تحضر للمساعدة ومراجعة المستندات وإعطاء النصائح اللازمة واستأذنها للقيام لحجرته ..

وبعد أن أغلق باب الحجرة عليه وعلى " لوو " أخرج الأوراق المالية التى معه ووضعها على السرير .

فسألته " لوو " : ( مين اهضر فلوس دى اللى ؟ ) .

أجاب " على " ( دى فلوسى اعطتها لى أماى اليوم ) وشرح لها ما أخبرته به أمه .. لقد احتفظ والدى رحمة الله بكل مليم ناولته له من شغلى من وجت وأنا صغير .. كمان أمى رعاها الله وأنعم عليها بالصحة عملت زيه ) .

" لوو " أنا مبسوط كتير " على " إنكم عندكم أهلاق وتهبوا بعض كتير سوا سوا .. كم المبلغ " اللى " ؟ .

" على " : والله مانى خابر .. عدى معاى .. وقام الزوجان بعد المبلغ بعد أن رتب الفلوس حسب قيمتها .. عشرات الجنيهات .. والجنيهات .. والنصف جنيه .. والريال .. والعشرة قروش .. والخمسة قروش .. والنصف فرنك .. والقرش .. والخمسة مليمات .. ثم المليمات .. والعشرين خردة ) وبعد الانتهاء من الفرز والعد وإذ بالمبلغ يصل إلى ١٨١,٥ جنيه + ٢٣ قرشا + ٧ مليمات + ٢٠ خردة .

لم يصدقا إنهما يمتلكان هذا المبلغ واستقر رأيهما على حفظه بعيداً عن أموال المعصرة حتى لا يحدث خلط بينهما وأن يبلغا " مارتا " بخصوص هذا المبلغ .. سعدت " مارتا " بهذا الخبر وأيدت رأى " لوو " وزوجها " على " ووضعت المبلغ بالخزانة الحديدية الموجودة بالمنزل فى صندوق صغير مقفل ومكتوب عليه " لوو " و " على " .

سارت الأمور على ما يرام سواء فى المعصرة أو بين " على " وزوجته خاصة أن بشاير الحمل بدأت تظهر على " لوو "مما اسبغ السعادة البالغة على " لوو" ووالدتها كذلك أم عاشور التى سعدت بأنها سترى حفيدها من أصغر أبنائها قبل أن تقابل ربها .

# ( ٥ )

## بداية اختلاف الأشقاء

بعد مرور عامين على وفاة إبراهيم الحنونى ثم زواج " على " استمر الأشقاء الستة يذهبون إلى البر الغربى كعادتهم كل عام لزراعة الأرض هناك والتى كانت تمدهم بكل شىء لمعيشتهم طوال العام ويتبقى جزء يدخرونه للعام القادم .. ازدادت المساحة حتى وصلت إلى ٢١ فداناً ورغم ذلك فإن أفراد العائلة إزدادوا عدداً .. فأحفاد الحنونى فى ازدياد حتى إن أصغر أبناءه ينتظر مولوده الأول .

فى هذا العام وكان عام ١٩٣٧ كانت الحرب العالمية الثانية على وشك ان تندلع والمشاكل فى أوربا وصلت توابعها إلى مصر بحكم الاحتلال الإنجليزى وكانت معاهدة ١٩٣٦ والتى تفرض على مصر التزامات تقدم للقوات المحتلة مثل إعداد الطرق ومد الجيوش بالأطعمة وتقديم الخدمات فى طريقها الى حيز التنفيذ حتى تصبح المعاهدة سارية المفعول وفى ذلك العام أيضاً كان منسوب الفيضان قليلاً وبالتالى لم تصل المياه إلا لجزء محدود من المساحة التى تزرع في كل عام وبالتالى كان العدد الموجود كبيراً على المساحة المنزرعة ولهذا فقد عرض " عاشور " الأخ الأكبر على اخوته بأنه يمكن أن يُقسم أفراد العائلة إلى نصفين .. نصف يعمل لدى الغير بأجر والنصف الآخر يعمل فى الأرض .. نظر الأخوة بعضهم لبعض فبادرهم عاشور نذهب أولاً للوضوء وصلاة الظهر حتى نتناول طعامنا وهذا يعطينا فرصه للتفكير ..

بعد صلاة الظهر والدعاء والتسبيح وشكر الله على نعمه أحضرت النسوة الطعام والشراب وجلس الجميع يأكلون ويمرحون ويضحكون من ذلك العام الذى بخل عليهم بالمياه بخلاف الأعوام السابقة وتذكروا الأيام الماضية حيث كان النيل كريماً ولكن بات الخير ينحسر كل عام .

جلس الجميع بعد الطعام يتحدثون وشقيقهم " عويضة " مشغول بصنع الشاى على شالية النار التى أعدها لهذا وبدا أن كل أخ له رأى .. فالشقيق " عجمى " قال إنه سوف يذهب لمساعدة اصهاره فى الزراعة مصطحباً زوجته وأبناءه حيث علم بإحتياجهم لعمالة كثيرة هذا العام أما " شوقى " فقد اقترح بأن يذهب لمعاونة شقيقه " على " فى العصارة ولقد حادثه منذ أسبوع وعلم أنه يحتاج إلى بعض العمال خلال فترة الصيف أما " عويضة " والذى ما زال مشغولاً بإعداد الشاى ..

فقال : ( إنه سيتدلى إلى مصر لأن الواد عطوة أبو سريع صديقه وهو من منشية سعد الجريبة من عزبتهم أرسل له مكتوبا من كام شهر بيعرفه فيه بأنه يعمل مجاول أنفار ويبنون عمايير عالية جوى والواحد منهم بيحصل على خمسين صاغ فى الجمعة وهو مبسوط من الشغلة ) .

تحدث " عاشور " : قائلا ( كلكم عايزين تسيبوا أرضكم .. حد يجول كده أن أولاد الحنونى يعملوا ده .. لكن كفايه " عويضة وعجمى وشوجى " يسيبوا الأرض ويبجى معى شبل وعبد الله ) .

حزنت النساء على افتراقهن هذا العام .. فطوال الاعوام السابقة يعملن سوياً فى البر الغربى في عزبة الحنونى أو فى البر الشرقى فى عزبة " ميت البرامونى " حيث يقمن .. إنها المرة الأولى .. ثم قال "عويضة " أنا حسيب مرتى وصغارى أمانة عندك يا خوى عاشور لأن مش حاقدر أدلى بيهم لمصر .. أما " شوقى " فقال إنه سياخذ مرته وأولاده حيث سيقيمون فى بيت العائلة مع أمه وخادمتها بهية .

ترتبت الأوضاع على هذا النحو بعد أن أصدر نهر النيل قراره وعلى الجميع الطاعة والتنفيذ .. وفى اليوم التالى غادر الأخوة الثلاثة البر الغربي متجهين إلى البر الشرقى فتوجه عجمى " إلى عزبة أصهاره وأسعد هذا الزوجة وأبناؤها لأنهم سيقيمون مع جدهم وأخوالهم .. وشوقى وعويضه توجها إلى معصرة " مادولى " لمقابلة شقيقهم " على " وقد تقابل الأشقاء

الثلاثة بالعناق والترحاب وجلسوا يشربون الشاى تحت شجرة التوت الضخمة خلف المعصرة والتى تمر بجوارها قناة مياه تروى قطعة أرض تابعة لها وأخبروه عما حدث لهم فى " البر الغربى " وماذا قال لهم " عاشور " وجوابهم على اقتراحه واختيارهم وليس إجباراً من عاشور شقيقهم .. سأل " على " شقيقه " عويضه " اذا كان راغبا في أن يعملوا سويا والمكان يسع الجميع .. لكن عويضه شكره وأخبره بخطاب " عطوه أبو سريع " .. قال عويضه : لـ شقيقه " على " :

( كل إللى أنا محتاجه انك تناولنى أجرة " الجطر لمصر فزوده بخمسة جنيهات كان يحتفظ بها فى جيبه حيث كان يعدها لإرسال أحد العمال لشراء برميل " مازوت " وقود ماكينة العصير .. فاعترض " عويضه " قائلا ( ده كتير يا بوى .. أنى عايز خمسين صاغ ) .

ولكن " على " أخبره بإن هذا المبلغ أمانة معه حتى تجد العمل ويصرف على نفسه مخبره إياه .. ماذا تعرف عن أحوال وظروف القاهرة وقد لا تجد " عطوة " منتظرك فتتحكم أنت فى الظروف القادمة بدلاً من أن تتحكم بك الظروف .

تركهم " عويضة " ذاهباً إلى محطة القطار ليستقل " الوابور " إلى القاهرة حيث سيبحث عن صديقه " عطوه أبو سريع " الذى يعمل عامل ترحيله ومعه العلوان .. ( مصر – السبتيه – سوج الخضار روض الفرج – بعد ما تتلى وتنزل مصر اركب ترماى { ١٣ } وإنزل روض الفرج عند السوج وإسأل عن الحاج حسن الطنبور ) .

جلس كلٌ من على وشوقى يتناولان طعام الغداء تحت شجرة التوت وتحدثا فى أمورهم جميعاً وكان رأى شوقى إننا كأخوة سوف لا نجتمع ثانية طالما بدأنا فى الافتراق عن بعضنا البعض فلن يكون لنا اجتماع آخر فى البر الغربى .

وقد تضايق " على " مستفسراً من شقيقه قائلاً لماذا هذا التشاؤم ؟ .

اوضح له شوقى بأن الامر ليس تشاؤما .. بل هى الحياه والواقع .. فإذا وجد عويضة وعجمى استقرارا وعائدا مجزيا فى مكان جديد فماذا يدفعهم إلى العودة ثانية .

بعد عدة أيام وضعت " لوو " مولودها الأول وكان ذكراً وفرح به الجميع وكان هذا فى بداية ١٩٣٨ .. كما فرحت الجدة أم عاشور وقررت بهذه المناسبة عمل عقيقة فى يوم السبوع وذبحت كبشين كبيرين أبيضين ووزعت أكثر من نصفهما على الفقراء وأعدت اوانى الطعام فى منزل العائلة بالقرية وبهذه المناسبة أيضاً ذبح " عاشور " كبشاً لإطعام جميع الفلاحين بالقرية والقرى القريبة منه فى البر الغربى .

وكان اختيار الاسم من نصيب الجدة أم عاشور حيث أطلقت عليه اسم " سعيد " حتى يكون سعيداً طوال عمره .

سارت الأمور كما هى بدون جديد " على " يعمل بجد ونشاط فى المعصرة وإخوته يذهبون الى البر الغربى من النيل للزراعة كل عام .. أما شقيقه عويضة فقد قدم فى العام التالى إلى البلدة وبدا عليه التحسن على حالته المادية وأخبر زوجته وأبناءه أن يستعدوا للرحيل معه إلى القاهرة .. وتحدث مع شقيقه " على " سراً بأنه فى حالة تقسيم الأرض فإنه يرجو منه شراء نصيبه بالثمن المعروض فى البلدة ويحتفظ بالمبلغ إلى حين عودته للزيارة أو إذا جازف " على " وزار القاهرة فليحضره معه ثمن الارض ..

شعر " على " بانقباض من هذا الحديث وقال فى نفسه هذا يؤيد كلام شوقى ثم عاد واعتبر هذا الكلام من قبل الثرثرة مع شقيقه ولم يرغب فى أن يخبر أحداً بذلك ..

مرضت الحاجة أم عاشور ولم يسعفها القدر أن تنتظر حضور إبنها عويضة الذى أخبره عاشور بأن شد له تلغرافاً .. جاء عويضة بعد اليوم الثانى للعزاء والذى استمر ثلاثة أيام فى البلده وتحادث مع إخوته فى موضوع الميراث قائلاً لهم إنها ليست بالمناسبة ولكن ظروف سفرى هى

السبب وطلب من أخيه الأكبر فى حالة قسمة الارض أن يسلم نصيبه إلى شقيقه " على " بالسعر الذى يرضى الله وإنه اتفق معه على ذلك .

نظر الأخوة بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلى "على" متسائلين : ماذا تفعل أيها الخواجه الصغير ؟ .. إنه يخطط من خلفهم لشراء أرض شقيقهم وهم فلاحون يزرعون بينما هو ليس فى حاجة للزراعة حيث فله عمل فنى آخر وكانت نظراتهم له غير مرضية .

# ( ٦ )

## اللقـاء الحلسـم

مضى عامين على فراق الأخوة .. هذا الفراق الطوعى الذى أملته وفرضته ظروف نهر النيل بانخفاض منسوب مياهه عام ١٩٣٧ .. واستمر هذا الحال للعام التالى لكن بعد ذلك عاد المنسوب إلى وضعه الطبيعى وأرسل عاشور فى طلب إخوته الثلاثة للعودة ولكنهم لم يعودوا كما استنتج شوقى .

إضطر عاشور لاستئجار فلاحين يساعدونه فى الزراعة عوضاً عن إخوته الذين تركوا العمل وفى نهاية محصول عام ١٩٤٠ أرسل عاشور لإخوته أن يلقاهم فى البر الغربى ليأخذوا حصتهم من محصولهم ويتفقوا على كيفية إدارة الأرض وأرسل تلغرافاً على عنوان " عويضة " بالقاهرة حضر جميع الأخوة فى الموعد المحدد مع تخلف عويضة وبعد ان تصافح الأخوة ودار الحديث بينهم اثناء تناول الطعام نظر عاشور لإخيه الأصغر "على " وسأله .. منذ أربع سنوات لم تحضر هنا ؟ وأجابه " على " بصحة كلامه ومؤيداً إنه منذ أربع سنوات لم يشاهد الأرض . . واستفسر منه :

هل تلاحظ تغيرا وتحسنا فى إنتاجية الأرض وحالتها ؟

أجابه " على " بأن هناك تقدم كبير والأرض تحسنت حتى إنه لاحظ نمو الأشجار والنخيل وزيادة فى المساحة ثم بعد عدة سنوات ستصبح الأرض مشابهة لأرض عزبة "ميت البرامونى" .. ضحك عاشور وإخوته من ثناء شقيقهم على ما قاموا به وهذا دليل على إنهم فلاحون نشطاء ومثابرون وقاموا بعملهم خير قيام وهذه هى النتيجة

تحدث " عاشور" قائلاً ( إحنا سبعة اخوة واللى بيعمل فى الأرض تلاته وكمان عويضة جالى إنه موكل " على " فى نصيبه .. إحنا عاوزين

نشوف حنفضل على الحال ده واحنا من سنتين بنكرى " نستأجر " أنفار يشتغلوا معانا وده بيكلفنا الكتير ياخوى نورونى برأيكم ) ؟ تحدث عبد الله حيث كان لبق الحديث وفصيح اللسان وكثيراً ما كان يؤم المصلين فى صلاة الجمعة حيث اقترح أن تقسم الأرض عليهم بقسمة العدل والشرع وكل أخ يتصرف فى أرضه .

وقال شوقى قول عبد الله وأيدهم عجمى فى ذلك أما شبل وعاشور فكان من رأيهما أنه بالتقسيم وترك كل أخ يتصرف فى ورثه يجعل الغرباء يدخلون أرضنا .. نعم يمكننا التقسيم لكن البيع لا يكون إلا لأحد فينا وكذلك الإيجار أوالمزارعة حتى لا يأتى الغرباء بيننا والعزبة الآن سُميت باسم والدنا وأصبحت "ميت الحنونى " فكيف بنا نحن أبناء الحنونى نهجر ارضنا ونتركها لأناس غرباء ؟ .

أيد الجميع هذا الرأى .. وقال عاشور " ( الجمعة اللى فاتت جبت المعلم " سعيد أبوجصبه وعرفته أنه يجسم الأرض سبع تنواب متساوين ووضع علامات حديد للجطع ورسم ورجة " خريطة " بكده ورقم الجطعة والمجاورين لكل جطعة ومش متبجى غير إننا نحدد الاسم لكل واحد فينا .. وضع أمامهم الخريطة التى رسمها الحاج " سعيد أبو قصبة " وهى تضم ٢١ فدان + المنزل + بركة المياه .

كان واضحاً أمام الجميع أن رابطة وتعاون الإخوة قد تفككت منذ وفاة الأب الحنونى الكبير ولكن تأخير القسمة كان مسألة وقت وقد يكون القدر قد أراد هذا التقسيم لحكمة لا يعلمها أبناء البشر إلا بعد تمامها وإكتشاف نتائجها .. وقد تأهل الإخوة جميعا لهذا التقسيم وكل واحد منهم رتب نفسه عليها وخاصة أن الأب والأم قد فارقا الحياة وأن الشقيق الأكبر كان زاهداً في أن يتولى أمر العائلة حيث إنه استعداد شخصى .

قال " عاشور " : ( تلاحظوا إن كل الجطع السبعه تجع رؤوسها على نهر النيل أو تروى من الجهة الأخرى من البركة زى ما بنعمل فى كل

فيضان والدار موجودة لنا كلنا هى وبركة المية .. وطلب من إخوته أن يختاروا أرقام قطعهم والقطعة المتبقية تصبح نصيبى.

قال عبد الله : ( فلتكن البدايه بصغيرنا " على " علشان تكون الخاتمة بكبرينا زى ماجال الشيخ عاشور ) ضحك الأخوة مرة ثانية .

عاشور : خد جطعتك يا " على " .

"على" حأختار جطعة الغايب عننا وهو عويضة .. أيده الجميع .

فقال : أخذت الجطعة " الخامسة " .

تساءلو : إشمعنى الجطعة دية يا " على " ؟ .

أجاب : لأنها فى النص وهوه غايب عنا وبكده نحمى أرضه .. سعد إخوته بأن يحيطوا بأرضه شقيقهم بدلاً من أن تكون فى أحد الأجناب .. وقد تبارى الأشقاء في إنكار الذات وقرر " عاشور " أن الحل الأمثل في مثل تلك الأحوال عمل قرعة وأحضروا ورقاً وقلماً وكتبت عليها أرقام الستة قطع المتبقية بعد استبعاد قطعة عويضة .

فى كوب زجاجى فارغ وضعت الأوراق التى تحمل أسماءهم وقلب عدة مرات وبالفعل أخذ كل واحد منهم ورقة برقم .. وبدأ عبد الله يقرأ أرقام إخوته .. فبدأ " بعلى " وكان رقم (٢) وعبد الله رقم (٤) وشبل رقم (١) وشوقى رقم (٣) وعاشور رقم (٦) وعجمى رقم (٧) ..

قال " عاشور " : ( أخيراً إخوتى كل واحد فينا أخذ حجه من ميراث أبونا واختار جطعته أو اللى إختارها له ربنا والصبح حاجيب كاتب المساحة وهو المسئول عن كتابة الملكية وتوجيع الشهود عليها وسنبعتها للتوثيق العجارى ومعها شهادة وفاة والدنا وشهادة ملكيه الأرض من مكتب أملاك الدولة والمصاريف هنجسمها علينا .. ثم عرض عليهم رأيا قائلا:

من يرغب في بيع أو إيجار أرضه لأحد من إخوته وهو ما نحن متفقون عليه وأوضح لهم أن " عليا " مسئول عن أرض " عويضة "

والفدان يصل ثمنه حالياً إلى " سبعة عشر جنيها " أى أن الثلاث أفدنه يصل ثمنها إلى "واحد وخمسين جنيها " .. عرض " شوقى " بيع أرضه إلى شقيقه " على " ولكن " على " إعتذر بأنه ليس له خبره بالزراعة موضحاً يانكم المحتاجون للأرض أما أنا فلدى العمل الذى اتكسب منه وأجيده .. وقد فهم شقيقه خطأ بغلو الثمن فخفض جنيها للفدان حتى يشترى ولكن " عليا " اعترض على ذلك وقد أوضح " شوقى " إنه هيسافر إلى السويس للعمل فى كباتية " الجناه " يقصد قناة السويس وعندئذ وافق شقيقه على الشراء لهذا السبب ولكن بالسعر الذى حدده الأخ الأكبر عاشور لأرض عويضة ..

قال " عاشور " باكر سنجعل كاتب المساحة يعمل عجد بيع كل من جطعتى "عويضة وشوجى لأخونا الأصغر على ..

وأكمل " على " وعجد ايجارة بالفدنه التسعة ( على / عويضة / شوجى ) لك يا عاشور لمدة عامين ..

قام الأخوة مسرورين مما تم وخاصة إن " عليا " أعطى أخاهم الأكبر الأرض كلها .. فقد كانوا يخشون أن يطمع فيها ويريد الإستيلاء عليها قطعة قطعة.

فى العام التالى وضعت " لوو " مولودها الثانى " سامى " ومنذ اليوم الأول ظهر أن سامى على درجة عالية من الوسامة فكان يشبه أمه إلى حد كبير .

فى عام ١٩٤٣ باع "عجمى " أرضه إلى شقيقه "على" لأن نسايبه فى الكفر المجاور عرضوا عليه قطعة أرض قريبه منهم وهى رخيصة الثمن ثم بعد عدة أشهر جاءه " عبد الله " يطلب منه شراء قطعة أرضه لأنه وُفق فى عمل حيث اختير مأذوناً للقرية ولن يستطيع تدبير وقت لمتابعة الأرض حيث ان عمله الجديد كمأذون وإمام للمسجد الكبير في القرية يستهلكان كل

وقته .. وهكذا أصبح " على " وقد امتلك خمسة عشر فدانا ولم يتبق من إخوته فى الأرض سوى " عاشور وشبل " الذين يقتسمان زراعة أرض شقيقهم " على " بإستئجار فلاحين للعمل معهم وكان المقابل لهذا الإيجار زهيداً مما جعل " مارتا " و " لوو " يتحدثان معه ذات ليلة بعد مغادرة " عاشور " منزله وتسليمه الإيجار بأن هذا المبلغ قليل وأنه لو أشرف على زراعة الأرض بنفسه ستدر عليه عائداً أكبر ..

فاتح " على " شقيقه " عاشور " فى ذلك وكان فى غاية الخجل لأنه يحادث الأخ الأكبر والذى هو مكان والده كما إن " عاشور " كان رجلاً حليما وقليل الكلام ويتفانى فى مصالح إخوته بل كان يفضل منفعة إخوته على منفعته الشخصيه .

أجابه "عاشور" : ( إنت بتتكلم مظبوط ياولد وده الإيجار اللى جالت عليه الحكومة وأنا ياخوى الأرض لا تفيدنى علشان هيه محتاجة لمصاريف يلمة وأنا معنديش مجدرة والولد كبروا واستجلوا عنى ومنهم إللى سافر يشتغل بره الكفر علشان كده فتلاجى لا مالييتى ولا صحتى تساعدنى في الاهتمام بالأرض ويارييت يا خوى أنك تأخذ الأرض وتهتم بها وهى حتديلك دخل كتير لأنه من المعروف أن الأرض يتدى إللى بيديها ويصرف عليها ) ولهذا استفسر منه هل يستطيع " شبل " الإشراف على الأرض ؟ .

اخبره عاشور بأنه لا يعتقد ذلك حيث حادثه منذ أيام فى رغبته في أن يعرض أرضه عليك لشرائها ثم واصل حديثه طالبا من " على " الاستفسار من شبل يكون قد غير رأيه .

عاد " على " إلى منزله مهموما من حالة أخويه ومن عودة الأرض له وكيف سيتصرف فى أمورها .. إن زراعة الأرض ليست عمليه سهله وتحتاج مصاريفاوإشرافاورعاية .. شدت " لوو " من أزره وقللت من كل الصعاب التى يمكن أن يواجهها وأن الإمكانيات تفعل كل شئ حيث الفلوس توفر للعمال وكل طلبات الأرض وعليك فى الأسبوع القادم الذهاب لزيارة

الأرض ومعه المهندس الزراعى المسئول عن الناحيه ( المنطقة ) وإسأله الرأى والنصيحة .. فى اليوم التالى توجهه " على " لمقابلة مهندس المنطقه وسأله عن إمكانية أن يرافقه فى زيارته البر الغربى "ميت الحنونى" ليقرر حالة أرضه الزراعية .. وقد وافق المهندس على القيام بتلك المهمة .

إصطحب "على " المهندس فهمى إلى البر الغربى ميت الحنونى وتوجها إلى منزل العائلة حيث يقيم " عاشور " وأسرته وكان هذ فى نهاية شهر أبريل .. كانت الأرض مزروعة قمحا يشع لونها اصفرا ذهبيا وقد إقترب نضج المحصول وبعد ان شرب "على" ومرافقه الشاى اوضح لشقيقه إنه طلب من المهندس مرافقته ليرى أحوال الأرض على الطبيعة ويحدد طرق العلاج الأمثل .. رافقهما "هريدى " الابن الأكبر حيث كان الأب يشكو من اعتلال صحته .. كان المهندس يتوقف ويفحص الأرض وينظر للتربة ويكتب فى كشكول ومعه بعض زجاجات صغيرة فيأخذ عينات من الأرض ويدون أرقاما على الزجاجات ويكتب نفس الرقم فى الكشكول ويوضح بجوار الرقم من أين أخذت هذه العينة والعمق وحالة النباتات فى تلك البقعة واستمر على هذا الحال لمدة ثلاث ساعات تحت اشعة الشمس المحرقة .. عادوا بعدها إلى الدار حيث استراح على والمهندس فهمى بعض الوقت وتناولا طعام الغداء

وغادر المهندس و" على " فى اتجاه البر الشرقى وافترقا كل متجه إلى منزله مخبرا اياه أنه فى خلال أسبوع سوف يكتب تقريرا عن حالة الأرض .. بعد أسبوع حضر المهندس فهمى وقابل "عليا" فى المعصرة ومعه تقرير من صفحتين أعطاهما اياه وشرح له أسباب ضعف المحصول والتى كانت تنحصر فى النقاط التاليه :

١ - عدم حرث الأرض جيدا وبعمق كاف بين كل محصول والذى يليه وترك الأرض للتهويه بين الحرث والزراعة الجديدة لا تقل عن أسبوع .

٢ - وجود بعض الحشائش الضارة التى لابد من اقتلاعها من الأرض.

٣ - تغيير مكان زراعة الذرة كل عام فتقسم الأرض قسمين فى الزراعة الصيفية حيث يزرع القسم الأول ذرة والقسم الثانى لوبيا أو فول صويا والعام التالى تستبدل فتزرع القطعة الأولى فول صويا والثانية ذرة وهكذا .

مع بعض الإرشادات الأخرى وقد أثبتت تحاليل الأرض جودتها نظرا لخصوبتها من تجدد طمى النيل سنوياً .. فى يوم الجمعة التالى ذهب "على" إلى إخوته فى "ميت الحنونى" و تقابل مع كلّ من " عاشور " و " شبل " وشرح لهما رأى المهندس الذى عاين الأرض وقرأ عليهما التقرير .. ابدى " عاشور " موافقته على تقرير المهندس حيث كان " يومىء " برأسه دليلاً على حُسن الرأى بينما تكلم " شبل " بصوت عال قائلا (إحنا فاهمين زى "المهندز" و لكن الحكاية امكانيات .. حرث بالطريجة اللى بيجول عليها عايزه وابور حرث ونضافة الأرض من الحشايش الضارة عايزه أنفار كتيرة وده عايز فلوس يامه .

أوضح لهما "على" أن كل شىء يحتاج الى المصاريف وبالتأكيد فإن المصاريف بعد صرفها ستدر محصولا أوفر والفلوس لن نرميها ( خلف الجبل فى الرمل ) وبعد حوار بين الإخوة كانت نقطة الضعف هى الإمكانيات المادية واجاب " شبل " على شقيقه الأصغر بأنه فكر منذ فترة فى رغبته في بيع نصيبه وسألهم التفكير والرأى ومن منهم لديه الاستعداد لشراء قطعته ؟ فأوضح " عاشور " بأن صحته على قد الحال وإنه مثله وفكر فى التصرف فى قطعته ليشترى قطعة فى البلد رغم أن ثمنها أغلى

لكنها قريبة من الدار وأبناءه جميعا فى الكفر وأنهم يحضرون إلى هذا المكان مضطرين لأجل هذا قرر البيع طالبا من شقيقه "على" أن يريحه ويشترى منه ومن " شبل " الارض .. مستطردا بأن الأرض أملاك وافعل كل ما تراه مناسباً ونفذ تعليمات الباش مهندز .

ظهر الحزن على وجه " على " حيث أوضح لهما بعد أن كنا سبعة تتركونى هنا بمفردى وأنا ليس لى خبرة فى الزراعة .. ثم قال إذا كنتم مصممين على البيع فثمنوا الأرض وأنا اشترى منكم بالسعر المعروض .

ترك " على " أخويه وعاد إلى منزله وقص على زوجته ما حدث ..

جلست قليلاً تفكر ثم قالت له :

هل تفتكر ان الفلوس اللى معانا تكفى ثمن أرض إخوتك ؟ .

بأذن الله الفلوس حتكفى .. الفدان يساوى ٢٠ أو ٢١ جنيه والمطلوب ١٢٠ جنيه لستة أفدنة وأنا معاى ٩٥ جنيه والخواجه " دويلس " حداه ٤٠ جنيه ومعادهم الأسبوع الجاى .

وأكمل حديثه قائلاً : لكن المهم دلوقتى هو وابور الحرث اللى جال عليه المهندز .. عشان كده حاسافر إلى " جنا " وأسأل الخواجه " دويلس " واجيب منه المبلغ المطلوب وربنا يسهل .

فى الأسبوع التالى سافر " على " إلى قنا وقابل الخواجه "دويلس" والذى له صديق يعمل ميكانيكى ديزل ويفهم فى مثل تلك الأمور .. قابلهما وعلما منه المطلوب فأخبره الميكانيكى بأنه يعرف وابور حرث قديم وكل عجلاته حديد ويحتاج إلى عمرة موتور والوابور يصل ثمنه ١٢٠ جنيه والعمرة تصل إلى ٢٠ جنيها ، ويستطيع أن يعمل معه حوالى ١٠ سنوات بدون مشاكل لأنه صناعة إنجليزى ولم يجد أمامه سوى الموافقه ..

ذهب " على " وقابل أخويه وأعطاهما المال وفى اليوم التالى قام كاتب المساحة بكتابة عقود البيع وتم تسجيلها عند الموثق فى المركز .

أصبح " على يمتلك الآن ٢١ فداناً و داراً كبيرة وأشجاراً ونخيلا وفى أقل من شهر وصل وابور الحرث ومعه بعض الأدوات من محراث وبتانه وقام الرجال بإنزاله ووضعه على المعدية ونقله إلى الشاطىء الغربى للنيل ومعه أدواته واتفق " على " مع اثنان من العمال الذين لهما خبرة بكيفية تشغيل الوابور والحرث به وكانوا يبدأون العمل من الساعة ٦ صباحاً حتى ٨ مساءً براحة ساعتين ظهراً وفى خلال ٤٠ يوما تم حرث ٢١ فداناً بعمق ٣٠ سم كما طلب المهندس واستأجر بعض الصبية الذين قاموا بجمع الحشائش الناتجة عن الحرث وتشوينها خارج الأرض وحرقها حتى لا تعود ثانية ..

ظل "على" لمدة شهرين يقيم فى البر الغربى مع الفلاحين والعمال بينما زوجته تراعى الطفلين فى منزلها وأمها تشرف على عمل المعصرة .. بعد الانتهاء مما طلبه المهندس فهمى جلس "على" فى فراندة المنزل مع كلا من " مارتا ولوو " وقال لهما الآن نمتلك ٢١ فدانا من أجود الأراضى وسندخل موسم الزراعة القادم بقوة والله هو الرزاق .. هناءه كل منهما وشجعتاه على تكملة المشوار وهما يشدان من ازره .

توجه كل من "على الحنونى" والمهندس فهمى " إلى الغرب وشاهدا كل ما تم إنجازه منذ الزيارة الأخيرة حتى اليوم ولقد سعد المهندس فهمى بما شاهده من حماس .. وشجعه وشد على يديه مازحا اياه بأنه قد تفهم الدرس من أول لحظة قائلا : لقد كنت أريد منك أن تعلم شيئين هامين :

(العلم والميكنة) وقد سأله عن المحصول المناسب للزراعة وقد تم حرث الأرض ونحن الآن فى شهر يونيو ومياه الفيضان قادمة بعد شهرين .. أجابه فهم باننا نحتاج لزراعة محصول يعمل على تقوية الأرض لأن الذرة تجهدها ولهذا نحتاج إلى محصول يعمل عقد بكتيرية تفيد الأرض

وهذا متوافر فى كل البقوليات ولكن الان توجد بذور ظهرت حديثا والناس غير منتبهة لها .. انها بذور " فول الصويا " وهذا نبات يزيد الطلب عليه لأنه ينتج الزيوت .. ومصر ينقصها مثل ذلك النوع من الزراعات فلو قمنا بزراعة هذا النبات فهو يجمع بين الغرضين العقد البكتيرية والمحصول الزيتى غالى الثمن وفير الجودة والسوق المحلية فى احتياج اليه وايضد التصدير للخارج كما انه سهل الزراعة .. كان " على " يستمع اليه وهو واثقاً فى كلامه حيث يتكلم عن علم وخبرة وقد جربه عندما طلب منه أن يفحص الأرض رغم أن "عليا" لم يزرع حتى الان زرعة واحدة بمفرده ولكنه رأى أثر استخدام وابور الحرث على نظافة الأرض .

وافقه على اقتراحه واتفق معه على كل شىء ( من حيث الإشراف والأجر وأسلوب العمل ) وسلمه مبلغاً لشراء تلك البذور وكل لوازم هذه الزراعة واتفقا على أن يصبح الحقل تجربة لزراعة هذا النبات الجديد .. وتوجها إلى حيث الماء وتوضأ لصلاة الظهر وبعدها تناولا الطعام مع العمال ثم بعد ذلك عادا إلى البر الشرقى للنيل .

بعد أسبوع عاد المهندس وجلس مع " على " جلسة طويله واوضح له خطته مستخدماً ورقة وقلماً ورسوماً و " على " يستمع ويتفهم من حديثه حيث قال له أن منسوب المياه فى الفيضان يرتفع حوالى ٧٥ سم ويستمر هذا ثلاثة أسابيع ثم يبدأ بعدها فى الانخفاض حتى يصل إلى ٢٥ سم وقطعة الأرض المزروعة حالياً أقصى ارتفاع لها يصل إلى ٢٥ سم والبركة تستطيع أن تملأ بماء منسوبه يصل إلى ١١٠ سم .. كل هذه المقاييس أحضرتها من الأرض طوال الأسبوع الماضى .. الفكرة التى عندى هى ان نبنى حائطاً من الطوب الدبش بطول الأرض المواجهه للنيل وارتفاع متر واحد وعرض متر أيضاً ثم نقيم سدا من الرمال والطمى من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية للأرض وعند الجهة الجنوبية نقيم قناة بداخل الساتر بارتفاع ٢٥ سم عن الأرض بإرتفاع ١/٢ متر تبنى بالدبش حيث تندفع المياه عندما يرتفع منسوب المياه الى داخلها ونصل هذه القناه بالبركه

وبالتالى فان كمية المياه المتدفقة ستندفع الى داخل القناة ومنها إلى البركة ونوسع دائرة البركة وعمقها لتستوعب أكبر كمية من المياه العذبة .

والفائدة من ذلك :

١- سنتمكن من الزراعة قبل وصول مياه الفيضان وبهذا نستغل ثلاثة أسابيع فى الزراعة مبكراً .

٢- أن مياه الفيضان ستستمر فى تزويد البركه بالمياه حتى مستوى فيضان ٢٥ سم .

٣- سنتمكن من الرى بمياه البركة طوال فترة الفيضان حيث ستندفع مياه البركة من ارتفاع ٢٥ سم حتى الأرض المجاورة للسور وبارتفاع أقل من هذا المستوى دون عناء او مجهود يذكر.

عيوب تلك الطريقة :

١- تكلفة مادية قد تصل إلى ١٨٠ جنيها .

٢ - تحتاج إلى مجهود ووقت .

اندهش " على الحنونى" من السعر أولاً والفكرة ثانياً .. ثم سأله عن الوقت الذى تحتاجه للتنفيذ .. وأجابه أنه يمكن على مدار خمسة عشر يوما من العمل المتواصل فى كل الاتجاهات ان ننتهى قبل حلول الفيضان .. طلب منه مهلة عدة أيام ليفكر في هذا الأمر.

عاد " على " إلى منزله حاملا معه فكرة المهندس ورسومه واضحة فى الورق وفى عقله وجلس مع زوجته وقص عليها حواره مع المهندس .. وقد أعجبتها الفكرة لكن التكلفة كانت باهظة وجاءت " مارتا " وأعجبتها الفكرة ايضا وعندما أخبرتها " لوو " بأن التكلفة كبيرة أجابتها بان كل فكرة قيمة تكلفتها كبيرة و قالت لزوج ابنتها : ليس معى هذا المبلغ الان ولكننى

سوف أقترض من البنك حوالى مائة وخمسون جنيها ولنبدأ التغيير فليس هناك وقت ..

فى اليوم التالى ذهب " على " ليبلغ المهندس بموافقته فسُر بهذا كثيراً لأنه سوف ينفذ فكرة تفيد الزراعة ولا يستطيع تطبيقها فى عمله الحكومى ..ولهذا طلب المهندس إجازة أسبوعين من عمله واتصل بالمقاولين وحضرت المراكب الشراعية محملة بالدبش وقام العمال بالحفر تحت اشرافه وبمساعدة الجرار للعمال فى جمع الأتربة ورفعها وعمل السدود الترابية على الجانبين الجنوبى والشمالى من المزرعة واثناء ذلك اقام المهندس فهمى وبرفقته " على الحنوني " وبعد مضى ستة عشر يوماً من العمل الشاق انتهى العمل والذى يتلخص فى حماية الأرض مياه النيل وجعل الرى من البركة أى من الجهة العليا اى من جهة الأرض المائلة بارتفاع فى الغرب عن الشرق بـ ٢٥ درجة .. كانت الفكرة جديدة وجريئة لأنه من المحتمل أن تدمر مياه الفيضان السد إذا جاء شديدا او مرتفعا ..

كان الجميع فى حالة من الترقب سواء " على " اوالمهندس اوالعمال حتى إذا وصل منسوب ارتفاع المياه حوالى خمسة وعشرون سم اندفعت المياه فى القناة الواصلة للبركة ولحظتها هتف الجميع بنداء الله أكبر فأعطى المهندس إشارة الزراعة للعمال .. وبدؤا بمساعدة الجرار الزراعة كما زودتهم " مارتا " بخادمتين كل مهمتهما اعداد الطعام والشراب وفى نهاية اليوم الرابع تمت زراعة ( احدى وعشرين فداناً ) بنبات فول الصويا ثم واصل النيل ارتفاعه وامتلأت البركة حتى صار معدل ارتفاع المياه يسمح بالرى وفتحت المياه لتنساب من أعلى لأسفل والجميع فى دهشة مما يشاهدونه مع دعاؤهم بالشكر لله .. بعد تمام رى الأرض كلها تقابل كلا من "على" والمهندس فهمى الذى هنأه على فكرته الثاقبة .. فى آخر النهار كانت المساحة المنزرعة قد حصلت علىحقها من مياه الرى دون عناء من أحد .

قال المهندس لـ " على " تعليماتك لرجالك أن يفتحوا مياه البركة كل خمسة أيام والرى مساءً ويقللوا كمية المياه لأن هذا النبات ( فول الصويا ) لا يحتاج لمياه كثيرة.

بعد مضى أسبوعين عاد " على الحنوتى" إلى الأرض ووجد الخضرة قد غطت الأرض بالكامل ومنظرها يسر العين وقد تمكن السور المبنى المحاذى لنهر النيل من الصمود ولا يواجه اى مشاكل وإن منسوب المياه أقل من ارتفاعه وعلم من العمال أن المهندس يتابع ما يحدث بالأرض يوماً بعد يوم ويوجه الفلاحين لأعمالهم .

فى نهاية شهر أكتوبر توقف الفيضان والبركة ممتلئة بالمياه والمحصول على وشك النضج وتم حصد المحصول الذى فاق توقعات المهندس فهمى سواء فى النوع اوالكمية وقامت احدى الشركات بشراء المحصول من الأرض مباشرة وبلغ عائده لصاحب سبعمائة وخمسون جنيهاً ولم يصدق هذا ثم أعاد إلى " مارتا " نقودها وسدد قرض البنك وأخرج حق الله فى محصول الأرض وعاد المهندس الى منزله مسروراً بتلك النتيجة كما رزق جميع الفلاحين .. قسم المهندس الزرعة الشتويه عشرة افدنة قمحا واحدى عشر فدانا فول بلدى وطلب من " على " شيئين:

الأول : طلمبة مياه توضع على أول قناة المياه التى بنيت وتصل ما بين البركة والنهر حتى يقوم وابور الحرث بتشغيلها فتملأ البركة من مياه النيل اثناء فترة الجفاف .

ثانيا : التوسع فى استصلاح الأرض شمالاً ولم يعترض " على " فقد شعر أن الله أرسل له هذا المهندس هدية

عام ١٩٤٥ إنتهت الحرب العالمية الثانية والناس قد اكتوت بنيرانها حتى فى مصر ومضت خمس سنوات منذ بدأ " على " يستصلح فى الأرض ومعه المهندس " فهمى " وقد تم استصلاح خمسة وثلاثون فداناً أخرى أضيفت إلى الأرض السابقة وتم شراؤها من مصلحة الأملاك ..

تفرغ المهندس فهمى للاشراف على الأرض وأقام له منزلاً جميلاً ليسكن فيه مع عائلته كما اقترحت " مارتا " على زوج ابنتها تصفية أعمال المعصرة وأن ينتقلوا جميعا إلى الغرب حيث أن المساحة المنزرعة قد ازدادت ويفضل الإشراف المباشر عليها .. كما أصبحت المعاصر تقابلها بعض المشاكل من احتكار ومنافسة الشركات الكبرى ..

بعد عدة اشهر تم بيع المعصرة .. ثم المنزل وتسلمت " مارتا " ٥٠ % من اجمال الثمن لتضعه فى البنك بإسمها بينما حصلت " لوو " ٥٠ % لتستثمرها مع زوجها .. وقد قام " على " بشراء عدة جرارات زراعية وأنشأ مخازن للمحاصيل وقد اقترح عليه المهندس فهمى أن يعملا فى مجال تربية العجول لاستغلال موارد الأرض وتزويدها بالسماد البلدى .

# ( ٧ )

## " عويضـه الحنونى "

وصل " عويضه الحنونى " إلى كفر " ميت البرامونى " لحضور العزاء فى شقيقه المرحوم " عاشور " الذى توفى منذ عدة أيام وتجمع إخوته لهذا الحدث نظراً لحبهم الشديد لشقيقهم الأكبر والذى كان مثالاً للحب والعدل بينهم بعد وفاة والدهم وكان الذراع الأيمن له اثناء حياته .

تقابل " عويضه " مع إخوته ثم زار ميت الحنونى ومكث بها طوال اليوم مع شقيقه وأسرته والتى زاد عددهم حيث أصبح شقيقه أباً لثلاث صبية وطفلة صغيرة أما " مارتا " فما زالت تتميز بالقوة والصحة وحسن التدبير وتقيم معهم .. وكان من صفات الشقيق " عويضه " الذاكرة القوية فلا ينسى ما رآه أو سمعه منذ أعوام مع اجادته فى حفظ الأرقام .

أثنى " عويضه " على مجهود الشقيق وخبرته وكفاحه بدون ملل أو ان يحدث عن أعماله مثل الأخرين حيث يعتمد على الله أولاً ومجهوده ثانياً ولفت نظره كبر المساحة المنزرعه والتى أضيفت إلى المساحة القديمة حتى وصل إجمالى الأرض التى يمتلكها شقيقه ( خمسة وخمسين فدانًا ) أرض جيدة وتعطى إنتاجاً عالياً كما أنها تروى بسهولة ( رى بالراحة ) ولاحظ أيضا تواجد عدد من عمال الزراعة يقيمون مع عائلاتهم بل وزاد عدد أفراد من يعيشون في " عزبة الحنونى " والتى تحمل اسم والده .. ومما لفت انتباه " عويضه " أيضاً المسكن الذى يقيم به شقيقه مع أسرته حيث إستطاعت " مارتا " والدة زوجته وبمعاونة ابنتها " لوو " تطويره من دار الحنونى القديمة لتصبح منزلاً راقياً متقدماً مشابهاً للفلل الموجودة بالقاهرة يضاف إلى ذلك لمسات النظافة والجمال الواضحة للجميع .

تحدث " عويضه و على " سوياً حيث روى كل ما حدث له في القاهرة منذ وصوله اليها منذ " سبع سنوات " وكل ما تبقى معه باقى الخمسة جنيهات التى اقترضها منه بعد مصاريف السفر ووصوله إلى " حى روض الفرج "حيث تقابل مع بلدياته " عطوه أبو سريع " والذى قام بدوره بتعريفه الى مقاول أنفار آخر وهو الحاج " حسن الطنبور " فعمل معه لفترة من الزمن وبعد تحسن حالتهم المالية نسبيا اتفق الثلاثة على تكوين شركة مقاولات وكان رأس مالها " خمسة عشر جنيهاً " نصيب كل شريك " خمسة جنيهات " وإشتروا برأس المال " لط " خشب قديم يستخدم في الشدات الخرسانية وقد أسند بعض المقاولين الذين كانوا على علاقات عمل معهم قبل ذلك أعمالاً صغيرة حتى أثبتوا جدارتهم وقدرتهم فذاعت شهرتهم وأصبحت شركتهم من الشركات الكبرى في القاهرة وأعطاهم الله من فضله نظير جهدهم وإخلاصهم في العمل .

يستمع "على" لشقيقه وقد بدا عليه مدى السعادة بتلك الأخبار ثم واصل عويضه الحديث بأن أخبره أن الخمسة جنيهات التى اقترضها منه قبل مغادرة الكفر والذهاب إلى القاهرة أول مرة قد ربحت ! نظر إليه " على " الذى نسى هذا الأمر فواصل حديثه قائلاً : ( وحياة عيالى كل ما أدخل عملية وأخرج بمكسب أجول بالنص بينى وبين أخويا " على " لأنه من غير رأس مال مكنتش أجدر أعمل حاجه وعملت زى الناس ما بتعمل أنا بالمجهود وأنت برأس المال لحد ما وصل حجك امعاى .. كام؟ .. خمن ياولد سبعمائه وثلاثين جنيها جنيه ينطح جنيه ) نظر " على " إلى شقيقه وهو غير مصدق هذه الرواية الخيالية وإعتبر أن شقيقه يمازحه ويداعبه مثل أيام أن كان صغيرا ولكنه لاحظ في حديثه الجد والذى لا ينم عن اى دعابة كما كان يعتقد وتابع الحديث ( وأنا من تلات تشهر وجعت عينى على جطعة أرض زين في منطجه إسمها ميت عُجبه جريبه من إمبابه إللى عايش فيها الولد سعفان أبو جريده جوز البت نفيسه بنت عوده خفير العمده فاكره ؟ يمكن مش تـوعى عليهم كنت صغير لسه وبتجرى تلعب مع

الصغار .. تعرف يا خوى إشتريت تلات جراريط لك وتلاته لِى وثمن الجطعه الواحدة سبعميت جنيه " توتر " على " حيث أن حديث شقيقه شيق وكله نجاح .. ماذا حدث له " ؟

وسأله " على " : سبعميت جنيه .. ليه يابوى حرام كده .. دا فدان الأرض الزين ما يزيد عن أربعين جنيه .. ده إسراف ياخوى ويمكن الناس في مصر ضحكوا عليك لما عرفوا إنك صعيدى .. أنا أعرف عنهم يسرجوا الكحل من عين الصبيه .. يضحك عويضه من حديث شقيقه الأصغر والذى لم يتدلى لمصر طوال عمره ..

ويخبره .. دى ياولد مش أرض زراعيه .. دية أرض مبانى يعنى زى ماتجول كده يبنوا عليها عمايز يعنى سرايات .. السراية أكبر من مدنة الجامع اللى في جنا ( قنا ) شلاه ياسيدى ياعبد الرحيم ياجناوى .. متخافش سيبها على الله وعليَّ ويبجى باجى لك تلاتين جنيه سيبهم برضه معاى عربون علشان بافكر أبنى لك سراية وأنا سراية في ريحك طوالى لازم وحتنفع .. الأيام الجايه عندك إصغار وحيحتاجوا مصر مافيش حد يستغنى عنها واصل .. إستنصح ياخوى كل ماتوفر شوية جرشينات شيعهالى دوغرى ) .

" على " يسمع ويشاهد " عويضه " ويقارنه منذ سبع سنوات قبل سفره للقاهره حيث كان لايعرف كيف يسافر إلى مركزهم " دشنا " وكان يخاف إذا أعطاه والده عدة جنيهات طالبا منه السفر إلى المركز لشراء بذور للزراعة وأسمدة وأن أكثر مبلغ حصل عليه من عمله كان جنيها واحدا وحتى إذا تشجع وذهب بجنيهات الأب لشراء لوازم الأرض فإنه يلف تلك الجنيهات حول وسطه ويستعين بإثنين من أشقائه للحمايه من لصوص البندر كل واحد فيهم مسلح بنبوت طوله متران .

ودع " على " شقيقه " عويضه " ثم قال بعد أن اختفى عن نظره ( آه ياعويضه ! اليوم بجيت مجاول وعارف حاجات كتير في مصر وبتجابل

تجار وتتعامل بالميات .. يابوى لكنه لسه عبيط .. يدفع سبعميت جنيه في تلات قراريط في ميت عجبه .. وايه يعنى إحنا برده في ميت الحنونى والجراط ما يزيد عن جنيه ونص .. بالذكاوه كده تلات جرارايط يساولهم خمسه جنيه .. والبلدين زى بعض "ميت الحنونى وميت عجبه والتنين ع النيل .. آه يابوى لكن حاجول إيه الولد في مصر ضحكوا عليه ) .. جلس ساهماً بعد ذلك مما حدث لشقيقه وما فعله به اللصوص .

أخبر " على " زوجته عن المصيبة التى لحقت بشقيقه الكبير في القاهرة وقد دهشت الزوجة من تهور شقيق زوجها وذهبت تنعى حظها فيما فعله الأخ الكبير بمدخراتهم إلى أمها التى لم تصدق كيف يحدث هذا مع عويضة .. سافرت " مارتا " في اليوم التالى إلى المركز وتحادثت تليفونياً بأحد السماسرة الإيطاليين بالقاهرة وعادت وجلست تحادث ابنتها وزوجها بما جاء في حديث السمسار " سنيوريه جيوفانى " قالت " مارتا " :

(رهت دسنا وكلمتو سنيوريه جيوفانى وهو ناصه كبير وفاهم كل هاجه عن أرض في قاهرة وعرفته إن هاج " إويضه " مس يفهم كتير وقابله واهد هرامى في " كايرو " ودهك عليه وباع تلات كيراط بسبع مايه جنيه ومس عارف أعمل إيه سنيوريه جيوفانى أرجوك واهد نصيهه ؟

ولما تأكد جيوفانى السمسار أن الأرض موجود في مرهوم عقبه ! يضحك " على " ويصحح الإسم ميت عُجبه يا خاله لكن مرهوم بتاعتك " على " واحد مات .. آه " على " فهمتو فرق .. مس صدق سنيوريه جيوفانى وعرفنى أن مساهة الأرض ونفس المكان يوصلوا اليوم " ألف جنيه "..

شعرت الأسرة بالسعادة وأن عويضه ناصح وأن كل الأفكار التى راودت " على " ليس لها اى أساس وأن التعاون معه مكسب كبير وأكملت " مارتا " حديثها بأن " سنيوريه جيوفانى " أخبرها أن تلك المنطقه سيزيد عليها الإقبال مستقبلا لأن نقابة المهندسين المصرية ستقيم مدينة لأعضاء

النقابة عليها وأنه خلال من عسرة إلى خمسه عسر عاماً ستصبه "تصبح" من أكثر المناطق في القاهرة رقياً وتقدماً .

شجع هذا " على " وأنه يجب عليه توفير السيولة المالية حتى يستطيع عويضه أن يقيم السراية التى أخبره بها .. وسرح " على " بعيداً بنظره إلى القاهرة وأنه يجب عليه أن يعُد له مكاناً بها وكما قال عويضه أن الجميع يحتاجون إلى مصر .. في منتصف عام ١٩٤٧ رزق الله " عليا " وزوجته " لوو " بالمولود الخامس صبى وأطلق عليه إسم سلامه لتكون سكة عويضه سالمة فيما يخططه لهم في القاهرة والتحق شقيقاه الأكبر " سعيد و سامى " بالمدرسة الإبتدائية القريبة من بلدتهم .. سعيد عمره الآن عشرة أعوام .. وسامى ثمانية والطفلان يرافقان الأب في فترة الصيف حيث تتوقف الدراسة بالمدارس وهما شغوفان بأعمال الزراعة .. وقد بلغ عمر " على الحنونى " الخامسة والثلاثون .

أما " المهندس فهمى " فهو ما زال يزاول عمله بنشاط وحب ولم يكن عملاً روتينياً بل أنه دائما ما يبتكر كما وضع معدلاً لاستصلاح أرض جديدة كل عام " من سبعة إلى ثمانية أفدنة " ويقوم بهذا العمل في الفترة الشتوية حيث تقل الزراعة ويعيد أعمال الصيانة للسواتر على النيل والممرات المائية المبنية والترابية .. وقد أفادتهم بركة المياه حيث يسيطر عليها " فهمى " لفتح وغلق المياه حتى تروى المزروعات في فترة الجفاف والفائدة الأخرى من البركة كميات الأسماك التى كانت تنمو بها وتتغذى على محتويات المياه ومنذ عامين أحضر أفراخ بط بلدى لتتغذى على أسماك البركة المتزايدة والأسماك تتغذى على فضلات البط التى تعتبر من الأغذية الهامه لنموه وأحيطت البركة بسور من السلك ليحمى أفراخ البط من هجمات الثعالب ولصوصه من بنى الانسان وسعدت " مارتا و لوو " بهذا المشروع كما أخبرهم فهمى بنيته في بناء بعض أبراج الحمام لاستغلال البذور المتبقية من جنى المحاصيل وفى نفس الوقت تعطى عائداً يضاف لدخل المزرعة .

في عام ١٩٥٢ بلغت المساحة التى تم زراعتها بما فيها المنطقة المستصلحة ( تسعة وتسعون فداناً ) وأصبحت عزبة الحنونى عزبة نموذجية في اكتمالها بالإنتاج الزراعى المتكامل حيث تشمل المزروعات " الحقلية " حبوب : الذرة – القمح- .. ثم البقوليات : لوبيا . عدس . فاصوليا . فول بلدى . ثم اعلاف التسمين : برسيم . علف فيل . ومن أشجار الفواكه : عنب . مانجو . موالح . نخيل .... وهكذا لم يترك " المهندس فهمى وعلى الحنونى " فكرة إلا واختبروها وخاطروا من أجلها وقد تكلفهم الكثير وتفشل فى بعض الأحيان ولكن الله كان معهم دائماً لأنهم يراعونه في تعاملاتهم مع العاملين سواء فى البيع أو الشراء متأسين بحديث رسول الله حيث قال ( كن سمحاً إذا بعت وسمحاً إذا اشتريت ) صدق رسول الله .

إنه المهندس الزراعى الذى يحمل بين طيات عقله أحسن نظم الإدارة حيث قسم المزرعة إلى عدة أقسام حتى تسهل الإدارة ووضع على رأس كل قسم مشرفا مسئولاً وذا خبرة وأعطاه كل الصلاحيات وعاقبه فى حالة التقصير وقسمها إلى :

**١ - مشرف زراعى :**

وهو المسئول عن الإنتاج الزراعى .. من زراعه وحصد وجنى المحاصيل .. وتوريد هذه المحاصيل إلى المخازن .. وتنظيف الأرض وإعدادها للزراعة .

**٢ - مشرف إنتاج حيوانى :**

وهو المسئول عن مشاريع التسمين الموجودة بالمزرعة .. من عجول تسمين وحليب وعلاج .. يعاونه طبيب بيطرى متخصص وبعض الأفراد أصحاب خبره في هذا المجال كما توفر لهم كل الاحتياجات اللازمة من أعلاف خضراء وجافة وإنشاء سجل لكل عجل ومدى نموه من عدمه .

٣ ـ مشرف دواجن :

وهو مسئول عن بركة البط وأبراج الحمام وعنبر الدواجن الذى تم إنشاؤه حديثاً ومزرعة الأرانب ويعمل معهم مهندس زراعى شاب وله خبرة في هذا المجال .

٤ ـ مشرف ميكنة :

وهو مسئول عن كل الجرارات الزراعية وأدوات الزراعة المستخدمة وطلمبات المياه وكيفية إصلاح الأعطال مع توفر قطع الغيار اللازمة لذلك

أما مخازن المحاصيل وقطع الغيار والأسمدة والمبيدات والبذور فكانت تحت الإشراف المباشر للمهندس فهمى .

الإدارة المالية هى المسئولة عن البيع والمشتريات والأجور والتعامل مع البنك .

لقد إتفق كل من " على وفهمى " على رأى واحد بأن يكون التعامل مع الفلاحين بنظام الأجر وليس بنظام المشاركة في الزراعة لثبوت فشله حيث يتكاسل الفلاحون وتحدث مشاكل مع الملاك وصعوبة التخلص من الفلاح المهمل الذى شجعته القوانين على أن له حقوقا بدون واجبات .. وقد إستفاد " على " من هذا النظام الذى كان مطبقاً في معصرة " دوكيا " حيث كان يتخلص الخواجه من العامل المهمل بطرده وإحلال آخر محله .. وقد اوضح له في إحدى المرات عندما شاهد العامل المطرود يبكى متوسلاً أن يعفو عنه و " دوكيا " يرفض ذلك بكل شدة فتأثر " على " من ذلك وترك " دوكيا " وسار بعيداً عنه .. وفى آخر اليوم طلب " دوكيا " من " على " أن يلحق به في مكتبه وهناك لقنه أهم درس في حياته العملية والمهنية حيث قال له : ( إسمع " على " هياه علمنى كتير ودفعت فلوس وجهد وتوتر أعصاب .. قبل ما تدفع قرش تأهد من عامل سغل ثلاثه قرش .. علسان تدفع له قرش وتدفع ثمن ماكينات قرش وتأهد أنت قرش علسان تعيس .. عامل كسلان مافيس سغل يعنى مافيس تلات قرش يبق أنت دفعت من

جيبك ووجوده هطر كبير عملتو إيه هبيبى ؟ تقول له بره أهرج وجوده هساره كبير " على " .. فهمتو ) .

كانت المخازن ممتلئه بالإنتاج الزراعى من حبوب وأعلاف جافه وهذا دفعه بأن يشترى معدية تعمل على النيل لصالح خدمة المزرعة وعين عليها عاملاً خاصاً يصل ما بين البرين الشرقى والغربى للنيل ثم بعدها بفترة إشترى المساحه التى ترسو عليها المعدية حتى يضمن مرسى دائماً لها وقد أثر ذلك على مصلحة الأرض وإنتاجها الذى أصبح يسوق دون تخزين خوفاً من القوارض أومشاكل الحريق الناتجة عن الإهمال وإرتفاع درجات الحرارة .

أصبح " على " منتجاً مشهوراً وتعرف عليه الكثير من التجار الذين يتعاملون في منتجاته .. سواء تجار الحبوب أو الطيور أو المواشى أو البذور والمبيدات والأسمدة حتى اصحاب ورش الميكانيكا المسئولين عن الإصلاحات الثقيلة والتى لا يستطيع مشرف الميكانيكا في المزرعة القيام بها .

ونظراً لتطور الإنتاج والنشاط بالمزرعه فقد قرر " على " شراء ( اتنين ) لورى للمساعدة في نقل إحتياجات النشاط بعزبة الحنونى حيث حركة الجرارات الزراعية بطيئه وحمولتها أقل .

أنجبت " لوو " الطفل السادس " سعاد " . أما الأم " مارتا " فحالتها الصحية غير مستقرة وقد نصحها طبيبها أن تسافر إلى مدينة الأسكندرية لقضاء فترة راحة فى طقس الإسكندرية اللطيف هناك مقارنة بطقس جنوب الصعيد شديد الحرارة .

غادرت " مارتا " العزبة متجهة إلى الأسكندرية تاركة ابنتها الوحيدة " لوو " لأول مرة في حياتها لكنها كانت مطمئنة عليها مع زوجها وأبنائها الذين يحيطون بها .

سعيد على الحنونى الإبن الأكبر بين إخوته أنهى المرحلة الابتدائية والتحق بالمدرسة الإعدادية بمركز دشنا والمسافة بين العزبة والمدرسة لا تزيد على خمسة كيلو مترات البعض يقطعها إياباً وعودة سيراً على الأقدام والبعض مستقلاً حماراً ( منهم سعيد الحنونى ) .. يترك سعيد حماره مثل باقى الفلاحين في مداخل المدن بأماكن جاهزة لذلك يستريح فيها الحيوان ويقدم له الطعام والمياه نظير أجر حيث يعود مستقلاً حماره بعد إنتهاء الدراسة .

مر عامان والإبن الثانى سامى يلحق بشقيقه سعيد وأصبح من واجب " على " أن يعد له مواصلة مثل شقيقه الأكبر ولذا فحمارين للطفلين يكلفان الكثير بالإضافة إلى أن سعيدا كان يشعر بضيق من ركوب الحمار سواء نفسياً أو بدنياً حيث ان الجلوس فترة فوق ظهره تسبب له ألماً ولهذا إبتاع (على كاريته ) تقوم بتوصيل أبنيه إلى المركز وتعيدهما ثانية آخر اليوم وخصص لها عامل يعمل عليها كما يحضر احتياجات المزرعة ولوازمها وأسعد هذا الطفلين حيث أن كراسى الكاريته مريحة فى الجلوس وهى شبيه بالحنطور ولكن تسير بعجلتين ومزودة بكنبه مبطنة بالجلد كما أنها أقيم أمام زملائهما حيث يستقل هذا النوع من المواصلات أغنياء القوم في الصعيد بدلاً من وسيلة الحمار التى يستخدمها الفقراء من الفلاحين والعامة من الناس .

منذ عامين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر وأصبحت حديث الناس عامة وكانوا يستقون أخبارها من الجرائد ومن اجهزة الراديو القليلة التى كانت تبث إرسالها حيث منطقة الصعيد فقيرة في إمكانياتها فلا تتوافر أجهزة الراديو والصحف وبذلك كانت تصلهم المعلومات عن هذا الحدث متأخرة عدة أيام وفى كثير من الأحيان مُحرفة ومغلوطة لكن هذا الوضع لم يكن يسبب مشكلة أمام " على " وأسرته لأن الأب " دوكيا " كان يمتلك مذياعاً " راديو " منذ الحرب العالمية الثانية ليطمئن منه على أخبار بلاده

التى كانت تخوض حروباً في الحبشة وليبيا وقبلها بعدة أعوام الحرب العالمية الأولى .. ولهذا كانت أخبار الثورة معروفة لديهم أولاً بأول وجموع الشعب مشدودة ومنبهرة بهولاء الشباب من ضباط الجيش الذين استطاعوا القيام بها وطرد ملك مصر إلى خارج البلاد ويقومون الآن بمساعدة الثوار من المناضلين في الكفاح ضد القوات الإنجليزية المحتلة في منطقة قناة السويس وبعد هذه الضربات الموجعة جاء المحتل ليفاوضهم محققاً رغبة الشعب في الجلاء عن أرض الوطن وبعد الجلاء تحدث زعيمهم عارضاً على الشعب بناء مشروع ضخم جنوب أسوان أطلق عليه اسم " السد العالى " ليقوم بتخزين مياه الفيضان التى تذهب سُدى في البحر الأبيض تاركة أرض مصر في أشد الإحتياج إليها كما تحمى مصر من الفيضان المدمر الذى كان يتسبب في خسائر إقتصادية وبشرية ويعطى طاقة كهرباء تضيىء المدن والقرى وتحرك مصانع تنوى الحكومة إقامتها لزيادة الإنتاج وتوفير فرص عمل أمام العاطلين .

كانت تلك الأخبار تُسعد الناس وخاصة أهل الصعيد الذين كانوا يشعرون بخطورة الفيضان ويتلقون ضرباته الشديدة ويعانون من شُح المياه والخدمات وعدم توفر فرص عمل أمام أبنائهم حيث ان كل شىء مسخر لخدمة العاصمة أولاً ثم أقاليم الوجه البحرى بعد ذلك ثم الفتات للصعيد إذا توفر وفى العادة لا يتوفر شىء من فم الأسد القاهرى .. جاءت كل تلك الأخبار على هوى كل من المغامرين " على وفهمى " واللذين قد سبق فكرهما فكر الثورة حيث استصلحا قرابة الثمانين فداناً في خمسة عشر عاما .

نظر " فهمى " إلى رفيقه " على " قائلاً (نحن في سباق مع الزمن نريد شراء أكبر مساحة من الأرض غرب العزبة في المنطقه الصحراوية ونقوم باستصلاحها بعد ذلك حسب الإمكانيات المتيسرة وحسب طاقتنا لأنه بعد إتمام هذا المشروع العملاق سترتفع أثمان تلك الأراضى لأنه ببساطه بقليل من المجهود يمكن الرى طوال العام وهذا سيساعد على مضاعفة دخل

الحقل من الإنتاج الزراعى المستمر وتوابعه من تسمين عجول وتربية الدواجن .

كانت الفكره ذكية واستطاع الاثنان قراءة فكر زعيم البلاد قراءة واعية واستعدا لها مُسبقا بعدة خطوات .. جمع " على " كل ما يستطيع تجميعه من مدخرات واستطاع دفع ثمن ( ستة وسبعين فداناً ) إلى مصلحة أملاك الدولة وإدخر جزءاً معه للبدء في الإصلاح .

# ( ٨ )
# رحيل " مارتا "

لأجل هذا المشروع القومى الجبار أمم الرئيس جمال عبد الناصر قناة السويس حتى يتمكن من الإنفاق على تنفيذه بعد أن منعت الدول الغربية القروض عن مصر وأدى هذا لقيام حرب السويس بين مصر وكل " من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل " وبعد نهاية الحرب التى كانت من ملاحم الشعب المصرى العظيمة شرعت مصر في بداية اقامة المشروع .. انه مشروع قومى على غرار مشاريع أجدادنا الفراعنه .. الكل يعمل في منطقة السد العالى وقد سُخرت عقول وقلوب المصريين لهذا البناء العملاق وسار محاذياً له ما يقوم به رجال عزبة الحنونى وهم يشعرون بسعادة غامرة كلما انتهوا من استصلاح مساحة ولو كانت صغيرة مثل بناة السد الذين يشعرون بهذه السعادة أيضاً عندما يضيفون سطراً من البناء في جسم السد وأتذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقى بك في " قصيدته سلو قلبى " :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

لقد لخص الشاعر طريق التقدم والنجاح .

عادت " مارتا " إلى ميت الحنونى بعد أن تحسنت حالتها الصحية وزاد من سعادتها تلك الأخبار لمعركة استصلاح الأرض والتى يتولى قيادتها زوج ابنتها وصديقه المخلص حامل لواء علم الزراعه الحديثه " فهمى " وفى إحدى الأمسيات وبعد أن خلد أحفادها للنوم طلبت كلاً من " على و لوو " للحديث معها وبدأته بأنها قد قررت نقل كل رصيدها في البنك إلى ابنتها حيث تشعر بأن موعدها مع الرب قد اقترب وأنها قد علمت من أصدقائها في الأسكندرية انه في حال وفاتها ستقاسم الحكومة " لوو " في هذا الميراث وان هذه الاموال ملك وحيدتى الغالية .

اعترض الزوجان متمنين لها كل صحة وعافية .. ولكنها قررت ونفذت واصطحبت " لوو " معها إلى البنك ونقلت كل رصيدها لها حيث إبتسمت لهما قائلة إننى مستعده الان للقاء الرب ويسوع .. وقد وصل جملة ما حولته " مارتا " إلى ابنتها ما يزيد عن ألف ومائتى جنيه .. وهذا مبلغ ضخم في ذلك الزمن .

بعد مضى أسبوع على هذا الحدث و اثناء جلوس " مارتا " في الفرانده تلاعب حفيدتها سعاد شعرت بالألم في صدرها فتحاملت على نفسها ووضعت حفيدتها أرضاً ثم عادت تستند على كرسيها وأسلمت الروح ولم يشعر أحد بها ولكن الغفير الخاص للمنزل " أبو المواهب " شاهد كل شيء لكنه لم يتوقع وفاتها وظلت لأكثر من ساعة على هذا الحال والغفير يعتقد أن الست الكبيرة بتأخد " تعسيله " ولم ينتبه أحد لولا بكاء الطفله لبقيت عدة ساعات .

كان حزن أهل العزبة عليها شديداً .. فالكبار عاصروها وهى عروس قادمة من وطنها والشباب شاهدوها وهى تغدو وتسير بينهم تؤدى واجب العزاء وتزور المرضى فالكل يتذكر عطفها عليهم خاصة " على " الذى يتذكرها دائماً وهى ترحب به في منزلها بعد أن كان يعيش في المعصرة وتهاجمه الذئاب والأفاعى وهو طفل صغير خائف ويبكى ولا أحد بجواره لكن الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم يبعث إليه بهذه الأم البديلة .

أما " لوو " التى أصبحت وحيدة بعد رحيل الأب منذ سنوات وأخيراً هذا القلب الحنون أمها حيث قالت : إنكِ قديسة يا أمى وشعرتِ بقرب مقابلة الرب ويسوع وذهبت معى إلى البنك لتعطينى آخر ما تملكينه في هذه الدنيا بل أن عطفك وصل إلى الحفيدة " سعاد " فلولا أن وضعتها على الأرض لسقطت منك بالفرانده وأصيبت .. ثم غمرها بكاء حار ..

أثناء فترة الحداد جلست " لوو " في الفراندة وحيدة .. أما زوجها فهو كعادته يقف منذ الصباح حتى المساء مع المهندس فهمى والعاملين معه تتخللها راحة لتناول الطعام

تحادث " لوو " نفسها قائلة : آه مام لقد كنتِ حكيمة وأنتِ تحاولين إقناع " باه " بزواجى من هذا الفلاح المصرى بالصعيد والذى كنت أحُبه رغم الفارق بيننا .. لقد كان اختيارك موفقاً .. فهو مخلص ومكافح ولا يبخل علىّ بشىء .. سوف أتذكرك دائماً .. ووضعت يدها اليمنى بعلامات صلاة الديانة المسيحية .. وقد دُفنت السيدة " مارتا " مع زوجها في مدافن الجالية الإيطالية بالقاهرة .

إقترح " على الحنونى " على زوجته بأن يرسلوا بالمبلغ الذى ورثته عن أمها إلى شقيقه عويضه حيث تحدث معه وهم في القاهرة أثناء عزاء " مارتا " بأنه يستعد الآن لبناء سراية لهم وأنه يحتاج أى مبلغ ( جرشينات ) يستطيع إرساله له .. حيث عاد عويضه من مهمة المشاركة في إعادة تعمير مدينة بور سعيد بعد إنتهاء الحرب .

وفي عام ١٩٦٠ إنتهى عويضه من بناء الدور الأول في سراية شقيقه .. أما فى عزبة الحنونى فما زال المهندس فهمى يضيف اليها ويزيد وقد إنتهى من إصلاح خمسين فداناً لتقترب المساحة المنزرعة إلى ما يقرب من مائة وخمسين فداناً ومتبقى ستة وعشرون فداناً سينتهى من إصلاحها في خلال السنوات الخمس القادمة .

في صيف العام التالى حصل " سعيد الحنونى " على شهادة الثانوية العامة ورغب في دراسة علم المحاسبة حتى يستطيع معاونة والده أو العمل في البنوك الذى يستهويه .. سافر سعيد إلى القاهرة وأعد له عمه شقة بالدور الأرضى فى عمارة والده وكانت " لوو " وشقيقه سامى يرافقانه .. وقد أختارت له "لوو" كل شىء من لوازم أثاث الشقة حسب ذوقها الذى لا ينازعها فيها أحد .

بعد إنتهاء مهمة " لوو " عادت ثانية إلى عزبة الحنونى برفقة ابنها سامى وهى تحثه قائلة : " ولد سامى بعد إتنين سنة تهضر إلى كايرو وتدرس بجامعة .. فهمت ولد ؟ يجيبها : سامى حاضر مام .

المسافة بين الجامعة ومنزل سعيد قريبة .. إما ان يذهب مستقلا الأوتوبيس أو سيراً على الأقدام حيث كانت الشوارع قليلة السكان والسيارات .

أول أيام الدراسة ظل سعيد يتفقد مبانى جامعة القاهرة وقد بهرة التصميم والإنشاءات وخاصة قاعة الإحتفالات الكبرى والتى كان الزعيم جمال عبد الناصر يحضر مناسبات إحتفالات قومية بها .

سعيد الحنونى شاب واضح ومتميز بين زملائه سواء بحديثه باللهجة الصعيدية حيث تمسك بها متفاخراً أو بملابسه المتناسقة وبعيدة عن موضة الشباب في ذلك الوقت " جيمس دين " وهو ممثل أمريكى كان يسقط بنطلونه من الأمام وكذا حزامه ومقاس البنطلون ضيق من حجره .. أما الفتيات فكن يرتدين ملابسهن فوق الركبة ويقصرن شعورهن .

كانت كلها موضات مستوردة من الخارج فيهرع لها الشباب الذى كان منبهراً بالسينما الأمريكية شديدة التأثير عليهم .

عائلة العم عويضة دائماً ما كانت تراعى سعيدا وتباشر زوجة العم شئونه الشخصية وتشرف على البولب وزوجته التى أحضرتهما الأم "لوو" من البلدة لحراسة السراية وتقوم زوجته بشئون المنزل من نظافة وغسل الملابس وإعداد الطعام كل هذا كان يحدث وما زالت عائلة العم عويضة تقيم في حى روض الفرج قبل إنتقالها لسرايتهم المجاورة في ميت عقبه وكانت زيارة أبناء وزوجة عمه له مبعث سعادة وسرور في نفسه من وجود الأهل بجواره والتحدث بنفس اللهجة المخالفة للهجة أبناء القاهرة .

سعيد في أحاديثه صعيدى ولكن سلوكه في المنزل وخاصة تناول الطعام كان أكثر تحضراً من بعض زملائه أبناء القاهرة لما تعود عليه في

منزله بميت الحنونى على يد والدته التى دربتهم هو وجميع أشقائه على ذلك .. كما أنه يوجه زوجة البواب بأن تعد الطعام في المطبخ وليس بالصالة مثل ما كانت تفعل .. ففى احدى الايام عاد من الجامعة وشاهد الأوانى وبقايا إعداد الطعام مبعثرة بداخلها ونبهها إلى ذلك وألا تعود لمثل هذا وتجهز الطعام بالأدوات المعدة لذلك وان يوضع فوق ترابيزة السفرة وألا تترك بقايا الطعام لليوم التالى مع غسل جميع الأوانى وتجفيفها أولاً بأول مع رش المطهرات للحفاظ على نظافة الشقة من الحشرات وروائح الطعام .. لقد اتبع ما تعلمه في منزله مع التنبيه عليها بالتخلص من روائح البصل والثوم التى كانت تثير ضيق الأم .

كانت الشقة على مستوى عال من الأثاث من حيث الجودة والاختيار والتنوع وكان واضحاً لمسة ذوق " لوو " في اختياراتها حتى الفراندة التى زودتها بطقم كراسى خيزران ليستخدمه وقت راحته أو جلوسه مع أصدقائه لم تترك السيدة " لوو " صغيرة أوكبيرة إلا وأعدت لها حساباتها بما فيها ستائر الشبابيك وكيفية تلميع الأرضيات المغطاه بالخشب " الباركيه " اللامع وعلبة لجمع القمامة وتفريغها كل مساء في المكان المحدد من قبل الحى الذى به المبنى .. كان واضحاً أن تضافر الإمكانيات المادية ورقى الإنسان يفعلان الكثير .

ازدادت صداقات سعيد مع مرور الأيام واحتكاكه اليومى بزملاء الدراسة وقد صقلته التجربة الجامعية كثيراً وأضافت له المزيد من سعة الأفق فليس كل شيء متوافراً في عزبتهم مثل القاهرة وما الحياة سوى تبادل للثقافات والتجارب لكن الأهم هو استعداد الإنسان نفسه للرقى وإختيار الصالح والأنفع بناء على رصيده الحضارى والتربوى الذى نشأ عليه في بيته وأسرته وقد قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها  أعددت شعباً طيب الأعراق

ولهذا يجب تضافر الجهود سوياً بين كلا من البيت والمدرسة لإعداد جيل قادر على التقدم بوطنه والنهوض به وغرس المثل والقدوة للأبناء وباقى جموع الناس التى تتعامل مع أصحاب الغرس الطيب الصالح .. سعيد شاب متمسك بدينه الذى تربى عليه سواء في العبادات للواحد القهار مالك الملك أو مع جيرانه وزملاء الدراسة وخاصة السيدات واللائى كان يظهر لهن الاحترام الممزوج بغض البصر كما أمرنا الله .

أما من جهة التحصيل والدراسة فهو من الطلاب النابهين المتفوقين وكيف لا وهو شاب توافرت له كل سبل النجاح والتقدم سواء المادية أو التربوية وأهمها النشأة الدينية .. وفى نهاية كل فصل دراسى يحصل على تقدير " جيد جداً " مع ثناء أساتذته عليه .

اما عن علاقته بزملاء الدراسة فكانوا يتحدثون ويتمازحون وكل يدلى بدلوه أين قضى وقت فراغه فهذا من رواد المقاهى وآخر من رواد السينما وثالث من محبى السير في الشوارع ومعاكسة الفتيات وأخيراً هذا من رواد نادى الزمالك الرياضى حيث يمارس بعض الأنشطة الرياضيه .. نظر سعيد إلى هذا الصديق فقد عثر على بغيته والتى كانت تنقصه وهى التربية البدنية والتى أوصى بها المسلمين الخليفة " عمر بن الخطاب " حيث قال : (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ) .. ما أعظم ما نصح به الأمة وما أحوج الشباب المسلم لمثل هذه الأنواع من الرياضة المفيدة للبدن والصالحة لوقت رد الأعداء .

أرسل الشاب إلى والده برغبته للإشتراك في النادى الرياضى الذى يقع قريباً من منزلهم واوضح له الفوائد التى سوف تعود عليه من ممارسة الرياضة .. وقد أجاب الأب طلبه طالباً منه أخذ موافقة العم عويضه أولاً ثم مبلغ قيمة الاشتراك الذى حدده سعيد في رسالته لوالده .

في عام (١٩٦٣) حصل الطالب " سامى على الحنونى " على الثانوية العامة بمجموع كبير يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة التى كان راغباً في الإلتحاق بها وقدم أوراقه لمكتب التنسيق موضحاً هذه الرغبة وقد تحققت

الرغبة بفضل مجهوده في التحصيل والمذاكرة وبهذا سيلحق " سامى " بشقيقه " سعيد " إلى القاهرة حيث جامعتها والتى قبلت أوراقه .. وهكذا استعد الابن الثانى لمغادرة المنزل مثل ما فعل شقيقه الأكبر .

الفترة التى قضاها " سعيد " في مصر إستغل فيها وقت فراغه في زيارة الأماكن السياحية والترفيهية بها وبالتالى أصبحت لديه خبرة كبيرة عن معالم العاصمة وقد اصطحب شقيقه الأصغر إلى تلك الأماكن حيث شاهد أماكن ومناطق لم يسمع عنها حتى ما قراءه عن تلك المناطق كان أقل مما شاهد وعاين .

يجمع الشقيقان صفات كثيرة ومتشابهه من حيث حُسن الخلق والالتزام والجلد وإهتمامهما بالعلم والبعد عن توافه الأشياء .. لكن " سامى " يتميز عن شقيقه بحب التعرف على الأصدقاء بالإضافة إلى تمتعه بالوسامة .. من جسد ممشوق وطول لا يقل عن ١٦٥ سم أبيض البشرة وعيون زرقاء وشعر كستنائى طويل .. فقد ورث الكثير من معالم الأم " لوو " من حيث لون البشرة والعينين .

كان واضحاً منذ اليوم الأول في حياة " سامى " الجامعية أنه محط اهتمام زملائه به نظراً لمظهره الراقى وملابسه غالية الثمن .. وبعد عدة أيام أصبح صديقاً للجميع يتودد إليه زملاؤه من الجنسين تقرباً تزلفاً أو سعادة وسروراً بلهجته الصعيدية المحببة لقلوب المصريين وهو يمتاز بروح الدعابة والمرح ولا يضايقه تعليقاتهم على أحاديثه معهم بلهجته حيث إنها من الصفات التى تميز المصريون بها حتى لو كانت تلك الدعابات تخصهم فهناك فارق بينها وبين السخرية التى تثيرهم .. هذا النموذج من الشباب الواثق من نفسه والمعتد بها لا يضايقه مثل تلك الدعابات والضحكات ثم في نهاية تلك الأحاديث المرحة البريئة فهم زملاء وأصدقاء.

اصبح "سعيد" طالبا بالسنة الرابعة بكلية التجارة وبعد شهور قليلة سوف يتخرج من الجامعة بينما مازال "سامى" يخطو خطواته الأولى في الدراسة التى تستمر خمس سنوات .. بعد بدء الدراسة بعدة شهور حضرت " لوو " لزيارة ابنائها برفقة خادمتها فقد انتهى العم " عويضه " من استكمال السراية ومكثت مع ابنائها ثلاثة أسابيع سعدت فيها بما شاهدته من الشابين من إهتمامهم بالدراسة وحُسن النظام والنظافة والتى تعتبرها النظرة الأولى لها في أى مكان تذهب إليه حيث تسبقها حاسة الشم القوية لديها والتى تتمتع بها ويصبح هذا الأمر حكماً على المكان ومن يعيشون به .

تتجاور العمارتان ولهما نفس الطراز المعمارى .. وكل عمارة مكونة من خمسة طوابق وبكل طابق شقتان متقابلتان ومساحة الشقة كبيرة ومنافعها كثيرة من بلكونات وصالة استقبال واسعة وأكثر من حمام أما الدور الأرضى فخصص جزء منه كمحلات تجارية وسكن للبواب ويحيط بكل عمارة فراغ بعرض ثلاثة أمتار من الجانبين والخلف وبها مزروعات من نباتات وزهور الزينة أما في الواجهة فمساحة عريضة مبلطة يلهو فيها الأطفال أو اماكن لانتظار سيارات القاطنين بها مستقبلاً .

الحى ما زال هادئاً ويد العمران ما زالت جارية على قدم وساق وقد أمتع كل هذا سكان المنطقة ومن بينهم أبناء " على الحنونى " .. وقد وفر العم " عويضه " لكل عماره بواباً يسهر على حمايتها ونظافتها والعناية بالنباتات وإذا تغيب أحدهم للذهاب الى السوق فعلى البواب الآخر التواجد وحراسة العمارتين .. كما يحيط بالعمارتين سور مبنى يرتفع عن الأرض متراً ونصف المتر لتحديد الملكية ومنع المتطفلين من التعدى على حرمة المكان .

تخيرت " لوو " شقة بالدور الثالث لتصبح سكناً لابناءها ينتقلان إليها تاركين الدور الأول حيث الهواء والإضاءة أكثر ومساحة الرؤية أطول وقامت بتأثيثها بنفسها وعلى ذوقها وبمشاركة ابناءها حتى تدربهم على كيفية إختيار وإنتقاء الأثاث والمفروشات والأدوات وكل ما يلزمهما ..

وتركت أثاث الشقة الأولى كما هو استعداداً لأى طارىء يفاجئهم فتصبح أمامها شقتان جاهزتان بدلاً من واحدة .

بعد عدة شهور تخرج "سعيد" من الجامعة وكان هذا حدثاً مفرحاً وسعيداً لعائلة الحنونى وأهل العزبة بأن أحد أبنائهم أنهى تعليمه الجامعى بالقاهرة .. عاد الشقيقان إلى بلدتهما " سعيد " أنهى دراسته و" سامى " يقضى الأجازة الصيفية .. وحمل سعيد معه خطاباً من عمه إلى والده وقد قراءه الابن له حيث يتضمن كشف حساب عن النفقات والمصاريف وكل ما يتعلق بين الشقيقين بدون تدخل أحد بينهما وقد التزما بذلك النهج في التعامل وهى عادة سنوية بينهما متبعين المثل الشعبى الذى يقول " بقى فلوس وما تبقيش حساب " كما عرض " عويضه " على شقيقه اقتراحاً بتأجير بعض الشقق لتدر دخلاً يساعد على سداد مصروفات " العوايد " وهى الضرائب الحكومية ونفقات المياه والبواب وخلافه ثم ما يتبقى يدخل جيب شقيقه .. وفكر " على وزوجته " في هذا الاقتراح وقد رفضته " لوو " متعللة بأن لهم من الأبناء والبنات سبعة فكل واحد منهم تخصص له شقة والمتبقى لهما لظروف الزمن وهى تعلم أن من يستأجر شقه يبقى بها طوال عمره مهملاً صيانتها وطالما أن " الرب " منَّ عليهم من بركاته ويسوع يطوف عليهم بدعواته فلا داعى لإشراك أغراب بينهم .. وافق الأبناء والدتهم رأيها لأنهم شاهدوا وسمعوا سوء معاملة المستأجرين لمالكى العمارات في القاهرة بل ويذهبون بهم إلى المحاكم وهم في غِنى عن ذلك .. واستجاب الأب لذلك وكلف " سامى " بعد عودته بمقابلة عمه وأن يبلغه بأنه لا يفكر في هذا الاقتراح حالياً .

بعد ان تخرج سعيد من الجامعة عُرضت عليه بعض فرص العمل بالقاهرة سواء في الجامعة لحصوله على تقدير عام "جيد جداً" أو في الحكومة .. وعقد الأب اجتماعا مع أبنائه وبناته يسمع منهم اقتراحاتهم في هذا الشأن .. وقد اعترض " سعيد " على والديه بخصوص ذلك لوجود

أشقائه وشقيقاته فى هذا الاجتماع رغم معرفة الجميع مدى حبه وعطفه عليهم كأخ أكبر يمثل الأب في مجتمع أهل الصعيد .. ولكن الأب الذى لم يتلقى تعليماً سوى في مدرسة الحنونى الكبير والده ومجتمع " ميت البرامونى ثم ميت الحنونى " بعد ذلك أوضح لابنه أن وجود أخوتك الصغار لا يمثل لك حرجاً ثم وجودهم يعودهم ويدربهم على بحث المشاكل وكيفية حلها وقد يفتح الله على أحدهم برأى لم نستطع نحن الكبار الوصول إليه .. يتحدث الأب قائلاً لهم .. الآن يا أبنائى تخرج سعيد من الجامعة وكان طالباً مجتهداً وحصل على تقدير عال والجامعة تعرض عليه وظيفة العمل بها ليدرس للطلبة والحكومة عرضت عليه وظيفة فما رأيكم ؟

نظر الصغار بعضهم لبعض لهذه المعلومات الجديدة على مسامعهم وهنا تحدث سعيد ليعرفهم ماهى تلك الوظائف .. فقال : إذا عملت في الجامعة سأكون مساعداً لمدرس لفترة وأذاكر وأدخل إمتحانات حتى أحصل على شهادة الماجستير ثم أصبح مدرساً مساعداً وبعد ذلك بسنوات مع التدريس والمذاكرة أتقدم لامتحان شهادة الدكتوراه وأصبح مدرساً وبعد سنوات أستاذاً مساعداً وبعدها بسنوات أستاذاً .. أما في الحكومة فلا مذاكرة إلا القليل وأتدرج في الوظائف حتى أصل إلى مدير عام أو وكيل وزارة .. فما رأيكم ؟ .

إختار بعض الإخوة وظيفة التدريس بالجامعة والبعض رأى أن المنصب الحكومى أحسن ولكن صغرى الإخوة ..

قالت : سعيد يبقى بالعزبة علشان يساعد بابا ونشوفه .. وكمان يجوز ونشوف ( النونو ) بتاعه ونلعب بيه !

أما الأب فقد ترك حرية الاختيار لابنه ولكن الأم " لوو " كعادتها تعطى الرأى الأخير حتى تستفيد من كل الاقتراحات السابقة وقالت : إن العمل عند الأخرين يعطيك دخلاً ومنصباً شرفياً ولكن العمل الخاص هو الأهم لأنه يعطى عائداً أكبر ومستمراً ولذا فإننى أطلب من سعيد أن يعمل

هنا في العزبة يساعد والده ويستقر ويفيدنا جميعا ثم قالت إن بداية عمل الأخ الأكبر خارج عزبة الحنونى سيجعل إخوته يسيرون خلفه .

ساد صمت لفترة ثم قال سامى أنه يؤيد رأى والدته وصغيرتهم سنية لأهمية وجود سعيد في ميت الحنونى .. نظر سعيد إليهم وقال أنه يشعر أن الغالبية تؤيد وجوده ولذا فسوف أبقى معكم .. وقد أسعد هذا إخوته ووالداه .

عرض الأب على ابنه وظيفة محاسب في الإدارة المالية مع المقدس شوقى بطرس مديرها .. واستفسر سعيد من والده ولماذا لا يكون هو مدير الإداره .. فهذه أملاكنا وأموالنا ؟ ضحك " على الحنونى " قائلاً بعد عملك ستة أشهر مع المقدس شوقى أخبرنى هل تعلمت في الجامعة أكثر او معه وبعد ذلك نتحدث ونقرر بناء على ذلك لأن المقدس خبير في الحسابات وستتلقى على يديه أصول حسابات لم تسمع عنها ودقة وأمانة في العمل تتمنى أن تكون متوافرة في كل موظف وخاصة ما يتعلق بالمال .

نظر سعيد لشقيقه سامى مستفسراً عن رأيه وقد أقر سامى كلام والديه مضيفاً بان يدع التجربة تعطى رأيها .. ولكن سعيدا كان متردداً فى أن يقضى حياته في العزبة وأين القاهرة الراقية من عزبتهم وقد تفهم سامى شعور شقيقه ولهذا أخبره بأن القاهرة ليست ببعيدة والعمارة موجودة والعروض التى أمامك ستجد مثلها ولكننا نريد أن نتعلم ونعود بعلمنا الذى تعلمناه ورقينا الذى مارسناه إلى هنا حتى نأخذ بيد المساكين الفقراء الجهلاء لندفع بهم للأمام حتى يتقدموا ونفيدهم ونستفيد بهم .. فلو ان كل النماذج المتعلمة الراقية في المجتمع بقيت بالقاهرة لحدث بعد فترة زمنية هوة بين مجتمع راق بالقاهرة وشعوب فقيرة في الأقاليم ولتكن أنت أول شباب الصعيد وميت الحنونى الذى يصبح القدوة لمن يتبعه .. إننا قادمون لنهضة الجنوب المظلوم .. ثم أكمل حديثه ألا تتذكر جدتى " سنيورا مارتا " وماذا كانت تعمل وكيف كانت توجه الفلاحين لسلوك النظافة والرقى وقبلها الجد " دوكيا " حيث كانت أمنا تقص علينا طباعه وسلوكه مع العاملين

وإرشاداته لهم حتى لا تحدث لهم إصابات في العمل وكان يطبعهم بسلوكيات الى الاحسن والافضل .

نظر سعيد إلى شقيقه سامى ثم قال له إن معنى ما تقوله أن الرُقى والتقدم في مصر وأوربا مثل الجد والجدة " سنيوريه دوكيا , سنيورا مارتا " أما نحن فلا .. أنظر إلى دين الإسلام وما به من سلوكيات ألا يجعلنا مثل تلك الشعوب بل وأفضل منها ؟

سأل سامى شقيقه ألا تعتقد أن جموع الفلاحين الموجودين بالعزبة يعلمون ما تحدث به ديننا عن السلوكيات من نظافة وعناية بالعقل والبدن والتعليم .. وقد أجاب سعيد على هذا السؤال بالموافقة على معرفتهم بكل شيء نافع ومفيد .. فقال سامى أين المشكلة يا سعيد ؟ المشكلة ببساطة هى عدم التطبيق وعدم العمل وعدم اتباع ما أمر به الدين

# (٩)
# المقدس شوقى

المقدس شوقى بطرس جرجس وهذا هو اسمه الثلاثى ويعمل في مزرعة " على الحنونى " منذ عام ١٩٤٠.. وتعارفه بعلى الحنونى هذا الإنسان للصدفة والحظ العامل الأكبر فيها .. وقبل التطرق لكيفية التعارف فهذه لمحة عنه .

حصل شوقى بطرس على الشهادة الابتدائيه القديمة عام ١٩٢٥ وبهذا يصبح في نفس عمر " على الحنونى " .. وقد عمل بعد حصوله على تلك الشهاده في شركة السكر بنجع حمادى وكان مثالاً للموظف المجتهد في عمله وكانت " كبّانية " السكر ملكاً لمجموعة من الخواجات الفرنسيين واستمر يعمل معهم حتى عام ١٩٤٧ .

نحن الآن في قسم حسابات " كبانية " السكر ونتوجه إلى مكتب كاتب الحسابات شوقى بطرس وعندما تلج باب مكتبه ستشاهد أمامك رجلاً يشبه أبا التاريخ ذلك النموذج الأسطورى .. حيث يجلس على مكتبه العتيق مشغولاً بعمله متفانياً فيه وقد ارتدى جلباباً وفوقه جاكته لا تستطيع تحديد لونها من فرط قدمها ويضع على عينيه نظارة طبية سميكة العدسات وقد كسر أحد جوانبها وعالجه شوقى بلصقه بقطعة من مشمع طبى يوضع على الجروح وطربوش لا تعرف هل لونه احمر أو بنى .. ولا تشاهد الابتسامة على ملامحه الجادة باستمرار .

في عمله لا يستطيع أحد أن يكتشف خطأ أو سهواً مع تميزه بخط رائع تنظر إليه بإعجاب .. ولكن هذا المسكين ذو المزايا المتعددة والمواهب النادرة في العمل فصله مدير الشركه الجديد الذى خلف " مسيو بارنيه " والسبب في ذلك هو أن مديره طلب منه ارتداء القميص والبنطلون والجرافته ويفضل ( بذله كاملة) أسوة بباقى الموظفين .. وقد حاول شوقى

تنفيذ ذلك وبعد مضى يومين على ارتداء البدلة شعر خلالها بالإختناق فعاد إلى زيه المريح مما أغضب مديره العنيد وفصله من عمله .

كل هذا عرفه " على الحنونى " أثناء زيارته للخواجه " سنيوريه برتينى " وهو ميكانيكى إيطالى في دشنا حيث شاهد عاملاً جديداً لم يشاهده من قبل وقد ألحقه بالعمل لديه بواسطة أحد أصدقائه نظراً لحالته المالية بعد فصله وعدم عثوره على عمل مناسب .. وكان برتينى في ضيق منه لعدم قدرته على العمل ولذا فقد طلب من " على الحنونى " أن يبحث له عن عمل ليستريح منه وقد وعده " على " بذلك .

حزن " على " كثيراً على حال هذا الإنسان المكافح وما ألم به من ظروف قاسية وتذكر نفسه وهو طفل صغير حيث كان ينام في المعصرة يشاهد الذئاب والضوارى من حوله وهو لا حول له ولا قوة ولا يستطيع الدفاع عن نفسه أمامها أو من أى تهديد منها عليه وهو الطفل ذو الأعوام الثمانية وطعامه الذى يخلو من اى معانى للطعام المستساغ .

حانت فترة الراحة للغداء ولاحظ على أن الرجل يجلس مستنداً على حائط الورشة ولا يتناول طعامه مع العمال كما يفعلون ولا يمازحهم أو يتحدث معهم .. كان الحزن والفاقة باديان عليه .. ولهذا سأل " سنيوريه برتينى " لماذا لا يشارك العمال طعامهم ولهوهم ويجلس منعزلا بمفرده ..

قال له ( هوه رجل فقير ومس معاه فلوس هبيبى وعنده تفل كتير أربعه بيبى .. "هاج على" .. ويوفر كل قرس علسان أتفال .. مسكين كتير هبيبى)

توجه " على " إلى محل مجاور واشترى طعاماً لاثنان وتوجه إليه حيث يجلس شوقى وبعد أن حيّاه طلب منه أن يجالسه ويأكلا سوياً كما هو معروف بين المصريين (عيش وملح) .

تحرّج الرجل من " على " ولكن بهدوئه وممازحته إياه استطاع أن يخرجه من عزلته ومن صمته الذى لاحظه عليه منذ الصباح وتناولا

طعامهما وهما يتحدثان ثم بعد ذلك عرض عليه الذهاب إلى القهوة المجاورة لشرب الشاى ولكن الرجل اعتذر وخاصة أن " سنيوريه برتينى " أشار للعاملين عنده بانتهاء الراحة وعليهم استئناف العمل ولكن " على " أشار لـ " سنيوريه برتينى " بأنه سيصطحب معه شوقى للقهوة فوافق على ذلك لاحتمال أن ينقذه " على " من هذا العامل الذى لا يعطى إنتاجاً للورشه .. أثناء شربهم الشاى في القهوة سمع " على " من " شوقى " قصته وما آل إليه حاله وهو لكبر سنه وعدم خبرته في مجال الميكانيكا يشعر بالتعب وضيق صاحب العمل منه بل وضيق العمال منه لعدم القدرة على مساعدتهم .

" على " يستمع لحديث شوقى وهو حزين ومتأثراً لحال هذا الإنسان العصامى ولذا فقد عرض عليه العمل معه في المزرعة ولكن شوقى اعتذر بأنه سيكرر نفس مشكلة الورشة حيث لا يستطيع إتقان عمل الحقول والزراعة .. ولكن " على " طمأنه على أنه سيعمل في مجاله اى الحسابات .. صمت الرجل قليلاً كأنه يفكر أو يستجمع زمام تفكيره وبادر " على " هل ستشعر أننى سوف أفيدك ؟ وابتسم " على " قائلاً بالفعل ستفيدنى وإلا ما كنت عرضت عليك هذه الوظيفة إلا إذا كنت غير مُلم بالحسابات .. صاح الرجل قائلاً : هذه مهنتى وأجيدها منذ ما يزيد على عشرين عاماً .. ابتسم " على " قائلاً : إذن إتفقنا وسأعطيك راتب شركة السكر مع لبس الجلباب ومسكن مجانى .. انفرجت أسارير وجهه وزالت التجاعيد عنه وأجاب موافقاً حاج " على " ومتى أتسلم عملى ؟

أجابه " على " من اليوم على أن تحضر إلى مزرعة " على الحنونى " بعد يومين وهى موجوده في البر الغربى .. ثم أخرج حافظة نقوده قائلاً : وهذه منحة مالية لتعد نفسك وتحضر لتتسلم مهامك الجديدة وأنا واثق أنك ستفيدنا كثيراً وستشعر براحه بيننا .. ثم تركه ليخبر " سنيوريه برتينى " بما تم الإتفاق عليه وقد سعد كثيراً من ذلك وشكره على حُسن صنيعه ومعتقداً أن ما قام به " على " لأجل العلاقة بينهما .. لكن الله كان يعلم أن

" على " فعل هذا لأجل الله أولاً ولأجل الرجل ثانياً .. ومنذ ذلك اليوم أحدث شوقى إضافات لصالح " عليا " ومزرعته .. وقد غادر دشنا وهو مرتاح البال شاعراً أنه قد عثر على الشخص المناسب لمراجعة الحسابات التى كانت تؤرق المهندس فهمى .

مضى على عمل المقدس " شوقى " قرابة خمسة عشر عاماً صال فيها وجال حيث كانت حسابات المزرعة دقيقة وحسابات المصاريف والعائد والربح والخسارة من كل نشاط واضحة أمام " على " والمهندس فهمى نظراً لدقة شوقى وأمانته وذاكرته القوية حتى أنه يتذكر كل شىء بدون مراجعة دفاتره .. وهكذا دخل " سعيد الحنونى " إلى مكتب خبرة شوقى في عالم الحسابات .

كان معروفاً لدى الجميع مكانة كلٌ من المهندس فهمى والمقدس شوقى لدى " على الحنونى " .. فهما مستشاراه وذراعاه الاثنين وكان ينصت ويستمع لهما وإلى اقتراحاتهما .. ورغم أمية هذا الرجل لكنه بالسليقه والتدرب في مدرسة الحياة مع الخواجه " دوكيا " الذى تشرب ووعى دروس حياة التجارة والعمل الخاص حيث كان مبدؤه أن المشروع أو العمل الذى لا يعطى عائداً سواء مادياً أو نفعياً لصالح الناس فيجب البحث عن بديل له كما كان مؤمناً بأن النجاح لابد له من ثمن يُدفع مقابله وقد يكون ثمن النجاح مجهوداً إضافياً أو خسارة مادية أو أموالاً تدفع ولذا فهو لم يكن يبدى اعتراضا على مصاريف الإنفاق لصالح مزرعة الحنونى وخاصة أن الله زوده بإثنين من المتخصصين المخلصين .. أحدهما يتعرض للمشكلة من جهتها الفنية والأخر مالى وحسابى يضع الأرقام والحروف لتظهر مدى الملاءمه لهذا الإقتراح ولتلك الفكرة .

جاء المهندس فهمى لمقابلة " على الحنونى " في الحديقة المقامه أمام سراية الحنونى حاملا معه بعض الأوراق والخرائط التى سهر عليها أياماً وليالى بعد عمله .. فهو لم يكتفِ بالعمل بالمزرعه بل تعداها إلى منزله يقتطع جزءاً من راحته وعلاقته بأهل بيته حتى يضيف الأحسن .. وكانت

تلك الصورة المشرفة لمثلث النجاح " على الحنونى / المهندس فهمى / المقدس شوقى " واضحة أمام الجميع وخاصة أبناء " على الحنونى " الذين شربوا ونهلوا من حب العمل والإخلاص فيه ولم يركنوا إلى ثروة الأب وتعليمهم .. فكان يراودهم شيء هام وهو إذا كان نجاح هؤلاء الرجال الثلاثة فقد استطاعوا أن ينهضوا بعملهم مع قلة الإمكانيات وقلة العلم لذا من واجبنا أن نقفز إلى الأمام قفزات تناسب ما تعلمناه وما جد من أمور العلم والتحديث .. سكن هذا الوعى في أبناء الحنونى وحولهم أبناء الفلاحين البسطاء الذين اقتدوا بهم ولكن ليس بنفس السرعة ونفس المستوى لكن المثل والقدوة الفعلية أمامهم وليست حكايات وقصصاً تروى لهم مثل أبو زيد الهلالى سلامة وعنترة ابن شداد حتى لو كان لها أساسا من الحقيقه .

جلس فهمى وعلى سويا حيث عرض عليه ما أنتوى أن يقوم به بخصوص بعض التعديلات في الأرض والتى يلاحظها "فهمى" بحكم عمله فقد وضع خطة عرضها على صاحب الأرض ليبدى فيها رأيه .. الخطة تتعرض لتسوية الأرض نظرا لأنها مرتفعة غرباً ومنحدره شرقا جهة النيل بزاوية ميل ما بين (٢٠ - ٢٥) درجة .. وتقوم على أساس أن تسوى الأرض على هيئة مصاطب .. حيث يجرى التجريف من جهة الغرب إلى جهة الشرق لعدة أمتار وبالتالى يأخذ ارتفاع الغرب إلى إنخفاض الشرق وتكون تلك مصطبة بطول الأرض وعرض (١٠٠) متر أو يزيد أو يقل حسب طبيعة كل مكان ثم القطعة التالية يحدث تجريف مماثل من الغرب إلى الشرق وهكذا بحيث تكون الأرض في النهاية على هيئة أحواض طولية متساوية الإرتفاع .. وقد سأله " على " عن الدافع لهذا والفائدة المرجوة منه .. وقد أجاب فهمى عن هذا السؤال بالنقاط التالية :

أثناء الرى وإندفاع المياه من أعلى ( من الغرب إلى الشرق ) تجرف المياه بعض البذور وهذا بدوره يؤدى إلى قلة الإنتاج وهذا سر رؤيتك لبعض الأماكن وليس بها نباتات ونضطر إلى إجراء ترقيع بزرع بعض البذور الإضافية .

بعد إتمام مشروع السد العالى سيرتفع منسوب المياه لذا سوف نحتاج إلى رى كل مساحة منفردة دون الرى الشامل لكل الأرض وذلك بعمل قنوات مياه بطول الأرض بين فواصل المصاطب وستبنى تلك القنوات بالطوب وتبطن بالأسمنت من الداخل والخارج ويمكن بواسطتها توزيع المياه على كل مصطبة .

وقد سأله " على " عن الوقت والتكلفة اللازمة لتنفيذ ذلك الاقتراح .. وقد أفاده فهمى أن تكلفة إستصلاح الفدان لن تتعدى ( ٢٥ ) جنيها أما الوقت فقد أفاد بأنه سيستغل فترة خلو الأرض من الزراعة بعد جنى المحصول ويبدأ في التنفيذ .

حضر سامى جزءاً من المناقشة وقد استوضح من العم فهمى .. هل التكلفة تساوى العائد من تنفيذ ذلك ؟ حيث أجاب فهمى بأن التكلفة ستغطى خلال عامين من زيادة الإنتاج للقضاء على المساحات الفضاء بدون زراعة الناتجة من عملية تجريف المياه للبذور .. ثم استفسر " على " عن وضع أشجار الفاكهة المثمرة وخاصة المانجو والنخيل والبرتقال .. وقد أفاد بأن تلك الأشجار لن تتأثر لأننا ببساطة لن نقترب منها وأن التجريف سيتراوح عمقه ما بين ( ٢٠ - ٢٥ ) سم .

فكر " على " قليلاً وسأله متى نبدأ التنفيذ ؟ فأظهر فهمى الأوراق التى معه والتى قسم الأرض فيها على مراحل ويتم العمل فيها بناء على توقيتات الانتهاء من جنى المحصول .

وافق " على الحنونى " على ما عرضه مدير المزرعة المهندس فهمى وقرر تخصيص مبلغ ( ٢٠٠ ) جنيه كبداية للتنفيذ ونظر إلى ابنه سامى الذى أيد الفكرة .. توجه الثلاثة إلى الإدارة المالية لمقابلة مديرها المقدس شوقى وشرح له " على " خطة فهمى في إصلاح الأرض والإعتماد المطلوب حالياً لتوفيره .

لاحظ الرجال الثلاثة أن شوقى يرتدى نظارة طبية جديدة بدون لحامات .. وجلباباً جديداً غالى الثمن فسأله " على الحنونى " عن هذا التغيير وهو

مبتسم الوجه فشاركهم شوقى ابتسامتهم حيث أفاد بأن سعيد الحنونى أثناء وجودهم في المركز اصطحبه إلى طبيب عيون حيث فحصه لأنه يشكو من ضعف النظر وتداخل الأرقام وقد أفاد الطبيب بأنه يحتاج إلى نظارة جديدة وعمل له كشف نظارة وبعدها ذهب إلى محل يُعد تلك النظارات وها هو أصبح يمتلك نظارة جديدة حسنت من رؤية الأرقام وزالت المشكلة التى كان يعانى منها ولقد تحمل سعيد كل التكاليف من ماله الخاص .. وقد أجزل له الرجل بالدعاء .

ابتسم الموجودون وشكروا سعيدا على هذا الإهتمام بالعم شوقى حيث قال " على " ياشوجى يا خويا ولادى هما ولادك .

توجه سامى للإدارة الهندسية لمعاينة الجرارت الزراعية وطلمبات المياه ومواتير رش المبيدات ليتأكد من كفاءتها وصيانتها وليعد تقريراً يقدمه للمهندس فهمى حيث كلفه بذلك .

هذا هو حال أبناء الحنونى يعملون في كل مكان سواء مع والدهم أو فى معاونة المهندس فهمى أو المقدس شوقى .. وقد كان عملهم كعمال أو موظفين ولا يأخذون صفة أبناء صاحب الأرض أويتغطرسون على العاملين وقد أثر سلوكهم هذا في التعامل مع الآخرين من التواضع وحُسن الخلق مما ساعد على حُب الجميع لهم واحترامهم .

# ( ١٠ )

## نشـــاط " لـووو " فى العزبـة

" سنيورا لوو " سيدة نشيطة ولها جهد واضح سواء في منزلها أو فى العزبة بين السيدات وبناتهن .. حيث تميز منزلها بمستوى عال من النظافه والفن والذوق في كل شيء من الأثاث إلى اختيار النباتات المزروعة أمام منزلها .. فرغم أنها تعيش في الصعيد وزوجة صعيدى ولها من الأبناء سبعه من البنين والبنات إلا أنها جعلت من منزلها مثالاً للنظافة وحسن الذوق ولا وجود للروائح الكريهة أو الحشرات التى عادة ما تكون في مثل تلك المناطق .. أعدت منزلها بما يتلائم مع العدد الكبير لأسرتها حيث خصصت جناحاً للبنات ومقسماً إلى حجرات ومزوداً بدورة مياه حديثه لهن وله باب خاص من الصالة الكبيرة التى تتوسط المنزل ثم جناح للأولاد ومقسم إلى غرف وله أيضاً دورة مياه حديثة ثم جناحها هى وزوجها وله إمكانياته الخاصة ثم المطبخ وغرفة خزين المنزل وبعدها حجرة نوم الشغالات عندها ومزودة بدورة مياه لهن .

الفراندة الخارجية مغطاه حماية من أشعة الشمس وبها وسائد مريحة للجلوس تكفى عدداً من الأشخاص الذين يتصادف وجودهم مع زوجها أو عائلتها ثم فراندة جانبية على الحديقة تتميز بالمنظر البديع حيث الزهور التى تعشقها وتوليها اهتماماً بنفسها وتجلس بها أوقاتاً كثيرة وخاصة في وجود رجال مع زوجها وبها كرسى هزاز تجلس عليه وكرسى آخر اختارته بعناية ليجلس عليه الشخص الذى تريد التحدث معه في خطأ إقترفه وعادة ما يكون أفراد أسرتها أو الخادمة أو إحدى سيدات القرية حيث كان الكرسى قصيراً مائلاً للأمام وظهره قصير وإذا لاحظت أى إنسان يجلس على هذا الكرسى أمامها فسوف تشعر للوهلة الأولى أنك أمام قاض ومتهم من حجم الكرسيين أو من وضع جلوس كل طرف .

" سنيورا لوو " تعرف جميع سيدات العزبة بالاسم وحالة كل عائلة وعدد أفرادها كما أنها تعرف العديد من الفتيات خاصة الكبار منهن والعلاقة بين الطرفين على أحسن ما يكون حيث تسعد العائلات بلقائها وتتعرف على مشاكلهن وأمور حياتهن .. وقد عرف الجميع أن حُب السيدة لهن يبدأ وينتهى بالنظافة الشخصية والمنزلية وإذا دخلت بيتاً وشعرت أن رائحته غير مقبولة أو شاهدت سيدة غير مهتمة بنظافتها الشخصية يكون هذا مثار ضيق لها ولا تدخل مثل هذا المنزل ولا تحادث السيدة الغير مهتمة بنظافتها .

حتى إذا لاحظت أمراً لا يساعد هؤلاء الفلاحين على أسلوب التقدم والرقى فتقدم يد المساعدة .. وقد شاهدت أكوام القمامة بجانب بعض دور الفلاحين ولهذا طلبت من المقدس شوقى إرسال شخص لشراء أوعيه لحفظ القمامة بها لكل مساكن القرية والإدارات المختلفة ثم سألت المهندس فهمى أن يحدد مكان لتفريغ تلك القمامه ويعين شخصاً لهذا العمل .. كما حرمت تربية الطيور الداجنة بالمنازل منبهة بأن القذارة تجمع الذباب وبالتالى تنقل الأمراض .. وكان معروفاً عنها أنها سيدة شديدة وقوية وأى إهمال لهذه الإجراءات قد يؤدى إلى طرد الأسرة خارج العزبة وفقدهم للمنزل الذى يقيمون فيه ودخل رب تلك الأسرة .

وأهم ما تتميز به أنها كانت تفكر مثل هؤلاء الفلاحين حيث إنهم في احتياج إلى خضروات للطعام وحبوب للطهى ولحوم أو دواجن .. ولهذا جلست مع زوجها وابنها سعيد واتفقوا على تخصيص إنتاج قطعة أرض لتكون هى المورد للعزبة من قمح وذرة وخضروات وحبوب وكل دورة فراخ في المزرعة تعطى كل أسرة فرخة بالإضافة إلى ذلك فأن " على الحنونى " قرر ذبح عجل كل أسبوع لوجه الله شكرا على نعمته ويوزع منه على عامليه وبعض الفقراء المجاورين للعزبة .. وقد وفرت لهم ما يريدون وعليهم العمل والتمسك بالنظافة .

لاحظت " سنيورا لوو " أن نساء القرية يحملن الحبوب ويعبرن النهر لطحن تلك الحبوب في مطحنة بالشرق حيث يستهلك ذلك منهن وقتاً وجهداً طوال النهار فيعدن متعبان مع التكلفة المادية .. ولهذا فقد كلفت سامى بالبحث عن حل لهذه المشكلة .. فإتجه إلى ورشة " سنيوريه برتينى " وقابل ابنه البرتو الذى ورث الورشة بعد وفاة والده منذ عدة سنوات فزوده بماكينة طحين صغيرة تعمل على سير بواسطة الجرار الزراعى وصغيرة الحجم فاشتراها سامى وسعدت بها " سنيورا لوو " وكان بداية عملها هو حديث أهل العزبة وخاصة النساء اللاتى وقفن يشاهدن أول يوم تطحن فيه الحبوب وبدون أجر ومجهود .. هذه " سنيورا لوو " التى دائماً ما تبحث عن الحل قبل معاقبة الناس .

كان العاملون بالعزبة من أسعد الناس لأن أصحاب المال يبحثون عن راحتهم قبل البحث عن العائد المادى .. فالطعام غالبه بالمجان ( حبوب - خضروات – لحوم – دواجن – أسماك من بركة الحنونى – فاكهة من المتوفرة في المزرعة وما أكثرها كمية ونوعاً ) .

وهاهى " سنيورا لوو " تلاحظ وجود أطفال بالقرية يلعبون في طرقاتها ولا يذهبون إلى المدرسة وعلمت أن السبب في ذلك خوف الأهالى من عبور هؤلاء الأطفال بالمعدية وحدوث مشاكل من عدم السيطرة عليهم وخطر في ذهنها إنشاء مدرسة بالعزبة وبمعاونة عويضه الحنونى بالتخطيط لها وبناء فصل دراسى كل عام .. ثم إستطاعت أن تقنع مدير التربية والتعليم في المحافظة بتزويد المدرسة بالمدرسين وإعتمادها كمدرسة حكومية .

كان دأبها العمل وتسهيل حياة الناس واستطاعت احضار ترزى رجالى إلى العزبة لتسهيل حياة الناس في إعداد الملابس بدلاً من ترك العزبة والسفر إلى دشنا أوعزبة مجاورة وجهزت له دكاناً يعمل فيه ومنزلاً لأسرته ثم فعلت هذا مع السيدات حيث قامت بتدريب عدد من الفتيات على

كيفية إعداد ملابس السيدات فقد تعلمت كل هذا على يد أمها " مارتا " .. وقد اتبع " على الحنونى " نهجاً جديداً للتقرب إلى الله والناس والمساعدة على تحسين حياة العاملين فى عزبته بدفع ثمن شراء كسوة حريمى ورجالى لكل من في العزبة ولكل شخص قطعة واحدة وعليه اختيار اللون المناسب .

ولم يتبق إلا الناحية الصحية حيث اتفق " سعيد " الحنونى بعد سفر سامى إلى القاهرة مع طبيب أمراض باطنية وطبيبة نساء بالإضافة إلى طبيب عيون وآخر للأسنان بالحضور للعزبة أسبوعياً يوماً كاملاً مدفوع الأجر من ميزانية العزبة .

كان بادياً على " سنيورا لوو " أنها تقلب في الأوراق وماذا تستطيع أن تقدمه لهؤلاء الناس الطيبين الذين يقاسون ولا يتألمون ويعملون ولا يكفى عائد عملهم الحد الأدنى للمعيشة .. وهى دائماً تتذكر حينما كانت طفلة وتشاهد ما يتناوله العاملون عند والدها من طعام .. أنه طعام بسيط لا يساعد الإنسان على أن يعطى عمله القوة المطلوبة .. وما زالت أمامها صورة " على " زوجها حينما كان طفلاً صغيراً وكيف كان يأكل ؟! ثم أين ينام ؟! وكيف كان يشرب الماء من المجرى المائى خلف المعصرة بأن ينام على بطنه ويضع فمه في الماء ويشرب مثل الماعز أو الخراف ! .

أنها حياه صعبة على هؤلاء الناس ويجب على كل قادر أن يساعدهم وينهض بهم .. وكانت تندهش أن ترى أناساً يعيشون حلو الحياة ومتعها والغالبية لا تستطيع أن تجد الحد الأدنى للمعيشة .. لقد أخبرها زوجها في بداية حياتهما الزوجية بأن بعض الفلاحين كانوا يبيعون حصة التموين المعطاه لهم من الحكومه ( شاى وسكر ) للأخرين من أجل فرق في السعر تتمثل فى بضع قروش يشترون بها حبا يطحنونه على ( الرحاية ) طوال النهار من أجل صنع بضعة أرغفة من الخبز غالباً ما سيأكلونها بالمش ثم

يشربون من ماء النهر وهذه حياة الكثرة من النجوع والكفور بينما الأغنياء في قنا والقاهرة يحيون أحسن ما يكون ويتمتعون بالحياة .

*******

بداية أكتوبر من عام ١٩٦٤ حيث سافر سامى إلى القاهرة للدراسة ولم يتبق نشاط في الأرض سوى جمع محصول القطن .. جلس " على الحنونى " بعد صلاة العشاء في حديقة منزله الأمامية وقد لفه نسيم الليل العليل بعد أن ولت أشهر الصيف بحرارتها الملتهبة وحضر خادمه " أبو المواهب " حاملاً صينية عليها كوب شاى وكوب ماء حيث عرف عاداته حينما يجلس منفرداً وحيداً بعيداً عن أسرته فهذا معناه أنه ينتظر شخصاً يريد التحدث معه أو يبقى منفرداً لأمر يفكر فيه .

جلس الحنونى الكبير كما كان يحلو للبعض إطلاق هذا الإسم عليه للتفريق بينه وبين أبنائه الأخرين وحيداً هادئاً ومعه راديو ترانزستور صغير الحجم حيث أنه اختراع حديث محط إعجاب الناس لسهولة حمله ولانخفاض تكلفة تشغيله ببطاريتين جافتين تعطيه الطاقة لحوالى شهر وتُمتع مُستخدميه .. وقد أدار مفتاح تشغيله لينساب من هذا الجهاز الساحر صوت أم كلثوم العذب وهى تشدو بأحدث أغانيها " الأطلال " .

"يافؤادى لاتسل أين الهوى  كان صرحا من خيال فهوى"

يحادث الحنونى الكبير نفسه متسائلاً : إيه ياعلوه ؟ اثنين وخمسين عاماً قطعتها في عمرك الذى لا تعرف أين او متى ينتهى وما زال أمامك الكفاح طويلاً لا ينتهى .. ثم بدأ يسترجع ذكرياته .. ولكن قطع عليه هذه الذكريات صوت شقيقه " عبد الله " ملقياً عليه تحية الإسلام .

الشيخ عبد الله : السلام عليكم يا أبو سعيد .. وتنبه لصوت شقيقه .

ابتسم له " وعليكم السلام يا شيخ عبدالله " .

**عبد الله الحنونى** : هو شيخ قرية " ميت البرامونى " وهو إمام المسجد الكبير والمأذون الشرعى بها حيث كان محبوباً من الكافة رغم عدم حصوله على قسط من التعليم ولكنه إجتهد وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم وقرأ بعض كتب الفقه والتفسير حتى يستطيع مساعدة الناس في الاستفسار عما يعن لهم من شئون حياتهم اليوميه كما كان يتميز بخط جميل في الكتابة مثل صوته العذب في تلاوة القرآن الكريم .

جلس الشقيقان حيث حضر الخادم بمشروب الشاى الصعيدى المحبب لهما وتحادثا حديثاً شيقاً بدءاً من ذكريات المرحوم والدهم حتى يومنا هذا ومعروف لدى الجميع مدى حب الشقيقين لبعضهما البعض حيث أن عبد الله هو الشقيق السابق لميلاد " على " ولذا كانت تربطهما صداقة الإخوة من التابع والمتبوع .

سأل " على " شقيقه : أنا طلبتك نجعد الليلة سوا نتحدت في شوية سؤالات بتلف في دماغى من كام يوم .. بس والنبى ياخوى وأستحلفك بالله أنك تجول الحجيجه زى محنا عارفينه عنك ..

ابتسم الشيخ عبد الله قائلاً : حاضر يابو سعيد هات سؤالاتك وحتلجانى بأجولك الرد الصُح .

جمع " على " شتات نفسه وتنحنح ثم ..

قال لشقيقه : النهاردة جفلت تنين وخمسين سنة وأنت فاكر حالنا وإحنا صغار وكان يدوب الجرش بنلجاه بطلوع الروح وبعد العمر ده بلاجى نفسى مجبور الحال ومتيسره وزينه والأشيه معدن وأسأل نفسى سؤلات .. منين ده كله ياولد الحنونى ؟ يادوب كانت الحكاية مستورة ومافيش معدن مع بوى باجى لبكرة .. تفتكر ده حظ ولا شطارة ولا التنين ؟ جول ياشيخ ونورنى الله ينور عليك دنيا وآخرة .

تناول الشيخ رشفة شاى ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم .. يا خوى " على " لاده ولاده .. ده من اولته مكتوب عند ربنا وهو اللى بيرزج من يشاء من غير حساب .. معلوم ربنا عنده أكوام الفلوس والخير ويدى ده وميديش ده .. ليه ؟ مش نعرف لأنه علام الغيوب .. الرزج ياخوى والعمر عند ربك وتجرى يا بنى آدم جرى الوحوش غير رزجك متحوش .. شفت الحكايه زين ومليحة إزاى يا ولد الحنونى .. لكن بعد كده نرجع مرجوعنا وأن ربنا طلب منا السعى والعمل والكفاح حيث جال في كتابه الكريم " وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " . صدق الله العظيم

" على الحنونى " جالس منبهر بسعة علم شقيقه وحجته المؤيدة بالقرآن الكريم ويهز رأسه دليلاً على الموافقة وهو يردد بين الحين والأخر .. ونعم بالله .. ثم يكمل عبد الله بعد أن أنهى كوب الشاى في رشفتين سمع صوتها لعدة أمتار :

وبعدين ياخوى أنت مش مستذكر لما كنا سبع رجاله وبوى وكنا بنكرى أنفار وكل الأرض ميكملوش أحداشر فدنه النواحيدى يمين الدار وعشر فدنه الناحيه التانيه من الدار وبنزرع نص سنه علشان الجفاف وما فيش ميه .. يسكت قليلا ناظرا الى السماء ثم يكمل : كانت أيام جاسيه جوى ياخوى لكن شوف النصاحة والمفهومية رغم إنك جاهل بالزراعة عننا كلتنا لكن بسم الله عملت اللى معملوش غيرك واللى الفاس في إيديهم طول العمر .. ليه علشان أنت نور وحداك مفهوميه .

يسأله " على " ليه يا شيخ جت منين اللى أنت جُلت عليها من شوية إللى اسمها .. والله نسيت .

يسعفه عبد الله : جصدك المفهوميه " يشير على برأسه دلالة على أنها الكلمة التى ضاعت منه " إسمع ياخوى وفتح ودانك معاى .. أنت راجل زين وصُح وبعد ما فهمت شغل العصارة مع نسيبك الخواجة " فوكيا " يصحح له دوكيا .. أيوه هو ده وعلشان أنت جدع ونور رحت شارى

الأرض من إخواتك وشغلت مخك ونفوخك وكريت المهندز فهمى والراجل صاحب علام ومفهوميه وجلك على الكنز الموجود .

على : مقاطعاً كنز إيه يا شيخ عبد الله ؟

يضحك عبد الله من شقيقه .. الكنز اللى بأجول عليه كنز العلام والمفهوميه مش المهندز ابن مدارس ومتنور عننا فالعلام اللى معاه هو ده الكنز .. ( يعتدل على في جلسته ويشعر بالرضا من ثناء شقيقه عليه لحسن اختياره ) تِعرف الناس كانت بتجول إيه لما جيت البر الغربى ؟ .. أن ولد الحنونى حيضيع فلوسه وفلوس مرته في الرمل .. يسكت قليلاً .. معندهمش فهم بعيد عنك جال بيجولو مين ياولد يجدر على الجبل والنيل التنين دولت جبارين.

ينفش " على " نفسه قليلاً ملقى بابتسامة كلها ذات مغزى لشقيقه ..

يكمل عبد الله قائلاً : وحكاية الحظ داهية فأنت محظوظ .. ليه ؟ علشان إجوزت بنت الخواجه وحبوك ووثجوا فيك بس إيه .. أنت كنت تستحج كِده .. أنت كنت ولد زين معاهم في الشغل .. ونجول الحج ياخوى والناس مش موجودين .. مرتك وأمُها كان لهم نصيب من توفيجك ونجاحك . صُح ؟ .

ينظر له " على " صُح

وسيبك من الأرض .. فيه ناس شاطره برضه " الواد عليش " ابن وهيبه " العمشه " إللى من كفر الدرواشه ماهو بسم الله حداه أرض يامه وعز .. بس الناس بيجولوا إنه لجا مساخيط وباعهم لخواجات من بتوع الأثارات والحكومة معرفوش حاجة عنها لكن الفرَج إللى بينك وبين الناس دوول كبير .. ليه ؟ شوف مرتك مربية إصغارك كيف ولاد الأكابر متنضفين ومتعلمين ومهندمين .. والله بأكون طاير من الفرح أن دوول ولد أخوى " على " .. أخر حاجه أنت ومرتك بتعملوا لربنا كتير .. الناس بتتكلم على ولد الحنونى ومرته الخوجاية وإللى بيعملوه مع الشغيلة اللى عندهم .. توزعوا جماش عليهم وتوزعوا وَكل وعلاج في المستشفى وعرفت أنكم

حتعملوا مِدرسة وحولت الزاوية الصغيرة لجامع .. أنتم جريبين من ربنا علشان كدِه هوه جريب منكم .. ربنا يطرح لكم البركة فيها وفى عيالكم .

نهض وقام مستأذناً شقيقه وطلب منه أن يطلب من الغفير مسعود بالبر الشرقى أن يوصله بالكاريته لداره .. وقد شكر شقيقه على زيارته وحضر الغفير أبو المواهب ليكون برفقة الشيخ عبد الله حتى المعدية حيث يحمل معه بعض خيرات الأرض مرسلة من " لوو " إلى أسرته فقد حضرت المقابلة وصافحت ورحبت بعم أبنائها .. وقد شكرهم على هديتهم له داعيا المولى عز وجل أن يديم عليهم النعمة ويبعد عنهم كل ضار .

جلس الحنونى الكبير يستجمع حديثه مع شقيقه العالم الفقيه الذى يقبل الناس يده في كل مناسبة تبركاً طالبين دعاءه ورضاه عنهم وقد غمرته سعادة كبيره بما فسره رجل الدين في البلدة كما أنه دعا له بالبركة وإبعاد الضرر عنه .. نهض مخدراً من السعادة ومن نسيم الليل الذى يحمل القليل من البرودة التى دغدغت مشاعره وجعلته في أشد الاحتياج للنوم .

# ( ١١ )

# حريق فى عزبة الحنونى

بعد مرور عدة أيام على لقاء الشقيقين والسعادة التى شملت " على " بتفسير الشيخ عبد الله لنجاحه جلس عصراً في مقعده الخاص والذى أطلق عليه اسمه بعد ذلك " مجعد الحاج على " يستمع إلى صوت ليلى مراد " أنا زى ما أنا وأنت بتتغير .. وأنا هو أنا عمر الهنا قصير " تنبهه على صوت استغاثه نسائى منبعثاً من وسط العزبة فخلع عباءته وهرول إلى مصدر الصوت فشاهد دخاناً يرتفع من الإتجاه الذى كان مسرعاً في إتجاهه وما ان اقترب حتى شاهد حريقاً ضخماً وقد سبقه الشباب من الفلاحين وابنه سعيد وقام الجميع رجالاً ونساء بمحاولة إخماد النيران واستطاعوا بمجهود شاق منعه من الانتشار لباقى العزبة بعد أن أتت النيران على منزل " أحمد أبو منصور " وهو من المزارعين الممتازين في عزبة الحنونى وكان الله رفيقا بالجميع فلم يصب أحد بسوء ووقف " أحمد أبو منصور" يبكى هو وزوجته وأبناؤه على ما حدث .. لحقت " سنيورا لوو " بالجميع فاحتضنت زوجة أبو منصور وبناته وأخذتهن بعيداً بينما كان الرجال مشغولين في التأكد من إخماد النيران وحصر الخسائر وإنقاذ متعلقات الأسرة التى أتت عليها النيران .

أحضر البعض الشاى وتحدث الجميع كل يبدى رأيه فيما حدث حتى وصل السبب الى أنه من طبق طائر كان يطير في السماء وأشار له أحمد أبو منصور بالشرشرة متوعداً إذا عاد ثانية ! .. لكن الرأى الراجح أن زوجة أبو منصور كانت تُعد طعام أسرتها فإمتدت نيران الكانون " فرن صغير " لإعداد الطعام أو قل " ميكروويف " ذلك العصر إلى الحطب المجاور شديد الجفاف فاشتعل في ثوان مع نسمات الخريف فتم كل شىء بسرعة لم يستطع من في المنزل عمل شىء سوى الإستغاثه النسائية التى

تجعل الرجال ينفضون ما في أيديهم للهفة المستغيثه .. أى أن الله قسم العمل في المخاطر فالتنبيه على النساء والمخاطرة على الرجال .

أقبل الظلام والأسرة ما زالت بالخارج وليس لاهلها مكانا يأويهم وبعض أصدقاء أحمد أبو منصور يعرضون عليه الإقامة عندهم والرجل حزين ويتعفف شاكراً لهم فمشكلته أكبر من قضاء ليلة .. أما " عليا " فشكر الله أن كارثة لم تحدث ولم تزهق أرواح وهذا من فضل الله عليهم .. وشعر أن زوجته مختفيه وأن وراء ذلك أمر هام وقد صدقت فراسته فبعد قليل حضر أحد عمال الإدارة يطلب من أحمد أبو منصور الحضور هناك لأن عائلته متواجدة مع الست هانم .. توجه " على الحنونى " والمهندس فهمى والمقدس شوقى وأحمد أبو منصور وابنه إلى مبنى الإدارة وكانت " لوو " قد أمرت بإخلاء جزء من المكاتب وأعدته لإقامة الأسرة التى راح منزلها من جراء الحريق .. مما أسعد " عليا " ومرافقيه أن " سنيورا لوو " قد اخذت المبادرة وأعدت كل شيء لإقامة الأسرة من مراتب وأغطية وأدوات مطبخ كما امرت باعداد عشاء لهم حتى قال أبو منصور إن كل هذه الأغراض لا يملك مثلها .. ثم قالت لهم " سنيورا لوو " .. تقضوا عدة أيام هنا حتى نعيد بناء منزلكم .

اليوم التالى زارت " سنيورا لوو " أسرة أبو منصور للتأكد من إنهم بخير ولا يحتاجون شيئاً كما كانت خادمتها وغفير " على الحنونى " على إتصال دائم بهم ومتابعين لأحوالهم لحل أى مشكله تقابلهم .. توجهت " سنيورا لوو " بعد ذلك إلى مكتب سعيد وطلبت منه البحث عن حل مناسب لعلاج مشكلة الحريق الذى يفاجئهم دائماً وكانت تسمع عن كوارثه الكثير .. طلب من والدته أن تمهله حتى مساء اليوم .. وبعد أن تركته تحدث مع العم شوقى الذى قال له لازم نعمل حاجة تطفى بالميه زى الحكومه علشان كده نجيب حلزونه حريج وتطفى النار اللى تولع في أى مكان .

فكر سعيد قليلاً في الاقتراح ووجد أنه مفيد ولكنه ليس عملياً لأن الحريق يأتى فجأة ويرُعب الناس فتجعلهم غير قادرين على التصرف ثم

بعد ان يفيقوا من الصدمة سنبحث عن السائق وإحتمال أنه غير موجود أو مريض أو يدخن الجوزة وإذا كان موجوداً فسنجد أن السيارة لا تعمل لعطل في البطارية أو لعدم وجود بنزين بها ثم أن تجميد ثمن السيارة عمل غير إقتصادى .

تحير سعيد .. ويسأل نفسه ..أريد حلاً معقولاً أعرضه على أمى ثم إنهمك في عمله حتى أذن العصر فترك العمل متجهاً إلى منزله وهو يعلم أن أمه ستلقنه درساً قاسياً .. توقف فجأة وتذكر الحريق الذى حدث في معمل كلية العلوم بالجامعة .. وكيف أن عمال الكلية استطاعوا إطفاء الحريق بإحضار خرطوم لديهم مخصص لذلك وأوصلوه بماسورة ارتفاعها متر عن سطح الأرض وتأتى بالماء من صهريج يندفع منه الماء بقوة نظراً لارتفاعه عن سطح الأرض بعدة أمتار .. شعر إنه عثر على الفكرة المناسبة .

بعد تناوله الطعام سألته " سنيورا لوو " عما كلفته به صباح اليوم فعرض عليها اقتراح العم شوقى بطرس .. ثم مارآه وشاهد تنفيذه في الجامعة .. شعرت أن فكرة الجامعة أسهل وأضمن فطلبت منه التوجه باكر إلى دشنا للبحث عن مقاول ينفذ تلك الفكرة .. بعدها توجهت إلى مكاتب الإداره للإطمئنان على أسرة أبو منصور فشاهدت بنات وسيدات يخرجن من الزراعات ودهشت من ذلك .. كما أن البعض منهن يتوجهن للزراعات والبعض خارج وهذا ليس وقت عمل .. نظرت إلى خادمتها مستفسرة عما تراه فأخبرتها أنهن يذهبن لدورة مياه .. فاندهشت أكثر متسائلة .. لماذا تقام دورة مياه في وسط الزراعات ولا تقام في منازلهن ؟ فأجابت الخادمه بأنه لا توجد بدورهن دورات مياه بل أنهن يقضين حاجتهن في العراء .

تسمرت في مكانها وعادت إلى منزلها تتحدث بالإيطالية وكان هذا تصرفها حينما يضايقها شيء فسمعها زوجها وهى ترغى وتزيد فأسرع إلى حجرته وأبناؤه يضحكون وهو يقول .. مسز مسولينى جاية ياولد .

دخلت منزلها وهى في منتهى الغضب وحاول الأبناء تهدئتها ولكنها كانت تجوب المنزل وهى تبحث عن زوجها تنادى عليه مرة بالعربية وكثيراً بالإيطالية فأخبرها سعيد أن والده ذهب إلى النوم وزفرت عدة زفرات دليلاً على ضيقها .. ثم سألت سعيد عما لاحظته هذا المساء من قضاء الناس لنداء الطبيعة بين الزراعات وقد أجابها أنه شيء شائع بين غالبية الفقراء .. ثارت عليه وطلبت منه سرعة إحضار المقاول لأنها تريده للأهمية .. طمأنها ابنها إلى أنه سوف يذهب له صباحاً لإحضاره .. ودخلت حجرة نومها وأيقظت زوجها طالبة منه عدم النوم معها في تلك الحجرة لأنه قاسى القلب ولا يقدر مشاعر الناس وكما هى عادتها معه خرج الأب صاغراً لأمرها ونام في الصالة حتى الصباح بين ضحكات الأبناء وحزنهم على أبيهم الذى تفعل به ذلك في كل مرة تلاحظ شيئاً خطأ فيكون العقاب لرب الأسرة والذى كان واسع الصدر لا يريد افتعال مشاكل او خلافات معها حفاظاً لذكرى والديها اللذين أخذا عليه عهداً قبل وفاتهما أن لا يغضب " سنيورا لوو " أبداً .

حضر المقاول في اليوم التالى وأخبرته " سنيورا لوو " بكل طلباتها وهى عمل دورات مياه في منازل العزبة ونظام للوقاية من الحرائق كما اوضح له سعيد قبل ذلك .. شرح لهم المقاول أنه سبق وأن نفذ مثل هذا العمل قبل ذلك في عدة أماكن .. وبعد أكثر من ساعة زمن قضاها الرجل مع كل من الحنونى الكبير وشوقى وفهمى وسعيد أعطاهم رأيه .. وهو تجميع المنازل في منطقة واحدة وعدم بعثرتها كما هو الحال الآن حتى يصبح نظام إطفاء الحرائق فعالاً مع إقامة دورات المياه والمطبخ من الحجر وليس من الطوب اللبن الذى لا يتحمل المياه وتحدث شوقى عن مشكلة البراغيث وكان رأى المقاول فرش أرضيات المنازل بالبلاط أو الأسمنت .. إستأذن الرجل على وعد بالعودة ثانية باكر لإعطائهم تكلفة كل شيء على حدة وأصبح الجميع في انتظار الغد .

حضر المقاول في اليوم التالى وأخبرهم أن تكلفة كل منزل مع استغلال المنشآت الموجودة مائة وعشرون جنيهاً ونظام الحريق تكلفته أربعمائة وخمسون جنيهاً شاملاً حوضاً ضخماً مبنياً بالطوب ومبطناً بالأسمنت وشبكة مواسير ومحابس وخراطيم بحيث يكون أمام كل منزل محبس وخرطوم يفتح في حالة الحريق .

أمسك المقدس شوقى بقلمه وبدأ في حساب جملة التكاليف حيث وصلت " سنيورا لوو " وقالت نزيد عدد المنازل خمسة أخرى مع إضافة الإدارة للتزود بدورات المياه .. أصبح العدد إحدى وثلاثين وحدة وكل وحدة تتكلف مائة وعشرين جنيهاً لتصل الجملة إلى (٤٣٧٠) جنيهاً بما فيها شبكة الحريق .

إنه مبلغ كبيراً لذلك الزمن ولكن " لوو " سألت المقدس شوقى قائلة : سنيوريه سوقى : فيه فلوس علسان إنسان يعيس مثل العالم الراقى والا نفضل جنب همار وهروف ؟ .

أجاب شوقى : المبلغ الموجود يكفى لكننا نحتاجه لمصاريف الزراعة الشتويه ..

قالت : ولد سعيد .. رووه هالا منزل افتيه واهد دولاب بتاع الاما وسيب دولاب بتاع " على بابا من غير أربعين هرامى " وهات كل مجوهرات .

صاح " على الحنونى قائلاً " حيلك يا أم " سعيد " ..

فصاحت به .. سنيوريه " على " .. إيه أم سعيد ؟

أجاب : سندفع الفلوسات واحتفظى بحاجتك وإن شاء الله محصول الجطن حيغطى طلبات الزراعة .

بعد أسبوع حضر المقاول ورجاله واستمروا في العمل لأكثر من شهر حتى انتقل الفلاحون والعاملون إلى مساكنهم الجديدة والمزودة بالمياه

ودورات المياه من مرحاض ودش وحنفيه وكانت سعادتهم لا توصف كما أصبح نظام إطفاء الحريق يعطى أماناً .

******

استمر سامى في دراسته الجامعية مؤمناً أن العلم هو السبيل إلى تقدم أهله في الصعيد ليلحقوا بأجدادهم الفراعنة الذين تكالب عليهم الاحتلال اليونانى ثم الرومانى ثم تسلمتهم الدولة الإسلامية التى انتشر الدين الإسلامى فيها على يد القائد العربى الشهير عمرو بن العاص .. وبدلاً من أن يسير ولاة المسلمين بعد ذلك على نهج الإسلام والخلفاء الراشدين دخلت الخلافات المتعاقبة في مشاكل وأهملوا شئون الرعية حتى الحكام الذين كانوا يحكمون مصر كان لابد من استيرادهم من خارج الوطن مثل مباريات الأهلى والزمالك وكأن مصر نضبت فى أن يحكمها أبناؤها وإذا أراد أحد أن يقول قولة حق اتهم بالكفر وكأنه لا بديل من أن أكون عبداً محكوماً للآخرين أو كافراً وبالطبع كان الناس يختارون أقل الضررين .. إذن هؤلاء المتخلفين من بقاع العالم حكمونا كالأغنام ونحن أصحاب العلم والحضارة .

مازال سامى يستعيد ذاكرته .. إذا سار في شوارع أى قرية أو مدينة صغيرة الآن فسوف يشاهد ويرى مقدار التخلف الذى أصابنا من حكامنا من المشرق الإسلامى حتى المغرب وانتهت بالعثمانيين الذين أعادونا للخلف قروناً .. وسيظهر من يقول كيف تقول هذا إنهم مسلمون .. هذا صحيح لكن هذا لا يعطيهم الحق في إبادتنا وتدميرنا ألم يكن الأمويون مسلمين عندما قتلهم العباسيون ومثلوا بموتاهم .. يتنهد حسرةً ويقول فى داخله بعد أن نكون مسلمين لابد أن نكون مصريين جميعنا مسلمين ونصارى وحتى يهوداً .. ينفعل ويرتفع صوته قائلاً .. أيها السادة انهضوا من شعارات الضلالة التى جعلتنا أمة متخلفة بدءاً من هذا مسلم وهذا نصرانى حتى وصلنا إلى هذا أهلاوى وهذا زملكاوى بل وصلت إلى المنازل فهذا يؤيد الأب وذاك يؤيد الأم كيف ننهض ونحن ننهش أنفسنا ؟! .

سامى مازال حائراً حزيناً لما وصل إليه حال الناس في الصعيد وإذا تجول في الزمالك والمهندسين أو مصر الجديدة فيشاهد تمتع الناس في تلك الأماكن بعكس ما يكابده أهل قريته وغيرهم من ألوان العذاب .. ينظر إلى الجميع سائلاً نفسه ألسنا كلنا مصريين ؟ لماذا لا يأتى حاكم وينظر لهؤلاء المساكين .. إن الله سينتقم من جميع الحكام الذين أهملوا هذا الشعب .

زاده هذا الهاجس تصميماً على التقدم وهو يفاخر بأنه من جنوب الصعيد ولا يهتم بزملاء الدراسة أبناء الأيادى الناعمة .

إنتقل سامى إلى السنة الثالثة بالجامعة ووصل شقيقه " سعد " الذى التحق بكلية الزراعة ليكمل منظومة " على الحنونى " الذى يريد أن يتعلم أبناؤه العلوم التى تفيد مجتمعهم وتفيد مستقبل الأرض .. وينظر سامى الى الفضاء من بكونة الشقة قائلاً : هذا الرجل الأمى يفهم أكثر من الحكومة حيث يركز على احتياجاته .. ألا يتعلم مكتب تنسيق الجامعات ما هى احتياجات المجتمع ويركز عليها ؟! مثل ما يفعل أبى .

لم يتبقى أمام سامى على التخرج إلا العام القادم أما " سعد " فهو يتبع فى دراسته نهج شقيقيه .

قبل بداية امتحانات هذا العام حدثت حرب عام ١٩٦٧ .. ولا يستطيع أحد أن يصدق أننا هزمنا عسكرياً .. لكن هذا ما حدث وانتهت الامتحانات وكان عاماً سيئاً مثل باقى الأعوام التى تلته حيث تركت الفرحة والابتسامة شفاه الجميع ولم يتبق على هذا الجيل سوى إصلاح خطأ الكبار .. الكل أخطأ حتى الذين طبلوا وهتفوا للزعيم .. فلو سكتوا عن الهتاف أو لو كانوا أشجع قليلاً وانتقدوه لوقف ليرى ما السبب فى تلك النكسة .. ولكن عبيده انفضوا من حوله .. ولأنهم كانوا عبيدا فانهم لم يصرخوا إلا بعد أن قابل ربه .. ففعلوا مثل ما فعل الجن بعد وفاة النبى سليمان حيث ساحوا في الأرض وتركوا عملهم المكلفين به .

نحن في منتصف عام ١٩٦٨ وسعيد الشقيق الأكبر مثله مثل باقى الشباب الذين جندوا وأرسلو إلى جبهة القتال فلا وقت للعتاب وحساب المخطىء ونعاقب من .. فنحن جميعا تحت العقاب .. وهذا ما ينتظر سامى وما ينتظره الشباب في تلك المرحلة ألا وهو التجنيد والذهاب لجبهة القتال فإما أن نعيش بكرامة أو نهلك حتى لا نعيش مطأطئى الرأس .

تخرج سامى فى يوليو من عام ١٩٦٨ وعينته القوى العاملة فى شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح واستمر بها شهرين ثم طُلب لأداء الخدمة العسكرية حيث جُند على سلاح المهندسين ومكث في مدرسة المهندسين العسكريين ستة أشهر درس وتدرب على أسلوب العمل كمهندس عسكرى ثم وزع على وحدة من وحدات إنشاء مواقع الصواريخ " الدفاع الجوى " حيث عام (١٩٦٩) وإسرائيل تجوس في عمق الجبهة المصرية وغاراتها المدمرة على مصنع أبى زعبل ومدرسة بحر البقر وغيره من الأهداف التى كانت تغير عليها لخفض الروح المعنوية ولا تجد أمامها المقاومة التى تمنع هجماتها الجوية على الوطن .

لقد بُذل جهد كبير في بناء حائط الصواريخ على الجبهة المصرية وكان المهندسون العسكريون يحملون لواء هذا العمل الكبير وكانوا يعملون ليلاً على الأضواء تفادياً للغارات الإسرائيلية وإذا حدث إنذار بهجوم جوى تطفأ الأنوار وينتشر العاملون لتقليل الخسائر .. تعرض سامى عدة مرات للشهادة وفى إحدى المرات أصُيب إصابة بسيطة وبعد أن عولج مُنح أجازة أسبوعين قضاها في عزبة الحنونى .

لم يتبق إلا عدة أشهر على الانتهاء من مشروع القرن السد العالى العظيم لكن آثاره بدأ يشعر بها أصحاب المصلحة الأولى في الوطن حيث لا خطورة من الفيضان السنوى المرعب وأصبح على الفلاحين الزراعة طوال العام فقد اطمأنوا على توافر المياه وبدون فترة جفاف .. ومرت عدة أيام ومازال الشعب المصرى يبنى في السد العالى وفى جبهة القتال

وتوقفت حرب الاستنزاف وبعدها بشهر توفى جمال عبد الناصر وجاء نائبه للحكم الرئيس السادات وفعل ما لم يتوقعه أحد وشن حرباً هجومية على طول القناة استطاع تحرير شريط القناة بعمق اثنى عشر كيلو متراً حتى تكون القوات المصرية على إتصال براً بالإسرائيليين بحيث تقوم القوات المصرية بهجمات وحروب محدودة على فترات طويلة تحدث إصابات كثيرة بهم وفى النهاية تكون حرب التحرير الشاملة ولكن الإسرائيليين فكروا وفهموا المغزى من وراء ذلك .. فانتهزوا زيارة السادات للقدس وتمت إتفاقات " كامب ديفيد " .

في منتصف شهر فبراير من عام ١٩٧٤ سُرح عدد كبير من الضباط الاحتياط والجنود من الخدمة العسكرية ومن بين هؤلاء سامى الحنونى الذى عاد إلى عمله في شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح .. وهى شركة قطاع عام ويسُند إليها أعمال الحكومة ومن بينها حائط الصواريخ حيث كانت تعُد صبات خرسانية سابقة التجهيز .

تقابل سامى مع زميل له .. إنه المهندس مدحت خريج هندسة إسكندرية الذى كان ضيق الصدر لعدم تلبية رغبته في العمل في مدينته وهذا يكلفه أعباء مالية وقد خطب فتاة من مدينته ولا يراها إلا كل فترة زمنية .

مدحت إسكندرانى أصيل حيث يجيد فن الحديث والقفشات وإلقاء النكات كما أنه أعزب وبدون التزمات وأمامه وقت فراغ طويل فليقضه مع ابن الجنوب فالاثنان تجمعهما صفة الإغتراب عن القاهرة وبعيداً عن الأهل حيث كان يقاسى مدحت في إعداد الطعام أو تنظيف ملابسه .. وقد استضافه سامى في منزله عدة أيام تمتع فيها بالراحة وتناول طعاماً طازجاً شهياً وأثنى على شقة سامى وأثاثها البديع .

جمعت الغربة بين الشابين على الصداقة والألفة رغم اختلاف الطباع لكن هذه الطباع سرعان ما تقاربت بحكم العمل والغربة التى تجمعهما سوياً وقد يئس مدحت من التقدم بطلبات نقله إلى موطنه ولم يستجب له أحد

.. فرئيس مجلس إدارة الشركة شديد ومتسلط في عمله .. وفي أحد الأيام حضر مدحت إلى مكتب سامى يخبره بوجود إعلان لفتح باب الانتقالات وأخبره بأنه سيقدم طلبا بذلك .. وقال له قم معى لتقدم طلباً أنت الأخر ولكن سامى لم يكن راغباً في طلب النقل واستمر مدحت يحدثه ويقنعه حتى اقتنع وقدم طلباً بالعمل في فرع الشركة بمدينة قنا ومدحت قدم طلباً للعمل بفرع الشركة بمدينة الإسكندرية .

بعد ثلاثة أسابيع ظهرت حركة التنقلات بين أفرع الشركة وهذه التنقلات إجبارية ولمدة عامين .. ولا مجال للشكوى أو عدم التنفيذ لأن جزاء ذلك الفصل من الشركة .. الجميع يطلعون على الكشف حيث يندهشون لأن مدحت نقل إلى فرع الشركة في قنا بينما نقل سامى إلى فرع الشركة بالإسكندرية .. وقد اسقط في أيدى الشابين .

كانت حركة تنقلات الشابين من الطرائف التى وصلت انباؤها جميع أفرع الشركة على مستوى الجمهورية وكانت الإدارة سعيدة بتعنتها مع موظفيها وأرادت أن تظهر لهم العين الحمراء فأخذت المهندسين الصغيرين كنموذج لما تستطيع الإدارة المتعسفة أن تفعله .

هدأ العم عويضه من توتر سامى ووعده أنه سيحل له مشكلة السكن قبل التنفيذ وفى اليوم الثالث للنقل أخبر عويضه ابن شقيقه بأنه قد وفر له سكناً فاخراً .

قرار نقل سامى إلى الاسكنرية أثار ضيق الجميع سواء الأسرة في ميت الحنونى أو " سلامه " أو " سيدة " شقيقته التى كانت تدرس بكلية الطب وكل من العم عويضه وعائلته .. أما مدير فرع الشركة بالأسكندرية المهندس / وصفى فهو رجل على مستوى عال من الخلق وهو أيضاً من المغضوب عليهم لأنه قال لا لرئيس الشركة الذى حاول مجاملة بعض أقطاب السلطة على حساب مال الشعب المتمثل في ممتلكات الشركة فاعترض على ذلك ..

مدير فرع إسكندرية يقرأ نشرة تنقلات مهندسى الشركة ويندهش .. كيف ترسل له الشركة مهندساً من قنا ليعمل معه وما الغرض من هذا النقل ؟ إما لزيادة المشاكل عليه وإما ان هذا المهندس الشاب مغضوب عليه .. حضرت سكرتيرته لفك كل طلاسم هذا الانتقال الغير واضح حيث أخبرت المهندس وصفى بأن اثنين من المقر الرئيسى بالقاهرة تقدما بطلبى نقل .. الأول مهندس من الإسكندرية يريد العودة إلى بلده والثانى مهندس من قنا يريد أيضاً العوده إلى بلدته .. تقرر الإداره عكس تلك الرغبتين بغرض إذلالهما .. وتعنتا ضدهما .

عرف وصفى الأمر حيث سيعمل معه مهندس مظلوم كان يشعر أن القاهرة بعيدة عليه فإذا هم يبعدونه أكثر .. المسكين شاعر بالظلم والقهر من تعنت استخدام السلطة ضده وسيكون متوتراً في العمل ويجب عليه كرئيس عمل أن يهدىء من توتره حتى لا يثقل عليه بالأعمال وقد جرب الظلم قبل ذلك .

عاد وصفى من عمله في هذا اليوم وحكاية نقل المهندسين في المقر العام بالقاهرة تضايقه حتى أن زوجته وبناته لاحظن ذلك .. وأثناء جلوسهم على السفرة لتناول طعام الغداء سألته زوجته .. مالك يا وصفى شايل هموم الدنيا فوق رأسك فيه حاجة حصلت من المخفى رئيسكم بتاع مصر ؟ .

تنهد الرجل قائلاً : تصورى المفترى ينقل إتنين مهندسين زى الفل بعد ما رجعوا من الحرب ودافعوا عن بلادهم وعنه هو وعيلته يقوم لما يقدموا طلب نقل لبلدهم يبعت بتاع إسكندرية قنا ويبعت بتاع قنا إسكندرية .. شوفى الإجرام وحب السيطرة .. ساد جو إنفعال بعد حديث الأب .

حيث سقطت الدموع من عين شمس: صغيرتهم وهى تقول ليه يحرموهم من مامته وباباه .. ضحكت نور وهى تداعب شقيقتها وتقبلها .

قائلة : دوول كبار مش صغيرين زيك .. وبعدين رجاله مش عايزين لا بابا ولا ماما .. بينما السيدة مديحة زوجة وصفى .

صارخة : وهى ممسكة السكين لتقطيع اللحمة التى أمامهم وهى تقول الراجل ده ما فيش حد مالى عينيه .. والله لو أنا أم واحد فيهم أروح أخلص منه .. بينما تخوف وصفى طالباً منها عدم التهور فقد تصيبه السكين بدلاً من رئيسهم .

سافر سامى إلى الإسكندرية وسبقه إلى هناك عمه عويضه حيث وعده بتوفير سكن فاخر .. وصل عويضه قبل قدوم سامى إلى الإسكندرية وقابل زملاءه في المهنة حيث عرضوا عليه بعض الشقق والأماكن حيث اختار شقه فاخرة فعلاً في عمارة حديثة بحى رشدى وتمتاز بمساحة واسعة وبمعاونة عماله الذين اصطحبهم لهذا العمل ومساعدة زميله الحاج حسن الطنبور استطاع إعداد فرش بسيط يكفى سامى وضيفين معه .

استقبل عويضه ابن شقيقه في محطة القطار واصطحبه معه إلى العمارة التى تقع بها الشقة .. حيث هال سامى شكل وحجم العمارة من الخارج .

سأل عمه مستفسراً .. معجول حاسكن إهنه ؟

ويجيبه عمه أنا وعدتك ياولد أخوى إنى حأجيب لك سكن مليح وزين .. صُح ياولد فيجيب: سامى صُح يابوى .

وهكذا استقر سامى بالأسكندرية وأصبح من سكان منطقة رشدى .. وباكر سيتوجه إلى عمله ويقابل العاملين هناك وعليه التكيف والرضوخ للأمر الواقع وكلها سنتين ويعدوا بسلام .

# ( ١٢ )

## سـامى فى الإسكندرية

توجه سامى الى مقر فرع شركة الأسمنت المسلح التى سيعمل بها والتى نقل إليها حديثاً دون رغبته .. ها هى اليافطه التى توضح للجميع أنه مكتب فرع الشركة بالإسكندرية .. المقر في موقع ممتاز في شارع صفيه زغلول بوسط المدينة .. دخل من باب العمارة واستقل الأسانسير إلى الدور الرابع حيث توضح يافطة صغيرة بمدخل العمارة الدور الذى تقع به الشركة .. توقف الأسانسير وغادره سامى فوجد باباً مفتوحاً يحمل على جانبه يافطه مكررة مثل التى شاهدها بمدخل العمارة .. دخل فشاهد أمامه فتاة حسناء فألقى عليها التحية طالباً منها الإذن فى مقابلة السيد مدير الفرع حيث ..

قال : السلام عليكم مش هنا فرع شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح .. نظرت إليه الفتاة لاختلاف ما تشاهده وما بين لهجة السائل ..

فأجابته : أيوه وأكيد عنوان الشركة على الباب ! .

أجابها فعلاً أنا جريته لكن ساعات الحاجات بتكون ملخبطه والولد فينا بيعمل ربكة والنبى ياست عايز أجابل سيادة المدير ربنا يسترها معاك .. ما زالت الفتاة تنظر له باستغراب .. وتنهدت تنفس عن ضيقها .

سألته : عايز المدير ليه ؟ أنا ممكن أساعدك لو فيه مشكله مع الشركة .

أجابها : لا والله ما فى مشكلة ولا حاجه أصل أنى منجول هنا وجاى من مصر بالبابور دغورى وعايز أسلمه الجواب اللى معاى أصل أنى أبجى المهندز ..

قاطعته أيوه المهندس عكسى !

إحتـج .. لا ياست أنـا مسميش كده .. أنـى سـامى ولد الحنونى ومعى الجواب بيجول كده حتحيرونى ليه ؟ الفتاة تحاول كبح جماحها من الضحك وتطلب منه الجلوس حتى يفرغ المدير من مقابلة من معه .. وتمسك بالتليفون وتقوم بعدة اتصالات وهى تضحك حيناً وتبتسم حيناً وحضر الساعى يسأله عما يفضله من شراب حيث ..

يجيبه سامى .. شاى بس إوزنه ربنا يخليك .. شاى صعيدى زين يابوى .. إوعى تعوج علشان حجابل المهندز وصفى .. يفرك يديه وينظر إلى السماء .. بركاتك ياسيدى يا عبد الرحيم ياجناوى أنى آلاجى الولد إللى جوه يكون صُح وزين .

الفتاه تركت عملها وهى مبهوره بهذا الإنسان الذى هبط عليها من السماء ولم تقابل مثله وهو لا يعيرها أى اهتمام ويتصرف بتلقائية وتنبه إلى أصوات قادمة إليهم حيث يجلس فشاهد أمامه مجموعه من الشباب والشابات وهم يتضاحكون .

قائلين : مين ؟ المهندس عكسى وصل .. وقد تنبه إلى ذلك حيث ..

صرخ لا يابوى .. أنى سامى ولد الحنونى وأشار إلى السكرتيرة ..

قائلاً : وأنى جلت للولية الجاعدة دية على اسمى الصُح .. مالكم فهمكم بطىء وإلا إيه .. تركه الشباب يتحدث وهم ينظرون إليه والابتسامة لم تفارقهم حيث خرج المهندس وصفى على أصوات الجلبة والضوضاء التى أحدثها صوت سامى الحنونى مستفسراً من سكرتيرته .

فيه إيه ياثريا ؟

وقفت تجيبه وقد صمت كل الموجودين .. أصل الزملة بيرحبوا بالمهندس سامى الحنونى المنقول لفرع الشركه ونظرت إلى سامى قائلة .. الباش مهندس وصفى مدير الفرع .. ابتسم الرجل في وجه سامى مرحباً ..

متسائلاً .. مالك مضايق كده ليه ؟

صـاح .. والله يابش مهندز الولد دوول من ساعة ما وصلت فاكرتى نفر تانى وأنا أجولهم أنى سامى ولد الحنونى ومش عايزين يصدجونى .

ابتسم وصفى له قائلاً .. أنا مصدق إنك سامى ولد الحنونى .. وأشار له تفضل معايا في المكتب وقبل أن يدخل المكتب لمح الساعى مقبلاً بصينية الشاى ..

فصاح فيه قائلاً .. جرب ياولد وأراد أخذ كوب الشاى منه ولكن وصفى أمر الساعى بأن يدخل الصينية إلى مكتبه .

اغلقت ثريا باب المكتب عليهما .. أما مجموعة شباب الشركة فقد انفجروا فى الضحك قائلين الشركة حتحلو وسامى ولد الحنونى حكاية .. الله يكرمك ياسعادة رئيس مجلس الإدارة عايزين الناس الحلوة دية .. ونظر أحدهم إلى الآخر .. صُح فأجاب الآخرين صُح يابوى وانفجروا ضحكاً وذهبوا إلى أعمالهم حيث بقيت الفتيات وهن يحدثن ثريا .. إحداهن .. إيه يابت ياثريا الواد حلو وزى العسل .. وأخرى ولا شياكته مش معقول لالا يجنن .. وثالثه متعرفيش إن كان مجوز ولا لأ .. وأخرى إن كان فاضى مش حيفلت من إيدى صُح يا ثريا ؟

أجابت ثريا صُح ياوليه .. وعدن الى ضحكاتهن ثانية .

في مكتب المدير وصفى الرجل يرحب بالمهندس سامى مؤكداً له أنه سيشعر أنه بين أهله وأن فرع الشركة هنا عليه مسئوليات كثيرة لكثرة أعمال الحكومة والإنشاءات التى تقوم بها خاصة بعد انتهاء الحرب .

انتقل المدير بعد ذلك في حديثه مع سامى عن أحواله .

قائلاً : هيه .. ربنا يوفقك وتلاقى سكن ؟

أجابه سامى .. الحمد لله لجيت شُجه مليحه .

تعجب المدير .. كويس لازم مع حد بلدياتك في الأنفوشى وإلا الجمرك يجيبه والله ما أعرف الحته إللى بتجول عليها ولكنها في حته إسمها رشدي أباظه .

المدير مندهشاً !! ما فيش منطقة في إسكندريه اسمها رشدى أباظه .. مين قالك عليها ؟

يجيبه الولد شفيج ولد عمى حسن الطنبور .. دهش المدير ضاغطاً الجرس فحضرت السكرتيرة .

وسألها .. فيه يا ثريا حى جديد من الأحياء الشعبية اسمه رشدى أباظه ؟ .. نفت أن يكون بالإسكندرية مثل هذا الحى قائلة ما فيش غير رشدى .

صاح سامى : مليح .. هو ده .. نظر الاثنان إليه بدهشه .

حيث سأله المدير يعنى أنت ساكن في رشدى ؟

أجاب أيوه بس الولد جالولى لو نسيت جول رشدى أباظه علشان أفتكر

المدير يهز رأسه جميل جميل وساكن مع حد من قرايبك والا واخد أوضه فوق السطوح ؟ .

سامى نافياً . لا يابش مهندز واخد شُجه من بابها اربع مطارح وفسحه كبيرة .

سأله وجبت أسرتك معاك ؟ ونفى سامى ذلك .

قائلاً : بوى مشغول في البلد وأمى وإخواتى .

لكن وصفى أعاد سؤاله .. قصدى مراتك وأولادك .

ابتسم سامى لا والله لسه مدخلتش دنيا .

مساء في منزل وصفى وهو يحكى قصة وصول المهندس سامى الذى غدر به رئيس مجلس الإداره وما دار الحديث بينهما وينظر إلى زوجته قائلاً : تصورى ساكن في رشدى .

دهشت الزوجة قائلة : يمكن حى تانى ومش عارف .. وإيه ده إللى حيوديه رشدى ؟

أجابها : أنا كنت زيك ولما سألته ساكن فين قاللى ساكن في رشدى أباظة .. ضحكت الأم وابنتاها نور وشمس .. وقد علقت شمس قائلة .. تلاقيه ساكن في حى إسماعيل ياسين .

عاد سامى إلى شقته بعد اللقاء الأول شاعراً بالراحة نحو مديره ولكن ما كان يضايقه أن الفتيات والشبان لم يحفظوا اسمه معتقدين أنه اسمه " عكسى " واندهش أن يحضر زميل لهم وينادونه يابش مهندز عكسى .. وقال ...إيه ياالله كلتها أسماء .

عصراً خرج سامى إلى الشارع ليشاهد المارة ويتفحص أحوال ومعالم المنطقة التى يعيش بها .. إنها منطقة راقية وبها عمارات كبيرة وشعر بسعادة أن يوفق عمه عويضه فى توفير هذا السكن .. هذا العم الخدوم الذى لا ينام ولا يهدأ له بال قبل أن يساعد الآخرين .. تذكر زوجة عمه ورعايتها له هو وإخوته أثناء الدراسة وكيف كانوا يشعرون أن أمهم وأباهم معهم من فرط الاهتمام والعطف والرعاية .. شعر بالجوع فكل شئونه كانت ميسرة سواء في ميت الحنونى أو في ميت عقبه .. ويتسائل .. كيف سأعد طعامى ؟ إنها مشكله ولا أعرف عن أعمال المنزل أى شيء .

شاهد مطعما احس ان مستواه كان معقولاً مثل بعض المطاعم التى كان يلجأ إليها أثناء الدراسة عندما يتأخر في الجامعة .. دخل المحل وطلب احتياجاته وغادره إلى أين .. لا ونيس ولا رفيق في المنزل وشاهد القهاوى تعج بروادها خاصة أن جميع المصطافين على وشك مغادرة المدينة

والعودة إلى بلادهم .. جلس يشاهد الناس وكان سعيداً بالهواء النقى القادم من جهة البحر وتذكر حرارة الصيف في بلدته .

على الجانب الآخر المهندس مدحت يقيم في إستراحة الشركة في قنا ولا يستطيع فهم لهجة أهل البلد .. كما أنهم لا يطيلون الحديث معه وقليل من الكلام وحركة الشارع بطيئة ولا توجد نساء يسرن في الطرقات وإذا وجدت فهى ملفوفة ومغطاه ويسير معها رجلان أوثلاثه يشبهون الممثل فريد شوقى في فيلم الفتوه عندما كان يقوم بدور صعيدى أو الممثل رشدى أباظه في فيلم صراع في النيل مع هند رستم وعمر الشريف .

جلس يسترجع ذكريات بلده الإسكندرية وكان يسمع الراديو حيث انتهى برنامج إذاعى ويقدم المذيع بعض الأغانى ويسمع المطرب الرائع محمد قنديل وهو يشدو " بين شطين وميه عشقتكم عينيه يا غاليين عاليا يا أهل إسكندريه " قفزت بعض الدموع من عينيه .. تذكر حبيبته وخطيبته سلوى وقد واجه كل تلك الصعاب حتى يقترب منها ويراها يومياً ثم يصل به الحال أن يقضى وقت فراغه بين أربعة حيطان .

يسأل نفسه .. لماذا فعل رئيس مجلس الإدارة ذلك ؟ يرسل بسامى إلى بلدتى ليصبح غريباً بها ويرسلنى إلى بلدته لأصبح غريباً مثله .. نقاسى الغربة .. ماذا فعلنا لأن يمارس سلطته وسطوته علينا يعذب فينا وفى أهلنا وتتبخر مرتباتنا بين السفر والطعام .. الله ينتقم منك يا رئيس مجلس الإدارة وربنا يسلط عليك واحد أكبر منك .

*******

يطلق على المهندس وصفى وأسرته لقب الأسرة السعيدة .. فهو يمتاز كرب أسرة بالهدوء .. فحركته هادئه وكل تصرفاته محسوبة ومنظمة ولا يتدخل في أمور المنزل وبالتالى لا تحدث مشاكل مع زوجته كما يهتم بملابسه وأناقته واعتداده بنفسه وهو غير مسرف .. فليس له دخل آخر غير

راتبه ويقال عنه أنه نظيف اليدين وعف اللسان ولم ينفق على بناته قرشا من حرام كما أنه لا يرضخ للتهديد والوعيد وعدم مخالفة ضميره هى كل مشاكله مع رؤسائه من المرتزقة واللصوص الذين ابتلى الله بهم مصر حديثاً .. كان يجلس فريداً بعيداً عن الضوضاء ويتذكر كيف ان الرشوة والسرقة لم تعد وقفاً على الموظفين الفقراء وأبناء الحرام واللقطاء فقط .. بل انتقل هذا المرض إلى كبار القوم بالوظائف لكنهم حثالة الخلق وارتضوا المهانة والإذلال وأكل الحرام ثم يدهشون لماذا مرضوا وهاجمتهم الأورام السرطانية وانحرف أبناؤهم وسلكت بناتهم طريق الغواية والشر ؟ .. والسبب أنهم خالفوا أمر الله وسنة رسوله الكريم .

ارتضى الرجل أن يعيش على دخله وبارك الله فيه فابنتيه كانتا متفوقتين بالدراسة الثانوية ثم بعدها الجامعية وبقليل من الإمكانيات تعد زوجته أحسن انواع الطعام الشهى الهنىء ولا يشتكون عسر هضم أو توعكا في الصحة فقد أكلوا من مال حلال بذل في الحصول عليه المجهود والعرق .

السيدة مديحة خليل تعمل موجهة بالتربية والتعليم " تدبير منزلى " وقد أفادها تخصصها سواء كربة منزل تجيد شئونه أو تفصيل وحياكة ملابس ابنتيها وهذا وفر للأسرة مبالغ كبيرة كانت ستنفقها في شراء الملابس خاصة ملابس الفتيات المتعددة الأشكال والأصناف والألوان .. ثم أنها لم تكن تستعين بسيدة أو فتاه لأعمال المنزل وحينما كبرت الفتاتان قامتا بجهد معها وكانت صديقة ابنتيها وكان هناك حوار مفتوح لا يعلمه الأب إلا فى ظروف محددة تستدعى علمه وتدخله .. وهى حريصة على إسعاد زوجها وكانت تختار ملابسها بعناية وتجيد استخدام أدوات المكياج مع عدم الإسراف في استخدامه .

نور : هى الابنة الكبرى للزوجين " وصفى ومديحة " وهى فتاة على جانب كبير من الجمال .. متوسطة الطول بيضاء البشرة ذات عيون عسليه

شعرها كستنائى طويل وأنف صغير وصوت رقيق .. من المتفوقات في دراستها وخاصة الجامعية حيث تخرجت فى كلية الآداب جامعة الإسكندرية " القسم الفرنسى " منذ ثلاث سنوات وحصلت على تقدير جيد جداً وكان ترتيبها التاسع واكتفت الجامعة بتعيين الخمسة الأوائل .. وتقدمت لنيل شهادة الماجستير .. حيث ستناقش الرسالة فى العام القادم وكل تقديراتها السابقة إمتياز .. يبلغ عمرها الثامنة والعشرين .. وقد أثر ذلك على أمها التى كانت تعتقد أنها تأخرت في الزواج ولكن هذا كان وضعا طبيعياً لانشغالها بالدراسة أولاً ثم عزوف الشباب عن الزواج لظروف الحرب .. حيث بدأ الشباب بعد انتهاء الحرب في البحث عن شريكة الحياة .. وهى تعمل محررة في وكالة الأنباء الفرنسية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .. ومن أعز صديقاتها .. سلوى وهى خطيبة المهندس مدحت صديق المهندس سامى الحنونى .. ومن أهم هواياتها الرسم بالفحم واشتركت في عدة معارض فنية وفازت ببعض الجوائز .

شمس : طالبة بكلية العلوم جامعة الإسكندرية بالعام الأخير وهى الابنة الثانية بعد نور وتمتاز مثل شقيقتها بالجمال الطبيعى والاعتداد بنفسها وهى صوره مصغرة من نور مع اختلاف بسيط حيث يميل لون شعرها إلى اللون الأصفر مثل والدها المهندس وصفى .

أصبح الشغل الشاغل والحديث المشترك للأسرة هو " سامى الحنونى " بل وكانت الفتاتان تخشيان من حضوره لمنزلهم مثل بعض العاملين الذين يحضرون لزيارة والدهم بمناسبة وبدون مناسبة .. فهم لا يريدون رؤيته .. لكن يكفيهم أن يسمعوا من نوادره وأخباره الفكاهية وخصوصاً عندما تتحدث أمهم مع أبيهم مستفسرة منه كيف يتناول طعامه وإنها لا تعتقد أنه يستطيع الطهى ولذا فيمكن أن تحضره معك في أحد الأيام لتناول الطعام .. يعنى حاجة كده لوجه الله .. كانت الفتاتان تنزعجان وتندهشان من تفكير

أمهما حتى إذا سألاها في إحدى المرات هل إذا حضر ستجلسين معه للترحيب به كضيف ؟ وتنظر لهم الأم ..

بدهشة قائلة : إيه اللى بتقولوه ده .. أقعد معاه إزاى .. دا ضيف أبوكم .. ده إللى ناقص .. وهكذا اقتنعت الفتاتان بأن مثله لا يجب التعامل معه ليس لسبب واضح لكن أمهم استنكرت هذا ولذا لا يبقى أمامهم سوى سماع أخباره ونوادره .

في أول أجازة للزميل مدحت الذى قذف به رئيس مجلس الإدارة إلى قنا بدلاً من الإسكندرية .. ذهب إلى فرع الشركة في الأسكندرية حيث تقابل مع سامى والذى جمع بينهما الظلم قبل المهنة وقد نبه سامى زملاءه في العمل ..

قائلاً : أعرفكم بالولد إللى خد عيار من بارودة رئيس مجلس الإدارة وبعته جنا مضعى وجبنى أنا برضه بعيار من بارودته إهنه مضعه .. رحب به كل من قابلوه وواسوه كما طيبوا خاطر الولد سامى وقدم مدحت الشكر الى سامى لما فعله أهله معه واستضافته يوماً كاملاً وتقابل مع شقيقه سعيد ووالده .

ثم تسائل قائلاً : إيه ياعم العز ده كله ؟ حاجه تفتح النفس .. ربنا يزيدكم وسمعت من الفلاحين عن كرمكم معاهم .. رافق مدحت صديقه سامى حتى يعلم مكان إقامته .

# ( ١٣ )

# موعـد مع الحـب

بعد مرور يومين على تلك الزيارة فوجيء سامى بحضور مدحت إليه مرة إخرى ويخبره أنـه سيلقاه مساءً في محطـة الرمل .. وافق سـامى لكنـه غير في التوقيت حيث كان الموعد قريباً من توقيت آذان المغرب فأراد أن يكون أمامه متسعا من الوقت حتى ينتهى من صلاته .. وافق مدحت على تغيير الموعد مخبراً سامى بأنه سيكون معه مفاجأه سيسر لها كثيراً .

خرج سامى من منزله وهو يرتدى بدلة أنيقة إتقاءً للبرد الذى قد يفاجئه ليلاً حيث ان الوقت هو نهاية شهر نوفمبر وبوادر البرد أطلّت برأسها على سكان الثغر وتوجه إلى ميدان محطة الرمل حيث وصل جامع إبراهيم وبعد قليل أقام الشيخ الصلاة .. وبعد نهاية الصلاه توجه سامى إلى موعد صديقه وهو يفكر ماهى تلك المفاجأة التى أخبره بها صديقه أنـه سيحضرها معه؟ ولكنـه أخرج نفسه من التفكير في كـلام صديقه واندمج فى متابعة النـاس ومشاهدة المارة في سيرهم ومناقشاتهم .. ثم تذكر مدحت واحتمال أنـه يريد أن يعمل معه مقلب من مقالبه التى كان يقوم بها مع الزملاء في الشركة قبل تفريقهم كل إلى مكان بعيد وهو مشغول هكذا سمع من يحادثه من الخلف .

مساء الخير ياولد .. التفت يحادث مدحت حيث أنه يعرف صوته .

صائحا .. مساء الخ ..... وتوقف عن الحديث ( فقد كان برفقة مدحت فتاتان غاية في الجمال ) .

أعرفك ياصديقى العزيز بالآنسة / سلوى خطيبتى ..

" سامى " أهلا وسـهلا .. ثم " وهو يشير " الآنسة / نـور صديقتها .

" سامى " أهلاً وسـهلاً وصـافحته الفتاتـان .. ثم نظر أرضـا كعادتـه عندما يقابل موقفاً لا يستطيع التصرف فيه .

مدحت : سيداتى .. " إحتجاج من الفتيات " آسف آنساتى هذا هو المهندس سامى القناوى الذى أبعدنا رئيس الشركة عن بعضنا وعن أهلنا .. رفعت سلوى يدها إلى السماء تطلب من الله أن ينقل خطيبها مدحت إلى فرع الشركة هنا حتى يكون بجوار صديقه وأمن على دعائها مدحت بينما اعترض سامى بأن الولد لو إنتجل هنا حيضيع الشركة وضحكت مجموعة الشباب .

نور تنظر إلى سامى وتحادثه قائلة : أنت على كده مع بابا في نفس الشركة .

نظر إليها سامى قائلاً بابا .. مين بوك ؟

أشار إليه مدحت قائلاً : حيلك عليها .. متخوفهاش منك .. دى ياسيدى بنت المهندس وصفى مدير فرع الشركه ..... تعرفه ؟

ضرب سامى يده في رأسه قائلاً : يابوى المهندز وصفى مافيش زيه .. راجل زين والله " ناظراً " جهة نور .. صُح .

مدحت وسلوى : يجيبان في نفس اللحظه صُح .. بينما نور تحاول إخفاء ضحكاتها دون جدوى .. توجه مجموعة الشباب إلى أحد المحلات الراقية وتناولا بعض الحلوى ومشروباً ساخناً يناسب برودة الشتاء .

سامى يتحدث بعفوية لشعوره بالوحدة وفجأة اجتمع مع صديقه وخطيبته وصديقتها التى شعر أنه يعرفها من قبل فهى ابنة مديره .. حديث سامى شيق يجذب آذان مستمعيه حيث يسمعهم بعض أخبار الصعيد التى هى غريبه عليهم أو محببة إلى مسامعهم وخاصة اللهجة الصعيدى التى لم يستطع التخلص منها لشعوره بأن من يفعل هذا فقد ضاع شرفه وكبرياؤه أما مستمعوه فقد كانوا في منتهى السعادة من حديثه الشيق .. وبعد هذا اللقاء الممتع افترق سامى عنهم حيث سيتولى مدحت توصيل الفتيات إلى منازلهن.

وصلت نور إلى منزلها وكانت الأسره مستيقظة فألقت عليهم تحية المساء ودخلت حجرتها لتبدل ملابسها ثم عادت وجلست تحادثهم .. كان واضحاً على الأسرة أن نور قد أمضت أمسية سعيدة من تورد وجهها ولمعة عينيها وبريقهما الصافى .. بادرتها أمها بسؤال : باين عليك مبسوطة الليلة دى يا نور ..

قالت نور مبسوطه .. مبسوطه دى شويه .. قولى سعيدة .. طايره من الفرح .. الكل ينظر لها وهى تتحدث بانفعال وظهرت عليهم علامات الدهشة .. نظر إليها وصفى ليعلم كل تلك الظيطة التى أخرجت ابنته الرزينة من هدوئها .

خير يا نور ؟

أجابته : بابا .. أنت عندك مهندس في الشركه مش ممكن على حلاوته وطعامته وخفة دمه .. وظريف جداً ولطيف جداً .. تصوروا أنا وسلوى وخطيبها مدحت ما بطلناش ضحك من ساعة مقعدنا لحد ما روحنا .

سألت شمس .. مين المهندس ده يا نور ؟

نور : بيشتغل مع بابا .. لازم بابا يعزمه على الغدا مرة وتشوفوه وتسمعوا كلامه مش ممكن عليه .. مش حتبطلوا ضحك !

قالت الأم إيه يابنتى .. آراجوز ؟

نور .. لا يا ماما .. لا ده محترم جداً وعنده شخصية قوية لكن لهجته حلوه زى ما بنكون مبسوطين من لهجة الخواجات .

سألتها .. أمها .. مين هوه ده يا نور ؟

قالت .. المهندس سامى .

حيث قال الجميع المهندس عكسى ولكن الأب .

قال مصححا المهندس سامى الحنونى .

******

كما سبق القول بان " سنيورا لوو " كانت تصوم بعض أيام شهر رمضان المبارك لتشعر بألفة مع " على الحنونى " وأسرته وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم بدون توجيه أو ضغط وإنما هو نوع من الفكر الإنسانى الراقى فى أن تتخرط مع الآخرين في سلوكياتهم الرفيعة وخاصة إنها عاصرت والديها وكانت تعلم أن ديانتها تشمل من ضمن العبادات الصيام رغم اختلافه في الديانتين لكنها أوامر من عند الله وهذا الرب واحد للديانتين .. ألا يؤمن المسلمون بأن يسوع نبى وأنه معجزة من معجزات الرب لذا فلا داعى لأن نقسم عباد الله بأقسام مختلفة وظهر هذا عام ١٩٣٧ عندما حضرت " أم عاشور " والدة " على " إلى منزل " دوكيا " لخطبة ابنته " لوو " إلى صغيرها " على " وعلمت من الأم المتحضرة " مارتا " أن ابنتها تصوم بعض أيام رمضان حتى تتعود على مشاركة أهل زوجها على ما يتبعونه من عادات وتقاليد لديانتهم وكانت سعادة الجميع بذلك عظيمة ليس لأنهم يريدون منها أن تعتنق ديانتهم فهذا لن يزيد في عدد المسلمين ولكن للشعور المتجاوب وقد يكون هذا سبباً رئيسياً أن الزوج " على " لم يطلب من زوجته أن تُسلم وتغير ديانتها وقد يكون هذا رد فعل من السيدة " لوو " أنها كانت تدرس وتعى ما هو هذا الدين حيث يكون قرارها نابعاً من العقل والقلب معاً حتى يكون إسلامها حنيفاً لله عز وجل وأن إسلام شخص أو عدم إسلامه سيعود عليه هو لأنه ببساطة أمر إلهى ولذا فأنت تنفذ أو تخالف الله وحده ولست تخالف المسلمين .

" على " لم يكن يشعر بحرج لأن زوجته لم تعتنق الإسلام بعد .. فهو والجميع يعلمون ذلك وليس حدثاً جديداً عليهم ورغم هذا لم يشاهدها خلال شهر رمضان في كل الأعوام تأكل أوتشرب نهاراً حتى في وقت السحور كانت تقوم معهم منبهة أبناءها للسحور ومحذرة من الكسل والخمول .. ويعتبر تصرف " على " أو باقى الناس مع الأجانب سلوكاً راقياً بثه

الإسلام في نفوس المسلمين المعتدلين وهى من صفات الشعب المصرى الذى استقبل منذ أكثر من قرن مضى هجرة العائلات الأرمنية هرباً من قسوة الأتراك رغم أن الترك مسلمون وهم مقر الخلافة الإسلامية وأن الأرمن هم مسيحيون ولكن الإسلام " شعاره الذى ذكر في القرآن الكريم .. لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي لكم دينكم ولي ديني "

في عام ١٩٦٨ ظهرت نتيجة الثانوية العامة للابن الرابع وكانت الفتاة " سيده " وحصلت على مجموع كبير أسعد الأم " لوو " سعادة كبيرة لم تفسرها لمن حولها ولكنه كان واضحاً أن سيدة الحنونى أشبعت رغبة الأم التى لم تحصل على تعليم في المدارس لظروف نشأتها بالصعيد بل قد يكون أيضًا أنها أرادت أن ترسل برسالة إلى العائلات الصعيدية وخاصة السيدات والبنات ها هو المثل أمامكن بأن واحدة منكن سوف تلتحق بالجامعة وبكلية الطب التى تشترط أعلى الدرجات وقد حدث هذا مع الفتاة ولم يحدث مع أشقائها الثلاثة وهم رجال .

كان الجميع يشعرون أن " سنيورا لوو " في حالة من النشوة والسعادة لم يألفوها من قبل رغم ظروف الحزن التى كانت تغلف مصر كلها لظروف الهزيمة .. تركتهم يعدون الشربات احتفالاً بنجاح كبرى بنات الأسرة ودخلت إلى حجرتها وهذا معناه عدم إزعاجها ولكنها تركت الباب مواربا وأيضاً هذا معناه إمكانية دخول البنات حجرة الأم .

لفت هذا نظر سيدة التى لاحظت كما لاحظ الجميع صمت الأم رغم مظاهر السعادة عليها ولكنها كأى فتاه نجحت وتفوقت تريد المكافأة من والديها وخاصة الأم .. بعد قليل تسللت سيدة إلى حجرة أمها بهدوء حتى لا تزعجها وشاهدتها وتسمرت في مكانها .. ثم عادت لاهثة فرحة تستجمع شتات فكرها المضطرب وخرجت إلى الفراندة حتى هدأت وهى تناجى نفسها .. ما هذا ياأمى ؟ إن سعادتى بما رأيتك عليه يفوق سعادتى بالنجاح والتفوق .. آه أمى الحبيبة .. وترددت هل تخبر أحدا بالمنزل أو تحتفظ بهذا

السر المفرح .. لكنه يجب احترام خصوصية الآخرين حتى لو كان يخص الجميع .

عندما فتحت " سيدة " الباب الموارب " نصف فتحة شاهدت أمها " لوو " تقف على سجادة الصلاة تصلى لله دامعة العين شاكرة فضله على نعمته عليها وعلى أسرتها طالبة منه المغفرة عن أى ذنب قد اقترفه أحد أفراد أسرتها .. و كانت تناجى ربها بلهجتها المتواضعة في العربية .. كانت خاشعة عابدة مستكينة .

عندما تتذكر سيدة هذا الحدث الهام في حياة أسرتها .. بل في أسرة الحنونى توضح لإخوتها ما كانت عليه أمها وكيف أنها شاهدت ورأت وتأكدت من وجود هالات بيضاء حول أمها وأنها لم تستطع أن تتصرف أو تقول شيئا عن هذا لأنها تأكدت أن الملائكة متواجدون معها فى حجرتها اثناء صلاتها وتقربها من الله.

في اليوم التالى سافرت سيدة إلى دشنا لسحب أوراقها من المدرسة لتقديمها إلى الجامعة وبعد ذلك توجهت إلى إحدى المكتبات وابتاعت بعض الكتب الدينية للصغار والمبتدئين في دراسة الدين من وضوء وصلاة وبعض قصار السور ثم توجهت إلى أحدى المحلات وإشترت طرحة حتى تغطى " لوو " رأسها بالطرحة بدلاً من طاقية على الحنونى التى كانت ترتديها وهى تصلى .

عادت الفتاة إلى العزبة ودخلت على أمها مقبلة يدها وأعطتها ظرف الأوراق قائلة لها : شوفى شطارة بنتك " مام " ووضعت باقى الأشياء بجوارها مستأذنة منها لأخذ حمام من عناء السفر وحرارة الطقس .. تركت " سنيورا لوو " ظرف الأوراق ونظرت إلى الكتيبات الصغيرة وهى تطالع في عناوينها بصعوبة ولكنها أدركت محتوياتها وفهمت أن ابنتها قد تكون علمت بما هو بينها وبين الله .. عادت الفتاة إلى حجرة أمها .

تسألها : هل أعجبتك درجاتى ؟

ولكن " لوو " أجابتها لم أقرأها ثم سألتها لمن هذه الكتب " سيدة " حيث كانت دامعة العين وهى تحادث ابنتها .

سيدة : آسفه مام لقد اشتريتها حتى يقرأ فيها الجميع .

أشارت " لوو " إلى ابنتها .. أى تعالى وإجلسى بجوارى .

ثم قالت : سيدة عايز اعرفك خبر وسر ..... وقصت عليها قصة إسلامها منذ عشرة أعوام أو يزيد كما أنها تواظب على الصلاة والصيام وحتى إعطاء أموال للفقراء في رمضان .. ثم تكمل .. كمان سيدة أذبح هروف في عيد كبير .. ده كفاية سيدة أن أكون مسلم ؟ .

قالت الفتاة : مام .. هذا عظيم لكن لابد من إعلان إسلامك على يد الشيخ .. سكتت " لوو " قليلاً قائلة : إبعت هفير يهضر " سنيوريه شيه عبد الله "..

لكن سيدة أخبرت أمها أن إعلان الإسلام لابد أن يكون في مشيخة الأزهر في القاهرة ..

لوو : هذا عظيم سيده .. إهفظ كلام سواسوا وهصوصا البابا " على " يكلم كتير وبعد إعلان إسلام عند واهد شيخ كبير في قاهرة كله يعرف .. واهد بس يعرف يقول للناس .. سنيوريه هنونى يكلمتوا كتير زى فراه "فراخ"!

في الموعد المحدد سافرت " سنيورا لوو " بصحبة ابنتها سيدة لتقديم الأوراق لمكتب التنسيق حيث تعدى مجموعها ٩٣ % وكانت الرغبة الأولى كلية الطب جامعة القاهرة .. وفى اليوم التالى أخبرت الأم ابنها سعد والذى فرح كثيراً وظهرت علامات الفرحة على اسارير وجهه .. واحضر تاكسيا وتوجهوا سوياً إلى مشيخة الأزهر حيث قابل المسئولين عن ذلك

ودربها ابنها وابنتها على كيفية ترديد الشهادة خلف الشيخ .. وبعد أن انتهت " لوو " من قراءة الشهادة استلمت شهادة تفيد اعتناقها الإسلام .. وقد اختير لها اسم إسلامى لها وهو لبنى ليتمشى مع اسمها الأول " لوو " .

بعد عدة أيام قضتها " لبنى " في القاهرة وهى مسلمة الديانة وتغطى رأسها بطرحة زارت خلالها مساجد المشاهير وأولياء الله الصالحين والتى تزخر بهم القاهرة وبدأت بسيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة ومسجد محمد على ومسجد عمرو ابن العاص وغيرها من أماكن الصلاة التى يسعى إليها الناس .

بعد يومين عادت " لبنى " إلى العزبة ومعها ابنها وابنتها قادمين من القاهرة وكان الحنونى الكبير يجلس في الفراندة ولاحظ أن زوجته ترتدى طرحة تغطى بها رأسها خلافاً لما اعتادت عليه .. جلست تستريح من عناء السفر حيث كان كل من سعيد وسامى في أجازة من وحداتهما العسكرية .. أخبرت لبنى جميع افراد الأسرة بقصة إسلامها التى فوجىء بها وصاح " على " .. الله أكبر .. وقد كررها عدة مرات حتى حضر الخدم والخفراء يستطلعون الأمر وقد أبتهج كل أفراد العزبة لهذا الخبر حتى المقدس شوقى الذى هنأها على ذلك وقد استمرت الأفراح بالعزبة حتى منتصف الليل وقد أمر " على الحنونى " بذبح ثلاثة عجول توزع على كل من بالعزبة والعزب المجاورة .

عرض بعض الفلاحين اقتراحاً إلى " على الحنونى " بعمل مقام تدفن فيه الشيخة " لوو " بعد عمر طويل لأنها بركة ومن محاسيب " أم هاشم " السيدة زينب رضى الله عنها ويعمل لها مولد كل سنة مثل مولد الشيخ عبدالرحيم الجناوى .. مدد مدد .. سمع الحنونى هذا الكلام .

وقال : لمحدثيه روحوا لها الدار وخبروها ولكنهم خشوا غضبها حيث أنها لا تقتنع بمثل تلك الاحتفالات .. لكن المؤكد أن الله بارك بعد هذا العام في إنتاج عزبة الحنونى .

أصبحت السيدات في العزبة قريبات من السيدة " لبنى " فلقد شعرن أن هذه السيدة بركة وسرها باتع والذى تتحدث عنه يتم ويحدث وقد دفعهم هذا إلى أخذ أطفالهن المرضى إليها حتى ترقيهم من لمس الشيطان والأسياد وقد حذرتهن من هذه الخرافات وهددت بطرد من يلجأ لمثل ذلك وقررت إنشاء عيادة صحية لعلاج تلك الأمراض .

# ( ١٤ )

# صُـــدفـة

" كان يوم حبك أجمل صدفة" هذا هو بداية من مقطع لأغنية المطرب الراحل عبد الحليم حافظ .. وهذا ما حدث بين نور وسامى الحنونى .. فقد تقابلا لقاء المصادفة حيث كان سامى عائداً الى مسكنه ونور عائدة من زيارة جدتها لأمها السيدة مديحة .. الوجه في مقابل الوجه الآخر حيث بدأته نور قائلة :أنت وهى تشير بأصبع السبابة جهته .. وهو بدوره ابتسم لها قائلاً أنتِ .. ضحك الشابان لهذه المصادفة الغريبة ولم يطيلا الحديث حيث كانت برودة الشتاء مانعة لهما والوقت ليلاً وسار معها إلى محطة الترام حيث ودعها واستقلت الترام عائدة إلى منزلها بينما عاد سامى إلى شقته وأبدل ملابسه وتناول عشاءه وجلس في سريره مدثراً من البرد وفتح الراديو لسماع بعض الأغانى المحببة إلى قلبه وعقله وأعد كوبا من الشاى يدخل الدفء إلى جسده ويوزن دماغه كما يقولون في بلدته .

ثم حدث نفسه قائلاً " البنية نور دية زين وصُح .. يابوى دية حلوه جوى وأبوها راجل صُح .. إيه .. ربنا يجدم المعروف ويتمم كل حاجه في بالى على خير ثم تنهد " وقام من جلسته وأغلق الراديو ودخل إلى حجرته لينام .. نام فى سريره مفتوح العينين وتذكر بلدته ووالده ووالدته وإخوته خاصة الصغرى سنية التى كان يحب اللعب معها في كل زيارة للبلد .

يوم الجمعة الذى تلى الأسبوع الذى تقابل فيه كل من سامى ونور مصادفة وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة توجه سامى إلى أحد محلات بيع وإعداد الأسماك ليعدوا له غداءه كما نصحه بعض الزملاء في الشركة .. وقف ينتظر الانتهاء من تمام نضج السمك مع بعض الزبائن .. شاهدها أمامه " صدفة " مرة أخرى وابتسم لها ..

قائلاً : حظى زين يابوى .. ولفت هذا نظر الموجودين بالمحل وكان بادياً على نور السعادة حيث لاحظت اهتمام الفتيات الموجودات بالنظر إليه وهن يتحادثن همساً مع الصديقة أو القريبة كما أنها شعرت أن العناية الإلهية معها فهذين اللقاءين في أسبوع واحد .. وزادت سعادتها عندما لاحظت سعادته التى تكون واضحة على وجهه الأبيض وتورده بحمرة الخجل والانفعال .

كانت سلوى صديقتها بعد لقائهما الأول مع سامى ومدحت هى التى نبهتها إلى أن سامى وسيم جداً لدرجة تلفت أنظار النساء الموجودات في نفس المكان معه وتأكدت بأن سلوى محقة في ملاحظتها فها نحن نتحدث سوياً لكنه محط أنظار السيدات والفتيات .

انتظر سامى بعض الوقت حتى ينتهى العاملون بالمحل من إعداد سمك " نور " ويتم نضجه .. وبعد أن أنهى المحل ما جاءت إليه خرج الاثنان سوياً إلى الشارع حتى قابلتهما نسائم شتاء الإسكندرية وشعرا أن البرودة شديدة لدرجة تجمد أطرافهما الرقيقة ولكن قلوب المحبين الدافئة كانت تقاوم هذا الصقيع الشديد .. وكان هذا اليوم بداية لسريان دماء الحب المتدفقة في قلوبهما البيضاء التى لم تتلوث بعد بالكره أو بالبغض .. يسيران قليلاً ويقفان كثيراً لا يتحدثان ولكن شفاههما تتحرك حركات الابتسامة التى هى أغلى من الكلام فالعين تسمع وترى وقد أعطيت آذانهما راحة وبقيت لغة العيون التى تترجم لكل منهما ماذا يريد ؟ وماذا قال ؟ وما يجب أن نقوله ؟.

تنبها من عالم سحرهما إلى ذرات مياه الأمطار التى تنبه كثيراً من الأحباء والعاشقين ونظر كل إلى صديقه حيث قالا : إحنا رايحين فين ؟ وابتسما وتضاحكا ثم أكمل سامى : حاوصلك محطة الترام .. الجو النهارده برد جوى .. نظرت إليه قائلة : والسمك حيتجمد وبابا وماما وشمس أختى مستنيين في البيت علشان يتغدوا .. ودع كل شخص الآخر .

عادت نور إلى منزلها ومعها الطعام ورغم برودة الطقس كان وجهها تكسوه حمرة السعادة فلاحظت والدتها ذلك واستفسرت منها :

الأم : باين عليكى مبسوطة النهاردة يا نور ؟

أجابت وهى تبتسم : النهارده بس ! قولى كل يوم .. كل ساعه .. شعرت الأم أن وراء كل هذه التغيرات من انتعاش وسعادة وضحك قصة حب تنسج خيوطها منذ عدة أيام ولكن اليوم أضيف إليها المزيد من الوقود .. إنها الأم التى تفهم أبناءها وبناتها وتعرف كل تصرف وأثره على وجوهم .. إننى أكاد أن أجزم أن شيئاً حدث اليوم ونور تشترى السمك .. حضرت نور تساعد أمها في استكمال باقى الطعام لوضعه على السفرة بعد أن أبدلت ملابسها .

فاجأتها أمها بسؤال .. نور مافيش أخبار عن المهندس الصعيدى صاحب مدحت ؟ وكأن هذا السؤال هو الذى فتح حنفية المعلومات التى تقولها نور لأمها حيث ..

قالت : مش حتصدقى ياماما .. قابلته .. قابلت سامى النهارده يا ماما في محل السمك . أكملت الأم حديثها وهى تدارى ابتسامة خبث أن استطاعت استدراج نور في الحديث عنه وأكملت هوه ده يعرف في السمك وأنواعه ؟ مش كنت تساعديه .. ده برضه غريب .

نور : أنا يا ماما لما دخلت محل السمك أشترى كان هو اشترى وخلص .

الأم : شاطر خلص وروح بدرى يتغدى ..

نور : مقاطعة وموضحة : لا يا ماما .. تصورى فضل مستنينى لحد مخلصوا السمك بتاعى وخرج معاى لحد محطة الترام والبرد كان شديد وباين عليه سقعان .

الأم : وهى لا تزال مشغولة بعملها : ياعينى يا ابنى ( مبتسمة ) .

بعد الانتهاء من تناول طعام الغذاء ونقل الأطباق الى المطبخ فاجأت نور أمها باستفسار : ليه مش بتعزموا سامى على الغدا مرة ؟!

وتجيب الأم سامى .. سامى مين ؟

نور : إيه يا ماما لحقتى تنسى " المهندس سامى " صاحب مدحت خطيب سلوى صحبتى اللى مع بابا في الشغل .

تتنبه الأم : آه الصعيدى .

تنظر لأمها بادياً عليها الضيق وتحدثها ضاغطة على حروف كلماتها : أيوه الصعيدى .. الأم طيب حشوف الحكاية دى مع أبوكى .

في حجرة النوم .. الأم مديحة جالسة شاخصة البصر أمامها ولا تحرك عينيها وقد ثبتتها على الحائط المقابل بينما زوجها وصفى دخل في فراشه مطلقاً صفارة بداية الدورى العام حتى تسمعها أندية الجمهورية ..

مديحة : وبعدين يا نور .. أنا شيفاكى مشغوله لشوشتك بالمهندس الصعيدى الغلبان .. مش معقول يا نور تجوزى واحد صعيدى تلقيه بيروح الشغل بالجلابية .. حد يقول الكلام ده .. الشباب زى الورد كان واقف على باب عتبة بتنا كل يوم .. حيجيلك شاب زى الفل زى مدحت خطيب سلوى صحبتك .. وأنت أحلى من سلوى وأبوك مهندس كبير لكن أبو سلوى كاتب في الجمرك .. لا لا لا يا نور مش كده .

كانت السيدة مديحه أسيرة السينما المصرية التى أظهرت الأفلام الكوميدية عن أهل الصعيد سواء في زيهم وتصرفاتهم وحديثهم بنوع من السخرية للغرض الدرامى أو الفكاهى ولأن الصعيد بعيدة المسافة عن باقى مصر ولا احتياج للناس للذهاب إليه مثل الاسكندرية فقد بقيت صورة الصعيدى في السينما مسيطرة على عقول المصريين .. حيث يضحك عليهم النصابون ويبيعون لهم الترام أو ميدان العتبة ويقال أن أحد النصابين كان سينجح في بيع حديقة الحيوان لأحدهم لولا أن المشترى الصعيدى اكتشف

وجود ثلاثة حيوانات من نوع سيد قشطة " فرس النهر " لكن الصعيدى كان يريد أربعة من هذا النوع وحاول البائع " النصاب " أن يقنعه بخصمهم من الثمن المتفق عليه وهو يذهب لشراء ما يريده ولكن الصعيدى أقسم برأس والده أنه لن يشترى وأنه الآن سيتدلى إلى " الكفر " في انتظار وصول الحيوان الرابع .. وقد وعده النصاب خيراً حيث سيتزوج إحد تلك الحيوانات العام القادم وتلد الأنثى بعد عام وبعدها بثلاثة أعوام يكون بالغاً تستطيع إعطاءه لابنك ليلعب به وقد سر الرجل الصعيدى قائلاً : أنت راجل زين علشان آجى بعد أربع سنين ويبجى عيالى بجوا سته يابوى .. السلام عليكم .. وتركه وانصرف .

في اليوم التالى تحدثت مديحة مع زوجها وصفى عما دار بينها وبين ابنتهما نور .. ثم علقت على هذا قائلة : ويظهر إنها ميالة من ناحيته شويه ومهتمه بيه .

ابتسم الأب قائلاً : مش ممكن حتبص لواحد زى سامى بعد ما رفضت كل الشباب الحلو إللى يفرح .. لأ لأ لأ .. إنتى فاكره الدكتور رؤوف والا المحاسب فريد في البنك الأجنبى وبيقبض بالعملة الصعبة والا حسنى ابن السفير خليل .. كانوا شباب ولاد ناس ولهم مناصب وشكلهم يفرح وبيعرفوا يلبسوا ورغم كده موافقتش عليهم وبعدين تيجى تقولى إنها ميالة للراجل الطيب إللى عندى إللى نسأله ساكن فين يرد ويقول .. ساكن في رشدى أباظه !

مديحة جالسة تستمع لحديث زوجها وقد تغير لونها إلى اللون الأصفر وتلاحقت أنفاسها ثم سألته : يعنى يا وصفى عايز تقول إن المهندس سامى إللى البنت ميالة له أقل من الشباب اللى جم لنور ورفضتهم أو ماوفقتش عليهم ؟

يجيب وصفى: لا لا لا .. الحكاية مش كده .. دول شباب فيهم من عاش في المدينه ومنهم من سافر بلاد بره مع أهله في الصيف أو مع الجامعة .. يعنى عرف الحياة لكن صاحبنا التانى ميعرفش غير شغله وبس

ظهر على وجه مديحة الضيق مما سمعته من زوجها لكنها أرادت مثل كل النساء أن تعطى هى الرأى في الإنسان المتقدم لابنتها أو الذى تعلقت به وهى تعلم أن الرجال في حكايات الزواج لخمة ورأيهم مش سليم ولهذا طلبت من زوجها أن يدعوه إلى طعام الغداء محددة أن يكون هذا في يوم الجمعة القادمة ولا داعى للتأخير حتى لا تزداد تعلقاً به .

مديحة تسأل زوجها يومياً .. وصفى هل أخبرت سامى بموعد الغداء ؟ ويجيب الرجل معتذراً متعللاً بأنه قد نسى وهكذا حتى حل يوم الخميس صباحاً مؤكدة عليه أن هذا آخر يوم عمل إلا إذا ذهبت لمقابلته في المسجد بعد صلاة الجمعة وتحضره معك وقد ضايقه هذا الاقتراح الذى قالته زوجته ولكنه لم يكن اقتراحاً بل كان تهكماً وقد دفعه هذا لأن يرسل في طلب سامى سائلاً إياه إن كان مرتبطاً بموعد باكر الجمعة بعد الصلاة وقد نفى الشاب ارتباطه بأى موعد .. أخبره وصفى بأن عائلته تنتظره غداً عقب الصلاة ليتناولا طعام الغداء سوياً وقد قبل الشاب الدعوة كما زوده وصفى بالعنوان ووصفاً للمنطقة .

لم تهتم السيدة مديحة بأصناف الطعام فهى ليست عزومة بالمعنى المتعارف عليه بل غداء الأسرة مع زيادة شخص آخر وهذا نابع من أن القادم لهم سيفاجأ بالمستوى الرائع ولهذا فلا داعى لتحميله إبهاراً فوق إبهار .. وصل سامى الحنونى ليس لمنزل المهندس وصفى رئيسه في العمل ولكنه كان مسحوباً بجاذبية القلوب إلى قلب الحبيبة نور وقد أسعده أن يسمع أغنية عبد الحليم حافظ :

اسبقنى يا قلبى إسبقنى ع الجنة الحلوة إسبقنى

اسبقنى وقل لحبيبى أناجاى على طول ياحبيبى

وقف سامى أمام باب شقة المهندس وصفى ومكتوب على بافطة صغيرة من النحاس اسمه ووظيفته .. ضغط ضغطة صغيرة على الجرس والتى فتحته هى " شمس " حيث حياها وأدخلته حجرة الصالون ولحق بها والدها ورحب بضيفه سامى شاكراً له تلبية الدعوة وبعد قليل حضرت الأم التى وقف الشاب مرحباً بها ومقدماً لها باقة من الزهور والتى شكرته عليها كثيراً .. وقفت السيدة مديحة وابنتها شمس ناظرين له بدهشة .. ثم حضرت نور ورحبت به أيضاً ثم أشارت السيدة للجميع بأن المأدبة جاهزة حيث جلس الجميع لتناول طعامهم .. كانت السيدة مديحة قد وضعت الشاب تحت أجهزة فحصها وما زالت .. بدا البعض في تناول طعامه ولكن سامى كان مشغولاً بهمهمه لقراءة بعض أيات من سورة الأنعام .

من المعروف عن سيدات الإسكندرية البراعة في إعداد الطعام وأسلوب تقديمه وكانت السيدة مديحة مثلهن .. فى أثناء تناول الطعام مازالت السيدة مديحة تراقب الشاب وطلبت منه أن يتناول طعامه براحته مثل ما يفعل في بلدته ولا يتعب نفسه في استخدام الشوكة والسكينة .. وأجابها بأن هذه هى الطريقة التى يتناول بها طعامه .

كان الجميع يتحدث أثناء تناول الطعام باستثناء سامى الذى لم يتفوه بكلمة حتى الأسئلة التى تلقيها عليه سيدة الدار كان يرد بإيماءة بسيطة من رأسه أو يقول بعد الغداء .

بعد الطعام غسل الجميع ايديهم وافواههم ليتخلصوا من بقاياه .. وجلسوا في غرفة الصالون يتحدثون .. ثم أجاب سامى على أسئلة السيدة مديحة سؤالاً سؤالاً ولم ينس أى سؤال وقد أسعدها هذا كثيراً وسألته لماذا لم تجب في حينه ؟ أكنت تفكر في إجابة ؟ ولكنه أوضح لها أن الإسلام نبه الجميع على احترام الطعام وخاصة أنه يعتبر عوره فقد يظهر مساوىء البعض ويظهر الطعام والإنسان يتحدث وهذه كلها أمور يجب معالجتها .

شعر الجميع أن اللقاء ممتع وكان هذا بادياً على سامى الذى شعر بالجو الأسرى حيث يعيش منذ شهور عدة بدون عائلة وأنه وحيد في هذه المدينة

.. وأضاف لقاء اليوم البعد والدفء العائلى الذى كان يتوق إليه وشكرهم على استقباله وودعوه وغادر منزلهم .

في حجرة نوم الأب والأم .. مديحة تخاطب وصفى .

قائلة : مش معقول على حلاوة الواد وشياكته وذوقه وجايب ورد وزهور جميلة ولا مسكته للشوكة والسكينة ولا نجوم السينما .. لا لا لا .. ده حاجة تانيه وتقولى اللى جم أحسن .. ده محصلش ومش حيحصل .

أجاب وصفى : لا حاجة تانيه ولا تالته عزمناه زى ما طلبتى وكفاية على كده ومش عايز دوشه وززززن أصل أنا عارفك لما تحطى حاجة في راسك قول ياالله السلامه .. نظرت إليه زوجته بدهشه .

قائله : إيه اللى بتقوله ده ؟ الواد مايخرجش من إيدينا .. والمثل بيقول إخطب لبنتك وما تخطبش لابنك .

وصفى بضيق : مديحه ملوش لازمة الكلام ده .. وده سابق لأوانه وخلى الحاجات دى للزمن يعمل اللى يعمله .. تثاءب الرجل قائلاً : ما أقوم أريح الشوية بتوع الضهر .. وقام ليستريح بينما جلست مديحة تتذكر كل ما قاله ضيفهم وحديثه وتصرفاته إنه شاب ساحر قلما شاهدت مثله رغم أنه يتصرف بتلقائيه إلا أنه كان منمق الحديث ولم تخرج من فمه كلمة تؤخذ عليه وكان مجاملاً للجميع بل لم يركز في حديثه أو نظراته على نور رغم شعورها بمدى اهتمامه بها حيث كانت قد وضعت له صورة باهته في خيالها بعكس ما شاهدت وسمعت .. آه إنه زوج مناسب لابنتها الكبرى نور .. فعلا يحق لها أن يثير خيالها وفكرها لمن في عمرها ولا ترغب إلا في الاقتران بمثله .

الفتاتان في حجرتهما وكل تنظر إلى الأخرى تريد منها التحدث عما حدث ظهر اليوم من هذا الضيف الرقيق الذى تناول معهم طعام الغداء وقد سعد به الجميع . نور سابحة في فضائها الساحر وتفكر وتتذكر وتتأمل .. ألم يحضر لزيارتهم هذا الشاب الرقيق من أجلها .. أكيد من أجلها وليس من

أجل شيء آخر .. صحيح إنها أقنعت والديها بدعوته ولكن الدعوة بدون إعجاب منه لم تكن بهذه النعومة الجياشه في حديثه وتصرفه .. تسكت قليلاً كأنها تستجمع الأفكار والأحداث .. نعم أنه من أجلها ولكن هل يشعر هو في مكنون نفسه بما تشعر به تجاهه .. هل يبادلها المشاعر والأحاسيس التى بدأت تشعر بها تجاهه ؟ إنها كانت تشعر به وهو يختلس النظرات إليها من حين لآخر حتى إذا وجه إليه سؤالاً نظر اليها قبل أن يجيب بما يعنى ما رأيك هل أجاوب أم لا ؟ .

أما شقيقتها الصغرى شمس فإنها في منتهى السعادة والمرح .. كيف لا وقد شاهدت الشاب الذى استحوذ على قلب شقيقتها الحبيبة نور وإذا حدث وتم المراد فسيكون زوج شقيقتها وأحد أفراد الأسرة إنها لم تره قبل ذلك ولكنها تسمع عنه والسمع شيء والرؤيا والمجالسة شيء آخر .. إنها فتاه وتشعر بشعور المحبين إذا وفقا في مقابلة المحب الذى يستحق قلبهم وحبهم .. أنه وسيم إلى أبعد الحدود وقد انتقى ملابسه بذوق عال يدل على ذوق راقى الدرجة كما أنه تصرف تصرف الجنتلمان حينما حضر وفى يده باقة من الزهور لربة المنزل قلما يفكر الرجال في مثل تلك الأمور التى تسعد النساء والفتيات لان مشاعرهن وأحاسيسهن تتحرك نحو الجميل والموسيقى والكلمة الحلوة .. إن سامى شاب كامل الأوصاف كما يقول عبد الحليم حافظ " كامل الأوصاف فتنى " لا ينقصه سوى السيارة فهو يقيم في أحد أرقى أحياء المدينة وبأحد مبانيها الحديثة رغم أنه مهندس مبتدىء .

وضعت نور شريط كاسيت مسجل عليه بعض الأغانى وانسابت أغنية عبد الوهاب " أنا والعذاب وهواك .. عايشين لبعضينا .. آخرتها إيه وياك يالى أنت ناسينا " استلقت نور على سريرها مخدرة لمعانى الأغنية ولحنها الرائع وصوت المطرب الذى يدغدغ القلوب المرهفة .. نامت مقاطعة سريرها حيث رأسها في ركن السرير وقدميها في الركن المعاكس .. انتهت الأغنية وأطبق صمت تام على الحجرة وعلى الفتاتين ثم سمع صوت نور وهى تعيد غناءها بصوتها المعبر عما يعتمل في قلبها الغض فوصل

صوتها الرقيق إلى أذن أمها وحضرت ودخلت الحجرة تسير الهوينا حتى لا تنزع عصفور الجنة من أحلامها .

أشارت الأم إلى ابنتها شمس بأن تتبعها إلى خارج الحجرة تاركة شقيقتها في أحلامها ونظرت مديحة إلى شمس نظرة ذات معنى .. الآن بدأت قصة حب بين نور وسامى .. غلبها النعاس بهذا الوضع وراحت في عالم آخر يتمنى أى إنسان أن يصل إليه ويعيش فيه .

أما الحبيب سامى فقد خرج من منزل الحبيبة وأيقن أن الفتاة تبادله حباً بحب فقد لاحظ اهتمامها به وكان يسير على كورنيش البحر في شتاء يناير ورذاذ الموج يقذف وجهه الملتهب من شعور الحب بماء بارد قوى وهو يسير منفردا في هذا المكان وينظر إليه الناس متسائلين كيف يسير هذا المجنون قريباً من البحر ولكنهم لايعلمون ما بداخله .. أليس الحب نوعاً من الجنون ؟ ألم يطلق لقب المجنون على قيس بن الملوح من شدة حبه لابنة عمه ليلى العامرية ؟ فليحيا الجنون على هذا الطراز فإذا لقبت بالمجنون وأنا أحب أفضل ألف مرة من أن ألقب بالعاقل الحكيم وبدون حب .

تنبه إلى أن كل ملابسه مبتلة وأن موج البحر ما زال يطارده قائلاً له خذ من ضيقى وتوترى أيها المجنون المحب ولأغسل عنك كل مساوىء البشر لتظل طائراً مع حبيبتك فإليك رذاذى البارد لتفيق من حبك أو لتحتمل ما أفعله معك .

قفز سامى إلى الجهة الأخرى من الرصيف ليبتعد عن مياه الأمواج مفضلاً الحب وجنونه على أن يفيق من مياه تلك الأمواج .. وأنقذ نفسه أو قل أنقذه سائق تاكسى رثى لحال هذا الشخص الذى احتضن تلك المياه ووصل الى منزله يرتجف من البرودة لكن ما زال قلبه دافئاً بنظرات عيون نور .

أبدل ملابسه المبتلة عقاباً على حبه وجلس أمام المدفأه ليسترجع ما حدث له فى هذا اليوم .. حاول ولكنه لم يستطع فقد تداخلت المشاعر

والأحاسيس والنظرات والابتسامات .. شعر أن الخيوط تداخلت مثل ما يحدث عندما تسقط بكرة خيط على الأرض وتندفع وخيوطها تلتف حول بعضها البعض وتحاول إصلاح ما تلف ولكنك تجد صعوبة في ذلك .. ضحك وقال في نفسه لقد سقطت مثل بكرة الخيط لكنه السقوط اللذيذ .. ما ألذه من سقوط في الحب أنه يجعلك مثل ريشة في الهواء يحملها النسيم لأى جهة بها الحبيب .

صاح بصوت مرتفع ليخرج نفسه من داخلها قائلاً : أه لو فيه تليفون كنت كلمتها وسمعت صوتها آه يابوى .. لكن كيف ؟ فين التليفون ؟ ألبس تانى وأروح أدور على تليفون والدنيا برد شديد والجو ساجعه لع لع ملوش لازمة وخصوصاً الولية أمها عاملة كيف بتوع المباحث هات يا سؤلات .. لكن التليفون مهم وانى فاكر أن زميلى في الشركة خبرنى أن تركيب تليفون صعب وفيه طوابير يامة لكنه جال لو الولد عنده مجدرة ومعه فلوس يمكن يجيب تليفون معجل وسريع .. بس النفر يدفع ألف جنيه كتير والله يابوى أجيب حتة بلاستيك بألف جنيه علشان أتحدت مع السنيورا بنت عم وصفى.

راح في نومه بعد هذا اليوم الحافل والذى دخل فيه إلى بيت حبيبته مثل ما دخل قلبها قبل ذلك .. استيقظ على صوت جرس الباب وتنبه وأفاق متسائلاً ياترى مين الولد اللى جاى دلوجت ؟ سار جهة باب الشقه متثاقلاً متسائلاً عما يكون القادم فهو بلا معارف ولا أصدقاء في هذا البلد ( إسكندرية ) فتح الباب فوجد أمامه صديقه مدحت الذى سافر منذ أسبوعين فرحب به وأدخله من البرد ..

سائلاً إياه إيه ياولد واخد السكة جياسة ؟

لمح في عيون صديقه توتراً وضيقاً أضيفا إلى تأثير البرودة عليهما وعلى أطرافه فطلب منه أن يستريح حتى يعد له كوباية شاى زين يعدل به دماغه المفكوكة وتركه ذاهباً إلى المطبخ متسائلاً ماذا جعل صديقه يترك عمله في جنا ويعود بهذه السرعة .

# ( ١٥ )

## سـر زيـارة مدحت السريعة

حضر سامى حاملاً الشاى لـه ولصديقه مدحت وجلس وقـال : أنـى باستغرب من نزولك مش معاد أجازتك فيه حاجة حُصلت ياخوى ؟ .

تنهد مدحت قـائلاً والله يا سامى ياخويا أنا نزلت من الديزل ( القطـار ) عليك على طول لسه مشوار بيت العيلة بعيد والبرد شديد وكنت عايز أتكلم مع حد مخلص ويسمعنى علشان أنـا مضايق خـالص .. نـاول سـامى الشاى لصديقه مدحت ..

قـائلا : فك ياخوى أنى سامعك .. إتحدت .

تحدث مدحت قـائلاً : إمبـارح كلمتنـى سلوى خطيبتـى بـالتليفون في قنـا وعرفتنى أن صاحب العمارة إللى حـاجزين عنده شقة عـايز خمسمية جنيه زيادة مقدم من الإيجار فوق الألفين إللى دفعناهم من سنة وحجته إيه .. مواد البنـا غالية .. ولمـا ردت عليـه بـأن ده صـعب ومنقدرش نجيب المبلـغ ده .. قـال لهـا خـلاص خدوا فلوسكم وأنـا قدامى نـاس تانيـه تقدر تدفع .. نزلت أتصرف .. أنت مش غريب .. حجيب منين وده مبلـغ كبير وبكده الجوازة حتطير ومحدش بيقدر .. طـول الطريق وأنـا جـاى عمـال أدور علـى خرم إبرة أعرف أنفد منـه مـافيش قلت في بـالى أعدى عليك وأفضفض قبل مـا اقابل سلوى الصبح وألخبط في الكلام .

سكت الشاب بعد أن أفرغ ما في جعبتـه من ضيق ظهر علـى وجـه صـديقه سـامى والـذى كـان يحـدث نفسه قـائلاً : وبعدين حتعمـل إيـه ياولـد الحنونى مـع صـديقك المزنـوج ده .. وصـاح في وجـه مـدحت قـائلاً : فكر إمعاى ..

لكن مدحت سكت ولا يستطيع أن يقول شيئاً بعد الذى قالـه لصديقه .. فجاه هب سامى واقفاً مشيراً إلى مدحت ..

قائلاً : جوم امعاى .. والصديق لا يعلم لماذا يفعل سامى هكذا وأعاد قوله .. جوم امعاى ولكن مدحت رفض طالباً منه تركه لحال سبيله يتجرع همه الذى لا يعرف سبيلاً لحله .. أما سامى فدخل حجرته وارتدى ملابسه وصديقه ينظر إليه بدهشة ماذا دهاه هذا المجنون .

توجه سامى إلى سنترال المنطقة القريب من سكنه وطلب الاتصال برقم بالقاهرة بعد قليل جاءت المكالمة وكان المطلوب هو العم عويضه الذى سمع صوته في السنترال قائلاً : مين .. هه .. بتجول مين .. أيوه ياولد .. كيف أخبارك ؟ .. وعامل إيه في السجعة دية ؟

قاطعه سامى : عمى محتاج ألف وخمسمية جنيه حالاً ..

ضحك العم سائلاً ليه ياولد حتشترى عمارة ولا حلزونة ؟ ثم ضحك قائلاً : عايز هم ميته ؟

أجابه سامى : بكره .. بكره ياعمى .. سكت العم قليلاً .

قائلاً : ينفع تاخدهم الليلة !

أجاب سامى : كيف يا عمى ؟ انت بتتمجلت علىّ !

قال عويضة : بص ياولد خد العلوان ده .. وتروح عليه .. عمك حسن الطنبور تعرفه ياولد ؟

أجاب سامى فاكره بتاع زمان .

( صوت عامل السنترال مدة تانيه ) .

يجيبه عويضه : ( بصوت مرتفع غاضب ) أيوه تانيه وتالته بأكلم الولد ابن أخويا إفهم يا سامى حسن الطنبور وهو ريحك في الإبراهيمية .. روح له وهو حيناولك إللى أنت عايزه .

سامى : مستفسرا الليلة ياعمى ؟

عويضة : أيوه ياولد .. الليلة .. إن شاء الله حشدله تليفون حالاً عجبال ما توصله حتلاجيه مجهز المطلوب .. مع السلامه ربنا معاك .

أستقل سامى تاكسى وتوجه إلى العنوان وضغط على الجرس وفتح الباب شاب وبادره : سامى ولد الحنونى ؟ ابتسم سامى للشاب مؤيداً أنه هو المنتظرين حضوره ورحب به واستقبله وبعد قليل حضر الحاج حسن الذى رحب به كثيراً وبعد قليل قدموا له الشاى وأخرج المعلم من جيبه لفافة وناولها إلى سامى .

قائلاً : إتفضل المبلغ وعمك لسه مخلص حديت معاى من دجايج .. شكره سامى وأراد الانصراف ولكن المعلم أشار إلى أحد أبنائه قائلاً وصل أخوك سامى لداره .

فتح سامى باب شقته ودخل على صديقه فرحاً بينما الصديق ينتظر عودته

متسائلاً : إيه رحت فين يا سامى ؟ أمسك سامى بالمظروف ملوحاً إياه

سامى : كنت بأجيب دوول وقذف بالظرف أمام مدحت ففتح الظرف وهاله أوراق البنكنوت الكثيرة به والذى أخافت مدحت ..

وقال : ينهارك أسود سرقت يا سامى ؟ ضحك الشاب موضحاً له ما حدث منذ أن غادر الشقة حتى عاد .. ثم قام بعد المبلغ الذى أزعج صديقه ..

قائلاً : خد يا مدحت خمسمية جنيه وحل مشكلتك ومتشلش هم ياخوى .

تسمّر مدحت في مكانه وأمامه ما كان يحلم به منذ الأمس وهو لا يستطيع أن يفكر أو يقول شيئاً ثم ظهرت الدموع في عينيه تأثراً من موقف صديقه الإنسانى وهو يحتضنه شاكراً حُسن صنيعه الذى لن ينساه طوال حياته وأراد أن يذهب إلى منزل خطيبته ولكن سامى قال له الصباح رباح علشان تجدر تجعد معاها حبتين .. وأسعده هذا الرأى وبعد قليل نام

الصديقان لكن مدحت كان يستيقظ كل فترة من نومه ليتأكد أن ما حدث صحيح ويعيد عد المبلغ فى كل مرة .

في الصباح قام مدحت وكتب وصل أمانة إلى صديقه سامى بقيمة المبلغ وعندما قرأ سامى الوصل أعاده إلى مدحت طالبا منه تعديل الرقم وهنا نظر مدحت إلى صديقه .

قائلاً : عايز فايدة على المبلغ؟ .. ضحك سامى من تفكيره وضربه ضربة خفيفة على كتفه .

قائلاً : تكتب ربعمية جنيه والميه الباجية دوول نجوط أخوى مدحت ومرته سلوى .. عادت الدموع تظهر في عيون مدحت واحتضن سامى ثانية منفذا رغبته شاكراً أريحيته وشهامته مودعاً اياه ذاهباً إلى منزل خطيبته ..

سامى يمازحه : حيفتكروك ياولد بتاع اللبن .

قبل الساعة الثامنة صباحاً دق جرس الباب على شقة عائلة سلوى حيث فتح الباب شقيقها محمود ..

محمود : هيه .. أبيه مدحت يا أبله سلوى فإضطرب من بالمنزل لماذا حضر مدحت مبكراً في هذا التوقيت ؟ . وارتدت سلوى الروب ودخلت مرحبة به مستفسرة منه عن سبب مجيئه المفاجيء .. طلب منها الاستعداد للخروج حتى يخبرها بكل شيء خاصة أنه أظهر لها النقود المطلوبة مما شجعها وأسعدها .. عشر دقائق كان كلاً من مدحت وسلوى في أحد المحلات يتناولان إفطارهما والفتاة تستمع إلى ملحمة وفروسية سامى الحنونى مع خطيبها ثم سار معها حتى وصلت إلى مكان عملها على لقاء فى المساء لزيارة صاحب العمارة لتسليمه المبلغ الذى طلبه .

أثناء وقت الراحه أخبرت سلوى صديقتها نور عن حضور مدحت ولقائه بسامى وما فعله سامى مع مدحت حيث أشادت بخلقه وإنسانيته ونور

تستمع وهى سعيدة بهذا الإطراء على حبيب قلبها سامى حيث أخفت نور زيارة الأمس عن صديقتها بناء على تعليمات والدتها خوفا من العين .

فى المساء تقابل كل من مدحت وسلوى وتوجها إلى المعلم مالك العمارة والذى رحب بهما وزاد ترحيبه بعد أن ناوله مدحت المبلغ المطلوب وناولهما الرجل العقد ومفتاح شقتهما متمنياً لهما السعادة وأن تكون قدم سعد عليهما وعلى ذريتهما وقد سعد الشابان بالشقة وتجولا بها وكل مستقبلهما وآمالهما مرتبطة بهذا المكان ولهذا قررا إقامة إحتفال صغير يدعوان إليه سامى الحنونى الذى كان له الفضل بعد الله في ذلك .

أما نور فقد أخبرت والدتها بما حدث بين مدحت وسامى وتوفير المبلغ المطلوب لصديقه واستقطاع مائة جنيه من هذا المبلغ كنقوط له .. وقد ضربت الأم بيدها على صدرها قائلة : دا كل نقوط العريسين مش حيحصل المبلغ ده باين عليه دفيان يا نور .

بعد مغادرة مدحت منزل سامى سعيداً فرحاً بالقرض الذى حصل عليه من صديقه .. غادر سامى منزله متجهاً إلى عمله ماراً بسنترال الأمس للاستفسار عن كيفية تركيب تليفون فورى وقد أبلغه الموظف أن الرسوم ألف جنيه تدفع عند التعاقد بالإضافة إلى بعض الجنيهات كمصاريف إدارية ويجب إحضار عقد الإيجار أو التمليك وأفاده بأن الموظف المسئول لم يحضر بعد وعليه الحضور بعد الساعة التاسعة صباحاً .

ذهب سامى إلى عمله وبعد التاسعة حصل على إذن ثم توجه إلى السنترال وهناك قابل موظف العقود والذى أعطاه نموذجاً يملأ ببياناته تفيد العمل ومكان الإقامة ونوعية التليفون (فورى/عادى) .. الفورى يدفع ألف جنيه وقد دفعها مع بعض الرسوم البسيطة وأعطاه الموظف صورة من عقد الاتفاق وأشار إليه في العقد قائلاً له هذا هو رقم تليفونك والذى يمكن أن تعرف أصدقاءك به من الآن وأخبره انه في خلال ثلاثة أيام يصله التليفون والحرارة .

غادر سامى السنترال سعيداً بأنه بعد عدة أيام يمكنه محادثة نور وسار فرحاً إلى العمل فشاهد ورشة للطباعة فذهب إليها مستفسراً عن إمكانية طبع كروت شخصية وقد عرضت عليه الأنواع والأثمان وإتفق معهم وأعطاهم البيانات وثمن تلك الكروت على أن تجهز غداً .

# الجـــزء الثـانـي

## سـامـى الحنونى

# ( ١٦ )

## لقاء الخميس

إتصل مدحت بصديقه سامى في عمله يجدد شكره وتقديره لما قام به من تصرف الصديق المخلص مع دعوتة إلى لقائه مساء الخميس القادم ليحتفلا سوياً بمناسبة استلامه لشقته والذى كان لموقفه الفضل بعد الله عز وجل فى إنهاء مشكلة تسلمها وشكره سامى على شعوره هذا مع وعد بالحضور في نفس المكان ونفس التوقيت .. وهكذا إنتظر سامى هذا الموعد على أمنية أن يتحقق اللقاء والمصادفة التى جمعته بنور منذ أكثر من عدة اشهر .

ذهب سامى إلى لقاء صديقه وما هى إلا دقائق وتكرر المشهد السابق بحضور الشباب الثلاثة " مدحت وسلوى ونور " فهتف قلبه بالفرح والسعادة ممنيا نفسه أن يقضى أمسية ثانية مع حبيبة قلبه وتعانق الصديقان بكل حب وإخلاص وصافح سلوى ثم صافح نور وأمسك يدها بيده ودخلا إلى المحل بهذا الشكل ولم تستطع نور الإفلات من يده إما رغبة منها أوبتشجيع سلوى التى لاحظت اهتمام سامى بصديقتها .

بعد جلوسهم تحدث سامى قائلا : مفاجأة ثم أخرج حافظة نقوده وأخرج منها بعض الكروت التى تحمل اسمه ووظيفته ورقم التليفون حيث أعطى كل صديق كارتا والتفتوا اليه مهنئين .. برافو سامى .

ثم سألته سلوى : ده تليفونك ؟

وأجاب أيوه ركبته من يومين بس .

فأعادت السؤال :بس إزاى يا سامى؟ .. دى التليفونات تركيبها بعد سنين وفيه قايمة انتظار طويلة .

قال : جالولى كده بس جالو أن فيه مستعجل بس أدفع ألف جنيه .. جمت دفعت وركبوه .. نظر الثلاثة بعضهم إلى بعض .

سأله مدحت : يعنى دفعت ألف جنيه ؟

أجاب : أيوه يابوى دفعت ألف جنيه .. أيقن الجميع أن هذا الشاب ميسور الحال .. حتى أن مظهره ونوعية ملابسه تدل على ذلك .

وأكمل حديثه قائلاً الليلة دى أنتم ضيوفى .

وسألته نور : إيه المناسبة ؟

أجاب :أول مناسبة إنك معانا .. تنظر لها سلوى من تحت طرفى عينيها حيث تضاحك ثلاثتهم .. والثانية أن أخوى مدحت استلم شجته وحيجوز جريب .. ثم نهض وحادث الجرسون وبعد قليل أحضر العاملون أفخم انواع الطعام وبعدها الحلوى ومشروبات ساخنه حتى طلبوا منه الكف عن طلب أى شىء آخر حيث قضوا وقتا ممتعاً وحاسب الجرسون وأعطاه بقشيشاً هو والعاملين معه وشكروه على كرمه وسخائه معهم .. كما شكره ضيوفه وأثنوا على كرمه وسعادتهم بقضاء تلك الليلة المرحة السعيدة .. بينما يهم بإعادة الحافظة إلى جيبه سقطت منها صورة نسائية على المنضدة التى أمامهم فأخذتها سلوى ونظرت فيها بإمعان وأعطتها إلى نور حيث

قالت له ذوقك حلو يا سامى .

ضحك الشاب قائلاً : دى نجاوة بوى .

حيث علقت نور قائلة : فعلاً ذوقك هايل وباين عليها خوجايه لكنها جميله خالص يعنى باباك هو اللى إختارها لك ؟

سامى : لع هوه إختارها لنفسه أصلها مرته ! ضحكوا على حديثه .

حيث قالت سلوى : إحنا مش فاهمين حاجه من كلامك .

قال : حاجه بسيطة الست دى مرت بوى .. علا صوتهم يعنى تقصد أن الست الجميلة دى تبقى مرات باباك ؟

أجاب : أيوه عليكم نور يانور .. نظرت نور إليه نظرة ذات مغزى

قائلة له : وليه واخد صورة مرات باباك معاك ومحتفظ بيها ؟

أجاب : علشان هيه تبجى أمى.

في صوت واحد : مامتك ؟

قال أيوه تبجى أمى أصلها إيطالية .. لكنها مسلمة .

افترق الأصدقاء وهم في غاية السعادة بهذه الأمسية الجميلة والتى تعرفوا خلالها على المزيد عن سامى هذا الوافد من الجنوب بدون قصد وبدون رغبة .. وصلت نور إلى منزلها وقد قابلتها والدتها بوجه بشوش متمنية أن تكون قضت أمسية سعيدة مع صديقتها سلوى وأمهلتها دقائق لتعد لها الطعام ولكن نور اعتذرت وتركت أمها ودخلت حجرتها لتبدل ملابسها

وبعد أن عادت سألتها امها:

إيه يا نور .. إنتى اكلتى مع سلوى ومدحت ؟

أجابت : أيوه يا ماما أكل كتير وأصناف ملهاش عدد .

نظرت إليها أمها : ياه .. ده كله .. إيه المناسبة اللى تخلى مدحت وسلوى يبعزقوا فلوسهم بالشكل ده ؟ دا كرم محصلشى وأنا عرفاهم على قد حالهم .

لكن نور اوضحت لأمها قائلة : لا يا ماما ده مش كرمهم .. صاحب العزومه سامى ( فتحت الأم عينيها ناظرة لزوجها الذى كان يسمع ولا يسأل ) أيوه سامى أصله ركب تليفون ! .

الأم تليفون .. إزاى يا بنتى ؟.. دا يدوب لسه مكملشى كام شهر .. دا زميلاتى في الشغل بقالهم أكتر من عشر سنين ويمكن لسه زيهم ..

ماما : سامى ركب تليفون فورى ..

الجميع فورى .

نـور : أه فورى .

الأم يعنى تقصدى أنه دفع ألف جنيه .

نور أه ياماما .. ثم أعطتها كارت سامى وبه رقم تليفونه .

ذهبت نور لحجرتها ولحقت بها شقيقتها شمس ثم أغلقت الباب خلفها وهى تحادثها ..

شـمس : إيـه حكايـة سـامى معـاكى ؟ .. مقـابلات مترتبـة ومقـابلات بالصدفة فيه حاجة يا نور ؟

ابتسمت قـائلة : حاجات ومحتاجات يا كتكوتى الصغيرة .

ثـم أخبرتهـا بـسلامهم والامساك بيدها فـي يده ودخولهم المطعم بهذا الشكل .. وقد وضـعت شمس يدها على فمهـا دليلاً على شدة مـا حدث .. وسألت نور شمس قائلة : ده معناه إيه ؟ أن فيه حاجـات ومحتاجات جايـة .. هزت الفتاة رأسها دليـلاً على موافقة رأى نور .

ثم قـالت : فيه فستان أبيض ومأذون وزغاريت .

أما السيدة مديحة فجلست في حجرتها مـا بين الواقع والخيـال .. هل مـا بين نـور وسـامى تسالى شباب ؟ أم هو حب يؤدى إلى الزواج تمشياً مع تقاليد مجتمعنا ؟ سـاءلت نفسها : ترى هل سـامى شـاب ميسور الحـال فعلاً ولا يتـصنع العز والمـال ؟ هل سـامى هو الشاب المناسب لابنتـى نـور ؟ تنبهت قائلة لن أترك الأمور هكذا وسوف أفعل كل شيء حتى أتأكد من كل هذا بنفسى .. إقتربت مديحة من زوجها وهى تحادثه ..

وصـفى سـامع كـلام بنتك وعرفـت مستواه إيـه ؟ ينظـر إليهـا وصـفى متبرماً ..

أيوه ياستى عرفت مستواه وكل حاجة بتقول أنه شاب كويس وأخلاقه كمان وفي الشغل عندى بيقولوا إنه مهندس نشيط ومبتكر ودقيق في رسوماته الهندسية و....

حيلك يا وصفى .. وإحنا ناويين نرقيه ؟ إحنا بنتور عليه يناسب بنتنا ولا لأ ؟ آدى الحكاية وأنت عارف البنات كترت في البلد والشباب لسه خارج من الحرب مافيش قرش ولا غيره ولما نشوف واحد زى سامى ودفيان والبنت مبسوطه منه إيه اللى يمنع إننا نحط عينينا عليه .. إحنا بنقول يا جواز مش حنتاجر معاه .

كلامك مظبوط والحكاية مضمونه مدام نور وسامى بيدوروا على بعض سيبى الحكاية تكمل طبيعى من غير تدخل ولا غيره وده رأى وأنا مش ممكن حاعمل حاجه مش مقتنع بها .

مازال سامى جالسا في شقته يتذكر ما حدث في هذه الليلة الميمونه السعيدة ويضحك على بعض الكلمات التى قيلت وزادت سعادته أنه أعطى نور رقم تليفونه ويستطيع بعد ذلك التحدث معها .. إنه لم يفكر في تركيب خط تليفونى إلا من أجلها فهو لن يحتاج التليفون فلا أصدقاء له ولا أقارب .. أنه تليفون نور !

سكت قليلا فقد سمع راديو الجيران يذيع أغنية لمطربه المفضل عبدالوهاب ثم أحضر الراديو وفتحه وسمع عبدالوهاب يشدو بإحدى روائعه :

<u>كل ده كان ليه لما شفت عينيه حن قلبى إليه وانشغلت عليه كل ده كان ليه .. ليه</u>

******

لم تشعر السيدة مديحة بأنها وصلت الى ما تريده وترضاه من حديثها مع زوجها سواء من رأيه أو من تحليله فيما يخص نور وسامى وألقت باللوم عليه لأنه لا يفهم في العلاقات العائلية وغير مدرك لأهمية تلك العلاقات التى هى في مصلحة بناته .. ثم قالت : كيف يعيش هادىء البال مستكينا لما نحن فيه ؟! .. الولد به كل المميزات التى تتمناها أى أسرة والشاب يعمل عنده وفى نفس الوقت يميل جهة نور والبنت تشعر به والست فينا مش ممكن يكون شعورها كاذب وبعدين الولد غريب ومش مجوز وعنده شقة في مكان محترم مقدرشى وصفى يجيب شقة في المنطقة دى جنب مامتى .. وإحنا في إسكندرية وعرايس البحر والبر في كل مكان وممكن يعملوا أى حاجة علشان يلقطوه ومش بعيد تكون المضروبة سلوى بتلف حبالها حواليه وتلطشه للبت أميمة أخت مدحت إللى إنفسخت خطوبتها السنة اللى فاتت .. لا.. لا لازم أعمل حاجه ( تنظر جهة زوجها وهو مستغرق في نومه تقلد صوته وطريقة كلامه ) سيبيهم والوقت معانا وخلى الحكاية طبيعية !

في يوم السبت التالى توجهت السيدة مديحة إلى مكتب عمل إبنتها نور حيث تعمل معها سلوى وفوجئت نور بوجود أمها فسألتها عن سبب حضورها وهى التى لم تحضر لمكتبها إلا مرة واحدة بعد تعيينها وإستلامها العمل .. أخبرتها أنها كانت قريبة من مكتبهم حيث تمر على إحدى المدارس هنا للتفتيش ورأت أن تحضر لزيارتهم وخاصة سلوى التى لم تسمع أخبارها منذ فترة .. تضاحكوا على ذلك واستأذنت نور في أن تذهب للمكتب المجاور لإنهاء بعض الأعمال وهنا تحركت السيدة مديحة وجلست قريبة من سلوى طالبة منها الخروج سوياً والجلوس في أى مكان للتحدث في أمر هام بعيداً عن نور .. كما لا يجب إخبار نور بهذه المقابلة وهذا الحديث .

وافقت الفتاه واستعدا للخروج وحضرت .. نور متسائلة " على فين العزم " ؟ .

أجابتها : أمها .. رايحين محل قريب اشترى حتة قماش وآخد رأى سلوى فيها .. وغادرتا المكتب متجهتين لإحد المحلات حيث جلستا سوياً وجها لوجه وهما يتناولان مشروباً ساخناً .. وطوال الطريق من مكتبها حتى جلوسها مع السيدة مديحة فى أحد المحلات العامة وسلوى تحاول استنتاج ما تريده أم صديقتها منها وخاصة إنها إشترطت إخفاء كل شىء عن إبنتها وصديقتها .. بعد أن جلست الاثنتان ابتدأت السيدة مديحة حديثها

قائلة : سلوى أنتى زى بنتى وكلامنا ياحبيبتى سر وأنا عارفه إنك بتحبى نور زى ماهية بتحبك .. مش كده ؟

سلوى : طبعاً يا تانت ..

مديحة : أنا عرفت من نور أن صاحب مدحت تقابل معاكم كام مرة وبتكون نور موجودة وكنت عايزة يا حبيبتى تقولى لى كل الحاجات اللى أنا يهمنى أعرفها .

ابتسمت سلوى لأم صديقتها وصالت وجالت في حق سامى وخلقه وأنه جنتلمان حقيقى وصديق مخلص .. قاطعتها ..

مديحة : أنا يا سلوى مش جايه أسمع عن أخلاق سامى أنا جايه أعرف بالعربى كده .. فيه حاجه بينه وبين نور ؟ .. يعنى استلطاف صداقة ؟ .. حب يعنى ؟ .

ضحكت سلوى: آه كده فهمت .. بصراحه ياتنت أنا ومدحت ملاحظين أن فيه إعجاب بين نور وسامى .. وبالأخص سامى بيكون مبسوط خالص لما نور بتكون موجوده .

تسكت الأم قليلا ثم تسأل : أنتى متأكده من الكلام ده ؟ ..

سلوى : طبعا متأكدة .. يعنى لو مكنشى سامى مبسوط وسعيد بنور كان حيفضل لازق جنبها وماسك إيدها .

مديحة : يا خبر ! .. ماسك إيدها الواد ده باين عليه لعبى .

تنبهت سلوى أنها أخبرت أم صديقتها بشيء لم تخبرها به نور فحاولت إصلاح ما فسد وتقليل تأثيره عليها ..

فقالت : يعنى لما بيسلم عليها مش بيسحب إيده على طول زى ما بيسلم عليا أنا .. يبقى ده إيه ؟ اهتمام .. وإلا إيه رأيك يا تنت ؟

أيقنت الأم أن السمكة ستدخل الشبكة قريبا ولذا فقد أرادت أن تمهد الطريق أكثر ..

يعنى أنتى ومدحت مبسوطين منه ؟

جدا ..

مديحة : طيب .. كلمى مدحت يشوف مية سامى ويجس نبضه في الحكاية دية .. بس بعيد عنا .. يعنى بتسألى عن حاجه ملاحظاها بين صاحبتك وصاحبه وأنتى عايزة تطمينى عليها .. وافقت سلوى على إقتراح أم نور .

وقبل أن تغادر مديحة المكان أرادت أن تطمئن أكثر على المعلومات التى حصلت عليها عن طريق ابنتها نور حيث أن سلوى في نظرها بت ناصحه ومطاطاه وفاهمة الدنيا أكتر وبادرتها بسؤال :

تفتكرى سامى يقدر يفتح بيت ؟

أجابت سلوى بثقة .. بيت واحد .. دا يقدر يفتح كذا بيت .. وقد أشاحت الأم بيدها بعيدا قائلة : الشر بره وبعيد .. حتبشرى من أولها .. هوه كلامى يعنى يقدر يعيشها كويس ؟

سلوى : أيوه ياتنت .. شوفى .. سامى ومدحت مرتباتهم زى بعض ويمكن مدحت بيزيد شويه علشان شغل الصعيد .. وهو مدحت حيجوز وعملنا كل حاجه تقريبا .. وجهزنا الشقة ... أنتى تعرفى أن سامى سلف مدحت (٥٠٠) جنيه وناوله نقوط الفرح تفتكرى كام ؟

مديحة : خمسة جنيه !

سلوى : مية جنيه ..

مديحة : تردد مية جنيه .. وتتلعثم رغم أنها تعلم هذا مسبقا من ابنتها ..

سلوى : وتعرفى أنه ركب تليفون فورى ودفع ألف جنيه ..

مديحة : بارتباك منين كل ده ؟

سلوى : بعد أسبوع من استلام مدحت لشغله في الصعيد قابل أخو سامى وضيفوه في عزبتهم وبيقول أنهم ناس غناى خالص وعندهم فوق الميت فدان وعندهم بقر وجاموس وحمايز وخروفات !

******

افترقت السيدة مديحة عن صديقة ابنتها سلوى تاركة إياها ومحملة بمسئولية على عاتقها وهى كيفية توجيه صديق خطيبها لاتخاذ خطوة في الاتجاه للارتباط بنور إذا كان مقتنعا بها كزوجة .. وقد أيدت الفتاة رأى والدة نور فيما تفكر فيه وتسعى إليه حيث إنه اتجاه محمود ومشروع لعلاقة بين طرفين في ظروفهما وقد تقاربا وتعارفا وكل يشعر بميل إلى الأخر ولذا فقد حان الوقت أن يُقدم الشاب على الخطوة الإيجابية المطلوبة في مثل تلك الأحوال .. وقد راود سلوى سؤال .. ماذا يعود علىّ وعلى مدحت من وراء هذا العمل ؟ وتراجعت سريعا مؤنبة نفسها أن يكون من نتيجة ذلك مصلحة مباشرة لأن للصداقة التزاما وحقوقاً .. والواجب يُحتم على فعل هذا وأكثر .. فهذا سامى الذى أقرض خطيبها مبلغا كبيرا بدون أن ينتظر منه المقابل ولولا هذا القرض ما إستلموا الشقة لأنهم لا يستطيعون توفيره أو اقتراضه من أحد آخر .. ولولا الشقة لتأجل زواجهما وفى مثل تلك الأحوال تتأزم العلاقة بين الخطيبين .. كما أن سامى شخصية تفرض على أى إنسان أن يحتفظ بصداقتها ومودتها أما نور فهى الصديقة المخلصة لها منذ المرحلة الجامعية وهى التى قدمت لها خدمة مجانية عندما لاحظوا أن

منزل العائلة القديم يحتاج مهندساً خبيراً ليعد تقريراً عن حالته وتولى والدها متطوعاً دون أجر وضع الحلول لهم وأنقذوا المنزل بأقل النفقات .

في المساء حضر مدحت لزيارة سلوى والخروج لشراء بعض مستلزمات الزفاف الذى تقرر في نهاية الشهر القادم .. خرجا سوياً يشاهدان المعروضات في المحلات المتخصصة وبعد التسكع أكثر من ساعتين على تلك المحلات لم يوفقا خلالها في شراء شيء لارتفاع الأسعار .. جلسا في أحد المحلات المتوسطة المستوى لتناول مشروب وليستريحا من عناء ما بذلاه من مجهود وفاتحت سلوى مدحت في علاقة سامى ونور ورأيها في المساعدة للم الشمل فهما صديقان لهما .. وبعد أن انتهت سلوى من حديثها أخبرها مدحت أنه كان يفكر في هذا الموضوع صباح اليوم وأنه يجب عليه أن يكون إيجابياً في أن يساعدهما لأن سامى رجل صعيدى ويخجل من التطرق في مثل تلك الموضوعات ونور فتاه بطبعها الحياء والخجل .. وسعد الخطيبان لأن رأيهما واحد ونبيل وأخبرت سلوى خطيبها بأن عليه الخطوة الأولى لمعرفة شعور سامى جهة نور ورأيه فيها ونيته في نهاية تلك العلاقة وعليها هى الخطوة التالية للتعرف على رأى وشعور نور نحو سامى .

في مساء نفس اليوم ذهب مدحت لزيارة صديقه سامى في منزله حيث قابله سامى بالترحاب بادياً عليه صفاء النفس وراحة البال وكان واضحاً أنه يعيش حالة من الرومانسية العالية حيث يستمع إلى أغنية أم كلثوم " يالى كان يشجيك أنيني " .

وهتف مدحت : الله ياست إيه ده ياواد ياسامى ؟ يا أبو الحب كله .

يضحك سامى قائلاً : الحب كله ؟

عاد مدحت : وسيرة الحب .

سامى مكرراً : سيرة الحب .

فيضحك مدحت : يابو ضحكه جنان .. وتتداخل ضحكات الصديقين ثم قال له ..

سامى: إجعد واعترف أنت كنت خارج مع سلوى " صُح " .

فيجيب مدحت " صُح " يابوى ثم يعيدان ضحكاتهما سوياً ويطلب منه سامى أن يسمعه بعض كلام الخُطاب الذى يجهله ..

قائلاً : نفسى أسمع كلام الخطاب الزين بتاعكم ؟

يسأله مدحت : أنا اللى نفسى أسمع كلام حبك أنت ونور .. أنا وسلوى خلاص عرفنا طريقنا لكن أنت " وينظر إليه فاحصاً " قر واعترف ايه إللى بينك وبين نور جول يا ولد .. يتلعثم سامى ويرتبك من كشف صديقه لمشاعره تجاه نور وافتضاح أمره فيشعر مدحت بذلك وهو الذى يعرف الكثير عن خجل سامى في تلك الأمور ولذا أراد أن يهدىء من توتره

فقال : إيه يا سامى ؟ ! الحب أسمى شىء عند الناس وأنا شاعر بيك أنت ونور .

زفر سامى زفرة قوية قائلاً : الحب ده يابوى حراج جوى لكن جولى هيه نور جالت لخطيبتك شى عن الحكاية ولا عرفت منين؟ .. إياك بتخمن يا ولد ؟ لكن المشاغب مدحت أخبره أن جميع من كان في المطعم شعروا أن الاثنين في حالة من الحب الرومانسى القوى ويسأله ناوى تكمل الحكاية مع نور ولا لك رأى آخر ؟

سامى : والله ياخوى مانى خابر كيف الحكاية حتستوى وخايف أن نور تكون محساش بى واصل أو تكون مشغولة بعيل من بتوع المنطلونات الواسعة وشعرهم كبير كيف الغوريلا .. ولكن مدحت طمأنه قائلاً لا وجود لمثل تلك التخيلات والدليل على ذلك أن لو وجد مثل هذا الشخص كان سيظهر في تعاملها معك وكانت سلوى قد عرفت بمثل تلك العلاقة .

يعيد سامى : يعنى أنت مالى يدك من الحكاية ياخوى ؟

إتكل على الله وكلم نور وأخرجوا مع بعض وشوف رأيها وأخبارها منها ليك دوغرى .. وأنت عارفهم وهما عارفينك المهم الحوار بينكم علشان تتفقوا على كل حاجة وربنا يوفقكم .. ثم غادر مدحت منزل سامى .

جلس سامى يفكر في كل كلمة قالها صديقه وهو سعيد وقد غمرته نشوة السعادة بأنه أصبح محل إعجاب فتاه جميلة وقرر أن ينفذ اقتراح صديقه ويتعرف على شعورها مباشرة حيث إتجه إلى التليفون طالباً رقم المهندس وصفى وظل يصغى منتظرا الرد من الجهة الأخرى مشجعاً نفسه ..

قائلاً : مدد يا سيدى يا عبد الرحيم ياجناوى .. سمع صوتا نسائياً آلو .. آلو .. مين ؟ .. بتقول مين ..

" يجيب " سامى ولد الحنونى

" الصوت " مين سامى ولد الحنونى ؟!

سامى : انى بأشتغل مع المهندز وصفى ..

الصوت النسائى: آه .. أنت عايز بابا ؟

سامى : لع آنى عايز أتحدت مع الست نور .. !

حاضر .. حضرت نور بعد أن أبلغتها شقيقتها شمس بأن سامى يطلبها وهى في أشد الحالات من الضحك .

نور : آلو ..

سامى : نور ..

" تجيب " أيوه يا سامى عامل إيه .. وإزيك .

" هو " نحمده .. نور عايز أتحدت معاكِ وأكلمك حبتين .

" هى " أنا سمعاك ..

" هو " لع مش في التلفون ممكن نتجابل بره .

" هى " تسكت قليلاً : طيب إدينى فكرة عن غرض المقابلة يا سامى ..

" هو " نور

" هى " أيوه يا سامى

" هو " نور

" هى " أيوه ياسامى

" هو " نور آنى باحبك وعايز أجوزك ! .

تلعثمت الفتاة ما بين المفاجأه وجرأة سامى وعدم خبرته في كيفية عرضه للرغبة في التقدم إليها .. ثم تماسكت وأخبرته أنه يمكن أن تقابله مساء الخميس القادم في نفس المكان والتوقيت السابق وشكرها وودعها .. وضعت سماعة التليفون وعادت إلى حجرتها مبتسمة سعيدة وظهرت حمرة الخجل على وجنتيها فنظرت إليها ..

شمس قائلة : أكيد سامى طلب إيدك .

أومأت نور رأسها دليلاً على تأكيد كلام شقيقتها شمس حيث قفزت من على سريرها لتجلس بجوار نور تقبلها وتحتضنها ..

وهى تقول : ألف مبروك يا ولد .. وتضاحكتا .

أقبلت الأم على أصوات ابنتيها وهياجهما مستوضحة مستفهمة عن سبب كل هذه الأصوات والضحكات ؟ أسرعت شمس تقبل أمها وتحتضنها

قائلة : سامى طلب نور للجواز .. ظهرت الفرحة والسعادة على وجه السيدة مديحة ثم تداركت الموقف ..

قائلة : كده خبط لزق .. مافيش تعارف .. لازم نسأل ونعرف كل حاجة عنه .. ده جواز مش هزار .

تنبهت نور قائلة : طبعا يا ماما .. أنتى شفتينى وافقت .. وعلى كل حال أنا حاقبله يوم الخميس الجاى وأعرف كل حاجة منه وحتكون سلوى معايا .

قالت الأم : كويس كده بس بلاش سلوى وعلى رأى المثل دارى على شمعتك تقيد وكمان اتصلى بيه وعرفيه ميجيبش سيرة لصاحبه مدحت لحد ما يتم كل حاجة يا نور يا بنتى .

اتجهت نور إلى التليفون وطلبت سامى والذى شعر بسعادة طاغية أن يسمع صوت نور مرتين في خلال عدة دقائق حيث طلبت منه جعل كل شيء في طى الكتمان حتى نصل الى حل وقد وعدها بذلك .

جلست الأم في المطبخ وقد غمرها شعور بالنشوة والانتصار وتحدث نفسها .. أيوة شاطرة يا مديحه الخطة ماشية عال بس ربنا يبعد عنين سلوى ومدحت عننا أصل عنيهم تندب فيها رصاصة ومش حاجيب سيرة لوصفى لحد ما أتأكد أن كل حاجة تمام ثم عادت إلى حجرة إبنتيها وأخبرتهما بعدم إخبار والدهما حتى نعرف كل شيء حتى لا نشغله وخاصة أن سامى معه في العمل ولا نريد إحراجاً لوالدكم .. واقتنعت الفتاتان بذلك .

كان سامى متحرجا من صديقه مدحت وماذا يخبره إذا حضر لزيارته وسأله عن اتصاله بنور من عدمه .. وهو الذى لم يتعود الكذب وفي أثناء هذا التوتر ليبحث عن طريقة للتخلص من إفشاء السر الذى طلبت منه نور عدم إخبار أحد به فإذا بالتليفون يرن جرسه فيذهب ليجيب وإذ بمدحت على الجانب الآخر يعتذر له عن عدم المرور عليه وأنه يحادثه من محطة القطار حيث سيعود إلى عمله وفى أجازته القادمة يتمنى أن يسمع أخباراً سعيده عنه وعن نور .. شعر سامى بالراحة النفسية وأن الله أنقذه من الكذب أو أن يحنث بوعده الذى قطعه على نفسه لحبيبته نور .

طلبت الأم أن ترافق شمس شقيقتها نور وعند حضور سامى تذهب لتجلس على ترابيزة قريبة حتى يتحدثا بدون مراقب حتى يعلم سامى أننا نعلم كل تصرفات نور .. بينما سامى يريد أن يسابق الزمن وأن يحل موعد مقابلة نور بأقصى سرعة .. عندما وصلت الفتاتان إلى المطعم الذى سيجلسان فيه شاهدا سامى جالساً في انتظارهما فوقف مصافحاً ومحيياً كلاً من شمس ونور وسعيداً بحضورهما وقد استأذنت شمس في أنها ستذهب للجلوس قريباً من الشباك الزجاجى لمشاهدة المارة تاركة الحبيبين للتحدث

في أمورهما المستقبلية وبادلت نور سامى المشاعر السعيدة لتشعره باهتمامها به .

نظر الشابان لبعضهما البعض ثم سألته عن الكلام الذى أراد أن يخبرها به ؟ وأجابها لقد أخبرتك إننى أرغب في التقدم إليك وخطبتك وأريد معرفة رأيك وهل يوجد شاب في حياتك من عدمه؟ .. كانت إجابة نور واضحة وهى أنه لو كان يوجد شاب في حياتى ما كان يمكنك مقابلتى ولم أكن موجودة في هذا المكان الآن .

ظهرت معالم السعادة على وجهه الناصع البياض وقد زال خطر كان يتوقع وجوده ثم وجه إليها سؤاله الثانى هل تقبلينى كزوج لك ؟ اوضحت له أن تلك الأمور تحتاج إلى بعض الوقت وإنك تعلم عنا كل شىء ونحن لا نعلم عنك شيئاً .. أشعره هذا الرد أيضاً ببعض الراحة رغم أنها لم توافق ولكنها أيضاً لم ترفض وترغب فى معرفة بيانات ومعلومات عنه وعن أسرته وأحوالهم وهذا يفيد الاهتمام به .. وطلبت بعض الوقت للتفكير ووافق على ذلك مسروراً .

أخبر سامى " نور " بكل المعلومات التى يعرفها عن أسرته والمسموح بها في مثل تلك المواقف لأن يبوح بها فلا يجب المصارحة بكل الأخبار والمعلومات طالما أن عدم الإخبار لن يؤثر في إتخاذ القرار المناسب وكانت الفتاة تنصت لحديثه بإمعان واهتمام وسعادة من الأخبار التى تؤكد أنها أسرة مكافحة وناجحة وأن له أب عصامى بنى نفسه بفضل الله وبفضل مجهوده ومجهود زوجته " سنيورا لوو... أو ..لبنى " .

بعد أكثر من ساعتين من لقائهما ودع سامى كلاً من الفتاتين " نور و شمس " وكان واضحاً أن هذا اللقاء قد قربهما أكثر لأنه كان مخصصاً للتعارف من أجل الارتباط والزواج .. وقد فضلا أن يعودا إلى منزلهما بدون وجوده معهما واستقلا تاكسيا شاكرين له هذا اللقاء وكرمه في ضيافتهما .

# ( ١٧ )

## مـاذايدور على الجـانبين

عادت نور وشقيقتها إلى المنزل حيث كانا والداهما في زيارة لبعض الأصدقاء فجلستا تتحدثان .. نور تخبر شمس بما قاله لها سامى عنه وعن عائلته وشمس تستمع بإنصات ممزوج بالسعادة والفرح لما تقرأه على وجه شقيقتها من حديثها مع سامى ولا تقاطع شقيقتها حتى للاستفسار خوفا من ان تقطع هذا الحديث الساحر لهذا الشاب الرائع الذى هبط عليهم من حيث لا يعلمون .. فهو ليس بجار أو قريب أو زميل دراسة أو حتى قريبا لإحدى صديقاتهن ولاحظت نور أن شقيقتها صامته فاعتقدت أنها لاتهتم بما تقول فسكتت عن الكلام منبهة إياها " شمس " أنت معايا ولا سرحانة ؟ فتشير إليها انها تسمع وتطلب منها أن تكمل هذه الحوار فيما بينها وبين سامى .. وبعد أن أنهت ماتريد البوح به إلى شمس علقت الفتاه على كلام نور ..

الله عليك ياسى سمسم .. دا أنت ابن عيلة ودفيان وفل "عقبالى يارب "

وأنتى إيه رأيك يا شمس ؟ مش قادرة أفكر لوحدى راسى مليانة كلام وأفكار عايزة حد يفكر معايا بصوت أسمعه ويفوقنى من إللى أنا فيه .. كل المعلومات إللى قدامى بتقول أنه إنسان كويس ومناسب ويمكن لحد دلوقتى محدش إتقدم لى زيه لكن !

شمس : إيه حكاية لكن ؟

نـور : مش قادرة أقرر ولازم أتعامل معاه عن قرب مش ضيوف وبروتكول واحترامات لازم يكون فيه كلام بينى وبينه زيى أنا وأنت علشان أقدر أحكم عليه .

شمس : ممكن تعملى كده في فترة الخطوبه ..

نـور : لا لا فترة الخطوبة حتتحسب علىّ إذا كان مش مناسب ..

شمس : وبعدين ؟

نـور : أنا حاشوف رأى بابا وماما إذا كانوا موافقين على قراية فاتحة وبكده نقدر نتقابل في البيت وممكن برضه بره البيت .. وبالطريقة دية أقدر أفهمه أكتر .

شمس : الله دى فكرة حلوه وهايلة طيب وإذا وافقتى عليه ؟

نـور : بعد كده نعمل خطوبة .

شمس : رأيك كويس ومعقول خالص ألف مبروك .. وقامت وقبلت شقيقتها .

بعد قليل عاد كل من الأب والأم من الزيارة التى كانا يقومان بها وألقيا بتحية المساء على ابنتيهما ثم توجها إلى غرفتهما وأبدلا ملابسهما وعادا يجالسان كلاً من نور وشمس ويقضون أمسية الخميس سوياً كما هو معروف عند غالبية الشعب المصرى وأحضر وصفى معه " بسبوسة بالقشدة " حيث تقبل عليها الأسرة وجلسوا يتناولون الحلوى ويتسامرون ويتضاحكون ثم قاطعهم الأب ..

متسائلاً : إيه اللى حصل في مقابلتكم مع سامى ؟ دهشت الفتاتان من السؤال حيث كانت والدتهما قد حذرتهما من إفشاء سر هذه المقابلة حتى لوالدهما حتى نعرف نتيجتها وها هى قد أخبرته قبل معرفة تلك المقابلة وعندما لاحظ الأب دهشة ابنتيه قال .. ماما قالت لى .

روت نور لوالديها كل ما دار من حوار بينها وبين سامى ولم تخفِ أى شىء فقد تربيا على المصارحة والمكاشفة مهما كانت النتائج وقد دفع حُب الاستماع أفراد الأسرة إلى التوقف عن التهام البسبوسة والتركيز على التهام المعلومات القيمة التى باح بها سامى لابنتهم .. بعد انتهاء نور من رواية ما تم فى المقابلة .. صمت من في المنزل فترة قطعتها ..

مديحة : دى معلومات ممتازة عنه وعن عيلته لو حقيقية .

وصفى : ممكن نتأكد منها واتصل بمدير فرع الشركة فى قنا وهوه أكيد حيعرف كل حاجه عنهم .. ولو جت المعلومات زى ما قال نبقى نفكر في الخطوة الجاية .

ولاحظ الوالدان أن إبنتهما صاحبة الشأن صامته لا تتكلم ولا تعطى رأياً .. وقد دفع هذا مديحة متسائلة :

إيه يانور .. أنا شيفاكى مش مبسوطة .. فيه حاجة ؟ .

نور : أنا لسه مخدتش عليه علشان أقدر أقرر إللى ناوية أعمله مع إنى مبسوطة من كل إللى قاله ومصدقاه وبقول لو كل إللى قاله صحيح وعجبنا نبقى نقرأ الفاتحة علشان أقدر أقعد معاه وأعرف إللى مش عرفاه أو أى شىء مظهرشى منه لحد دلوقتى .. وإن كانت كل حاجة كويسة نبقى نعمل الخطوة التانية وهيه الخطوبة .. أدى رأيى .. استحسنت العائلة رأى ابنتهم ووافقوا عليه وقد غمرتهم البهجة والسعادة .

صباح اليوم التالى اتصل سامى بمنزل العائلة في ميت الحنونى وأبلغهم بما جد عليه وعثوره على الفتاه التى يرغب فى الاقتران بها وعلم منهم أن شقيقه سعد سوف يقدم الشبكة إلى علا ابنة عمه عويضه الأسبوع القادم وكان في نيتهم الاتصال به مساء لإخباره بهذا الخبر السار .

أدلى سامى إلى والديه بكل البيانات والمعلومات عن نور وعائلتها وقد هنأته والدته على حُسن اختياره بينما اعترض الأب " على الحنونى " متعللاً بأنهم من بلد بعيد ولا يعلمون عنهم الكثير مع اختلاف الطباع .. وقد ضحك سامى من كلام والده

سامى : من أربعين سنة كان عندنا فى البلد شاب طيب وراح يجوز من خواجيه من بلد تانيه ولغه غير لغته !! وأضحك هذا والده متعللاً بأن الحب الزائد للأبناء يدفع الإنسان في بعض الحالات إلى اتخاذ قرار مخالف لما فعله في بعض الأحيان وبارك له هذا الإختيار .

في اليوم التالى اتصل سامى بعمه عويضه مهنئاً بخطوبة عـلا ابنته وقد عاتبه عمه على أن شقيقه الأصغر سوف يتزوج وأنه للأن أعزب .. أخبره سامى بالعثور على شريكة الحياة وأسعده هذا الخبر كثيراً .

سارت الأمور بين سامى ونور على أحسن ما تكون فالعلاقة واضحة بين شابين مثقفين يستعدان للارتباط سوياً كلٌ ينظر إلى محاسن ومميزات الآخر ولا يمسك وينظر إلى نقائص الثانى وقد أفادهم هذا التفاهم فقد تعرفت نور على كثير مما يسعد السيدة " لبنى " حيث أوضح لها سامى أن والدته تحكم على مستوى الناس من مستوى النظافة والرائحة الطيبة لمكان معيشتهم وكرهها ونفورها من روائح الثوم والبصل كما انها لا تخفى شعورها وحبها للزهور .. ونقلت نور كل ما قاله سامى عن والدته إلى والدتها التى تفهمت واقتنعت بأنه لا شىء افضل وأحسن من أن يعشق أى إنسان كل تلك الصفات وخاصة السيدات اللاتى يتناغم معهن هذا السلوك الرقيق بحكم تكوينهن .

اتفق كل من سامى ونور على أن الموعد المناسب لقراءة الفاتحة هو الخميس الأول من شهر مارس القادم .. وفى هذا التوقيت حضر كلٌ من " على الحنونى والسيدة " لبنى " وأبنتها الصغرى سنية من البلدة ولحق بهم العم عويضه من القاهرة .

تجولت السيدة " لبنى " في المدينة وزارت المتحف اليونانى الرومانى والذى يحوى الكثير من فنون الثقافة الغربية لكل من الحضارتين اليونانية والرومانية (الإيطالية) وشاهدت وقرأت الأسماء الإيطالية التى تذكرها بوطنها وعندما وقفت أمام مياه شاطىء المدينه استنشقت عبير الهواء وتنظر لمن حولها بأنها تشم رائحة أرض الأجداد وهى تناديها .. ألا تفكرين في زيارتنا إبنة العم " دوكيا " ؟.. ثم تعلق : إننى مثل السمك الذى لا يستطيع أن يحيا ويعيش خارج الماء إننى أشعر إننى عُدت إلى بيتى الأصلى الذى لم أره أو أشاهده من قبل .

كان واضحاً مدى التأثير الذى إستطاعت الأم " مارتا " أن تغرسه في طفلتها " لوو " حيث كانت على علم تام بما يخص وطنها إيطاليا موطن الحضارة الأوربية مع جودة وإتقان صغرى بناتها ( سنية ) للغة الإيطالية فكانت الفتاة تقرأ كل ماهو معروض أمامها بلغة بلدها إيطاليا .. وكأن شيئاً يحرك ما بداخلها للحنين لأرض الجد " دوكيا " و " الجدة مارتا " .

كانت نظرة النجاح واضحة على الأم التى سارت على خطى والدتها في إتقان أبنائها للغتهم الأصلية وكانت توضح لهم كما تتعلمون العربية لغة أجداد الحنونى فعليكم بالإيطالية أيضا لغة الجد دوكيا والجدة مارتا وكانت تستعين بالكتب والمجلات التى تركتها الأم مارتا وبعض الكتب الحديثة التى استطاعت الحصول عليها .

في التوقيت المتفق عليه وصلت عائلة سامى إلى منزل المهندس وصفى وتقابلت الأسرتان وجها لوجه لأول مرة وقدمت والدة العريس باقة من الزهور المنتقاه بعناية إلى والدة العروس وكانت بشوشة وسعيدة بهم وخاصة بالفتاتين .. كما شعرت عائله نور بالفخار لهذه السيدة الرقيقة التى ترتدى ثياباً فاخرة على أحدث الموديلات مع وسامتها التى تعطى انطباعاً بأنها أسرة رفيعة المستوى .

في جلسة عائلية تحادث الجميع وخاصة السيدتين لبنى ومديحة وقد أثنت الضيفة على منزل مضيفتها من حيث النظافة وحُسن إختيار الأثاث وحُبها للزهور المنتشرة في منزلها مع عدم وجود رائحة الثوم والبصل ثم نظرت إلى زوجها " على الحنونى " قليل الحديث مستفسرة منه أن نبى مهمد أهبر "اخبر" المسلم أن ثوم وبصل تجعل ملائكة يهاصمون "يخاصمون" من في هذا المنزل .. وقد أيدها زوجها معيداً قول حديث الرسول عليه الصلاة والسلام .

أشار المهندس وصفى إلى ضيوفه بالتوجه إلى ترابيزة السفرة لتناول الطعام حيث شاهدت السيدة مديحة كيفية تعامل السيدة لبنى هى وابنتها مع

أدوات الطعام فقد كانتا تتبعان نفس الأسلوب الراقى في فن الإتيكيت والتى درسته مديحة في الجامعة .

المعلم عويضه جالس معهم وقد شمّر عن ساعديه وهو يرتدى جلباباً بلدياً واسع الأكمام ومد يديه وأمسك البط والدجاج ويقطع ( يفسخ ) أجزاءه بيديه مهملاً أدوات المائدة المخصصة لذلك وكان مهتماً بعمله دون النظر إلى الآخرين الذين كانوا رافضين لسلوكه أو مندهشين لما يقوم به وخاصة السيدتين مديحه ولبنى ثم يمسك بالقطعة التى خرجت من أجزائها ..

قائلاً : علي .. خوى خلي بالك امعاى وسيبك من الحديت مع الباشمهندز خدُ ( يناوله قطعة ) ثم ينظر إلى سامى .. واد يا سامى .. خُد نصيبك آهُه أنى عارفك بتحب الزلموكه .. نظر جهة وصفى خد نصيبك آهُه يابوى .. أضحك كرم المعلم عويضة الجميع باستثناء لبنى التى لا تستطيع الجهر بذلك وإلا تحدث مشكلة كبيرة مع " على الحنونى " وأصبح نظام السفرة في خبر كان فقد تداخلت المحاشى مع السلطات مع اللحوم وسُكب أكثرمن كوب ماء وعصائر من مد أذرع عويضة في كل أماكن السفرة .

بعد الغداء وما حدث بحلوه أو مره جلست العائلتان ساكنتين .. وقد بدأ الحديث المعلم عويضه بطلب قراءة الفاتحة لخطبة سامى ولد الحنونى على الست بنت الأصول بنت عمنا الباشمهندز وصفى وتبادلوا التهانى .

قبل مغادرة أسرة سامى منزل وصفى فتحت أم سامى حقيبة يدها وأخرجت علبة قطيفة زرقاء وقبلت نور ..

قائلة ( مبروك كتير لهد ألف مبروك ) حيث تضاحكوا على تعبيراتها وأعطتها العلبة وخرجوا سعداء وأصحاب المنزل أكثر سعادة .

وصلت عائلة الحنونى إلى شقة سامى في حى رشدى بينما العم عويضه استأذن في وداعهم حيث سيقضى الليلة مع صديقه الحاج حسن الطنبور وبعد أن جلست العائلة وأبدلوا ملابسهم تحادثوا فيما بينهم عن

العائلة والعروس وكان بادياً عليهم جميعاً السعادة والانشراح بينما السيدة " لبنى " تحادث ابنها سامى .

ولد سامى .. عروس جميل كتير .. هلو كتير أنت مهظوظ مثل " على هنونى " .. منزل نضيف كتير .. رائحة كويس كتير .. مافيس ثوم وبصل .. الماما كويس كتير بنت صغير كويس كتير .

في منزل المهندس وصفى كانت العائلة قد نجحت تقريباً في إعادة النظافة إلى شقتهم خاصة حجرة السفرة التى قلبها العم عويضة رأساً على عقب وكانت الأرضية مغطاة بألوان من الطعام المتساقط الذى يوزعه على الموجودين باستثناء نفسه حيث ساعد الجميع على تناول طعام أكثر بينما لم يبق أمامه وقت أو طعام لتناوله وقد عقب وصفى على ذلك بأن هذا من طباع كرام القوم .

جلس الأب والأم والفتاتان يتحدثون عن هذه الزيارة وتعليقهم على الشخصيات التى حضرت اليوم وكان لنصيب الأم الجزء الأكبر عن شخصيتها مما نبه السيدة مديحه .. حيث قالت : على فكرة يا نور .. فين الهدية إللى أم سامى ناولتها لك قبل ما تمشى ؟

تنبهت نور قائلة : آه يا ماما .. صحيح نسيت .. أما أقوم أجبها من أوضتى وعادت بعد قليل ممسكة بالعلبة وناولتها لأمها .

قائلة : تفضلى يا ماما .

نظرت إليها كثيراً حيث أعطتها لزوجها ..

شوف يا وصفى باين عليها غالية .. حيث أيد ذلك .. ولكن شمس علقت بعد أن شاهدتها بأن صديقتها وفاء اشترى لها خطيبها مثل ذلك الخاتم الألماظ منذ شهرين بحوالى (١١٠٠) جنيه وقد أصابت الدهشه والدتها وطلبت من ابنتها نور ألا تخبر أحداً وخاصة سلوى حتى ( لا تنشها عين )

وعلق وصفى قائلاً : الست أم سامى بتفهم في الأصول .. زهور أول ما جت وبعدين هدية غالية قبل ما تسيبنا .. علشان كده لازم تفهمى إللى قدامك يا نور وتعرفى شعورها وأحاسيسها .. وأيدته في رأيه .. وكانت الشبكة المرتفعة الثمن في ذلك الوقت لا تتعدى الخمسمائة جنيه .

في هذه الليلة لم تنم نور .. كانت أحلامها يقظة طوال الليل وهى تستجمع كل كلمات سامى القليلة وكلمات السيدة لبنى الكثيرة والذى كان بادياً عليها السعادة والسرور من توجيه كثير من الثناء على جمالها وشياكتها لأن الأجانب لا يغالون في المجاملة ويصارحون الذى أمامهم بأى شىء خاطىء يشعرون به .. وفى الحجرة المجاورة لها أيضاً كانت والدتها هى الأخرى سعيدة بما حدث وكانت خائفة من المستقبل وتخشى أن يحدث شىء غير سار في مسار هذه العلاقة لاحتمال أن تحسدهم سلوى صديقة ابنتها ولذا فيجب على نور الانتباه لهذه الصديقة وألا تخبرها بكل شىء .

# ( ١٨ )

## موعـد غـرام

في الشركة تبارى العاملون والزملاء على تقديم التهانى إلى كل من مديرهم المهندس وصفى وزميلهم المهندس سامى الذى علقت بعضهن بأن المهندس وصفى ضرب ضربته واخذ العصفور الدهبى لبنته نور وسامى أحلى منها بكتير وبدأ فاصل من الذم والنميمة .

تعددت لقاءات سامى ونور لأن سامى لديه وقت فراغ كبير ونور تريد التعرف على هذا الغازى القادم من الجنوب والذى استطاع السيطرة على مشاعرها وأحاسيسها يوماً بعد يوم حيث كانت تشعر إنها مندفعة إلى حُبه والتعلق به وقد نسيت ما باحت به إلى شقيقتها من أنها تنوى دراسته حتى تعطى قرارها وقد سبق قلبها عقلها وأعطى قراره بتربع سامى داخله ولا تستطيع أن تبتعد عنه وإنها تصبح أكثر سعادة منه عندما يطلبها للخروج وكانت كل ترتيباتها ومواعيدها بعد أن تتأكد أن سامى غير جاهز للخروج سوياً .

تزوج " مدحت وسلوى " بعد مرور أسبوعين على قراءة فاتحة نور وسامى وكان العروسان في منتهى السعادة بتلك الخطوة وشعرا أنهما السبب بعد الله عز وجل فيما حدث لكليهما وطلبا منهما الإسراع للحاق بهما ليصبحا زوجا وزوجة .. وبعد ثلاثة أشهر من المناسبة الأولى وقدوم الصيف تمت خطبة الحبيبين وأقيم احتفال رائع في نادى اليخت على شاطىء المدينة وحضره العديد من الأصدقاء وجميع إخوة وأخوات سامى وبحضور عائلة عمه عويضه وشقيقه الأكبر سعيد الحنونى وزوجته صباح التى تزوجها منذ شهرين وهى كريمة المهندس فهمى المدير الفنى لمزارع " على الحنونى " .. وهكذا اقتربت علاقتهما أكثر فأكثر وأن الخطوة التالية هى الزواج .

فى إحدى الأمسيات وكانت يوم الخميس من شهر نوفمبر خرج كل من نور وصفى وسامى الحنونى للتنزه وكان الطقس خليطاً ما بين الخريف الذى يودع والشتاء الذى يريد أن يزيحه من أمامه كانا يسيران بدون هدف سوى التنزه والتمتع بوقتهما سوياً قادتهما أقدامهما إلى وسط المدينة حيث شاهدا زحاماً أمام إحدى دور السينما الشهيرة في المدينة وتبينت نور أن دار السينما تعرض فيلما قديما للفنان المشهور عبد الحليم حافظ حيث كان مريضاً ويعالج بالخارج ور غم قِدم الفيلم لكن حالة الفنان دفعت معجبيه إلى الازدحام لدخول السينما .. نظرت نور إلى سامى تطلب منه أن يتوجها إلى السينما لمشاهدة فيلم ( موعد غرام ) بطولة محبوبى جماهير السينما في العالم العربى عبد الحليم وفاتن حمامه وبحث الشاب عن تذاكر ولم يجد ولكنها ابنة الثغر أشارت إلى أحد الشباب يقف جانباً وقالت له ستجد تذاكر مع هذا الشاب .. توجه له سامى طالباً تذكرتين وأعطاه التذاكر بعد أن تدخلت نور لاختيار مكان المشاهدة عندما سأله الشاب " لوج ولا بلكون " ووقف سامى حائراً وما معنى ما يقول .. فاخذت التذكرتين بعد أن تأكدت من مكان الكراسى المحجوزة حتى لا تكون على الأجناب وبالتالى تكون المشاهدة غير مريحه لهما .

لاحظ سامى وهم جلوس في دار السينما أن نور كانت ملتصقة به ومتعلقة في كتفه محتضنة ذراعه الأيمن مائلة برأسها عليه هامسة ببعض الكلمات الجميلة التى توحى بالحب والسعادة وتهتز مع الأغانى الموجودة بالفيلم .. كانت قصة الفيلم من النوع الخفيف المحببة إلى قلوب الشباب حيث تدور عن الشاب العابث " سامى " والذى تجمعه ظروف السفر بالصحفية " نوال " ويحاول مغازلتها وعمل علاقة معها بعد ان تبدلت حقائب سفرهما المتشابهة والتى ما ان فتحتها حتى تكتشف أنها لاتخصها ولكن تجد صوراً تذكارية لهذا الشاب مع أكثر من فتاة وأن الفتيات يوقعن خلف هذه الصور بجملة شهيرة ( سمسم إلى الأبد ) .. وكان الفيلم يحوى بعض الأغانى الجميلة والتى منها أغنية صدفة وبينى وبينك إيه وكان لتلك الكلمة وفعلها عامل هام في قصة حب نور وسامى .. كان الجو العام للفيلم وأبطاله

والمواقف الكوميدية التى يحتويها أثراً هاماً على الشابين المتحابين وبالأخص نور بنسبة كبيرة جداً .. كانت الفتاة تشعر أنها مخدرة وقبل نهاية الفيلم بعدة دقائق مالت نور على سامى وقبلته قبلة خفيفة على خده الأيمن جهتها .

انتهى عرض الفيلم وخرج المتفرجون سعداء بالنهاية حيث اجتمع شمل الحبيبين أما نور وسامى فأمسيا شخصين آخرين حيث ما زالت الفتاة قابضة على ذراعه الأيمن سائرة حالمة ترفض المحادثة .. كان كل وعيها مع أبطال الفيلم الذين يمثلون حقيقة ما بينهما كما كانت أغنيات المطرب المشهور مؤثرة عليها أما سامى فكان يسير سعيداً بسعادة محبوبته وكان شاعراً أنه دون جوان عصره حيث جعل البنته مثل الخاتم في اصبعه .. كل منهما كان في حالة تختلف عن الآخر لكن ما يجمعهما هو أسطورة الحب التى جعلت للبشرية طعماً وحياة .

تشجع سامى يحادث فتاته : الفيلم مليح جوى .

لم تجبه ولكنها ضغطت على ذراعه التى تقبض عليها منذ أكثر من ساعتين .. سكن وسكت ثم عاود حديثه بعد عدة دقائق ..

أروحك يادوب كده .. بوكى يجول إيه الولد خطف البنيه ويبعت يجيب باروده ويدور على .

ما زالت ضاغطة على ذراعه ..

ثم همست له .. كان يوم حبك أجمل صدفة .. يوم ما قابلتك أجمل صدفه .. ثم نظرت إليه قائلة بهمس : سامى ..... باحبك ! ..

يحدثها بصوت أعلى .. ألف شكر أروحك .. بوكى يجول إيه ؟

نفضت يدها من زراعه ..

قائلة : عامل دوشه .. بوكى .. بوكى .. أرجوك سامى .. خلينى في الحلم ده شويه ؟

شعر سامى أن نور ليست في حالتها الطبيعية فإما أن يكون هذا من تأثير الحب أو الفيلم فهما السبب فى ذلك .. أو أنها شربت عصير قصب ( بايت ) قديم فأصبح مثل البوظة وأنها تهلوس وكان قراره الأسراع بتوصيلها لمنزلها حيث تقترب الساعة من الثانية عشر من منتصف الليل وأصبحت الشوارع شبه خالية من المارة لشدة البرودة .. أشار إلى تاكسى ودفعها للركوب حيث كانت لا تظل تريد السير مع سامى في هذا الليل الهادىء والهواء النقى وبعد أن أوضح للسائق العنوان وهو يحاول تصحيح جلوس نور لأنها كانت تجلس وهى نائمة على صدره وصلا أمام المنزل وعاونها وأخرجها من التاكسى وسار بها وهى ما زالت مستندة على ذراعه حتى باب الشقة وضغط على جرس الباب حيث فتحت شمس وهى بدورها ارتمت على شقيقتها وشمس تشير إلى سامى بما ما معناه .. ما هذا ..

قال سامى : أنا بعتجد أن نور شربت سطل عصير جصب حامض وده مُنكر نبهى عليها متعملش كده عاد واصل وأنها تشرب حاجه زى كده

فهمت شمس أن الاثنين مجانين في هذه الليلة وعاونتها فى الوصول حتى حجرتها بينما غادر سامى منزلهم عائداً إلى شقته .

استلقت نور على سريرها بملابسها وهى تغنى أغنية صدفة محتضنة مخدتها وشمس تنظر إليها ثم أخبرتها أن تؤجل هذه الوصلة حتى الصباح نظراً لنوم والديها .. نظرت جهة شقيقتها شمس وهى تحادثها .. سمسم إلى الأبد .. تبتسم شمس بسعادة وهى تقول آه من سامى ..

فتقاطعها نور لأ متقوليش سامى .. قولى سمسم .

ضحكت الفتاه مندهشة قائلة سمسم وكمان حمص وسودانى .

أيقنت الشقيقة الصغرى أن ما فعلته نور ما هو إلا قصة حب قوية لم تعشها هى بعد ولكنها قرأت الكثير من الروايات التى تتحدث عن تأثير الحب الصادق بين المحبين والذى يدفعهم إلى هذا التصرف بما يوحى

للآخرين أنهم فقدوا عقولهم وسيطرتهم على أنفسهم .. آه يا نور .. أنه الحب الذى إذا ابتعدنا عنه وهجرناه تعذبنا وإذا جربناه تعذبنا .. يا لها من معادلة صعبة .

السبت التالى بعد زيارة السينما وحضور عرض فيلم ( موعد غرام ) توجهت نور إلى عملها .. كانت نور مختلفة في هذا اليوم والذى يعرفها من زملائها في العمل لاحظوا ذلك .. الجميع يقولون أن نور وصفى اليوم تختلف عن نور وصفى في الأعوام السابقة منذ عملت في مكتب وكالة الأنباء .. كان هناك تباين في كل الأمور منذ اللحظة الأولى .. وكان هذا بادياً للعيان .. فى الصباح القت بتحيتها على جميع العاملين معها بمودة وترحاب " شعارها ابتسم وابتهج من أجل حياة أسعد " رحبت بالصغير قبل الكبير ولاطفت السعاة .. لكن كان مصاحباً لكل هذا تغير عام في ملابسها وتسريحة شعرها ومكياجها الرائع وملابسها المتنوعة التى يغلب عليها الفرح والسعادة وقبلت جميع زميلاتها وعلقت على ذلك إحداهن بأن سامى له تأثير واضح مما جعل نور تصحح " سمسم .. سمسم إلى الأبد " وقد وافقتها الزميلة سمسم .. ولكن نور أرادت أن يجتمع معنى الاسم " سمسم إلى الأبد " فضحكت الفتيات على ذلك .

أما على الطرف الآخر .. فقد سرح سامى الحنونى قليلاً وهو جالس في مكتبه وأدهشه هذا الشعور الفياض من الحب والمودة التى أغدقته عليه نور أول أمس وهما في طريقهما إلى السينما أو أثناء العرض أو بعده .. لازمه نوع من الزهو والخيلاء بأن نور وصفى متيمة به وأحبته كما يحبها هو لكنه يتبع اسلوب صمت الحب ولا للإفصاح عنه وهو الرجل الصعيدى الذى لا يجب عليه إظهار تلك العواطف .. ثم تراجع قليلاً سائلاً نفسه وماذا في هذا الشعور الإنسانى الجميل وقد أصبحت خطيبته والكل يعلم ذلك ثم ما هى الا عدة اشهر ويتزوجان ويعيشان سوياً وقبل مرور العام على زواجهما تنجب له ابنة أو ابناً وتصبح أم أولاده .. لا.. لا.. إنه يجب عليه أن

يشعر بالسعادة وعليه أيضاً أن يشكر الله أن زرع الحب بينهما ليكون زواجاً سعيداً عليهما .

قطع عليه تفكيره وتأمله بعض زميلات المكتب وهن يتحدثن ويتضاحكن حيث ألقوا عليه تحيتهن وقالت إحداهن أنهن يجمعن تبرعات من الراغبين لمساعدة فراش المكتب " عم عبده " حيث ستجرى له عملية جراحيه ونعمل على مساعدته فإذا كنت راغباً فإدفع جنيه .. نظر سامى إلى الفتاة قليلاً ..

جنيه!! .. عايزين منى جنيه؟! .. والله حرام يا خلج!! ( نظرت الفتيات بعضهن إلى بعض مستنكرات أن يغضب لدفع جنيه واحد من أجل مساعدة هذا الإنسان الفقير وأنه مهندس وأعزب وليس عليه مسئوليات ) .. ثم أخرج حافظة نقوده قبل أن تُتهم الفتيات بالخروج غاضبات من عدم التعاون في مثل تلك الأمور الإنسانية وأعطى زميلته التى تجمع التبرعات كل ما معه من نقود ونظرت الفتاه إليه وإلى بعض المرافقات معها وهى ..

تسأله " جنيه واحد يا باشمهندس " ولكنه رفض مصمماً على دفع ما كان بجيبه .

ثم بادرهن قائلا : أنى عندى سؤال .. فيه حد فيكم إتفرج على فيلم صدفة ؟

نظرن بعضهن إلى بعض حيث لا يوجد فيلم بهذا الإسم ونفت إحداهن بأنهن لم يسمعن عن هذا الفيلم .. فشعر أنه نطق باسم الفيلم خطأ .

فقال : صدفه بتاع عبد الحليم ..

بعد قليل أجابت إحداهن آه " موعد غرام " .

إنفرجت أسارير وجهه قائلا : أربط إهنه .. هوه ده ؟

حيث علقن : إحداهن .. فيلم جميل وهايل ..

وأخرى ياه عليه يشعلل الحب المدارى ..

وثالثة يا سلام .. فاتن عملت مقلب سخن في الولاد إللى فاكرين نفسهم حبيبة ..

ورابعة هتفت وهى تشير جهة سامى .. أيوه أنت سمسم .. فعلاً سمسم إلى الأبد .. وضحكن وغادرن مكتبه .

******

يرزق الله عباده كيفما شاء .. كان الخير يزداد على عزبة الحنونى فكلما اقترب أصحاب المال من الله في تعاملهم مع العاملين وإعطائهم حقهم ومساعدة المريض حتى يشفى ويعود لعمله فكان عالم الغيب يأمر ملائكته بأن يضاعفوا لهم العطاء .. وفى الحديث القدسى : تنادي الملائكة رب العرش كل يوم اللهم أعط فلاناً ..... المنفق خلفاً وأعط فلاناً .... الممسك تلفاً .. أى أن الإنسان المنفق في عمل الخير أزده من نعيمك .. أما الإنسان الممسك عن عمل الخير فلا تعطه وأتلف ما يملك .

كان الخير قادماً مسرعاً على عزبة الحنونى التى لم يقاس أحد بداخلها شظف العيش وعذاب البحث عن قوته وقوت يومه .. كان قوتهم ورزقهم قادماً من عند الله عز وجل وكما كان يتحدث الأصدقاء الثلاثة " على الحنونى والمهندس فهمى والمقدس شوقى " بأن مياه النيل من عند الله عز وجل والشمس والهوا من عنده والبذرة من عنده فإنه هو إللى بيأمر الملايكة تطلع الزرع " يضيف فهمى " بعد أن نأخذ بالأسباب ، ويؤيده الصديقان يعنى الخير بتاعه وباعته للناس إللى هو خلقهم .

كانت الفكرة التى دخلت على الإنتاج الزراعى في العزبة منذ عدة سنوات وتبناها المهندس فهمى وهى تحويل البذور إلى نباتات ثم إلى أعلاف ثم إلى لحوم سواء لحوم حمراء ( أبقار وجاموس وماعز .. أو ..

لحوم بيضاء من البط والفراخ والأرانب والحمام ) وقد أفاد هذا التحول إقتصاديا بأن تضاعف العائد المادى على الجنيه .. فإذا كان في نظام الزراعة وبيع الناتج من المحاصيل وصل عائد الجنيه السنوى حوالى ١٢ % فإنه في النظام الجديد وصل العائد إلى ما يقرب من ٢٣ % .. أما في التعامل مع التجار فأصبح التعامل مع نوعين من التجار " الجزارون " وتجار الدواجن وهذا بالطبع أسهل وأسرع وثالثاً أضيف إلى الأرض سماد طبيعى ولا احتياج إلى الأسمدة الكيماوية وبالتالى تخفيض النفقات .

في أول شهر يونيو سافر سامى إلى بلدته لحضور حفل زواج شقيقته " سيدة " على الدكتور عادل دعبس وهو طبيب بمستشفى قنا .. واوضح سامى لوالدته أنه يحتاج مبلغاً من المال لشراء سيارة ويبلغ ثمنها حوالى (ثلاثة الاف جنيه ) جنيه كما أنه يحتاج لدفع مهر نور لأن حفل زواجه سيقام في شهر سبتمبر بعد أن يغادر المصيفون المدينة ويعود إليها الهدوء .. طلبت منه تأجيل تلك المناقشات حتى الصباح .

صباح يوم الجمعة والسعادة تغلف أسرة الحنونى وأقرباءهم وأصدقاءهم بزواج أولى بنات الحنونى وكما هى عادة " لبنى وعلى " الاستيقاظ مبكراً من نومهما وفى نسيم الصباح قبل أن تأتى الرياح بالحرارة المرتفعة من الصحراء الغربية المتاخمة للعزبة آثارت " لبنى " مع زوجها الحنونى الحديث الذى دار بينها وبين إبنها سامى بخصوص شراء السيارة ودفع المهر إلى والد عروسه .. كان " على " بطبعه مستمعاً جيداً لا يقاطع محدثيه ولذا كان بالقليل من الكلام يتخذ قراره والغالب يكون صادقاً

حضر سامى بعد قليل وحيا والديه وتحدثوا قليلاً في أمور العزبة وحفل زواج الأمس ثم عقب الأب على حديث سامى إلى أمه أمس بأنه تفهم ما يريد وأرسل في طلب مبلغ (عشرة آلاف جنيه حتى يغطى الإحتياجات المالية المطلوبة منه سواء للزواج أو لشراء سيارة ) .. حاول سامى أن يقلل

مَن قيمة المبلغ الذى أرسل الأب في طلبه له بأن كل ما يحتاجه هو ( ثلاثة الاف للسيارة + والمهر الفان وخمسمائة جنيه ) أى أن جملة المبلغ (خمسة الاف وخمسمائة جنيه) ولكن الأب المجرب أخبره بأن أى شيء تعمل له حسبة فعليك زيادته من( ٣٠ % - ٤٠ % ) حتى تجابه المواقف المفاجئه .

بعد قليل حضر المقدس شوقى بطرس ومعه لفافة صغيرة وأخبر " على الحنونى " بأن المبلغ الذى طلبه موجود حيث ذهب إلى مكاتب الإدارة وفتح الخزنة وتأكد من عد المبلغ عدة مرات وعليك يا حاج " على " أن تعيد عده وقد رفض الحنونى ذلك مكتفياً بأنه لا يستطيع أحد أن يراجع عليه وناوله شوقى إيصالاً ليوقعه بتمام استلام المبلغ .

سلم " على الحنونى " ابنه سامى ربطة النقود كما أحضرها المقدس شوقى وطلب منه والده أن يؤجل حفل الزواج إلى منتصف أكتوبر حتى يكون قد أنتهى من جمع محصول القطن .. فوافق الابن على اقتراح والده .

عاد سامى الحنونى إلى المدينة الجميلة الإسكندرية وهو في أحسن الأحوال النفسية حيث أمضى يومين في عزبة الحنونى بين والديه وإخوته وأصدقائهم ثم سعد بزواج شقيقته سيده وتقابل مع زوجها وعاد حاملاً معه مهر نور الحبيبة وثمن سيارة فيات حديثة ومبلغاً من المال يساعده في نفقات الفرح .

في اليوم التالى إتصل سامى بالحاج حسن الطنبور صديق عمه عويضه والذى أقرضه مبلغ ألف وخمسمائة جنيه منذ عام .. رحب الحاج حسن بالولد الزين أبن الحنونى مستفسراً أين هو .. وأنه يعرف ويتابع أخباره من عمه عويضه وأنه مستعد لتنفيذ أى شيء وهذا أمر من صديقه الحميم عويضه .

شكره سامى وطلب منه موعداً لمقابلته في المكتب ليسأله المشوره في شيء يريد الاستفسار عنه فطلب منه الرجل إعطاءه فكرة عما يريد أخذ

رأيه فيه وأجابه سامى بأنه يفكر في شراء سيارة .. وأسعده هذا حيث . قال معلقا : كمبيل .. حلزونه على خيرة الله .. وأعطاه الرجل موعداً .

في الموعد المحدد توجه سامى إلى مكتب حسن الطنبور والذى كان في انتظاره ورغم ثرائه إلا أنه كان رجلا متواضعا ويعشق حفظ الأرقام .. وجد في مكتب المعلم شخصين لا يعرفهما وبعد أن رحب به المعلم وضيفاه . أخبره المعلم : قائلاً الحاج فوزى دودج وابنه ربيع أصحاب ( معرض سيارات الحرير على الطريق ) ودوول ناس زين .. وبعد التعارف وسؤال سامى عن نوع السيارة التى يرغب في اقتنائها أثنى الرجل على اختيار سامى ولكن الرجل أضاف بأن السيارات البيجو الفرنساوى أقوى وأشد من الفيات وأطول عمراً وأقل في الأعطال ولكنها أغلى في الثمن .. وأيد حسن الطنبور رأى المعلم الدوودج موضحاً أنه يمتلك سيارة من هذا النوع وهى متينة وتتحمل المجهود وطبيعة الأراضى المصرية التى هى خليط بين الأسفلت والأرض الطينية .. علم سامى أنها تزيد في الثمن عن الفيات بما يزيد عن الفى جنيه .. ولكن المعلم أخبره أن عليه اختيار اللون الذى يرغب فيه وأجاب سامى بأنه يرغب في اللون الأخضر واخبره المعلم " دوودج " بأن هذا اللون متوفر لديه .

قال حسن الطنبور نكتب العجد وأبعت هات الكمبيل .. وأخرج المعلم مبلغ الألفى جنيه من درج مكتبه وأكمل به مبلغ السيارة وقدره خمسة الآف جنيه .

عاد سامى مساء بالسيارة إلى منزله يقودها ببطء حتى يتعود على قيادتها .. في الصباح حضر أحد معاونى المعلم دوودج إلى سامى في مسكنه ليأخذ السيارة حسب إتفاق المعلم معه أمس لإنهاء كل أوراق قيادتها وقبل الظهر أحضر السيارة إلى سامى على مقر عمله بعد أن أنهى كل إجراءات تسييرها على الطريق وتكفل المعلم حسن الطنبور بكل تلك

الإجراءات عندما حاول سامى دفع نفقات ذلك حيث إتصل به سامى ليشكره .. ولكن المعلم أخبره أنه مثل عمه عويضه .

قبل أن يغادر سامى مقر الشركة استأذن في مقابلة المهندس وصفى الذى رحب به وأخبره بأنه أحضر المهر وقدره ألفان وخمسمائة جنيه حسب إتفاقهما .. شكره وصفى مخبراً إياه بأنه سينتظره مساء الخميس القادم في المنزل .

بعد عدة أيام لاحظ زملاء سامى بالشركة أنه يحضر صباحاً إلى مقر عمله يقود سيارة خضراء جميلة ودفعهم حب التملق إلى تقديم التهنئة إلى مديرهم وصفى والذى هو والد عروس هذا الشاب .

فوجىء المهندس وصفى بخبر اقتناء سامى لسيارة حديثة ونظر من شباك مكتبه كما أوحت إليه بذلك سكرتيرته .. أساء الظن بسامى واعتقد أنه شاب مستهتر ببنات الناس وأن العابث قد تصرف في مهر ابنته واشترى بها سيارة ليلهو بها مثل بعض الشباب الماجن الذى يشاهده فى هذه الأيام .. وقد أثر هذا في نفسه وأن الخميس باكر سيرى ما يفعله مع هذا الأهوج وليكن له موقف حاد معه مساء الغد وإن غداً لناظره قريب .

عاد وصفى إلى منزله وقد أساءه ما سمع وشاهد من تصرف العابث خطيب ابنته الذى ينوى أن يجعل اسمه واسم ابنته على كل لسان من العاملين بالشركة بأن خطيب إبنة مديرهم غرر بهما وصرف مهر ابنته في شراء سيارة للهو مثل الشباب الفاسد .. نزلت هذه المعلومات على رأس الأم نزولاً مؤلماً وشعرت أنها تحس بألم في رأسها وأن ضغط دمها قد ارتفع وأنه بهذا التصرف سيظهر الشامتين والحاقدين وأولهم سلوى صديقة ابنتهم .. وضعت السيدة قماشة مبلله بماء مُثلج نظراً لارتفاع درجة حرارة رأسها .

أما الفتاتان فكان لهما رأى آخر فلقد شعرت نور بالسعادة وأن خطيبها يعتبر من أصحاب السيارات وهذا له وقع في المجتمع الذى ينظر لمثل تلك الفئة بنظرة تختلف عن باقى أفراد الشعب من العامة الذين يصارعون في المواصلات مثل ما يصارعون فى الحصول على الطعام .. وهى ستنضم إلى فئة المارقين بسرعة تاركة متشعلقى الأوتوبيسات .. وغمر شمس أيضاً شعور بالسعادة لأن شقيقتها بعد الزواج ستحضر لزيارتهم برفقة سامى وهما يستقلان سيارتهما وفى بعض الأوقات تخرج برفقتهم للنزهه .. لم يستطع كل من وصفى وزوجته أن يناما قريرا العين تلك الليلة حيث كانا ينتظران خطيب ابنتهما العابث غداً ويلقناه درساً في كيفية احترام بنات الناس .

مساء الخميس وفى الموعد المعتاد وصل سامى إلى منزل المهندس وصفى وهو يرتدى ملابس صيفية جميلة متناسقة الألوان مكونة من قميص حرير أبيض وحزام جلد أسود وبنطلون أبيض وحذاء أسمر أجلسيه لميع وتعلو ابتسامة السعادة شفتيه وممسكا بباقة من زهور الياسمين والقرنفل تسبقها رائحته الجميلة مع تداخل ألوانها الطبيعية .

ألقى الشاب تحية المساء على الأسرة فرداً فرداً وكانت نور آخر من ألقى بتحيته عليها ولم تجب سوى بابتسامتها العذبة التى جاء من أجلها ليغذى قلبه بهذه النظرة التى تعيد إليه الجمال وروعة الخالق في عباده .. أما المهندس وصفى وزوجته فكانا عابسى الوجه وقد فارقتهم كل ألوان السعادة والبهجة التى كانت تستقبل سامى قبل ذلك .. بادره الأب بقوله :: مبروك بلغنى أنك اشتريت عربية جديدة .. وأسعد هذا سامى واندفع يتحدث عن السيارة التى استطاع شراءها ومميزاتها ولكن والدة حبيبته أبت عليه ألا يكمل فرحته حيث قالت له بحدة ليس لها ما يبررها ..

صرفت مهر بنتي في شرا العربية .. وأزعج هذا الفتاتين وسامى أيضاً الذى لم يفهم أو يستوعب ماهى العلاقة بين شرائه لسيارة وبين مهر العروس ووقف حائراً لبعض الوقت .. ثم تنبه وحدثها بأسى قائلاً .

ليه ياعمه بتجولى كده ؟ فأشاحت السيدة بوجهها عنه قائلة ..

هو أنا عرفالك أول من آخر ..

أطبق السكون على من في المنزل وإنقلبت فرحته إلى حزن كامل والفتاتان تقفان صامتتين ولا تستطيعا بقلبهما الصغير الذى لا يحمل سوى الحب والتسامح أن تفعلا شيئاً .. نظر سامى إلى السيدة مديحة وشعر بمدى الإهانة التى لحقت به أمام كل أفراد الأسرة ثم أطرق برأسه ناظراً ما بين قدميه وهو صاحب الكبرياء العالى والذى لم يحادثه قبل ذلك أحد بمثل ما قالته العمة مديحة .. وقطع سكون تلك اللحظات المؤلمة الأب قائلاً :

مديحة يابنى بتفكر في مصلحتك !

كان ما يزال صامتاً وقد علت وجهه حمرة الضيق والغضب وعاد اللون الاحمر لعينيه الزرقاوتين من فرط ضيقه وشعر الجميع أن هذا الشاب لا يجب أن يعامل بمثل تلك الطريقة وأنه من النوع شديد الحساسية التى تكون نتائج مثل هذا الأسلوب معه عكسية تماماً ..

حاولت الفتاتان كسر الجمود وإدخال البهجة إلى قلبه المجروح وهو ما زال صامتاً يستجمع كل ما حدث وما هو السبب وراء كل ذلك ؟ .. فحادثته نور وأحضرت شمس مشروباً مثلجاً ليتناوله وكأنه فقد رؤيتهم ولا يشاهد سوى الأب والأم .. وتحدث فجأة مبدداً حاجز الصمت قائلاً ..

عمى .. ولم ينتظر إجابته .. أنى من تلات تيام طلبت مجابلتك علشان إيه ؟

علشان تيجى تزورنا .

لا .. آنى بآجى للزيارة علشان نور لكن طلبت معاد علشان أتحدت معاك راجل لراجل .

تذكر الأب : آه صحيح عرفتنى علشان حكاية المهر .

وآنى جيت في معادى .

ثم أخرج من جيبه ظرفا به أوراق مالية دفع بها إلى المهندس وصفى قائلاً ..

إتفضل المهر ..

نظر إليه الجميع وقد شعروا بمدى حرج موقفهم والذى دفع الأم إلى توجيه كلمات أغضبته ولكن الأم التى ما زالت على عنادها تحدثت إليه قائلة ..

تلاقيك صرفت منهم شوية في شرا العربية ..

ولم تتمالك نور هذا الحديث حيث اندفعت في حديثها مع أمها ..

أرجوكى ماما مش كده .. مش كده .. وتركتهم مندفعة إلى حجرتها باكية وقد لحقت بها شمس .. ثم أكمل حديثه .

عمه إسمعينى .. كل الاتفاجيات بتكون بين الرجالة ومافيش حريم يدخلوا فيها .. ثم نظر إلى وصفى .. إحنا إتفجنا كام مهر ياعم وصفى .

ألفين وخمسمية جنيه ..

معاك تلتلاف جنيه صُح .. ثم أكمل حديثه .. على فكرة ياعمى العربية تمنها خمسة الآف جنيه .

قام وصفى واحتضنه معتذراً عن سوء الفهم وأن ما يفعله شباب هذه الأيام يجعل الإنسان في حالة من القلق على بناته وأعقبت السيدة مديحة زوجها بالإعتذار عن هذا الخطأ الذى هو في الأساس لصالحه وصالح نور.

عادت نور بعد أن جففت دموعها واستعادت جزءاً من إتزانها وقبلتها أمها ناصحة لها بأن تخرج مع خطيبها للتنزه وأن يحاولا المرور على المحلات لإنتقاء أثاثهما حسب ذوقهما وأن عليهما من الأن عمل مرور مستمر على معارض الموبليا والأدوات المنزلية لهذا الغرض .

كانت تلك النصائح باعثاً على تجدد الأمل بعد التوتر الذى ساد منزلهم منذ قليل واستأذن العروسان في التنزه ومشاهدة ما يستطيعون مشاهدته من محلات الأثاث .. وبعد أن غادرا المنزل تحدث وصفى إلى زوجته طالباً منها أن تشجعه بمنعه من الانفعال والتوتر في تعاملهم مع خطيب ابنتهم لأنه معتد بنفسه وأمام مثل تلك المواقف ممكن أن يتصرف بحماقة تاركاً الجمل بما حمل وأن ينسى كل حبه جهة نور فى حالة شعوره بالإهانة .

تحدد منتصف أكتوبر لحفل الزواج والعائلة قد انتهت من موسم جنى محصول القطن الهام لدى الفلاحين ومصر لأنه من المحاصيل التصديرية الأولى .. استعدت نور وأسرتها لهذا الحدث من شراء لوازم الفرح بعد أن وُفقا في اختيار آثاث شقتهما وأرسل الى شقة سامى في حى رشدى .. كما طلبت الأم لبنى من ابنها سامى أن يستأجر لهم شقة مفروشة لفترة أسبوعين حتى يتمتعا بنزهات المدينة ويمضوا عدة أيام بعد زواج سامى ونور .

أقيم احتفال هادىء في صالة أفراح راقية وكان الاحتفال بعيداً عن مظاهر الأغانى والرقص الذى كان سائداً في ذلك الوقت وقد أعطى هذا الهدوء والرومانسيه الحالمة وقعاً نفسياً طيباً للمدعوين وأشادوا برُقيه وخاصة القطع الموسيقية التى عُزفت من عازفين دارسين لفنون الموسيقى الشرقية .. بعد الزواج بأسبوع سافر العروسان إلى الصعيد حيث زارا آثار الأقصر وأسوان ثم قضيا عدة أيام في عزبة الحنونى .

رافقت السيدة لبنى زوجة إبنها العروس نور لتفقد عزبة الحنونى .. وقد بدا على نور اندهاشها وإنبهارها بما تشاهده وتراه وصرحت بذلك لزوجها سامى بعد يوم حافل من الجولات في أنحاء المزرعة وأنشطتها المختلفة

حيث قالت له .. أنا وغالبية الشعب في مصر نهتم بأعمالنا وناكل كل يوم أكثر من وجبة ونستطعم الفاكهة ونشرب العصائر من ليمون وبرتقال ومنجة لكن لم يفكر أحد منا من أين أتى كل هذا ؟ وكيف انه من وراء هذا الخير والنعيم سواء للخضار أو اللحوم والذى نحضره من السوق حتى الورد والزهور .. لكننى اليوم شاهدت كل شيء على الطبيعة سواء من تربية الأرانب وصغارها ترضع من أمهاتها كما شاهدت مزرعة الدواجن وحجمها الكبير وأبراج الحمام وهو يطير فى السماء إنه لشيء جميل حقاً .. كما شاهدت تربية البقر والجاموس والعجول الصغيره ترضع من أمهاتها وحليب اللبن وتجهيزه من أجل مصنع الجبنة والزبادى في قنا الذى يشترينه .. وجمع الاف من بيض المائدة .. خير يا سامى .. أما الزراعه فهى شيء آخر والفلاحون مشغولون بعملهم وتشاركهم فيه الفتيات والسيدات وهن يترنمن بالاغانى أثناء العمل .. عالم جميل وحياة طبيعية وسحر الخضرة كل شيء رائع .. أننى مسرورة من هذه الجولة الرائعة فى ريف مصر وأتمنى أن أحضر كل عام لزيارة العزبة .

في اليوم التالى شاهدت نور العيادة الطبية والمدرسة والمسجد ثم اوضحت لها السيدة لبنى نظام إطفاء الحريق ومكان الأفران لإعداد الخبز بعيداً عن بيوت الفلاحين وماكينة طحن الحبوب وشاهدت إدارة المشروع وقابلت المساعدين المخلصين للعم " على الحنونى " وهما المهندس فهمى والمقدس شوقى وفى المساء قامت بزيارة صباح زوجة سعيد الحنونى وهى إبنة المهندس فهمى فقد تزوجا منذ اشهر قليلة وقد سعدت بالتعرف عليها وزارت علا زوجة المهندس سعد الحنونى وإبنة عمه عويضه

انتهت أجازة سامى ونور وعادا إلى الإسكندرية بعد قضاء عدة أيام في العزبة .. وبعد شهرين حصلت نور على شهادة الماجستير .. وكانت سعادة أسرتها بالغة فقد كانوا يخشون أن يشغلها الزواج عن الدراسة لكنها إستطاعت الجمع بينهما وطلب منها سامى التفرغ للمنزل وخاصة بعد أن أبلغهم الطبيب المعالج بأن نور حامل في شهرين

طلب المهندس وصفى من سامى الحنونى الحضور إلى مكتبه وهناك شاهد رئيس القسم التابع له سامى متواجداً أيضاً وأخبره وصفى بأن رئيس مجلس إدارة الشركة قد رشح بعض المهندسين في جميع الأفرع للعمل مع شركة " باكتل " الأمريكية للإنشاءات والتى افتتحت فرعاً لها في مصر منذ عدة أشهر من ضمن الشركات التى حضرت لمصر تنفيذاً لسياسة الإنفتاح الإقتصادى التى تتبعها الدولة لزيادة النشاط الاقتصادى في البلد بعد حالة التوقف التى لازمت ظروف الحرب وقد اختاره من ضمن مجموعة المهندسين التى ستتعاون مع الشركة .. تردد سامى أمام مديره ولكن رئيس القسم أقنعه بأنها فرصة يجب إستثمارها للاطلاع على أحدث التطبيقات العلمية في مجال الإنشاءات الحديثة .. كما أوضح له المهندس وصفى أن قرار رئيس الشركة واجب التنفيذ ولا أعذار يقبلها .

وافق سامى على تنفيذ أمر رئيس الشركة وهو رجل شديد ولا مجال للمهادنة معه وكان من أهم أسباب عدم اعتراض سامى على النقل وجود عمارة ميت عقبة وشقه مجهزة لمثل تلك الطوارىء التى توقعتها والدته .. ومكان العمل قريب نسبياً حيث يقع في بداية طريق مصر الإسكندرية الصحراوى والشركة مزودة بوسائل نقل حديثة .

لاحظ سامى ازدياد العمران حول عمارتهم وزيادة أكثر في مجال الخدمات .. بعد عدة شهور أنجبت نور وليدها الأول وكانت طفلة وسعد بها الأبوان وأدخلت السعادة والبهجة على قلبيهما وإتفقا على إطلاق اسم " لمياء " عليها .. أما الزيارات للإسكندرية فكانت شبه أسبوعية لأن الطريق لا يستغرق أكثر من ساعتين للوصول إلى المدينة كما ان الجدة مديحة متشوقة لحفيدتها الأولى " لمياء الحنونى " .

قرابة العامين في القاهرة انتهت فترة مشاركة مجموعة المهندسين في المشروع وعادوا إلى أفرع شركاتهم وقد استفاد من هذا المهندس مدحت فقد حل محل سامى بعد نقله للشركة الأمريكية منذ عامين .. كما رقى سامى بعد أن عاد إلى فرع الإسكندرية .

في نهاية عام ١٩٧٩ أنجبت نور الطفل الثانى وكان ذكراً وأطلق عليه اسم طارق وقد سعدت شقيقته لمياء أن أحضرت لها أمها عروسة لتلعب بها .. الحياة تسير بالأسرة على ما يرام ونور مشغولة بطفلين يستهلكان كل وقتها ويشبعونها بكل الحب وعاطفة الأمومة .. بينما سامى يتقدم في عمله وشعرت الأسرة أن الاستقرار هو أملهم ..

وصل خطاب من شركة باكتل الأمريكية الى سامى الحنونى ومرسل عن طريق المقر الرئيسى للشركة التى يعمل بها وتعرض الشركة عليه أن يعمل معهم في فرع الشركة بالعاصمة الإيطالية روما نظراً لأنه أثبت كفاءة فترة العمل المشترك بالإضافة إلى إتقانه للغة الإيطالية .. ومرفق عقد بالشروط والمرتب والمميزات في حالة الموافقة .

تدارس الزوجان خطاب الشركة وبنود العقد وهنأ الجميع سامى على محتواه فلقد وصل راتبه إلى خمسة آلاف دولار بالإضافة إلى السكن وشهر أجازة سنوية مدفوعة الأجر .. أما المهندس وصفى ووالدة نور فقد سعدا بهذا العرض رغم حزنهما على فراق نور وأطفالها وأنهما سيفقدان الونيس حيث سافرت شمس مباشرة بعد الزواج إلى الخليج لظروف عمل زوجها الطبيب هناك .

أما الأم " لوو أو لبنى " فقد غمرتها السعادة أن يطأ أرض الأجداد أحد أبنائها وكانت تعتقد أنها سترى وطنها بعيون سامى وسرحت بخيالها بعيداً فى أن يأتى اليوم وتزوره هناك في روما .. نور هى الأخرى غمرتها السعادة والفرحة بأنها ستخرج خارج حدود الوطن لتشاهد إحدى الدول الأوربية وذات الحضارة والتقدم الاقتصادى في العالم .

لقد إتفق الجميع بأنها فرصة أمام سامى الحنونى لم تأت لزميل له رغم تدرب عدد من زملائه معه .. وكان العامل المساعد لتلك الفرصة والتى ميزته عن الأخرين هو إتقانه اللغة الإيطالية بجانب الفرنسية والإنجليزية التى تعلمها في المدارس الحكومية .. نظرت نور اليه قائلة : إن شبح التعليم في كل شيء وبدون العلم والمعرفة يخسر الإنسان الكثير لذا فسوف أتبع

سيرة والدتك في التعليم وسأفعلها مع لمياء وطارق .. وأضاف سامى وما بعدهما .. واعترضت نور قائلة كفى هذان القردان وشقاوتهما .. ونظر إليها قائلاً وما رأيك في أم السبعة؟ .. ضحكت وكانت تعلم إنه يتحدث عن والدته .. وعلقت قائلة : " أنا فين وأنتى فين " وكان هذا اسماً لمسرحية مشهورة للفنان الرائع فؤاد المهندس .

استعدت الأسرة الصغيرة للسفر إلى مكان العمل الجديد وقد ودع سامى ونور عائلتهم في البلدة والجدة تقبل أحفادها ملقنة إياهم ألا تنسوا مصر وأنتم في إيطاليا مثل ما أننى لم أنس بلدى إيطاليا وأنا أعيش فى مصر .

# ( ١٩ )

## سـامى وأسـرته فى إيطاليـا

في بداية عام ١٩٨٠ وصلت أسرة سامى الحنونى إلى مطار روما حيث كان في انتظارهم مندوب عن فرع الشركة الأمريكية بالعاصمة الإيطالية ورافقه معّ أسرته إلى مكان إقامتهم الذى كان عبارة عن شقة صغيرة معدة إعداداً جيداً ومزودة بكل شيء عصرى وتقع بمنطقة تكثر بها الحدائق وتعتبر من المناطق حديثة الإنشاء .

أخبر مندوب الشركة سامى قبل وداعه أن موعده مع مدير الفرع " مستر دوجلاس " أو اختصاراً " مستر دوج " بعد ثلاثة أيام وسوف تحضر سيارة الشركة في الثامنة صباحاً لتقله إلى المقر وودعه بعد أن سلمه شيكاً سياحياً بقيمة ثلاثة آلاف دولار للانفاق منها حتى تنظم الشركة أموره المالية .. اليوم التالى إستأجر سامى سيارة خاصة من إحدى الشركات قادها بنفسه ليتجول بعائلته في العاصمة روما وكان واضحاً أمام نور فائدة أن تتقن لغة بلد أنت تزورها أو تعمل بها بل وكان هناك تقارب في الشبه بين سامى والكثير من الإيطاليين نظراً لوجود عنصر الأم وإتقان اللغة

عثرت نور على ضالتها في إيطاليا لعشقها لهواية الرسم التى لم تجد طاقة نور أمامها في مصر لكى تتقدم وتبتكر وشاهدتها في روما فهى معرض كبير ومفتوح ويقدم إليه عاشقو الفنون يتتلمذون في معاهدها ومن أشهرها معهد " لونارد دافنشى " وهو الرسام الإيطالى الموهوب في عصر النهضة الأوربية والذى رسم سقف كنيسة هامة راقداً على ظهره على سقالة لمدة تزيد على ستة أشهر .

شعرت نور أنها أمام مهمة مقدسة وأمامها فرصة عمرها لأنها لا تعمل ومتفرغة للأطفال ولذا فعليها أن تتعلم اللغة الإيطالية لتصبح مثل سامى على أن تبث هذا في أبنائها مثل ما فعلت " لوو " ولا يجب أن يفقدوا اللغة

العربية أثناء تعلمهم لغة أجنبية إضافية ثم عليها أن تتعلم فن الرسم الذى تهواه وتعشقه وقد أحضرتها العناية الإلهية إلى المركز العالمى لمبدعى الرسم والفنون وانضمت إلي فصول الدراسة للهواة وحصلت على شهادة تفيد إجادتها لفن الرسم وأصوله وبعدها رسمت عدة لوحات معبرة عن البيئة المصرية ودخلت بها معرضا للهواة ثم حصلت على جائزة تقدير .. ومع كل هذا كانت تستعين بشرائط كاسيت لتعلم اللغة الإيطالية وألحقت طفليها بإحدى حضانات الحى التى تقيم فيه ولم تترك فرصة للتعلم إلا واقتنصتها .

سامى هو الآخر كان مجداً في عمله وكان تعامله المباشر سواء مع المهندسين أو العمال دافعاً إلى تقدمه لسهولة التعامل والتفاهم معهم .. أما في العطلات فكان لا يترك اى فرصة إلا وتجول وزار وشاهد وعلق على معلوماته التاريخية عن وطن الأم والتى كان قد إستقاها منذ صغره ووالدته تحفظه كل شيء عن وطنه الثانى ولذا فإنه يريد أن يقرن التاريخ بالحقيقة .. أما الأطفال فبعد عدة أسابيع كانت مفردات اللغة الإيطالية معهم يتحدثون بها سواء بسبب الحضانة أو بسبب التلفزيون .

لم ينس سامى أو نور عائلتيهما في الإسكندرية أو ميت الحنونى في الصعيد فقد تطورت شبكة الإتصالات في مصر وأصبح بالقرى تليفونات وحادث سامى والديه من روما وعلقت والدته على ذلك بتطور مصر للأمام وتخبر من يجلسون معها من أبنائها وبناتها .. قائلة : آه .. فينك مام ؟ فينك داد ؟ يعمل واهد إتصال بروما لازم رووه قاهره .. مافيس واهد تليفون في ميت هنونى أو صعيد يعملتو إتصال بروما تعبوا كتير ..

شعر الزوجان سامى ونور أنهما متعايشان مع المجتمع ولا يشعران بالغربة التى يقابلها البعض .

أنهت الشركة الأمريكية الأعمال التى كانت تقوم بها قرب العاصمة الإيطالية ونقلت أعمالها إلي موقع آخر في جزيرة صقلية وانتقل سامى من روما إلى مكان قريب من عاصمة الجزيرة مدينة " باليرمو " في جنوب إيطاليا وكان واضحاً التباين بين روما وصقلية وقد علق سامى على ذلك ..

بقوله " دشنا " الإيطالية يابوى من غير جلاليب وطواجى .

حالفهم الحظ في المسكن الذى انتقلوا إليه والمعد لهم سلفاً من قبل الشركة حيث يطل على ساحل البحر الأبيض مباشرة وأسعد هذا نورا كثيراً حيث كانت تنظر جهة الجنوب وتبتسم إلى زوجها قائلة : سمسم .. أنا شامه ريح بلدى .. ياه يا إسكندرية .. ياه على جمالك .

وكانت تشعر بحركة الناس سواء في صيد السمك أو إصلاح مراكب الصيد وهى تقول زى الأنفوشى نفس النظام ونفس الملابس وأثر الشمس والميه على وجوههم وخيوط الغزل وطوالى سمك مملوءه بخير البحر وريحة زفارة السمك .. وقد كان واضحاً على سكان تلك المنطقة الإيقاع الهادىء مقارنة بالعاصمة روما .

في هذه الفترة لم تقم الأسرة بزيارة مصر ولذا فقد وجدها سامى فرصة في أن يقوم مع أسرته بزيارة إلى بلادهم ولقاء الأهل والأصدقاء وخاصة ان العمل سيبدأ بعد ستة أسابيع ووافق رئيسه في العمل " مستر دوج " على حصوله على منحه أجازة أربعة أسابيع .. الإبنة الكبرى لمياء بلغ عمرها ستة أعوام أما طارق فقد بلغ عمره ثلاثة أعوام وهكذا بعد مرور أعوام ثلاث قضوها في روما سيعودون إلى مصر للتمتع بهذه الأسابيع الأربعة والتى تمكنهم من قضاء بعض الوقت في عزبة الحنونى .. حيث كان يشعر سامى بالشوق والحنين لوالديه وإخوته كما يريد أن يتمتع عائلته بمشاهدة أطفاله الذين نموا في هذه السن الصغيرة ويستطيعان المشى

والتحدث ومشاكسة الكبار وحب المعرفة والإستفسارات التى يطرحها الأطفال عن كل شيء يشاهدونه ويسألون عنه .

طلبت لمياء من والدها ركوب المركب لأنها شعرت بجمال ذلك عندما ذهبوا إلى باليرمو بسفينة صغيرة وكانت تلعب وتلهو مع شقيقها بعكس الطائرة المحدودة المكان وطلب طارق من والده ذلك ليس لأنه يحب المركب ولكنه يقلد شقيقته ويقول ويفعل مثلها أما نور فقد شجعت تلك الفكرة وأضافت بأن هذا يمكننا من أخذ سيارتنا معنا في تلك الرحلة ونستطيع التنقل بحرية بدلاً من التاكسى أو إستئجار سيارة فترة إقامتنا والأهم هو أن المركب سترسو في الإسكندرية وسأقابل عائلتى حيث عادت شمس مع زوجها من دول الخليج وسوف يستقران في الإسكندرية .. كان واضحاً أن أسرته تفضل السفر بالباخرة وأذعن لرأيهم وحجز التذاكر بما فيها شحن السيارة ..

استعدت الأسرة لتلك الرحلة واشتروا بعض الهدايا لعائلاتهم وصديقه مدحت الذى كان دائماً على إتصال بسامى ويرسل له بالخطابات والتى تخبره بآخر الأخبار ومنها إحالة المهندس وصفى إلى المعاش وتكريم الشركة له بهذه المناسبة .

توجهت الأسرة إلى ميناء نابولى لأن خطوط الملاحة الدولية لا تخرج من تلك الجزيرة مستخدمين سيارتهم .. كان واضحاً أن كلاً من سامى ونور قد عقدا العزم على التمتع بأجازة ممتعة لأنها المرة الأولى التى تعود فيها الأسرة من الخارج بعد غياب اقترب من السنوات الثلاث .

تحركت الباخرة منذ عدة ساعات مبحرة من نابولى إلى الإسكندرية وإتصل سامى بعائلته ونور بوالديها بتوقيت وصول الباخرة ميناء الإسكندرية .. وشمرت السيدة مديحة وابنتها شمس مستعينة بزوجة بواب عمارة رشدى لتنظيف الشقة من آثار غلقها السنين الثلاث .. فوق سطح الباخرة يجلس سامى مع زوجته وطفليه والسعادة تشملهم بعودتهم إلى

مصر الحبيبة والتى لا ينساها من يسافر خارجها حتى لو كان خارجاً منها مدفوعاً لذلك وخاصة البحث عن العمل ومستوى معيشى أفضل .

نور حامل في شهرها الثانى وهذا هو الطفل الثالث الذى ينتظرونه وهى تمنى نفسها بأن تكون أنثى موضحة ذلك لزوجها " سمسم " التى ما فتئت منذ مشاهدة فيلم موعد غرام منذ ما يزيد على السنوات السبع وهى متمسكة بهذا الاسم الذى تململ منه زوجها كثيراً وهو الرجل الصعيدى .. قائلة سمسم حبيبى بأطلب من ربنا وانا باصلى أنه يرزقنى ببنت علشان تبقى سند لأختها لمياء ويزوروا بعض وتقف معاها في ظروف الحمل والوضع .. يضحك سامى موضحاً أنه يمكن أن يقوم الأخ بذلك ولكنها ترفض ذلك موضحة أن هذه الأمور لا يلتفت إليها الرجل ولا يفهم فيها ثم أن الرجل يكون ملاصقاً لأهل زوجته متباعداً عن أسرته ولا يفكر في الإتصال بإخوته إلا في المناسبات وقد ينسى أو يتناسى أو قد تكون زوجته من النوع الذى يفضل الاستيلاء على كل شىء في زوجها حتى علاقته بأهله ترفضها وتضع العراقيل أمامه في ذلك .. ينظر إليها ويهز رأسه دليلاً على خروجه من المناقشة وأن الله هو الذى سيأتى بالبنت أو الولد ..

كان منظر ارتطام الأمواج بجسم الباخرة رائعا والرذاذ المتطاير وطيور النورس والأسماك تقفز فوق المياه قد طغى على حديثهم لمتابعته ومشاهدته.

تتمتع نور بذوق عال في اختيار ملابسها وكان هذا واضحاً أثناء عملها في وكالة الأنباء الفرنسية وقد لفت هذا نظر سامى إليها في أول لقاءتهما في بداية التعارف .. ترتدى جيب شانيل كحلى اللون وبلوزه حرير بيضاء نصف كم بأزرار كحلى وقبعة كحلى لون الجيب وعليها إطار أبيض اللون يحيط بها وحذاءً ابيض اللون مع تناسق قوامها إلا من ارتفاع قليل في محيط البطن لظروف الحمل ونظارة شمس سوداء وقد أثرت شمس الصيف المشبعة باليود على بشرتها البيضاء فلون بياضها بقليل من اللون الأحمر

الذى يزيدها جمالاً وبهاءاً .. يتناغم هذا الوصف مع ضحكتها الساحرة التى كانت تدغدغ أحاسيس سامى ويقف عاجزاً أمام تلك السيمفونية الرائعة التى تخرج من بين شفاهها الرقيقة وكانت ملابس أطفالها مختارة بعناية مع الإهتمام الواضح بنظافتهم الشخصية .. سامى لا يقل عن زوجته في اختياره لنوعية تلك الملابس وألوانها الهادئة .

تلفتت نور حولها فلم تجد سامى فقد ترك المكان أثناء انشغالها بتهذيب ملابس طفلها طارق واعتقدت أنه في غرفة الطعام حيث تعرف على جرسون مصرى بها وهو من ابناء الصعيد وقرر هذا الجرسون أن يكافىء سامى بكوباية شاى صعيدى توزن دماغه فقررت تركه لعملية الوزن مع بلدياته فهما يتحدثان بلهجة واحدة ويشعران بألفة بينهما .. تتنزه مع أطفالها فوق سطح المركب حتى يحين عرض الفيلم السينمائى الخاص بالأطفال .

أثناء سيرها سمعت صوت زوجها وطريقة حديثه بلهجته المميزة في الجانب الآخر من الباخرة لا يفصل بينهما سوى بعض قوارب النجاة ولكنها شاهدته وشاهدت سيدة تقف معه ويتحدثان بكل بساطة دليلاً على أنها معرفة قديمة .. تضايقت لهذا المنظر وقد زاد من ضيقها ما لاحظته من ملابس تلك السيدة وطريقة حديثها مع سامى وكانت قريبة منه تكاد أن تلتصق به .

عادت نور إلى غرفتها ومعها أطفالها وهى لا تكاد تصدق ما رأته من زوجها وهو الإنسان المستقيم والذى تعلم عنه خجله من النساء وها هى تكتشف أنه يعرف تلك السيدة ويتضاحكان ويقفان سوياً .. لا.. لا يمكن أن تكون معرفة طارئه .. طريقة حديثهما تدل على أنهما على علاقة سابقة .. آه يا سامى لقد اكتشفت زيف حديثك وخلقك التى أقنعت به كل من عرفوك وقد ظهرت حقيقتك المُره .. إنك إنسان بصباص ولك من العلاقات الكثير حتى وجدت إحدى تلك العلاقات علي المركب .. ماذا سيكون عليه الحال في مدينة مثل القاهرة ؟ .. لقد وثقت بك وأعطيتك حبى وقلبى .. آه لقد

عرفت سر كوب الشاى الصعيدى الذى تذهب لحجرة الطعام لتوزن دماغك به .. كانت كلها رموز وشفرة .. أما الصعيدى الذى يقابله فهذه السيدة المايصة أما كوب الشاى الذى يوزن الدماغ فهى اللقاء وكلمات الحب والغزل بينهما .. آه ياربى لقد دخل الشك قلبى وأنا مثل الفريك ولا ارغب فى شريك .. كما أننى لا أريد سامى بعد اليوم .. وحسناً فعل .. وحسناً أن أنار الله بصيرتى لأرى ما رأيت ولم يخبرنى أحد بذلك وغداً سنصل إلى ميناء الإسكندرية وسأذهب إلى بيتى .. بيت أبى وأمى ولن ترانى بعد غد يا سامى ولن أقول لك سمسم بعد اليوم فلتذهب إلى غرامياتك وحبك القديم .. لقد قالها الأقدمون أن الرجل مثل الطير يخرج من عشه ويمكن أن يعود أو لا يعود فتستطيع أى إمراة أن تأسره وتستحوذ عليه .. تساقطت الدموع من تلك العينين الجميلتين التى كانتا دائماً عنوان الحب مع سامى .

عاد سامى إلى حجرته وجلس قليلاً وأطفاله يقفزون فوق ساقيه ويلعبون حوله ونور ناظرة إلى الجهة الأخرى رافضة تحمله حتى الغد ثم حدثها ..

نور جومى إلبسى هدومك ونروح المطعم النفر معدته بتمغص من الجوع ..

لم تنظر إليه ولم تعره اهتماماً .. ثم أعاد الحديث ..

نور أنت فين .. مالك مسهمه ليه .. إيه حُصل يابوى ومخليكى نافرة منى وعامله زى العبورة البراوى ( أنثى الخروف ) .. به جومى إمال .. ياله يا بنت عمى وصفى جومى شهلى وسيبك من اللكاعة دى إمال .. مالك مسهمه .. فين رحت ؟

قام سامى من مكانه وتوجه إليها جالساً امامها مخاطباً إياها ..

جومى يا نور حاعرفك على واحدة زميلتى سابجاً في الجامعة بنت زينة صُح .. تصورى عينى ما طالتها من يوم ما تخرجنا جابلتها فوج سطح المركب وأنا رايح لمحروس أشرب عنده الشاى .. تصورى عرفتنى على طول.وجه جوزها وتعرف على هوه كمان حتعجبك خالص هيه بنت نكته وبتحب تهزر .

نور وبضيق : مش هيه عجبتك ؟ كفاية عليها إنك معجب بيها .!

لا لا أنى معرفها إنك معاى بالمركب ونفسها تتعرف عليكى وتجعد معاكِ والله الولية بتجولى نفسى أتعرف على مرتك ياحنونى ..

لم تجبه وهو يحملق فيها مندهشاً ..

سامى : مالك النهارده .. مزاجك معكر ليه يا بنت الناس فيه حاجة حُصلت أو شى مزعلك منى جولى أنا محبش المهاتية .. طيب خليكى جاعدة وأنى حروح أجيبها تجعد معاكى .

نور بحدة : سامى ملوش لازمة الكلام ده .. بلاش لعب عيال .

نظر إليها مندهشاً ..

كلامك غريب يا بنت عم وصفى .. بتجولى سامى ومافيش سمسم وبلاش لعب صغار وده مش حلو خالص وكلامك النهاردة زى جالوص الطين ومش حيطلعله نهار .. بتتحدتى كده امعاى يا نور .. نظر إليها نظرة كلها ألم ..

نور : أنا شفتك أنت والمحروسة بتاعتك .. فانفرجت أسارير وجهه مرة أخرى صُح بس اسمها نادية مش محروسة .. جومى امعاى جوزها مستنينا كمان .

نظرت إليه متسائلة :ولو مكنش جوزها معاها كانت عملت معاك إيه؟

كان واضحاً أن شرخاً في علاقة سامى ونور قد حدث وعادة البعض يقولون أنه بعد مرور سنوات سبع على الزواج يحدث مثل هذا التوتر بين الزوجين .. خرج سامى من جناحهما وهو غاضب من أسلوب تعامل زوجته معه وشعر بالإهانة والحرج أمام زميلته السابقة وزوجها المنتظرين في قاعة الطعام .

وبعد أن غادر سامى جناحهما توجهه إلى سطح المركب متحرجاً من أن يقابل زميلة الدراسة وقد ألم به الضيق ولا يستطيع التحدث مع الآخرين لأنه ببساطة في وضع غير طبيعى من توتر المناقشة بينه وبين زوجته وخاصة أنها ضربت على وتر حساس يضايق الرجل من زوجته خاصة أن تصف تصرفاته بالصبيانية أو بشغل العيال كما قالت .. وكيف يستقيم الحال أن تشبه زوجها بأنه مثل الأطفال .. لقد كانت كلمة مؤلمة عصفت بهدوئه وسماحته وجعلته مثل الثور الهائج .

نادية زميلة سامى في فترة الدراسة بكلية الهندسة وهى من بنات الطبقة الأرستقراطية .. طبقة النوادى الإجتماعية المشهورة مثل نادى الجزيرة ونادى الصيد ونادى هليوبوليس .. وهذه النوادى لايشتركن بها بغرض النشاط الرياضى بل للنشاط الاجتماعى والظهور والعلاقات الأسرية والخوض في سير بعض الناس وكان يلزم من يشترك في تلك النوادى أن يكون ميسور الحال ومن ذوى المراكز في الدولة وبالطبع كانت كل تلك المؤهلات متوافرة في نادية .. نادية على درجة عالية من الجمال وكانت الحياة مفتوحة أمامها حيث يتقلد والدها منصباً رفيعاً في جهاز أمنى بالدولة وهو من أصحاب الأملاك أباً عن جد ولم يحصل على ما يملك من الرشاوى والسرقات مثل هذه الأيام البائسة في حياة المصريين وكانت مثل غالبية جيلها من بنات الجامعة التى ترغب في إختيار شاب مثقف إبن ناس لتتزوجه وتسعد معه مثلها مثل باقى الفتيات وهو عمل مشروع ولكنها كانت من أصحاب الحديث الطويل والضحكات العالية التى تعتبر في ذلك

الوقت ماجنة حتى تلفت أنظار الشباب إليها وهناك منافسة مع البعض من الفتيات في نفس ظروفها وفى الغالب كان يقع اختيارهن على معيد أو أحد أعضاء هيئة التدريس من صغار السن .

حاولت نادية ان تلفت نظر سامى اليها اثناء مرحلة الدراسة حيث يتمتع باحترامه لنفسه وبعده عن التملق لها مثل بعض الشباب حولها والذى كان غالبيتهم يلهثون خلفها لينالوا من رضاء وظيفة والدها منفعة لهم أو لأسرهم حيث التعليم الجامعى بالمجان وكثير من أبناء الطبقة الفقيرة تمسكوا به لتحسين مستواهم ومستوى أسرهم .. وكان من الواضح لزملاء سامى أنه من الأثرياء وكان لعزوفه عن ملاحقتهن ومصادقتهن قد دفع بعضهن للتعرف عليه ومحاولة إقامة علاقة معه بل والبعض منهن إتفقن على عمل مسابقة لمن تستطيع أن تجعل هذا الشاب " القفل " على حد قولهن .. أن يلهث في غرامها ولكن كل تلك الأشياء لم تفلح معه .

وبمجرد أن شاهدت ناديه زميلها سامى تذكرت أيام الشباب والجامعة وتحدثا سويا يسترجعان أسماء الزملاء والزميلات وأين كل واحد من هؤلاء وعمله وأى معلومات للعودة لزمن المرح والشباب الذى بدأ يولى وقد أخبرته أنها بعد التخرج تزوجت من شخصية هامة وأنجبت طفلة وبعد عدة سنوات إفترقا لعدم التفاهم والتكافىء بينهما وقد تزوجت للمرة الثانية من رجل أعمال ثرى لكن فارق العمر الزمنى لا يجعلها تشعر بالسعادة كما تبغى وقد سألته عن حاله وأخبرها بزواجه وعمله الحالى في إيطاليا .

هدأت نفس سامى بعد جلوسه فوق سطح المركب ورذاذ موج البحر يدغدغ حواسه من حين لآخر توجه بعدها إلى قاعة الطعام حيث استقبله محروس بترحاب وأعد له كوباً من الشاى الصعيدى ليعدل بها دماغه المفكوكه ولاحظ محروس أن صديقه مزاجه مقلوب حبتين فتركه لإنهاء بعض أعماله .. بعد قليل شعر سامى بيد رقيقه تملس على ظهره ورقبته فسعد بذلك معتقداً أنها نور جاءت تصالحه وتزيل التوتر الذى حدث بينهما .

نظر سامى خلفه حتى يرضى زوجته وأم أولاده ولكنه فوجىء بأنها .. هى نادية ثانية فتوترت تصرفاته قليلاً واستفسر منها عن زوجها وهى تنظر إليه بكل شوق وإعجاب ..

سامى : فين الولد ؟

نادية : مين الولد ده ؟

سامى : جوزك ؟ فابتسمت بسعادة وعيونها لامعة ولها معنى ومغزى

نادية : مش قلت لك أنه عجوز وبينام من بدرى أنا عايزة فارس قوى وشديد لأنى فرسة جامحة .. ثم اقتربت منه وهى ما زالت تداعب شعر رأسه وبصوت مبحوح .. سامى .. ايه رأيك في إللى قلته لك من شوية؟ .. تحب تكون الفارس وألا لك رأى تانى ؟ .

تلاحقت أنفاسه وتفصد عرق وجهه وأصبح لون بشرته كلون الطماطم وحاول التحدث ولكن الكلام إلتصق بحلق فمه وتحشرج صوته ثم تمتم بكلام غير مفهوم .. وفى هذا الجو اللا شعورى وكارثة ستطبق على رأس سامى الحنونى بظهور زوجته أو ظهور زوجها أو الاثنين سوياً يظهر محروس ..

أنت فين ياولد ..؟ الله .. ومين الحرمة دية ؟.. ويتنبه الاثنان اللذان كادا ان يغرقا في الوحل ونظرت إليه نادية بتعالى وعجرفة ..

عايز ايه يا مغفل أنت كمان ؟

وبصوت قوى ومرتفع نسبياً قال ..

عيب عليكى ياولية إللى بتعمليه في الولد ده .. ده راجل مجوز وعنده مرة واصغار .

شعرت نادية أن هذا الإنسان همجي وسوقي وسوف يشوشر عليها بينما تنبه سامي وخرج من القاعة مسرعا إلى سطح المركب يجفف عرقه وقد أنقذه الله من نادية .

عاد سامي في المساء إلى حجرته فوجد أسرته نياماً وقد إحتضنت زوجته إبنتها لمياء بينما نام طارق في سرير والده فسعد به سامي وإحتضنه وقبله .

في صباح اليوم التالي توجهت الأسرة إلى المطعم وتناولوا طعامهم وبدأت مشارف مدينة الإسكندرية في الظهور .

بعد تناول الإفطار بنصف ساعة أطلقت سفن الميناء صفاراتها تحية لوصول السفينه " ماركوبولو " بالسلامة وأثناء نزول الركاب تقابلت الأسرتان " سامي ونور ثم نادية وزوجها " وصافح زوج نادية سامي وحيا زوجته كما أشارت نادية بتحية فاترة إلى نور بينما صافحت سامي متمنية أن يزورهم في منزلهم طالبة من زوجها إعطاءه كارتاً يحوى تليفونات المنزل والشركه بالإضافة إلى عنوانهم بالقاهرة .. ونظرت إلى سامي نظرة دلال وقالت له وهى تشير بيدها " باى " .

بعد هذا اللقاء السريع بين سامي وأسرته وزميلته نادية وزوجها شعرت نور بالحنق الشديد من تصرف هذه السيدة وفسرته ضد سامي مما زاد الأمور والعلاقة تعقيداً .. وجدت نور أسرتها في استقبالهم في محطة الركاب البحرية .. المهندس وصفى والسيدة مديحة وشمس وزوجها فاستقبلتهم نور بالبكاء وفسره الجميع على أنها دموع فرح الغائب بعد العودة ووجهت السيدة مديحة الثناء على شياكة سامي وأناقته طالبة منه أن يأخذ الحيطة من " البلاوى اللى ماشية في الشارع " وهى تقصد البنات والسيدات وعلقت على ذلك .

نور : بقولها .. أيوه يا ماما قوليله أصله واخد باله من نفسه حبتين اليومين دوول ..

تدخل الأب عارضاً التوجه الآن لأكبر محل أسماك في الإسكندرية لتناول الغداء سوياً ولكن نور أخبرت والدها بأن سامى سيتوجه إلى البلد فوراً ولتؤجل إلى موعد آخر وحاول الأب أن يقنع زوج إبنته بأنه يمكن تأجيل السفر يومين ليستريح من مشقة السفر ولكن سامى إعتذر له وأنه مرتبط بموعد هام .

أمام منزل أسرة نور توقف سامى بسيارته وانزل حقائب زوجته وأطفاله ومودعاً الجميع مع وعد بالعودة سريعاً إلى الإسكندرية .

توجه سامى بعد ذلك إلى أحد كازينوهات المدينة المطلة على الكورنيش وجلس وطلب فنجاناً من القهوة فقد كان يشعر بتوتر من حديث نور .. وإسترجع حديثها وتصرفاتها منذ الأمس ووجد أن زوجته قد كالت له الاتهامات والإهانات التى لن يقبلها بأى حال من الأحوال لدرجة أنها تحجر عليه وتخبر عائلتها بأنه سيذهب إلى بلدته ومن أين أتت بمثل تلك الأقوال وهو لم يخبرها برغبته في أن يذهب إلى البلدة من دونها .. إذن لقد أردتها حرباً يا ابنة الإسكندرية وقد قبلها ابن قنا الصعيدى .

ما زال سامى في حواره النفسى يتذكر ويفكر .. آه يابنت عمى وصفى إنها تطلب منى ألا أذهب لشقتى في رشدى تقرر وتتصرف في كما تشاء .. إننى لم أكن أعلم إنكِ على هذا المستوى من الحمق وسوء التصرف .. قطع عليه همسه حضور شاب محبياً إياه ومادا يديه مصافحاً ومرحباً بعودته من السفر واستفسر منه سامى من يكون ؟ وأجابه الشاب بأنه محمود شقيق سلوى .. واستفسر سامى من تكون سلوى؟ .. فأجابه زوجة مدحت صديقك .. رحب به سامى كثيراً وزوده الشاب برقم تليفون مدحت ثم ودعه .. إتصل سامى بمدحت في عمله مستخدماً تليفون القهوة وفرح مدحت بوجود سامى بالإسكندرية وطلب منه الإنتظار في القهوة حتى يصل إليه وأنه سيحصل على إذن من عمله وسيحضر للقائه في القهوة التى أعطاه سامى اسمها وعرفها مدحت على الفور .

وصل مدحت إلى القهوة فاحتضن سامى مرحبًا بعودته إلى بلده مستفسراً عن أحوال أسرته وبعد جلوسهما فترة طلب مدحت من سامى مرافقته لتناول الغداء سوياً ولكن سامى إعتذر لحاجته للراحة من أثر إرهاق السفر وإتفق الصديقان على اللقاء غداً فى المساء في محلهما المعتاد الجلوس به وتصافحا مودعين بعضهما الآخر.

وصل مدحت إلى منزله وأخبر زوجته بعودة سامى وأسرته من إيطاليا واتفاقهما على اللقاء مساء الغد في مطعم (لافوجيه) لتناول الطعام سويا وسعدت سلوى بهذا الخبر وقامت تحادث نور تليفونيا مرحبة بها وبأسرتها مؤكدة على لقاء الغد حسب إتفاق سامى ومدحت ووعدتها نور بالحضور إذا لم يجد جديد مع الأطفال ومشاكلهم .

اليوم التالى ذهب سامى الى موعده مع صديقه وحضر مدحت برفقة زوجته وتبادلا التحية متسائلين عن عدم حضور نور فإعتذر سامى بأنها متعبة قليلاً بسبب ظروف الحمل ونظرت إليه سلوى متسائلة : هل يوجد شيء غير سار بينك وبين نور ؟ نفى سامى هذا الاعتقاد متسائلاً لماذا تفكرين وتعتقدين في مثل تلك الأمور ؟ اوضحت له بأنها تشككت في الأمر لأنه يقيم في شقته برشدى وهى تقيم في منزل والدها .. ولكن سامى أجابها بأنها كانت تريد الاختلاء بوالديها بضعة أيام حتى يعود من عزبة الحنونى لأنه سيسافر غدا للقاء أسرته .

بعد العشاء ودع سامى صديقه وسلوى تنظر إلى سامى وهى ما زالت متشككة من حديثه عن سبب وجود زوجين كل في مكان آخر وفى نفس المدينة وأفضت بشكوكها إلى زوجها والذى أكد صدق كلام سامى وأنه لم يتعود منه إلا كل الصدق في القول والعمل وطلب منها عدم الغوص في تلك الأمور حتى لا نحرج الأصدقاء أو نزيد العلاقة سوءاً ولتبقى صداقتنا نظيفة بيضاء .

في اليوم التالى غادر سامى المدينة متجها إلى القاهرة يقود سيارته على الطريق الصحراوى والذى بدأت يد العمران تزحف إليه وخاصة استصلاح الأراضى .. وصل إلى حى ميت عقبة وقابل بواب العمارة والذى رحب بعودته ثم ترك سيارته واتجه إلى منزل عمه عويضه واستقبلته الأسرة بالمزيد من السعادة والسرور لعودته متسائلين عن باقى أفراد عائلته فأعاد الرواية التى أخبر بها صديقه في الإسكندرية .. أمضى سامى ليلته في شقته بالعمارة وفى صباح اليوم التالى استقل القطار متوجها إلى الصعيد لزيارة عائلة الحنونى تاركا السيارة أمام العمارة فى حراسة البواب .

طوال الطريق من مصر إلى دشنا وسامى يفكر في المأزق الذى وضعته فيه زوجته بلا مبرر سوى الهوس والغرور الأنثوى .. وتساءل ماذا أفعل مع عائلتى ؟ هل أستمر في الكذب وإدعاء قصة مرض نور أو ماذا أقول ؟ ولو قلت الحقيقة سيخبر كل أخ زوجته وبالتالى تخبر عائلتها وكل أخت ستخبر زوجها وتكون سيرته وسيرة زوجته على كل لسان من ان نور زوجة سامى الحنونى إكتشفت أن له علاقة بسيدة أخرى وتزداد المعلومات المضافة الخاطئة حتى تصل إلى أنه متزوج من تلك السيدة وأنجب منها .. إذن فليأخذ أقل الضررين وهو عدم قول الحقيقة والاكتفاء بما سبق وقاله لصديقه وعمه وشمله بعض التوتر من أن تكون نور قد اتصلت من بيت أسرتها تخبر والديه بقصة لقاء الباخرة أو تتصل بعد ذلك أثناء وجوده في العزبة .

وصل سامى إلى عزبة الحنونى واستقبلته أسرته بكل ترحاب وعلم أن عمه عويضه أخبرهم بعودته وأنه في الطريق إلى العزبة .. صمت سامى منتظراً أن يخبره أحد بإتصال زوجته ولكنه شعر أن هذا لم يحدث وإلا كان أحدهم أخبره بذلك مثل ما أخبروه باتصال العم عويضه .

بعد أن قبل سامى والده وهو متجه إلى تقبيل أمه صاحت في وجهه ..

لـوو : قف ولد وقول هاجه للماما وكل أهبار .

سقط في يده وها هى أمه قد عرفت كل شيء وماذا يقول لها وقد ظهر عليه الاضطراب ولهذا قال أن نور .. قاطعته .

لـوو : أنا عايز أعرف أهبار أجداد ..أهبار وطن .. أهبار إيطاليا .

فرح الإخوة لحديث الأم وها هم سيعرفون من شقيقهم سامى الذى أمضى قرابة الثلاثة أعوام في بلاد الأجداد كل شيء عن هذا البلد والذى لا يعرفون عنه أى بيانات إلا من حديث أمهم لأنها لم تشاهد تلك البلاد .

تنفس الصعداء وتلاشت مخاوفه أن تكون أمه تريد معرفة ما حدث بينه وبين زوجته .. ثم بدأ في سرد كل شيء على أسرته وأخوته يسمعون لحديثه ولكن أمه كانت في واد آخر تتذكر وتربط حديث إبنها الذى كان يقوله بالإيطالية مما أدى إلى أن ينام على الحنونى ويسمع شخيره من البر الشرقى كما كانت زوجته تقول له .

طلبت الأم من إبنها أن يذهب إلى حجرة نومه بعد أن يأخذ حماماً ليستريح حتى يحين موعد الطعام وإستفسرت من الخادمة عن مدى إعداد الحجرة لراحة إبنها .. فأكدت الخادمة أن كل شيء معد وجاهز .. تركهم ودخل حجرته وأخذ حماماً ليزيل عنه غبار السفر وغبار الضيق من تصرف نور الطائش التى ترغب فى إفشال تلك الأجازة التى كان ينتظرها بكل شوق وسعادة .

حصل على قسط من الراحة ثم قام وتوضأ وصلى الظهر والعصر قصراً وخرج إلى فراندة المنزل ليجالس إخوته الذين حضروا للغداء معاً يصحبون معهم زوجاتهم .. شعر بالسعادة والود من أحاديث عائلته التى زادت أعدادها للزواج والإنجاب وقضى أمسية طيبة بين ربوع عائلته وأهل عزبته من بسطاء الناس الذين لا طمع لهم في الحياة سوى توفر العمل حتى يقتاتوا إلى أن يحين أجل كل واحد فيهم .

فى المساء خرج يتنزه بمفرده بعد أن ارتدى الجلباب البلدى الذى يشعر فيه بالراحة من حبسة البنطلون والقميص وتذكر العم شوقى عندما رفض ارتداء البدلة وشعر بالاختناق وابتسم قائلاً .. والله لك حق ياعم شوقى .. نفسى أشوف الراجل ده .

وصل إلى مبانى الإدارة وكانت مغلقة فالوقت ليلاً وجلس مستنداً بظهره على المبنى وأمامه مباشرة بركة المياه والتى تعج بالأسماك النيلية لذيذة الطعم وأخذه تفكيره في ما فعلته به زوجته وإزداد غماً وحزناً لما تفعله النساء بأزواجهن فهن يؤلفن الرواية ويقمن بتمثيلها ثم يصدقن أنها حقيقة وليس خيالاً .. كان الهدوء سابغاً المكان وتذكر وهو طفل صغير ماذا كانت تفعل أمه بأبيه على الحنونى هذا الرجل طيب القلب خفيض الصوت أول من يستيقظ وآخر من ينام وطوال النهار في الحقل مع الفلاحين ويسافر دشنا مع عمال الصيانة والميكانيكا ويمر في كل مكان بينما صغار السن لهم مكان يعملون فيه ولهم مسئولية محددة بينما تقع كل المسئوليات عليه وأى عائق هو المتسبب أوعلى الأقل لابد من أن يتصرف .

تذكر سامى كيف كان يعود والده من الحقل بعد الغروب وطوال النهار في عمل ونقاش وإصلاح وحل لكل مشكلة تقابله متحملاً أى خسائر تلحق بالعزبة ساكناً ثابتاً لا يهتز أمام كل هذا الحمل الشديد ثم يعود الرجل إلى بيته مرهقاً حتى الطعام لا يقوى على إنتظاره راغباً فى أن يخلد للنوم حتى يستعيد عافيته لليوم التالى ولكن أمه بصيغة آمره تطلب منه الدخول لأخذ حمام مفندة أمامهم أنها لا تستطيع أن تنام معه في حجرة واحدة وهو كريه الرائحة مثل واهد هروف .

إن النظافة شيء رائع ومن صفات المسلم ولكن أسلوب التوجيه لأب أمام أبنائه وخدمه شيء آخر .. والده ساكن كطبعه أو من الإرهاق الملم به فيتساقط حتى يذهب لأخذ حمام يغادره إلى السرير غير قادر على مواصلة الإنتباه وفى بعض الأحوال لا يستطيع أخذ حمام فتطلب منه البقاء في

الصالة نائماً فوق الكنبة .. وينصاع لكلامها هرباً للراحة ومبتعداً عن المشاكل معها .

يتنهد حزناً على ما يلاقيه هذا الفرعون القوى حليم الخلق الصابر على كل شيء وكأن الجميع أرادوا الراحة على حساب راحته وهم يطلبون ما يريدون " يحادث نفسه قائلاً " لن أنسى ما حييت يوم أن صاحت فيه أمي طالبة منه أن يأخذ حماماً وهو يشكو التعب مفضلاً النوم في الصالة ولكنها صاحت فيه ماذا يقول الخدم ؟

رووه هالاً " سنيوريه هنونى " هد واهد همام .. يستعطفها تأجيله للصباح حتى يستريح وأن الطقس شديد البرودة وأنه يرتجف قبل الحمام فما بالك وأنا تحت المياه .. ولكنها تصمم ويمتثل لأمرها وأنا أريد أن استصرخه أن يرفض طالما يشعر بالبرد والتعب .. آه عليك يا أبى .. في داخل الحمام يرتعد برداً وقد أزرق جسده ودخلت عليه ومعى سعيد وجففنا جسده وأخرجناه واحضرت الخادمة بنيران مشتعلة ليشعر بالدفء وشرب مشروباً ساخناً ولكنه فضل النوم في الصالة محتجاً على سلوك زوجته ..! حتى الاحتجاج يكون على حساب نفسه وقبل الفجر هاجمته حمى البرد وقد إنتابته نوبة من الكحة شديدة وأخذه العم فهمى والعم شوقى إلى الطبيب في المركز وعندما علم منهما أنه أخذ حماماً أمس أخبرهما أن البرد كان شديداً بالأمس وعليه الاحتراز بعد ذلك لأن هذا قد يؤدى إلى إلتهاب رئوى .

نفس ما تريده نور .. إملاء شروطها علىَّ أيضاً " سيبه يا بابا سامى حيروح البلد " حتى حق الاختيار منعته عنى وتفعل ما تريد .. تذهب لعائلتها ومعها أطفالنا .. دمعت عيناه عندما تذكر طفليه " لمياء وطارق " وهما يسيران سوياً ويلعبان ويتشاجران ويقبلهما ويقبل أياديهما الصغيرة وهما يلاطفانه ويضعان أصابعهما في وجه وقد تصل تلك الاصابع الرقيقة الدقيقة الى عينيه انهما لا يدركان معنى الخوف أو الخطر .

آسف زوجتى العزيزة لن أكون " على حنونى " آخر ولن تكونى " لوو " أخرى ستجدين أمامك رجلاً لا يقبل بالإهانة لأن من تهون عليه نفسه تهون على الناس ويصبح ملطشة .. لا لا لا لن أكون ملطشة أخرى .

# ( ٢٠ )

## " لـوو " تعرف المشكلة

مضى يومان على وجود سامى فى ميت الحنونى وكان قد تالم بعض الشيء من تصرف نور كما اشتاق لأبنائه ولكن خفف عنه هذا الاحساس ما كان يشاهده في العزبة ومدى التقدم الواضح منذ سفره منذ ثلاثة اعوام وقد أثر هذا التقدم على زيادة الإنتاج في جميع الأنشطه بدءاً من المحاصيل والفاكهة والإنتاج الحيوانى والداجنى وقد إنعكس هذا على زيادة ربح والده وبالتالى إنعكس أيضاً على مصالح العاملين والخدمات الإجتماعية التى كانت تشرف عليها والدته بمعاونة صباح إبنة المهندس فهمى وزوجة شقيقه الأكبر سعيد وكان السبب الرئيسى لتقدم العمل في عزبة الحنونى وزيادة الإنتاج هم إخوته الذين أنهوا تعليمهم الجامعى فهم يعالجون المشاكل التى تقابلهم في مختلف التخصصات بما تعلموه ودرسوه وجربوه في الحقل ولذا فقد إجتمع العلم مع الخبرة بما فيها خبير الزراعة المهندس فهمى .. حتى إذا قابلتهم مشكلة جديدة يذهب المسئول فيها إلى جامعة أسيوط فيقابل الأساتذة المتخصصين الذين كانوا يقدمون الحل لعلاجها أو بوعد للبحث عن حل إذا كان شيئاً جديداً وهذا بدون مقابل رغبة في التقدم وحمل أمانة العلم .

أضف إلى ذلك دخول الميكنة إلى الزراعة والتى أحدثت تطوراً سريعاً وفعالاً لما تحمله الزراعة من مجهود يحتاج إلى مثل هذا النوع من الآلات التى تدفع بالفلاح إلى أن يركز في الأشياء الدقيقة في عمله وتوفر الجهد والوقت في أعمال رفع التربة أو الحرث أو الرى وحصد القمح في الحقل الذى كان يستهلك جهد ووقت المزارعين وقد قللت الميكنة من الفاقد في الإنتاج الزراعى بنسبة كبيرة وأدى هذا الى الزيادة فى انتاج المحاصيل .. وفى المساء كان يقضى أمسيات مع إخوته في الحديث ومشاهدة برامج التلفزيون المتنوعة والملونة .

ومما لفت إنتباهه ايضا هو التطور الذى حدث في منازل الفلاحين فاستطاع البعض اقتناء غسالات الملابس وأجهزة التليفزيون التى كانت تزودهم بالنصائح في النظافة والصحة والتعليم ومعرفة أخبار العالم الخارجى بالإضافة إلى التسالى من مسلسلات وأفلام وأغانى وكل هذا يعمل بالكهرباء التى لم يخل اى منزل منها .. شعر سامى أن فلاحى قريته قد قفزوا قفزة كبرى في مجال التطور الذى واكب الحياة في مصر بعد إنتهاء الحروب التى دمرت الاقتصاد وقللت من الإستثمار في المشاريع المختلفة لكن كان واضحا أمامه أن ميت الحنونى تقدمت أكثر من العزب المجاورة والسبب الرئيسى في ذلك كما سمع ووعى ومما لاحظه قديماً هو نشاط والدته في مجالات النظافة والوعى الصحى ومحاسبة اى أسرة لا تتمسك بهذا المنهج حتى ترسخ في نفوس الجميع هذا الوعى الذى لمسوه بعد ذلك مقارنة بالعزب المجاورة لهم .. خاصة في حالات الأمراض والأوبئة التى كانت تهاجم مصر وبالذات فى القرى والعزب والنجوع.

أما في مجال التعليم فالمدرسة موجودة بالعزبة وكان أبناء " على الحنونى " مثلا وقدوة لفتيان القرية وفتياتها .. فقد لاحظ الجميع أن جميع أبناء هذا الرجل العصامى الذى كان أجيراً وهو طفل صغير عند الخواجة " دوكيا " وأصبح من أكبر ملاك محافظة قنا ومن أغنى القوم في البر الغربى لم يترك التعليم ولم يفرق بين ولد وبنت فالجميع تعلموا والجميع أشتغلوا وكافحوا وكانوا يشاهدوهم بداخل المزرعة يعملون بهمة ونشاط ولا خجل ولا تأفف من علاج حيوان أو طائر أو الانبطاح أرضاً لملاحظة النباتات المريضة وأمامهم المثل والقدوة وهما " على الحنونى " و الحاجة " لبنى " بعد أن من الله عليها بنعمة الإسلام وفى العام التالى أدت فريضة الحج ولكن " لبنى " كانت الأهم في نظرهم لأن الحنونى الكبير هو في الأصل مثلهم فلاح ابن فلاح وهو رجل ينحت في الصخر أما هذه السيدة الخواجاية الجميلة فهى المثل والقدوة .

وفى اليوم الرابع لوجوده بالعزبة وتوجه والده وأشقاؤه للعمل ولم يتبق بالمنزل سواه وهو يستعد للحاق بهم وقضاء يومه بين ربوع خيرها .. جاءت امه تحادثه قائلة له إلحق بى على الفرانده .. سار خلفها تساوره الظنون لهذا القول وطريقة حديثها والأهم هو الفرانده .. ومعناه أن هناك حديثاً هاماً وخاصاً تريد التحدث فيه معه حتى لا يسمعه أحد او يتدخل فيه

توجهت الأم إلى أحد أركان الفرانده وبها الكرسى كبير الحجم من النوع الهزاز وله ظهر عال ومسندان ومكسو بالجلد الطبيعى ويغلب عليه طابع الفخامة والأبهة .. وأمامه كرسى صغير القصير بدون ظهر أومسند كان معروفا لدى أبناء الحنونى بأن هذا الكرسى ( الصغير ) هو كرسى الاعتراف وأطلقوا على هذا الركن ركن " التفتيش " نسبة الى محاكم التفتيش التى كانت موجودة سابقاً لحماية الأجانب من المصريين الذين ذاقوا منها العذاب والويل والظلم الذى كان يقع عليهم أمام السيد الأجنبى لذا بمجرد أن يعرف أن اى مصرى ضايق أجنبياً أو قامت معه مشكلة أو أنه ذاهب للمحكمة فعليه التسليم بطلبات هذا السيد وإلا سينتظره الظلم المبين رغم أنه يكون صاحب حق دائماً .. كل هذا يتذكره وهو يعود بذاكرته للوراء .. وكيف بالضعيف الذى يُضرب من قوات الاحتلال ثم بعد ذلك من جنود الأمن المركزى في عصرنا الحاضر فقد إتفق المحتل وأبناء الوطن على أن التعامل الأمثل مع هذا الشعب هو الضرب مع اختلاف الأداه ... نظر سامى إلى أمه بعد جلوسها وقد إرتدت روبا أسمرا اللون وأمسكت بمروحة يد تهف بها على وجهها رغم عدم تعودها ذلك .

شهدت هذه الفرانده محاكمات أبناء الحنونى جميعا فأى خطأ معناه الذهاب إلى الفرانده حتى تسمع النصائح والتوبيخ منها .. وفى بعض الأحوال يخرج منها المتهم مهيض الجناح من كثرة الأسئلة والبعض دموعه على وجهه وكانت محاكمة الأبناء تتم باللغة الإيطالية حتى لا يفهم الخدم ما يقال وفى نفس الوقت تدربهم أمهم على الحديث بلغة الأجداد كما كانت تقول .. كما أنها خصصت يوم السبت من كل أسبوع للحديث بلغة

الأجداد وقد أثمر هذا الأسلوب في إجادة جميع أبنائها للغة الأجداد .. وكان أكثر المترددين على ركن الاعتراف هو والدهم " على الحنونى " الذى كان يجلس ولا يرد وودن من طين وأخرى من عجين بينما زوجته تغلى وتنفعل ويعرفون ذلك عندما يسمعونها تتحدث بلغة الأجداد وحينما يشعر " على الحنونى " بطول الجلسة يجيبها

( حجك على يا أم سعيد ) وكان هذا الاسم يضايقها وامتنع الجميع عن مناداتها بهذه الكنية نسبة إلى ابنها الأكبر سعيد .. يخرج " على الحنونى " من المحاكمة ويصيح أبناؤه (هيه يحيا العدل براءة ويبتسم لهم قائلاً وفرت عليكم العيش والحلاوة ) .

كانت السيدة " لبنى " سيدة زكية وشجاعة وقد اكتسبت كل تلك الصفات من أمها "مارتا " التى لم تنجب سواها فأرضعتها قوة الشخصية والاعتماد على النفس ومجابهة المشاكل بكل تحد وبلا خوف فقد علمتها أننا أغراب وأنتِ فتاة وبدون سلاح القوة لا تستطيعين الدفاع عن نفسك ولم تكن تلك السلوكيات قد ظهرت في بداية حياتها وريعان شبابها فالأب والأم " مارتا " على قيد الحياة ومسئولان عنها ووقعت في حب " على الحنونى " بحكم أنها لم تجد غيره أو أنه كان يستحق حبها لكن النتيجة هو أن تلك السلوكيات بدأت تظهر رويداً رويداً بعد وفاة الأب ثم الأم وبمرور السنين يزداد الإنسان قوة للحصول على المال والسلطان فيفعل ما كان يرفضه سابقاً ويبتعد عما كان يفعله في السابق .

أضف إلى ذلك شخصية "على الحنون" الرجل الهادىء الوديع الذى تعهد بعدم مضايقة " لوو " لوالديها قبل وفاتهما وهو الصعيدى الأصيل الذى يرتبط بالمواثيق والتعهدات كما أنه صعيدى شجاع لا يقف أمام الضعيفين " المرأة والطفل " كما أوصى رسول العزة .. لهذا فقد صالت " لبنى " وجالت وكانت تحضر نساء القرية مع إضافة الخادمة لتحل محل حاجب الجلسة وكانت السيدات يخرجن من المحاكمة باكيات من قسوتها في طرح حجتها التى هى في الأصل في مصلحتهن ومصلحة عائلاتهن .

كانت " لوو " سيدة واعية وتفهمت وعرفت طباع المصريين .. فإن من أسوأ ما فى طباعهم وعرفهم أن الذى يعمل بيديه هو الفقير الضعيف الجاهل والأدنى في كل شيء رغم أن هذا يخالف الإسلام نصاً وعملاً وإلا ما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم قد أمسك بيد أحد الصحابة الأجلاء وقد دميت كفاه من العمل الشاق .. وقال " هذه يد يحبها الله ورسوله " .

ثم أنها فهمت أيضا المثل الذى يقول " ادخل على عدوك معرش ولا تدخلش مكرش " وهذا معناه أن ترتدى أحسن الثياب حتى يحترمك العامة من الناس .. كيف تكون هى مختلفة عن الآخرين إذا كانت ستنضم إلى الفلاحات في الحقل يأكلن ويمازحن بعضهن البعض وكيف إذا إرتدت نفس ملابسهن ولا يكون هناك اختلاف .. لقد فطنت إلى كل ذلك من الأحاديث التى كانت تستمع اليها وأقرب دليل على ذلك زوجها " على الحنونى " لأنه يعمل ويعرق فإنه يحتاج دائماً إلى التوجيه ويحتاج لأخذ حمام حتى لا يعكرها برائحته .

لم يشعر سامى بكل هذا ليس اليوم بل من عدة سنوات .. لقد أخذت أمه من جدته "مارتا " التفوق للجنس الأوربى واللون الأبيض حتى سامى وإخوته يشعرون أن الناس تمجدهم وتقدمهم على الآخرين لأنهم من أصحاب البشرة البيضاء والعيون الملونة .. نفعل هذا في أنفسنا ثم نغضب من الآخرين .

لقد تذكر أسرة محمد على .. هذا الضابط الألبانى وكانت مصر مستعمرة تركية وكيف سلمه مشايخ وعظماء مصر مقاليد الحكم في البلاد كأن مصر التى أنجبت أحمس وكبار الحكام في العصور الفرعونية المختلفة كان ينقصها العون والاحتياج .. لم يجد كبار مصر أحداً يحكمهم سوى هذا الضابط الألبانى .. فلقد تعودنا أن يحكمنا الآخرين ولهذا كان سامى الحنونى رغم حبه لأمه فى رقيها وعطائها له شخصيا ولإخوته غير

مؤيد هذا الأسلوب المتعالى على الآخرين كما إنه أيضا غير مؤيد لأسلوب أبيه في الاستكانة أمامها .

إنه يتذكر انه منذ حوالى عشرين عاما عندما كان شابا فى المرحلة الثانوية أن حاكمت أمه آباه كما كانت تفعل كثيرا وبعد نهاية المحاكمة لم يضحك مع إخوته بل صاح في وجه أبيه متسائلاً لماذا تقبل هذا وأنت الرجل القوى وصاحب العصمة وصاحب القوامة التى أعطاك الله إياها .. لماذا يا أبى .. أرجوك ألا تفعلها ثانية .. أرجوك .. ولم يكن " على الحنونى " بعد كل ما تم منتظراً أن يقوم أحد ابنائه بتوجيه اللوم له رغم أنه يقصد الدفاع عنه .. دمعت عيون الأب وهو ينظر لابنه لا يتكلم ولكن دموعه كانت أكثر تعبيرا من اى كلام آخر .

حضرت " لوو " على صوت ابنها وقد آثارها حديثه مع والده فصاحت به ولد إهرس ..( اخرس ) وشعر إخوته أن أمهم ستلقى به خارج المنزل وستفعل معه ما لم يره أحد .. وغير سامى من وجهته حيث نظر إلى أمه والشرر بعينيه وهو يشير بيده إلى أمه محذراً أن تفعل هذا بوالده مهدداً بأنه لن يعترف بها أماً بعد هذا وسيترك لها هذا المنزل لتعبث به وتذل إخوته كما تفعل الآن .. ثم قال : أنتِ لا تقدرين هذا الرجل المكافح والذى يضحى بسعادته لصالح الجميع بما فيهم أنتِ .. ثم احتضن والده وبكى .

لم ينس سامى هذا اليوم ومرض أمه بعد ذلك لمدة ثلاثة أيام كادت أن تقابل ربها من أثر إنفعال إبنها عليها فلم تتعود أن يقاطعها أو يرفض لها أحد مطلباً لقد أثر عليها تسامح زوجها " على الحنونى " وإحترام العامة لها خوفاً من قطع ارزاقهم .. أما أولادها وبصفتها أمهم فلا يعصونها .. ثم يجيء أحد أبنائها مهدداً لها .. لقد أذل كبرياءها هذا التصرف لذا فقد لجأت إلى سريرها رافضة الطعام .. ثم بعد أيام ثلاثة حاول خلالها الأب أن يقنعها بتناول الطعام وأن يعتذر نيابة عن ولده سامى ليهدئ من خاطرها وهى رافضة ولكن تدخل سعيد بالحديث مع والدته بأن سامى على حق وإنكِ

أسأتِ إلى والدى بهذه المحاكمات التى لا يجب أن تكون .. بل العكس أن الرجل الذى يسأل ويحاسب وإنكِ يا أمى عكست الوضع الطبيعى الذى خلقه الله في البشر ويسير عليه مجتمعنا .. أمى أرجو أن تعالجى هذا الوضع لأننا جميعا رافضين استمراره .

إن أبناء " على الحنونى " الذى لا يحاكمهم ولا يعاقبهم أباهم يحتمون به ويقدسونه بعد الله عز وجل أنه أب عطوف بل ويتذكر سامى أن يعود والده من الخارج بعد يوم عمل شاق فيجد زوجته وأبناءه جلوسا فوق الكراسى الفوتيه الفخمة الموجودة بالصالة الكبيرة فلا يزعج أحداً ويشاهدونه وقد جلس أرضاً وينتبه أبناؤه مفسحين له مكاناً .. جلس سامى أمام والدته وهى تتفرس في وجهه متذكرة حماقته عليها وهو شاب صغير وتعتقد أنه ولد مجنون ولا تعلم متى يأتى جنانه وهوسه .

كان معروفا عن سامى في محيط أسرته أنه أحب الأبناء إلى أمه لأنه قريب الشبه بها ومن أشد المؤيدين لأسلوبها المشجع على النظافة وكان يقول لإخوته إن ما تقوم به والدته من سلوكيات إجتماعية هى في جوهر الإسلام لكن اعتراضى هو على معاملتها لأبى .. وفى أحد الأيام وهو جالس مع والده تحت مجموعة من أشجار النخيل وأحضر خفيره الخاص الشاى لهما عصراً وانخفضت درجة الحرارة والطقس ممتع فوجه سؤالاً إلى والده حيث قال ..

بوى .. أنت بتحس إنك أجل من أمى ؟.. نظر الأب إلى ابنه مبتسماً فقد شعر أنه خجل ومتوتر من هذا السؤال وربت على ركبته وقال ..

سامى يا ابنى بكره لما يكون لك عيله وولد حتعدى حاجات كتيره من تصرفات مرتك أو رئيسك في الشغل .. ليه ؟ لأن ما فيش حاجه تجرف الراجل فينا غير التنين دوول .. الوليه في الدار تغلبه بروح شغله يجابله رئيسه غلب ياولد .. علشان أحافظ عليكم وعلى الدار من غير مافرجع مشاكل كان حتماً أعدى حاجات مش على مزاجى وجناعتى لكن وجت الجد

لما يكون فيه بارودة بتضُرب ما فيش تهاون ولا يحزنون أعدى لها السهلة فجط وبعدين دين الإسلام عمل جانون " الهجر فى الفراش " أسيبها يومين تلاته وأنام في حته تانيه ولا أروح للحاج حسن جروانه المجاول وأريح عنده يومين تلاته وأرجع ألاجى أمك بتلف حوالين نفسها وعرف الديك إللى شايفه نزل وتطلب سماحى وأنها مش حتعود تانى لعمايلها .. حتجول ليه يابوى مش بتجطع عرج وتسيح دم علشان عمايلها كل شويه معاك .. آجاوبك وأجول أن النساوين لما بتكبر في السن ربنا بيدور حاجات في جسمهم يعنى زى ما تجول كده كيف الراجل فينا لما يُكبر شعر رأسه يجل ولونه يصير إبيض .. آهه النساوين كده والحاجات اللى بتتغير حداهم بتخليهم يعملوا حاجات تضايج النفر فينا ويبجى عايز يشج خلاجاته .. إمال ياولد .. لكن ربنا إدانا الحكمة عنهم علشان كده بنسكت .. أنت ياولد مش بتسمع النساوين تجول لرجالتها طلجنى .. شفت فيه راجل عمل كده وسمع كلامها .. شوف لو كانت الحكاية بالمجلوب كانت كل النساوين طلجت رجالتها وكنت تلاجى الرجاله كلتها نايمه على جسر الترعة من غير نساوينهم ولا عيالهم .. علشان كده الوليه من دوول جدامها مين تطلع فيه غُلبها علشان الحاجه اللى ربنا غيرها عندها .. مين ياولد ؟ مافيش غير جوزها .. ليه ؟ علشان الباجى إصغارها وما تجدر تهوب نواحيهم وأنت فاكر من كام سنه لما زعجت لأمك عملت إيه ؟ سكتت ومرضت وكانت حتموت .. شفت الفرج بينى وبينك .. أنت مش حتفهم ده إلا لما يكون عندك إصغار ساعتها حتفتكر حديتى ده .

قبل سامى يد والده وسقطت بعض الدموع من عينيه على يد الحنونى الكبير الذى قبل دموع إبنه .. وإستأذن من والده الذى تأثر بحديثه حيث سئم الدنيا التى تجعل الأب يتقبل أشياء لا يقبلها قبل أن يتزوج وينجب .

جلس سامى على كرسى الاعتراف وجلست أمه أمامه مرفوعة الرأس ترتدى ملابسها الأنيقة وعليها الروب الأسمر وممسكة في يدها

بمروحة يدوية بديلاً لشاكوش القاضي .. وتفرست في وجهه قائلة وهي تملس بحنان على رأسه ..

ليه هبيبى مس مبسوط ؟ فيه واهد مُسكل مزعل هبيب قلب ؟

أبداً مام .. تغير الجو من إيطاليا الى جنوب الصعيد عامل تأثير .. لكن أنا بخير إطمأنى ..

سامى أنا هاسس إن فيه واهد مسكل مع نور ؟ نظر إليها ثم ..

قال : فعلاً مام .. فيه مشكله بينى وبين نور .

ممكن سامى هبيب الماما ( لبنى ) يقول مسكل ؟

فعلاً أنا كنت ناوى أعرفك بالحكاية ..... وقص عليها كل ما حدث على المركب ورد فعل نور معه .

نظرت له متسائلة : فين مسكل ؟ المسكل أن مافيس عقل ؟ ما فيس فكر .. أنت تكلم واهد زميل في جامعه سوا سوا أمام ناس كتير .. نور أنت غلطان كتير نور مس كويس وليه تهرم البيبهات من البابا .. وده سبب أن نور مس جيتو عزبة .. آه .. فهمتو ولا كلام تليفون إزاى " ماما لبنى " إزاى " بابا على " .

سمع سامى ما قالته والدته وقد فاجاه تعليقها بعكس ما كان متوقعاً .. حيث كان من الممكن أن توبخه لحديثه مع زميلته وتطلب منه الابتعاد عن مثل تلك المشاكل .. وقاطعت هواجسه وأحاسيسه ..

سامى اى زوجة واى أم تتهمل "تتحمل" أسياء لصالح أسرتها وصاله "صالح" الأبناء .. واكملت حديثها .. وسأثبت لك ذلك .. أنا أجوزت " على الهنونى " وهو إنسان ممتاز وعلى هلق لكن هناك فارق بيننا .. هيث إكتسبت من والدى تقدم وهضارة أوربا وهو أهذ "اخذ" عن والده العمل الساق في الزراعة والهياة الصعبة هنا .. لم أكتسف هذا إلا بعد زواج وكان

لابد من أن أجد هلاً وهاصة "خاصة" أن أهوك سعيد كان على وسك الولادة .. ماذا أفعل يا ربى فقد وضعت هطة لنفسى بأن أساعد " على هنونى " ليصعد إلى أعلى كل يوم هطوة وأنا أقترب من أهل العزبة هطوة .. وعلسان كده كان لازم إن زوجة نور إنها تقرب منك مس تبعد .. أنت تعرف أن نور كلمتو مع رجل غريب أو أن نور على معرفة بزميل لها في جامعة .. دى كلها مجرد أمور طبيعية أن زملاء جامعة يتعرفوا مع بعض سوا سوا ولكن بعد جواز تتغير هيث أن كل واهد اهتار شريك هياته ويعملتو عيلة سوا سوا ويجيبوا بيبهات ..

استمرت " لوو " تحدث ابنها وتوضح له خطأ نور .. ماذا ستفعل نور إذا جاءها زميل في الجامعة أو العمل وحدثها أو مد يده لمصافهتها ؟ لن ترد تهيته ولن تصافهه ودين الإسلام يقول غيرذلك ويطالبنا بأن نرد التهية بمثلها أو أهسن منها ولذا فكان الواجب على نور أن تعرف أن لها زوج مهلص وهضر إليها يهبرها بأمر الزميلة وأنها وزوجها يرغبان في التعرف على الأسرة .. سامى إتركها هتى تفهم هطاءها وتعود لرشدها .. هذا رأى الماما سامى .. ثم قامت وانصرفت لداخل المنزل تاركة إبنها يفكر فيما قالته ورأيها فى ذلك.

بعد هذه المناقشة الواضحة الدامغة بالتحليل أيقن سامى أن حل مشكلته مع زوجته ليس من ناحيته ولكنه من جهة نور التى أحدثت مشكلة بدون أى أساس وأن رأى أسرته ظهر واضحاً من حديث والدته وقد أسعده حديثها وأشعرته أنه غيرمخطىء من هذا التصرف فقد انتقدت تصرفها الغير مبرر .. وشعر أن والدته بسرد الوضع العكسى لو حدث وقابلت زوجته زميلاً سابقاً في الدراسة أو في العمل سيكون تصرفها مثله وأن سامى لن يغضب ويقلب الأمور رأساً على عقب مثل ما فعلت هى .. وها هو قلب الحال والموازين وتفعل الزوجة ما تريده وفى نفس الوقت تحرم ما فعلته على زوجها .

آه من المدنية والتقدم التى تفهمها نساؤنا في هذا العصر حيث يسقط الرجل في دوامة الشك إذا حادث إمرأة غريبة عليه أمام جمع من الناس وفى العلن وأصبح أى إنسان يريد مهاجمة رجل شريف أن يشيع عنه أنه على علاقة بسيدة أخرى وهكذا تضيع كرامته وكبرياؤه أمام الناس وعليه الدفاع عن نفسه ومحو هذا الشك والريبة من ذاكرة الناس .. وأصبح للسيدات حُرمة وشرف وضاعت حُرمة وشرف الرجل لأنه من غير المعقول أن يتفوه رجل على أنه على علاقة ما بهذه السيدة أو تلك وكأن الرجل ليس له أبناء ولا يجب الاهتمام بما يقال عن إهدار كبريائه .

ها هى زوجته شاهدته أمام الجميع يحدث زميلته وأخبرها بذلك ورغم هذا ورغم الحب الذى ربطهما وحصولها على قسط تعليمى كبير ما بعد الجامعة .. فقد وجهت له سهام الخيانه .. إذن أين الحب بينهما وأين التعليم وأين المدنية الكبيرة التى تعيش فيها وأين مستوى أسرتها ؟ كل هذا سقط في بالوعة الشك .

آه يا نور يا ابنة العم وصفى رقيق المشاعر والأحاسيس ولماذا لم أغضب حينما كنتِ تحضرين برفقة مدحت وخطيبته سلوى للقائه .. ألم يكن مدحت غريباً عليها .. ها هو الرجل ابن الصعيد يضع حُسن النية وها هى إبنة الشمال والمدينة الراقية تضع سُوء النية .. لبئس ما فعلتِ يا نور ولأجعلك تتجرعين كأس الانعزال بمفردك ولن أهادنك على مثل تلك التصرفات الطائشة التى لا تتناسب مع إنسان مثلى متمسك بتعاليم دينه وتقاليد مجتمعه .

ترك سامى كرسى الاعتراف الذى كان يجلس عليه وهو محمل بمسئولية إتخاذ القرار في علاقته مع زوجته وليبرهن على أنه ليس " على الحنونى " الأخر وأنه أعطى الكثير ونظر إلى الكرسى الهزاز الذى كانت تجلس عليه والدته منذ قليل وهو لم يشاهد أحداً غيرها قد جلس عليه وقال

في نفسه لأجرب الجلوس على هذا الكرسى ولأجرب أيضا إحساس من يجلس عليه .

جلس على الكرسى وشعر أنه محلق في الهواء وأنه في واد آخر وأن باقى الكراسى هى لأقزام وأنه يجلس على كرسى المُلك وأن باقى الكراسى هى عبيد هذا الملك والذين يقفون خشوعاً له .. توقف وضحك من نفسه ومن الأفكار التى ساورته وقد زاده ضحكا الأفكار التى تساور أمه والأفكار التى تنفذها ورغم كل هذه الإنتقادات التى يوجهها لها إلا أنها سيدة عظيمة تصل إلى الأفكار والقرارت بأسهل ما يمكن مقتنعة بأن طريق الخط المستقيم هو أقرب المسافات بعيداً عن اللف والدوران والذى يشاهده مع بعض الناس .

لقد حكمت والدته على " نور " زوجته ولكنها تركت لابنها حق إعلان الحكم حيث أنها لم تترك خياراً أمامه إلا تنفيذ هذا الحكم بكل جدية وإلا ضاعت مهابته وحقوقه التى أعطاها له الشرع .

إذن لقد منعت والدته بهذا التصرف تدخل الآخرين وأنها قررت قرص أذن نور بيد زوجها لا بيدها هى حتى تضمن حُسن القوامة لإبنها وهذا حقه الطبيعى وفى نفس الوقت لا تضع حائلاً بينها وبين زوجة إبنها حتى لا تعكر صفو العلاقة الأسرية وما يحدث بين سامى و نور بعد ذلك سترجعه إلى زوجها وعليها إحترام رأيه بعد ذلك وتتعلم أيضاً أنه إذا حدث شىء وضايق مشاعرها فعليها علاجه بالحوار الهادىء بدلاً من هذه الزوبعة الإعلانية التى أرادت بها أن تعرف عائلتها أنه أخطأ وأنها تعاقبه .. ياه يأمى على ذكائك وفطنة تصرفك ومشورتك .

******

على الطرف الآخر في شمال مصر وفي مدينة الإسكندرية كانت أسرة نور تغلى وتزبد وقد إنقسم حال الأسرة .. فالأب غير موافق على تصرف ابنته أثناء إستقباله لها في الميناء ثم عندما أخبرته زوجته أن سامى زوج

ابنته " فلاتى وبتاع ستات وخلبوص وبيلعب بديله رفض كل تلك الاتهامات وقال أن هذا ليس له أساس من الصحة وكلام ستات ووجه نصحه لهن قائلاً بلاش تنفخوا في البالونه لحد ما تفرقع في وشكم وبعدين تخافوا منها وتنسوا أنكم الذين فعلتم ذلك .. وماذا يحدث لو أرسل سامى بأى وسيط يطلب أن تعود زوجته إلى شقتها وإلا سيتزوج ؟ وقد أجابته زوجته على هذا الإستفسار قائلة : يعملها ما هو قادر ومش لاقى راجل يقف قدامه ! .. نظر إليها وصفى قائلاً هل هذا رأيك ؟ تركها وخرج من منزله متجهاً إلى القهوة التى تعود الجلوس عليها منذ أحيل إلى المعاش .

جلست مديحة والدة نور تفكر في حديث زوجها إليها بعد مغادرته للمنزل حيث كانت نور تلاعب طفليها في حجرتها السابقة قبل الزواج وتحدث الأم نفسها ..

صحيح .. اللى ما يتسماش لو عمل كده حنعمل إيه ؟ حنوافق ولا نرفض ؟ مش ممكن أبداً ده معناه حيركب علينا ويدلدل رجليه !

وإذا ما وافقناش حيعملها ويجوز ويلاقى البنات حواليه زى الرز ده غير المطلقات والأرامل الصغيرين إللى يتمنوا حاجه زى دى .. لا لا لا مش ممكن البنت ترجع له لحد ما ييجى ويجيب أهله ويغلط نفسه قدامنا ويعتذر .. آه .. هو بنات الناس لعبة .. ياه على أمه الملزقه وإللى عاملة زى العروسه الحلاوة ومش تكبر وتعرف إنها عجزت وأنا ياللى أصغر منها بعشر سنين .. لا لا عشره إيه على الأقل خمستاشر سنه ومش بأعمل زيها رغم حلاوتى وجمالى وشياكتى ..... يالله .. ما هيه خوجايه وبتعمل اللى هيه عايزاه !

بحثت الأم عن ابنتها فوجدتها ما زالت في حجرتها حيث نجحت في أن تستسلم ابنتها لمياء للنوم وها هى تقوم بمحاولات لإقناع طفلها طارق بالنوم .. تركت الحجرة عائدة إلى الصالة بهدوء خوفاً من يقظة الأطفال حيث

كانت تقول لإبنتها أن نوم الأطفال مثل نوم البراغيت ولا ينامون إلا قليلاً ثم يقفزون من اسرتهم محدثين إزعاجاً في المنزل .

قفز في ذهن أم نور أن تستعين بصديقه مدحت وسلوى لعلاج هذه المشكله وأن مدحت سبب المشكله لأنه هو سبب التعارف على المخفى إللى مايتسماش سامى وإتجهت إلى التليفون لتطلبهم ولكنها تراجعت مسرعه مضطربة قائلة ..

ياه .. أنا نسيت أن " أميمة " أخت مدحت مطلقه من ستة أشهر ولسه صغيره وبيقولوا عليها جميلة جداً .. يا خيبتك يا مديحه كنت حتسلمى القط مفتاح الكرار وكانت جت لك يا مدحت انت وأختك على الطبطاب .. هيه .. سلوى مين ومدحت مين .. كانوا خدوا الواد لأميمة على طول وهية جاهزة ووفت عدتها وما فيش موانع لجوازها صحيح يغور سامى معاهم آهى الطينة من العجينة لكن " نور " تتقهر أن صحبتها ضحكت عليها وخدت جوزها منها لأخت جوزها .. آه منه سامى أبو عيون زايغه .

ثم تنهدت قائلة : الرجاله كده وعلى رأى المثل " يا مأمنه للرجال يا مأمنه للميه في الغربال " .. آه إللى قبلنا قالوها .. آه الغربال .. يا ترى يا مديحه فين غربالك ؟ آه طبعا القهوة وقعدتها عاجبه وصفى بيمتع عينيه على الستات اللى رايحة جاية قدام القهاوى .. ومعدش عند البنت ولا أهلها أى مشكله راجل كبير مش مهم .. المهم راجل والسلام .

خرجت " نور " من حجرتها تعلن سعادتها وانتصارها على طارق وانها إستطاعت إقناعه بالنوم وشعرت أن والدتها مشغوله ومش رايقه فسألتها ..

فيه إيه يا ماما ؟

بأفكر يا نور في الموكوس .

تسألها .. بيعمل إيه الموكوس ده ؟.

الموكوس ده يا نور راجل ربنا بعتله ست حلوة جميلة وقايده صوابعها العشره شمع وخلفت له الولد والبنت وبعد كده يروح يبص على واحده تانيه

قصدك أن ده إسم واحد خواجه وعمل كده آه عليك يا مستر موكوس !

ضربت الأم على ركبتيها وهى تخرج زفيراً قوياً مثل قطار البخار بتاع زمان ..

الموكوس ده يبقى جوزك يا حبيبتى .. أيوه أبو عيالك ياضنايا .. فاهمه ! ابن " يحن عليك " مش برضه ده إسم عيلته ؟

وقفت نور ساهمة ثم نظرت لأمها مستفسرة .. ليه فكرتينى بالحكاية دية .. ما كنت نسيتها وكل ما افتكر إللى عمله في المركب أتجنن .

اللى عمله في المركب أهون من اللى حيعمله .. نظرت إليها نور مستفسرة

إيه يا ماما .. هو عمل حاجه تانيه .

أيوه إمال مش بقاله أكتر من تلات تيام هنا ومشفناش وشه لحد دلوقتى ولا حتى تليفون .

نور: أنا مش عايزه أشوفه .

مديحة : ما هو لازم نلاقى حل ؟

نور : الحل موجود .. نظرت إليها أمها بكثير من التفائل .

مديحة : عندك الحل .. قوليلى عليه ربنا يخليكى .

تسكت نور .. وتنظر إليها أمها أيوه يا بنتى قوليلى على الحل أنا وأبوكى بقالنا تلات تيام مبنعرفش ننام من الفكر وحالتنا بقت صعبة ..

نور : الانفصال .. الطلاق .. سكتت أمها وجلست على أقرب كرسى لها وهى ساهمة وقد كسا اللون الأحمر وجهها بينما تحاول نور الحديث

معها ولكنها كانت صامتة واجمة تنظر إلى إبنتها فقط .. حضر المهندس وصفى من الخارج حيث ألقى تحية المساء ثم سألهم

هيه .. أكلتم ؟

لسه يا بابا ..

وصفى : أروح أغير هدومى وأرجع لكم .. أصل أنا جعان .

نظر إلى زوجته وهالة السكون التى هى عليه قائلاً لها : طيبون .. ولم تجب حيث توجه إلى حجرته ليبدل ملابسه وخرج بعد دقائق ومازالت زوجته تجلس بدون حركة وهادئة على خلاف ما كانت عليه قبل خروجه من أكثر من ساعة .. تنظر نور إلى والدها كأنما تخبره أنها متخوفة على أمها وتطلب منه معاونتها على إخراجها من تلك الحالة التى هى عليها منذ فترة..

روحى أنتى يابنتى حضرى الغدا .. وأنا حاشوف ماما مالها .. وأنا عارف لها .. تحركت نور متثاقلة من شدة وطأة شعورها بالذنب مما الم بأمها عندما أخبرتها بأنها وأباها قلقان من مشكلتها ويساورهما الأرق منذ ليال ثلاث .. إذن أنا السبب .. لقد كنت السبب الرئيسى لما حدث وقلب فرحة الأجازة إلى تلك الدراما التى نعيشها جميعا .. وسامى لم يحضر ويصالحنى ويراضينى على الأقل أمام أسرتى كما أن لمياء وطارق دائمى السؤال عن والدهما ولم يفكر حتى ان يتصل بالتليفون ليطمئن أمالى ويرضى غروري الذى أهين لحظة أن رأيته يضاحك تلك السيدة على ظهر المركب حتى شمس شقيقتى لم تحضر منذ يومين وتتحجج ببعض المشاغل وأنا متأكدة أن زوجها منعها من الحضور حتى لا يتدخل بأى حال من الأحوال حيث يقول عنه المقربون منه أنه إنسان سلبى ويتباع مصلحته ووصولى .

حتى صديقتى الحميمه سلوى ومدحت لم يفكرا في القدوم ومقابلتى والترحيب بى ولقاء أطفالى .. أين الصداقة إذن ؟ .. لقد باعوا صداقتى تقرباً إلى سامى .. بئس الصداقة إذن .. فإنى أشعر بأنى إنسانة بائسة وحزينة ولم ينتابنى هذا الشعور من قبل .. كيف أصل بنفسى وبيتى إلى هذه الدرجة وأصبح السيدة المسكينة التى تحتاج إلى عون الجميع من أجل مشكلتها مع زوجها .. ماذا كان يحدث لو لم أقم بتلك الزوبعة وكنت حدثته بمشاعرى وأحاسيسي في تلك المواقف أنه لم يجرح مشاعرى قبل ذلك ولماذا رفضت حينما حاول التودد لى لقد وسعت دائرة المشكلة التى لم تكن مشكلة .. وماهو رد الفعل الطبيعى لأى رجل تهاجمه زوجته بأنه لعبى وينظر للأخريات .. أكيد سيدافع عن نفسه .. كان على الا أثير إنتباهه نحو هذا اللقاء وكأن لم يكن وإنتهى وطويت صفحته سواء هو محق أو أنا المحقه .. وماذا يتصرف أى زوج في مثل تلك الأمور ؟ .. أكيد لن يأتى باكيا مبديا الندم ولكنه سيعاند ويكابر وقد يركب رأسه وممكن أن يكون سامى قد إتصل بها تليفونيا قائلاً خسرانه خسرانه وسيتعود على بعادى عنه وسيتعود على بعُد أطفاله عنه وهنا تكون آخر فرصة للتمسك به كزوج عندما يستطيع الإستغناء عنى أولا ثم عن أبنائه ثانيا وبهذا أكون قد حكمت على زواجى بالنهاية وأنضم إلى قافلة المطلقات وأتردد على المحاكم .. ياه إنها نهاية مؤلمة لو كنت قرأت تلك الأفكار قبل أن أركب شيطان رأسى ووسواسى الخبيث ماكنت فعلت ما فعلت .. آه منك أيها الوسواس الخناس الذى توسوس في صدور الناس لقد نبهنا الله سبحانه وتعالى ولكننا كما قال في نهاية بعض الأيات .. أنهم لا يتفكرون .. ولا يفقهون .

جلس وصفى بجوار زوجته يلاطفها محاولاً إخراجها من هذا الحزن البادى عليها منذ عاد من القهوة .

إيه .. تعبانه ؟ روحى ريحى جسمك شويه من التعب .. نظرت إليه بعيون عاتبة

أنت حاطط إيديك في ميه ساقعه .. أنت يا راجل مش شايف حالتى .. لابس ومتأمع وطالع جرى تروح تقعد على القهوه وأنا مشبعاك بالبن المحوج إللى جيباه من الحاج عبده حبهان .. بتعمل إيه على القهوه ؟ إيه إللى بتضيفه وتزودنا بيه قاعدة القهوه ؟ ..

آه يا مديحه على القهوة وقعدتها كلها فوايد .. شوفى يا ستى بنغير هوا البيت وريحة الطبيخ وصورة عشماوى .. كمان بنشوف مناظر طبيعية .. قاطعته طيب .

عشماوى بيقولك إيه المناظر الطبيعيه إللى بتشوفها ؟ .. مصمص شفتيه قائلاً : يا سلام .. اللى عايز يعرف الموضة يقعد على القهوه .. الموضات ماشية قدامك رايحه جاية .

مديحة : بالذمه مش مكسوف .. راجل بقى جد ويقول الكلام ده !!

وصفى : وأنكسف من إيه ؟ .. دا الأستاذ غندور صاحبى .. وأنت عارفة أنه وحدانى من يوم ما المرحومة الحاجة تفيده قابلت ربنا وهو قرب على السبعين من عمره إتقدم لبنت عمرها ٣٢ سنة وبيقول آخر حلاوه ووافقت عليه .. طيب دى فيها إيه ؟ الجواز سنة الله في أرضه .. دفعته دفعة قوية في ركبتيه .

كفاية كده .. بنتك عايزه تطلق ..

وصفى : هيه .. العدوى وصلت شمس ؟

مديحة : أجابت بسرعة .. الشر بره وبعيد .. شمس إيه يا راجل .. أنا بأكلمك على نور . توقف الكلام على شفاه الأب ولم يتحدث وسكت حتى حضرت نور وقالت لوالديها إتفضلوا السفرة جاهزة .

بعد تناول نور طعام الغذاء معهما قامت برفع الأطباق وأدوات المائدة إلى داخل المطبخ وطالبت والدتها بأن تذهب لتحصل على راحة مع والدها

حيث أن أطفالها نيام وهى تريد أن تشغل نفسها في أى شىء يبعدها عن تفكيرها فيما فعله معها "العرقسوس" أضحك هذا الاسم الأم كثيراً ..

مديحة : اسمه " الموكوس " .. ياريته كان عرقسوس .. على الأقل مشروب صحى وكان رطب على قلبنا .

أخذت الأم بنصيحة نور حيث تركت أعمال المطبخ لإبنتها وتوجهت لزوجها وكان جالسا في حجرته وحينما شاهدها تحرك أقدامها بصعوبة بادرها بقوله ..

تعالى استريحى يا مديحه .. إحنا كبرنا على مشاكل البنات ومعدش فيه صحة زى الأول .. نتحمل دلع واحده وغلط التانيه .. حنعمل إيه ؟ يعنى لو كل واحده فيهم جت على نفسها وتحملت جوزها مكناش نقابل المواقف اللى بنقابلها .

تجيبه بسؤال .. يعنى يا وصفى يرضيك أنه مش مراعى شعورها .. يعنى البنت أو الست فينا إيه غير مشاعر وأحاسيس .. وتبقى البنت من دوول مبسوطه ومدلعة في بيت أهلها وترفض كل الشباب إللى تقدموا لها ولما توافق عليه تكون المكافأه هى الخيانة وعدم المحافظة على مشاعرها .. ده مش معقول .. ده ظلم .. وربنا مش يرضى بالظلم .. سكت وصفى وجلس يسمع زوجته حتى تتخلص مما يضايقها لما حدث لابنتها نور .

أنهت نور أعمال المطبخ وجلست تستريح قليلاً وهى تحدث نفسها..

نور : والله زى ما انا .. أيام ما كنت بنت .. وقد سرح خيالها .. ليه البنات بيجوزوا ؟ وإيه إللى عاد عليهم من الجواز غير الحمل والولادة وبهدلتها من آثار كل ده وأعمال السخرة في بيتها وتراعى حقوق جوزها وشخص يحاسبها على كل تصرف وكل قرش .. وإذا كانت عايزة تتصرف في أى حاجه لازم تأخد إذن منه حتى لو زيارة إلى بيت أمها .. آه .. لقد

سلمت نفسى للأسر طواعية وجعلت السجان يتحكم فى .. هو الإنسان بيتقدم ولا بيتأخر ؟

كل الستات إللى أعرفهم متقدرش واحدة فيهم توافق على معاد زيارة لقريبة أو صديقة إلا بعد أن تأخد إذن من جوزها .. متقدرش واحدة ست مجوزة تحافظ على عملها إلا بإذن جوزها .. وحتى متقدرشى تستخرج جواز سفر أو تسافر إلا بإذن جوزها .. ليه يحصل ده مع الستات ؟ ويقولوا المراه نصف المجتمع .. سيبكم من الكلام المزوق ده وإللى شوية موظفات محفظنهم كلمتين يقولوها علشان يحافظوا على أكل عيشهم .. أنه القهر الذكرى للمراه .. أيها السادة المحترمين لا تقولوا نصف المجتمع بل قولوا مساكين المجتمع وعلى رأى الفنانة فايزة أحمد لما تطربنا بأغنية (حمال الأسيه .....) كل دهه وأكتر تقابله الست فينا .. ليه ؟

ما زالت نور تعيد افكارها .. أريد إجابة .. أريد تفسيراً ..... لالالا.. لا يوجد شيء يستحق كل هذا .. تسمع صوت بكاء ابنها طارق .. تترك كل شيء معها مسرعة إلى حجرته تحمله بكل شغف وسعادة وتقبله وهو بين ذراعيها يتقلب في حضنها وبأصابعه الصغيرة يمسك أنفها وفمها وهى تقبل أى شيء تستطيع تقبيله وقد دمعت عيونها ونظرت لأعلى قائلة : آه .. لقد عرفت السبب الذى يجعل كل أم تقبل ما لم تكن تقبله قبل ذلك .. هذه الأمومه الرائعة هذا الإحساس النبيل الذى يسمو فوق كل شيء .. تحتضن طفلها ثانية مقبلة فمه الصغير ويمسك بخصلة من شعرها لا يريد تركها وهى تداعبه سعيده وتقبل يديه وقدميه وتتذكر عطف وحب الحيوانات المفترسة على صغارها وكيف أنها شاهدت في حديقة الحيوان في القاهرة أنثى النمر المتوحش وهى تلعق صغارها وتحافظ عليهم .. كيف تأتى هذا ؟ أنه الحب الإلهى الذى زرعه الله بين جنبات البشر مع اختلاف السلوكيات بين أبيض القلب والسريرة إلى القاتل المأجور وهذه قدرة الله حيث يقول في إحدى آياته " هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج " المياه التى خلقها الله منها العذب الذى يروى الإنسان ومنها المالح الغير صالح للشرب أو الحياة ..

إذن نحن أمام قدرة الله ولا راد لحكمه بين البشر .. ثم تنظر لطفلها تقبله قائلة " لقد أرسلك الله بهذا البكاء لكى يعلمنى " حملت نور الطفل إلى حجرة والديها عندما طلبوا منها إحضاره ليؤنس جلستهما ويبدد الضيق الذى لحق بهما .. نهض وصفى من جلسته مستندا على يد زوجته وهو يقول السنتين الأخيرتين الواحد صحته وعافيته قلت .. ولكن ابنته نور دعت الله أن يديم عليه الصحة والسعادة .. مكملة حديثها إحنا لنا مين غيرك يا بابا بعد ربنا ؟ .. وكانت دعوة نور لأبيها بهذه الطريقة الرقيقة لها تأثير السحر عليه مثل ما كان لبكاء الطفل طارق تأثيره على نور.

بعد حديث نور لوالديها وأن والدها بعد الله سبحانه وتعالى وإعتمادهم عليه جلس يتذكر والد زوجته مديحه الذى توفى منذ عدة أعوام حيث كان الحاج فتح الله حماه يداعبه ويكرم ضيافته .. وكان يُحرج من استقبال والد زوجته له وهو يحادثه ويقول له : شوف يا وصفى يا ابنى .. أحب حاجة لى في الوجود بناتى .. ومنهم مديحه مراتك واللى يحبها ويراضيها وياخد باله منها أحطه في عينى .. علشان كده أنا حاطك في عينى على طول وربنا يخليكم لبعض وغلطتها تمسحها في شيبتى ( حيث يشير إلى ذقنه البيضاء ) آه .. الله يرحمك كنت راجل حليم ومحترم .

بعد عدة أيام قضاها سامى في العزبة شعر بالضيق فقد تعود على حياة العمل وهو في أجازه لا يعمل وضيف يتسابق الجميع على خدمته وإرضائه فقرر العودة إلى القاهرة وأقنع أسرته بذلك وعاد إلى شقته وأمضى ليلته هناك مودعاً أسرة عمه عويضه وقاد سيارته إلى الإسكندرية ولم يكن قد مضى على أجازته سوى عشرة أيام ويتبقى منها عشرون يوما وفي صباح اليوم التالى لوصوله إلى المدينة توجه إلى شركة البواخر التابعة لها رحلة السفر من وإلى نابولى لطلب العودة مبكراً أسبوعين برفقة السيارة تاركاً تذاكر نور وأبنائها كما هى .

مساء اليوم التالى إتصل سامى بصديقه مدحت والذى رحب بعودة صديقه من العزبة وطلب منه حضوره وأسرته لزيارتهم ويتعرف على

أبنائه لأن زوجته سلوى في إنتظارهم فوعده سامى أنه سيزورهم بعد صلاة العشاء .. بعد انتهاء الصلاه توجه سامى إلى أحد محلات بيع الحلوى الفاخرة بالمدينة وإشترى حلوى لأسرة صديقه مدحت واستقبله صديقه بترحاب متسائلاً عن زوجته نور وأبنائه .

دُهش كلٌ من مدحت وزوجته سلوى للأخبار التى نقلها لهم سامى عما حدث في الباخرة وهم مقبلون على الميناء وتصرف زوجته معه قبل مغادرة المركب وأثناء حديثها مع والدها .

حاول الزوجان إصلاح ما بينهما ولكن سامى طلب منهما ألا يتدخلا وطلب تركها حتى تفيق أو تطلب الانفصال وهو على أتم الإستعداد لذلك وسيعطيها كل حقوقها ويمكنها الإحتفاظ بالأبناء معها وسيرسل بنفقة شهرية لها وسلم سلوى ظرفاً طالباً منها إيصاله لأم أبنائه ومبلغ ألفى دولار لتصرف منها عليهم وعلى نفسها لأنه سيسافر صباح الغد على المركب المتجه إلى نابولى .

أصابت تلك المعلومات والأفعال التى يقوم بها سامى الزوجين مدحت وسلوى بالصدمة والدهشة فهما لا يتوقعان لقصة الحب الرومانسية والتى ولدت على أيديهما أن تكون تلك نهايتها .. وقبل مغادرة سامى منزل صديقه طلب منهما ألا يخبرا نور بكل تلك المعلومات حتى مساء الغد حتى تكون الباخرة في عرض البحر متجهة إلى إيطاليا ووعداه بذلك متمنين أن تزول تلك السحابة القاتمه في سماء حياتهما الناصعة المشرقة دائماً .

بعد مغادرة سامى منزلهما جلس الزوجان يفكران في المشكلة المفاجئة التى هاجمت هذين الصديقين اللذين تزوجا عن حب .. كيف يستطيعان حل هذه المشكلة بدون خسائر للطرفين مع المحافظة على كرامة الزوجة والتى شعرت بإهانة من تصرف سامى وحديثه مع زميلة سابقة ومع الحفاظ في نفس الوقت على رجولة سامى ورد فعله على تصرف نور الطائش أمام أسرتها .. رفضت سلوى تصرف نور من البداية لأنها عملت من الحبة قبه كما يقول المثل .

# ( ٢١ )

## سامى يعود إلى إيطاليا

في مساء اليوم التالى كان سامى فوق ظهر الباخرة التى غادرت ميناء الإسكندرية متجهة إلى إيطاليا وفى نفس هذا التوقيت كان المهندس وصفى قد ارتدى بذلته وأكمل أناقته المعتاده وزوجته تراقبه وهى في أشد حالات الضيق والتوتر من زوجها الذى ترك أمور إبنته .. ناسيا كل شىء وترك الأمور تضرب تقلب كما كانت تقول له دائماً .. القى وصفى على زوجته التحية خارجاً من باب الشقة وزوجته تكاد تهجم عليه تمزق ملابسه ولكنها توقفت حتى لا ينقلب المنزل إلى منزل الزوجات المشاغبات لأزواجهن وقالت يكفى واحدة والأيام جاية يا وصفى يا أنا يا صحبك المتحنط بتاع القهوة .

كان وصفى قد بيت النية في ذهنه على تصرف وعمل هام وألا يجلس ساكناً معتمداً على نقاش زوجته وابنته والذى لا يخرج عن الهجوم على سامى وأسرته وهم ينتظرون قدومهم حاملين كل ما يستطيعون حمله من الهدايا والقرابين لمحو خطأ ابنهم الجسيم في حق فينوس آلهة الحب في الأساطير اليونانية القديمة .. أنا أب ويهمنى أن يعود الوئام بين سامى وإبنتى وأشعر أن سامى رجل متزن الفكر وأن زوجتى لا تفهم مصلحة ابنتها وأن حضور سامى مع أسرته من بلدته صعب وأجازته قد مضى عليها قرابة الأسبوعين ولم نسمع شيئاً عنه ولا عن أسرته وسنظل ندور في حلقة مفرغه ويتعود سامى بعد ذلك على بعد زوجته وأبنائه وتزول رغبته في العودة اليهم .. إذن سوف أعمل ما أستطيعه حتى أعيد الوئام بينهما وأنا كأب سأعالج كل تلك الصغائر بهدوء وتفاهم .

وصل المهندس وصفى إلى العمارة التى يسكن بها سامى فحياه البواب فهو يعرفه حيث يذهب اليه كل شهر لدفع إيجار الشقة وأجر هذا البواب وأسرع البواب إليه يرحب به ..

البواب : كله تمام يا سعادة البيه .. والشجه مجفولة كويس وآنى كنت مع الباشمهندز جبل ما يسافر بلاد بره ربنا يرجعه بالسلامه .. وصفى يسمع حديث البواب وهو يعتقد أن الرجل يتحدث عن ساكن آخر ..

وصفى : أنت بتتكلم على مين ؟

البواب : نسيب حضرتك .. أصله بعد ماعاود من الصعيد ليلة إمبارح خد الكومبيل وسافر بيه بلاد بره .. النهارده الصبح على بلد اسمها .. اسمها إيه يا عبد الغفار .

وصفى : إيطاليا .. فرح البواب ..

البواب : أيوه يابيه عليك نور .. ايضاليا

شعر وصفى بسكين يقطع في صدره وصعوبة في التنفس وعدم المقدرة على الوقوف ودوخه وتساند على الحائط حتى لا يسقط فأسرع البواب بإحضار كرسى له وكوب ماء بينما طلب منه وصفى إحضار تاكسى فأسرع بإحضار التاكسى واستند وصفى على البواب والسائق وإستقل التاكسى طالباً من السائق التوجه إلى سبورتنج .

السيارة تسير على الكورنيش والنسيم العليل قادم من البحر فأنعش وصفى واخرجه من حالته النفسية السيئة التى فوجيء بها .. لقد سافر زوج ابنته تاركاً إياها محملة بطفلين ومشاكلهم .. قرر أن يُعدل طريق العودة ويذهب إلى القهوة حيث يقابل صديقه الأستاذ غندور المحامى .

وصل إلى القهوة فوجد صديقه في إنتظاره فحياه بحرارة متسائلاً عن سبب تأخيره اليوم عن موعده المعتاد .. حاسب وصفى سائق التاكسى

وجلس يتنهد وكان بادياً عليه التعب الذى أصابه منذ نصف ساعة في عمارة رشدى وما زالت آثار العرق موجودة على ياقة قميصه وملامح وجهه المضطربة .. نظر إليه الصديق متسائلاً ..

غندور : خير .. كفى الله الشر .. باين عليك معبى يا وصفى يا خويا وشايل هم إسكندرية .. أخبره وصفى بما حدث بين ابنته وزوجها وهما قادمان من الخارج ثم صعدت ابنته من وتيرة الزعل أمامهم بطريقة جعلته يشعر أنها تطرده واخيراً ما أخبره به بواب العمارة من سفر زوج إبنته صباح اليوم للخارج تاركاً له الجمل بما حمل .

طلب الأستاذ غندور من القهوجى إحضار كوب عصير ليمون للمهندس وصفى حتى يروق دمه .. توتر وصفى مخبراً صديقه بأن زوجته ستعمل معه تحقيق مثل تحقيقات النيابة .. متسائلة لماذا ذهبت لزوج ابنتك ؟ والعديد من الأسئلة وأنا في ضيق ولم أعد قادراً على تحمل تلك المشاكل .. اقترح عليه صديقه أن يكون أول شىء يفعله بعد أن يعود لمنزله وإبدال ملابسه هى القفز الي سريره ويغطى وجهه ويذهب في نوم صناعى حتى يهرب من تحقيقات النيابة في منزله وأسئلة زوجته المزعجة .

أعجب وصفى باقتراح صديقه الأستاذ غندور ووجد أنها الوسيلة الفعالة للتهرب من أسئلة زوجته المتتالية الكثيرة هذه الأيام .. جلس الصديقان يضحكان ونسيا المشكلة التى كانا يتحدثان عنها وتذكرا أيام زمان الجميلة وكيف كان رخص الأسعار ! حيث كان رطل اللحمة بسبعة قروش والتلات بيضات بخمسة مليمات والشقق في العمارات غير مشغولة ويبحثون عن سكان لها وبعد منطقة المكس تقابلك الصحراء الغربية والشوارع فارغة من الناس ..

عاد وصفى إلى منزله فقابلته زوجته ببعض الأسئلة والاستفسارات كعادتها

مديحة : معرفتش إيه إللى حصل ؟

وصفى : لا والله مش عارف إيه إللى حصل .

مديحة : هو أنت فاضى لنا .. أنت مشغول بصاحبك عم غندور وبكره إن شاء الله حأبلغ الحانوتى يروح يستلمه ويريحنا من دوشته .

سمع ضحكات نور ابنته وأسعده ذلك ولكنه أوجس في نفسه خيفة أن يكون وراء تلك الضحكات وما قبلها عن تساؤل زوجته عن ماذا حدث وهو خارج المنزل ودعا الله في سره أن يكون ما يخشى معرفته بردا وسلاما عليه لأنه أصبح لا يتحمل صدمات أخرى ويكفيه ما حدث له منذ عدة ساعات عندما علم بخبر سفر زوج ابنته للخارج والوعكة الصحية التى المت به .

نظر إلى ابنته وهو حزين يخشى أن يخبرها بسفر سامى صباح اليوم عائداً إلى عمله في إيطاليا وماذا سيكون عليه قلبها الصغير وهل يستطيع تحمل تلك الصدمة القوية وهو الأب الذى يعلم مدى رقة شعور إبنته نور وكيف أنها تتأثر بتلك المواقف وأن ما يراه من تصرفاتها وتصرفات زوجته مديحة ليس إلا زوبعة نسائية لا تستطيعان عمل شىء أو حل المشكلة المتفاقمة مع زوجها لكن زوجته أخرجته من أفكاره وهواجسه قائلة

مديحة : شوف يا وصفى .. بعد خروجك بدقائق جه لزيارتنا مدحت ومراته سلوى أصحاب سامى ونور وقعدوا معانا أكتر من ساعة وعرفنا منهم أن سامى سافر النهارده الصبح فجأة للشغل .. طلبوه ومحتاجينه يرجع بسرعه وعلشان كده قابل مدحت وعرفه بالسفر وطلب منه أنه يوصل السلام لنور وللأولاد وبعت معاه ألفين دولار علشان مصاريفهم ولما يخلصوا أجازتهم يبقوا يحصلوه على ايطاليا وبعت معاهم مفتاح شقة رشدى وبيعرف نور أن جد اولاده وجدتهم متشوقين لهم خالص ونفسهم يشوفوا العيال وعايز من نور تكلمه قبل سفرهم له بيومين تلاته علشان ياخد أجازة ويروح يقابلهم في المينا .

كان وصفى جالساً يسمع كل هذا الحديث من زوجته وهو صامت ولم يعلق حتى انتهت زوجته من كل ما تريد قوله .. ثم علقت على حديثها وهى تنظر جهة نور وهى تتساءل .. باين علينا كنا ظالمين سامى يا نور والا إيه رأيك ؟ أجابت نور:

أيوه يا ماما ثم اتجهت بحديثها مباشرة إلى والدها الذى كان ما زال صامتاً من شدة المفاجأة سواء الأولى عندما عرف بسفر سامى أو من كلام زوجته أو إبنته نور وقد هاله الاختلاف البين في موقفهما قبل خروجه للقهوة والآن ..

نور : أصل يا بابا سامى له مركز كبير في الشركه ومهم ودايماً محتاجين رأيه ومشورته ومش بيقدروا يستغنوا عنه .. الجميع ينتظر تعليق وصفى الذى ظل صامتاً .

نظرت الأم إلى ابنتها معلقة على سكوت زوجها وعدم تعليقه على حديثها وحديث ابنتها قائلة باين على أبوكى يا نور مش موافق إنك ترجعى له لحد ما ييجى أبوه وأمه يعتذروا عن إللى عمله ابنهم معاكِ .

نظر وصفى إلى ابنته وطلب منها الجلوس إلى جواره ووضع يده على كتفها وضمها إليه بكل حب وعطف وحنان الأب وقبل رأسها ..

زى ما أنتى بتحبى ولادك أنا كمان بأحبك أنتِ وأختك .. لكن يا بنتى مكانك الطبيعى هوه بيتك .. مع جوزك وأطفالك .. ده مكانك الطبيعى لكن تيجى بيتنا للزيارة والفسحه أهلاً وسهلاً ولكن تفضلى مع جوزك في كل مكان يروح فيه .. أنتم جزء واحد والبيت له ريس واحد وهو جوزك والدين أمرنا بكده والست الشاطره إللى تغطى على جوزها مش تعمل عليه شوشره قدام الناس حتى لو كانوا أبوها وأمها .. عايزك تفضلى نور الرقيقه المهذبة إللى سامى حب ده فيها وخلاه فضّلها على كل البنات إللى كانوا قدامه واختارك .. يفضل هو كمان سامى الهادىء الوديع المخلص .

كانت الابنة تنظر لأبيها بكل اهتمام والدموع تجرى في عينيها الجميلتين ولكن الأم أشاحت بيدها دليلاً على رفض ما يقوله زوجها وصفى

قائلة : نور طول عمرها ست البنات وزى الفل إيش جاب الفل الإسكندرانى للبصل الصعيدى !

زجرها وصفى وقال لها بحدة .. جوز بنتك زى ابنك ولازم تحترميه وتحبيه وتخلى بنتك تحبه وتقدره والا حتكون النتيجة مش في صالحنا.

قام تاركاً الجلسة متجهاً إلى حجرة نومه بينما بقيت الأم مع ابنتها وهى تحادث نور قائلة : شوفى عمايل أبوكى أهو ساعة الجد مانلا قيهوش .. بس شاطر يروح القهوه كل شويه ويقعد مع صاحبه العجوز مؤسس القاهره الفاطمية .

ضحكت نور قائلة : عمى غندور راجل طيب .

تململت نور وأرادت أن تخرج من دوامة النقد التى تراها مقبلة من جهة أمها حيث إن منقذها هنا والدها وما أكثر حب البنات لآبائهن فهم الحصن المنيع والملاذ الآمن ضد كل تيار جارف يهدد أمنهم ومستقبلهم .. استأذنت أمها بأنها ستتوجه للمطبخ لإعداد كوب من القرفة باللبن لوالدها لأنه يفضل مثل هذا المشروب كل مساء .. وافقت أمها على هذا الاقتراح لأنه إذا شرب القرفه ستجعله يفتح فمه للشرب ويمكنها بهذه الطريقة أن تستدرجه ثانية للحديث الذى هرب منه .. ثم تراجعت طالبة من ابنتها أن تتكفل هى برعاية أطفالها وأن تتركها هى تقوم بإعداد المشروب وسوف تدخله لوالدها حتى تعدل مزاجه المقلوب !

عندما اختلى الأب بنفسه في حجرته وسمع ما قاله الزوجان مدحت وسلوى لزوجته وإبنته نور لم يعجبه ذلك التفسير .. أن أى زوج يبعد عن زوجته مدة الأيام الخمسة عشر التى قضاها في عزبتهم غاضبا من تصرف زوجته معه وهو على حق ثم يعود إلى عمله خارج البلاد ولايجد وقتاً .

ليودع زوجته وأبناءه ولكنه يجد هذا الوقت ليزور صديقه في منزله ويخبره بكل تلك المعلومات التى قالوها لكل من نور وأمها ويسلمهم جوازات السفر والأوراق الهامة التى تخص أسرته ويرسل معهم بألفى دولار وهم فى نفس المدينة .. إن هذا لتصرف غير معقول ولا يؤكد تحسن العلاقة بينهما وهو دليل أكيد على أن زوج ابنته ما زال عند موقفه المعاند لتصرف نور والمضحك والمبكى في نفس الوقت أن كلّ من زوجته ونور قد صدقتا ما قيل لهما وانفعلتا معه رغم مواقفهما السابقة وهذا دليل على ورطتهما وأنهما لا يستطيعان التصرف وانتهزا فرصة تدخل الصديقين للتعلق بهذا الحل الذى ليس هو بحل وإنما هو مُسكن طالما أن المُخطىء لم يعرف بعد أنه قد اخطأ حتى لا يكرر خطاه ثانية ويتعلم من هذا الخطأ .

طوال الليل لم يهدأ للأب جفن ولم تغمض له عين وهو يفكر في كيفية التصرف في هذا الجديد الغير مقنع له على الأقل أنه لا يريد سوى الحقيقة حتى يبنى عليها قراره الصحيح .. لكن أى قرار سيتخذ الآن سيبنى على معلومات غير صحيحة فهو يُزيد المشكلة تعقيداً لأنه بهذا الحديث الذى ابلغا به مسامع كل من زوجته وابنته يظل سامى مخطئاً وأنه ارتكب إثماً في حق زوجته وهو لم يفعل هذا أو ذاك بل أن المُخطىء الحقيقى ابنته نور وهكذا تعود نور إلى زوجها وهى مُعتقده أنه قد أخطأ وأنه أرسل اعتذاره .. إن هذا لخطأ جسيم .

في اليوم التالى توجه وصفى إلى مقر الشركة التى يعمل بها مدحت والذى كان سابقاً هو مديرها قبل أن يُحال إلى المعاش وإستقبله العاملون بها بكل ترحاب ومودة بدءاً من المدير حتى أصغر عامل هناك وطلب مقابلة مدحت الذى حياه كثيراً واختصر الرجل حديثه في أنه يود استيضاح بعض معلومات منه عن زيارة الأمس واتفق معه على اللقاء مساء على قهوة (سوفيتير) في محطة الرمل دون إخبار أحد بتلك المقابلة حتى زوجته ووعده مدحت بتنفيذ ذلك .

حضر مدحت في موعده ورحب به المهندس وصفى الذى كان قد سبقه إلى المكان كعادة أهل ذلك الزمن المحترم الذى يعلم أن إحترام الموعد هو إحترام لنفسه قبل أن يكون إحتراماً للآخرين .. جلسا قليلاً ثم فتح المهندس وصفى الحديث قائلاً أنه علم بزيارة أمس حيث قابلتما نور ووالدتها ولذا فقد حضرت اليوم لتخبرنى بما تحدثتما به .. تلعثم الشاب في بداية حديثه بينما كان وصفى مركزاً عينيه عليه وهو يتحدث مما جعل الشاب ينظر في جهات غير جهة مُحدثه حتى لا تتلاقى أعينهما سوياً .. إنتهى مدحت من حديثه وهنا قال له وصفى لقد إنتهيت من حديثك ؟ فأجاب نعم هذا كل ما حدث .

وقف وصفى طالبا من مدحت التوجه معه لأنه سيطلب سامى تليفونياً في إيطاليا ويستفسر منه عن بعض ما جاء في هذا الكلام الذى أخبره به مدحت .. توتر الشاب راجياً منه ألا يفعل ذلك ولكن وصفى صمم إلا إذا أصدقه مدحت القول .. وهكذا قص مدحت على وصفى كل ما حدث بينه وبين سامى والذى كان منفعلاً وأنه على إستعداد للانفصال عن نور لو إستمرت علي تلك الأفكار الطفولية وعدم تقديرها المسئولية واحترامه كرجل وعدم الهمز واللمز أمام الآخرين مثل ما حدث معه أمام أسرتها .. وقد اعتذر مدحت عن تصرفه هذا وأن غرضهما كان نبيلاً من أجل إصلاح ما بينهما وخاصة أن نور قد استمرأت هذا الوضع وأن سامى عنيفا عنيدا عندما يجد الذى أمامه يسير في غيه مستغلاً طيبته وحبه للآخرين .

شكر وصفى مدحت على مجهوده ونيته هو وزوجته من أجل إصلاح ما بين صديقه وزوجته وطلب منه عدم ذكر أى شىء حتى يتصرف هو وأسعد هذا مدحت كثيراً حتى لا يظهر بمظهر الكاذب أمام الآخرين وودعه وانصرف الرجل .. وضع وصفى يده على كل الخيوط التى يجب اللعب عليها بطريقة صحيحة تؤدى إلى إصلاح ما بينهما مع عدم وضع نور في وضع حرج وقد تبنى سياستها القادمة مع زوجها على مُخادعة كاذبة يكون لها أكبر الضرر على حياتها العائلية .

كانت الكلمة الأخيرة التى قالها سامى هى صلب حل المشكلة .. على نور أن تعود مثل ما ذهبت ولن أعيدها بأى طريقة كانت .. عودتها لى معناه إعتذارها ورغبتها في مواصلة الحياة معى .. حدث وصفى نفسه بان هذا هو الخيط الذى يجب أن يسير عليه بعيداً عن مهاترات النساء والتأفف والاعتذار وبنات الناس مش لعبة والتعبيرات التى عفا عليها الزمن ودمرت زيجات كثيرة كانت ناجحة وتركت مآسى وأدخلت الكثير إلى قاعات المحاكم .. قليل من الحكمة كثير من النجاح .

عاد وصفى إلى منزله سعيداً بمعرفة الحقيقة وإلى توصله لخطة كفيلة بعلاج هذا الموقف الذى لم يكن في الحُسبان .. وبعد أن صلى العشاء جلس مع إبنته يسألها عن الخطوة القادمة التى ستفعلها .. فأخبرته أنها تفكر في اختصار أسبوع من إجازتها وتعود إلى سامى حتى لا تتركه كل هذا الوقت بمفرده وأيدتها والدتها في هذا الرأى .. وأسعد هذا والدها حيث عقب ..

قائلاً : لازم يا نور تروحى العزبة وتسلمى على أهل جوزك وتقضى معاهم كام يوم .. ولكن الأم أشاحت بوجهها رافضة ..

قائلة : هما إللى بيجوا يسلموا على مرات ابنهم وأحفادهم .

أكمل وصفى حديثه مع ابنته قائلاً .. أن زيارتك لهم ستقلل من تأثير زعل سامى معك وستزيل أو تقلل أى أثر قد يكون تركه كلام سامى عن هذه المشكله .. وسألت نور والدها هل يمكن أن يكون سامى قد أخبرهم بهذا الموضوع ؟ فأكد والدها هذا مسترشداً بأنها موجوده منذ أكثر من أسبوعين ولم يتصل أحداً بها وهذا دليل على علمهم بما تم وأن ابنهم على صواب بل أشاروا عليه بالعودة إلى عمله وإذا استمر هذا الوضع قد يرشحون له زوجة بديلة عنكِ وهذه من عوايدهم تعدد الزوجات .

كانت الأم تسمع وهى رافضة لكل كلام زوجها رب الأسرة معلقة .. نكون على علم بإنهم علموا بهذه المشكله ولم يتدخلوا واحتمال تأييدهم

لابنهم المخطىء ورغم هذا تذهب نور لهم .. إننى لست موافقة على ذلك .. ولكن وصفى أشار إليها بأن نور ذاهبة لبيت زوجها وأرض أبنائها ولمقابلة جدهم وجدتهم وأعمامهم وعماتهم وإذا كان هناك غضب من نور نسبته ١٠% مثلاً فإنه بعد تلك الزيارة سيمحى ولكن لو لم تذهب نور لأهل زوجها سيزيد المشكله إلى ٦٠ % وهذا ضغط كبير عليها وخاصة أن سامى موجود في إيطاليا ولن يغفر لها أنها حرمت والديه من رؤية أولاده .. ثم أشار إليها محذراً بيده .. تنبهى يا نور ولاتدعى السفينة تغرق بكم جميعاً وأول ضحاياها أنتِ وأطفالك .. حاولى إنقاذها بأى ثمن ولتعلمى إنه لا كرامة بين الزوجين لأن كرامة أحدهما من كرامة الآخر .

نظرت إليها أمها وقد تراجعت قليلاً عن موقفها المتصلب قائلة وماذا ستقول لهم ؟ أجابها وصفى إنه وضع عادى وستقابلهم مرحبة وتخبرهم أنها قد تأخرت في زيارتهم لظروفها الصحية التى تمر بها من حالة الحمل التى تواجهها وتقضى معهم يومين وسيكون الأطفال عاملاً هاماً في إلقاء جو من السعادة على الجميع وإذا كنتِ ترغبين في أن أصطحبك فأنا على أتم استعداد .

شكرته نور وأجابته بأنها ستكون فى أمان لو رافقها في هذه الرحلة خاصة أن أطفالها أشقياء والمسافة بعيدة ويحتاجون إلى رعاية أكثر .. وافق وصفى على مرافقة ابنته وأحفاده لهذه الزيارة الهامة لعائلة زوج ابنته وكانت نور في منتهى السعادة لأنها شعرت أن هناك طوق نجاة من المشكلة التى وضعت الجميع فيها ..

بعد ثلاثة أيام وصل المهندس وصفى وابنته نور وحفيداه (لمياء وطارق) إلى مدينة دشنا وكانت تنتظرهم سيارة بسائقها وبها أحد أشقاء سامى وكان وصفى قد إتصل بهم يخبرهم بتلك الزيارة والتى سعد بها كثيراً " على الحنونى " الذى استقبل المكالمة وكان لطيفاً في حديثه مما أعطى نور ثقة أكثر في تلك الزيارة ونتائجها .

توقفت السيارة أمام سراية الحنونى وأطلق سائقها نفيرها لإعلام من في المنزل بوصول الضيوف الأعزاء حيث كان الجد على الحنونى في شوق إلى رؤيتهم وكذا الجدة " لبنى " التى كانت تنتظر ( بيبيهات ولد سامى ) أسرعت الخادمة "كاملة" بحمل الطفلين والغفير أبو المواهب في حمل الحقائب إلى داخل السراية أما " على الحنونى وزوجته " فكانا في انتظار ضيوفهما لاستقبالهم والترحيب بهم وأسعد هذا كل من نور ووالدها وأقبل أشقاء سامى وشقيقاته للترحيب بزوجة الأخ ووالدها واطفال شقيقهم .

أعدت لوو كل شيء لاستقبال زوجة ابنها وأحفادها فالحجرات الخاصة بهم نظيفة مرتبة وقد خصصت خادمة لرعاية الأطفال وأعد غداء فاخر على شرف وصول زوجة الابن سامى يحضرها جميع إخوته وأخواته وعائلاتهم

أقيمت مأدبة عامرة بأصناف الطعام من خيرات مزرعة الحنونى وحضرها أفراد عائلة الحنونى وعائلاتهم وأسعدهم وجود زوجة سامى وأبنائها الصغار والذين كانوا يلهون في كل مكان والمساحة المتسعة التى توفر لهم حرية الحركة كما رحبوا بوالد نور المهندس وصفى وحديثه الشيق وتمتعه بالأدب الجم واحترامه للصغير والكبير ونظرت " لبنى " إلى أبناء سامى تداعبهم وهى تسألهم ماهى أخبار أرض الأجداد وقفزت لذهن وصفى فكرة عرضها مباشرة بدون تردد .. قائلاً لها :

لماذا لا تفكرين في زيارة إيطاليا وهناك سامى بعائلته وتقضين عدة أسابيع تشاهدين فيها وطنك ؟ نظرت إليه السيدة بانتباه وهى تسأل نفسها بصوت مرتفع : كيف فاتنى هذا ولم أفكر فى هذا من قبل ؟ .. إنها فكرة رائعة سنيوريه وصفي وسوف أنفذها ونظرت جهة ابنها سعيد ..

تعمل هسابات رووه سافر إلى أرض الأجداد .. فاهم سعيد ؟ وأجابها على الفور بالتحرك للتنفيذ من باكر وإقترح وصفى أن تسافر برفقة نور حتى تعتنوا بالأطفال سوياً نظراً لما تعانيه من ظروف الحمل وأعجبها هذا الاقتراح أيضاً .

سالت الأم ابنها سعيد في اليوم الثالث لوجود نور معهم عما تم اتخاذه من إجراءات حتى الآن للسفر وهل هناك مشاكل؟ أفادها سعيد بأنه إتصل بالقنصلية الإيطالية في القاهرة حيث أفادت بأن والدته تتمتع بالجنسية الإيطالية وأنها يوم أن تقدم أوراقها إلى القنصلية سوف تحصل على جواز سفر لها في نفس اليوم وأنها لا تحتاج إلى تأشيرة لأنها مواطنة إيطالية وأنه سيحجز لها عن طريق وكيل شركة السفر مع نفس رحلة نور العائدة إلى روما .

جلس وصفى فى المساء سعيداً بما تم حتى الآن من حُسن إستقبال عائلة سامى لهم بدون التدخل في الخلاف الحادث مع إبنهم وأيقنت نور بأن سامى لم يبلغ عائلته بأى شىء حدث بينهما أما وصفى فقد سعد بموافقة الأم على مرافقة ابنته بل وزاد من سعادته علمه بأنها تواصل إنهاء كل الإجراءات حتى علم في اليوم الرابع أن سعيدا نجح في أن يحجز لها تذكرة سفر على نفس المركب مع نور وأطفالها وارسلت القنصلية الايطالية بجواز سفر لوو على عنوان العم عويضه بالقاهرة حسب طلبهم .

المهندس وصفى برفقة على الحنونى يومياً يتجولان في أنحاء المزرعة المختلفة واستطاع " على الحنونى " اقناعه بارتداء جلباب بلدى لراحته أثناء تلك الجولات التى أسعدته كثيراً وشاهد معالم المزرعة وأنشطتها المختلفة .

اليوم التالى لوصول نور ووالدها عزبة الحنونى طلبت " لبنى " من زوجها مرافقة وصفى لجولة بالعزبة وشعر الرجل أن زوجته تريد عقد محاكمة لزوجة ابنها فقد أسعدها القدر بإرسال متهم تمارس فيه هوايتها وحذرها من ذلك ولكنها لم تعره أى اهتمام .. بعد أن غادر الجميع المنزل لأعمالهم طلبت " لبنى " من خادمتها مراعاة الأطفال لأنها مشغولة مع والدتهم في بعض الأمور وطلبت من نور اللحاق بها الى الفرانده وطلبت

من الخادمة الأخرى الوقوف على بابها لمنع دخول أحد حتى سنيوريه هنونى .

في الفراندة جلست " لوو " على الكرسى الهزاز ونور جلست على الكرسى الصغير أو كرسى الاعتراف الذى كان يجلس عليه زوجها سامى منذ أسبوع مضى .. قالت " لبنى " .. نور إن سامى ابنى أخبرنى بما حدث بينكما أثناء قدومكما لأرض الوطن وإننى أحدثك كإمراة وزوجة وأم (مثلك) تماماً وإنس إننى أم زوجك حتى تشعرى براحتك في الحديث معى وخذى خبرتى وتجربتى لعلها تفيدك .

نور .. إيه يهصل لو واهد زميل سابق فى جامعه أو عمل أو جار ومد يده لمصافهتك ومبتسم وسعيد برؤية زميلة سابقة ؟ ماذا تكون نتيجة ذلك ؟.. ترددت وتلعثمت نور ثم قالت يعنى ..

أكملت لوو : يعنى تصافهيه وإلا تأهنيه "تأخنيه" قلمين على وجهه ؟ فوجئت نور بهذا التعبير من هذه السيدة الراقية ونظرت إليها بحيرة .

فقالت : لا طبعا ساصافحه وأسلم عليه ..

قالت لوو : هذا عمل طيب وصهيه "صحيح" وقرآن كريم يقول " إذا هييتم بتهية فهيوا بأهسن منها أو ردوها " صدق الله العظيم .. يعنى لما إنسان يقول لأخر صباه هير يجيبه الآخر صباه هير أو ممكن يزيد .. مضبوط نور ..

تجيب الزوجة الصغيرة قليلة الخبرة والحيلة مضبوط " طنط ".. إذا لماذا افتعلتى مشكلة مع زوجك عندما صافح زميلة قديمة في الجامعة وجاء يخبرك بذلك .. أجابت لقد شعرت بالضيق من طريقة ضحكاتهم وخاصة أنها ترتدى ملابس خليعة لا تناسب سنها .. أوضحت لوو .. نور بعد مرور خمس عشر سنة على فراق زميل دراسة أكيد سيكون هناك من ذكريات

تلك المرحلة الجميلة في عمر كل الشباب من الجنسين ذكريات ومواقف تضحكهم بعد العمر ده .. وليس من المعقول ان يتقابلوا وهما يبكيان على الأيام التى مضت من عمرهما لكن حكاية لبسها الغير مناسب .. فسامى ليس له دخل فيها ومش ممكن يتحكم فى لبس صديقة قديمة تقابله فجأة .. هذا شيء معروف ومفهوم .

تركت( لوو) .... نور فترة تراجع نفسها وتستعيد ذكرياتها وتهضم ما قيل لها فقد تزاحمت عليها الخواطر والأفكار ..

لـوو : نور .. جاوبى على واحد سؤال .. تعملتوا ايه نور وانتى تسوقى واحد ست عايز ياهد واحد زوج منكى ؟ستقفى تتفرج على كده والا تدافعى وتهمى منزل أسرة ..

اجابت نور: انا أحب سامى كتير طنط لبنى وكان ده رد فعل منى .

لـوو : تهبين ولد سامى تقومى تسيبيه يأكله واحد أسد .. مس كده ؟ أنا كنت أفتكر انك تقربى منه اكتر فاكتر مس تبعدى عنه وتسيبه لواحد ست مس كويس ووهس كتير .... ثم نظرت إلى نور بتركيز وبعيونها الجميلة .

نور .. آهر مرة تسيبى واحد جوز أمام ست لوحده .. فاهمه آهر مرة ... التانيه مس هتلاقيه.. هيكله واحد أسد .. كمان هكاية الهضوبة والزعل عند الماما مس كويس كل ستات فى مصر واحد زعل مع زوج رووه عند الماما .. ليه عند الماما ؟ مس فيه زواج وفيه بيبى وتسيبوا زوج يمسى على هل سعره .. وبعد كده واحد عياط ثم زعل وممكن مهكمة .. مس عارف ليه كده .. كمان ولد سامى يتعودُ بعاد عنك وعن اتفال مس كويس نور هبيبى .. ممكن زعل مس مهم لكن المهم هو زعل فى منزل .. مس نسيب المنزل والبيت لواحده غريبه .. فاهم نور؟

خرجت نور من مقابلة " لوو أو لبنى" وهى أكثر إقتناعا بأن تصرفها مع سامى لم يكن له ما يبرره وأنه وليد ميراث وعادات باليه من

أن فلانه حدثت مشكلة بينها وبين زوجها فتركت له البيت وتعيش عند أهلها .. كيف ستعود الحياة بينهما ثانية ؟ فكلاهما مُر فإما أن تعود حزينه باكية إذا تركها فترة عند عائلتها بدون أن يذهب اليها ليطيب خاطرها .. أو تتسلمه أمها وتشبعه ببعض الكلمات المؤلمة .. والرجل يكره أن يسمعها من سيدة حتى لوكانت أمه وتبقى عالقة في رأسه شاعراً أن زوجته هى المتسببة في ذلك فيعمل كل ما فى وسعه لأخذ حقه المهضوم في بيت عائلتها منها ومن أمها فتزداد المشاكل .

أحمد الله إننى عرفت خطئى ولن أكرره وكما قالت السيدة " لوو " لا تتركى الأسد يأكل زوجك ودافعى عن أسرتك ولا تنهزمى من أول معركة وإذا غضبت ففى بيتك لأنه بيت أبنائك والسيدة التى تترك بيت أسرتها وتتزوج لا يجب أن تعود إليه غاضبة أبداً .. سأفعل كل ما في وسعى لأتجنب مثل ما حدث وسأدافع عن أسرتى بكل ما أوتيت من قوة .

******

عاد وصفى برفقة نور وأطفالها إلى الإسكندرية بعد قضاء عدة أيام في ضيافة أسرة الحنونى وقد غمره شعور بالسعادة لما لاقوه هناك من حسن الاستقبال والحفاوة والود وحسن خُلق تلك الأسرة الصعيدية التى تثبت دائماً ما يتمتع به أهل الجنوب في مصر من أخلاق وشهامة ونبل الصفات التى كان يسمع عنها وشاهدها ولمسها مع زوج ابنته سامى قبل لقائه بأهل بلدته كما كان لاقتراحه بمرافقة السيدة " لبنى " لإبنته وأطفالها وزيارة إبنها وقبولها تلك الفكرة وإدخالها حيز التنفيذ من أحسن ما تمخضت عنه تلك الرحلة السعيدة فقد عاد بتلك النتائج مع الكثير من الهدايا التى صمم " على الحنونى " على تقديمها لهم بمناسبة تلك الزيارة من خير أرضهم المباركة وسواعد أبناء تلك العزبة المكافحين والمجدين في عملهم .

أثناء العودة من دشنا إلى الإسكندرية أخبرت نور والدها بالحوار الذى دار بينها وبين والدة زوجها بمبادرة منها وحكم الرجل على أن والدة سامى

تتمتع بعقل راجح وخلق نبيل في علاج المشاكل التى تقابلها بطريقة حيادية ليس فيها اندفاع أو مساندة طرف على طرف لأن ما أقنعت به ابنته لهو في صالحها وصالح أطفالها وهو كوالد لها يحاول إيصاله لها .. كما أن السيدة تعلم بكل تفاصيل تلك الزوبعة .. وقد أضفت السيدة " لبنى " بزيارة وطنها الرغبة في اكتمال السعادة والوفاق لهذه الأسرة الصغيرة بمن فيهم ابنها سامى .

تردد وصفى في أن يخبر إبنته بحديثه مع مدحت وأن ما وصلهم من حديث سواء منه أو من زوجته سلوى ليس إلا محض خيال الغرض منه إصلاح ما بينهما وهى تدل على إخلاصهما ورغبتهما فى أن تعود العلاقة بينهما إلى سابق عهدها .

تراجع الأب الشجاع في أن يخبر إبنته بهذا الحديث مفضلاً أن تعلمه ابنته من زوجها بعد أن يعود لهما حبهما ودفء الحياة الزوجية بوجود أطفالهما بما يسبغه على علاقة الزوجين بزيادة الإخلاص والتضحية من أجلهما وزاد من ثقته بأن السعادة ستلف تلك الأسرة بوجود والدة سامى وما ضربته من أمثلة لابنته في حالة تعرضها للموقف الذى تعرض له زوجها مما أعطى إقناعاً لابنته بأن ما فعله زوجها ممكن أن يفعله أى رجل أو أى سيدة توضع في مثل تلك المواقف الإنسانية .

في توقيت سفر نور وأطفالها تقابل الجميع في محطة الركاب البحرية بميناء الإسكندرية فتقابلت " السيدة لبنى " مع زوجة إبنها وأحفادها وكان برفقتها ابنها سلامه وزوجته كما كان في وداع نور وأطفالها الجد وصفى والجدة مديحة والخالة شمس وزوجها والصديقان مدحت وسلوى وتصافح الجميع وتبادلوا السلام والمجاملات التى تظهر حب الناس لبعضهم البعض مما يؤثر على قوة العلاقات بين الأقارب والأصدقاء وغادر المسافرون الرصيف بينما أقاربهم وأصدقائهم مودعين ملوحين لهم بسلامة الوصول وقضاء وقت سعيد في رحلتهم بتوفيق من الله وفضله .

منذ أن وافقت الأم على القيام بتلك الرحلة أثناء زيارة عائلة نور للعزبة وإتمام إجراءات سفرها .. اتصل سعيد الحنونى ليبشر شقيقه سامى بسفر والدته برفقة زوجته وأطفاله له وأسعد هذا الخبر سامى حيث ما زال في أجازة نظراً لأن الشركة لم تنته بعد من إعداد إجراءات بداية العمل في المشروع المكلفة به وأعطى هذا الوقت المتيسر لسامى الفرصة لأن يستمتع بعائلته .. فقد كان حنينه إلى أطفاله قد آلمه في الأيام السابقة وهو يتذكرهم ويشاهد لعبهم في كل مكان في المنزل ودفعه خبر عودة نور أيضاً إلى تذكر أيام سعادتهم سوياً مما كان له أكبر الأثر في الشوق إليها ونسيان ما حدث بينهما .

أسرع سامى من وتيرة استعداداته لاستقبال القادمين له فسوف سيصلون غداً.. فقام بعدة اتصالات تليفونية لعائلة والدته والتى كانت قد زودته ببعض المعلومات من أجندة الجد " دوكيا " التى كان يحتفظ بداخلها بكل عناوين وأرقام تليفونات الأهل والأقارب في إيطاليا وكان دائم التجديد لتلك المعلومات نظراً للتغيرات التى تحدث على حياة البشر من وفاة أو انتقال من مكان إلى آخر ثم أكملت الأم مارتا ما كان يقوم به زوجها وبعد وفاة الأم واصلت " لوو " سياسة والديها مستعينة ببعض الإيطاليين الموجودين في القاهرة والإسكندرية بالإضافة إلى مجلة أبناء الرومان والتى كانت تصدر في القاهرة وتوزع على أبناء الجالية وبها الكثير من المعلومات .. استطاع سامى أن يتوصل في الأعوام السابقة إلى بعض الأقارب الذين تعرفوا على جده " دوكيا " وجدته " مارتا " مما سمعوه وعرفوه من الأجيال السابقة في العائلة كما تعرف على البعض منهم مُبدين رغبة جارفة في التعرف على إبنة العمة التى هاجرت إلى بلاد الفراعنة منذ ما يقارب السبعين عاماً أو يزيد .

منزل سامى الحنونى والذى أعدته الشركة التى يعمل بها ليقيم فيه مع أسرته كان بديعاً سواء في تصميمه أو موقعه .. المنزل عبارة عن فيلا دورين في الجنوب الشرقى من جزيرة صقلية ويطل على البحر مباشرة لا

يفصله عنه سوى مسافة خمسمائة متر هى عبارة عن صخور طبيعية يغطى جزء كبير منها بنباتات برية مُزهرة وبألوان متنوعة يهفو اليها قلب الناظرين والبعض منها له رائحة محببة بالإضافة إلى وجود أعشاش لبعض الطيور البحرية مثل النوارس البيضاء وافراخها الصغيرة التى تجرى خلف أمهاتها هنا أو هناك ومن هذا المنزل يمكنك أن تشاهد زرقة مياه البحر الأبيض وتسمع هديره ليلاً وتشم رائحة اليود المحملة بها المياه وفى بعض الأحيان تشتم رائحة زفارة الأسماك السابحة في البحر وفى كثير من الأحيان تشاهد مراكب الصيادين وهى في وسط المياه تبحث عن الأسماك التى يعيش عليها نسبة كبيرة من أهل تلك الجزيرة الرائعة بمناظرها الطبيعية الخلابة .

# (٢١)
# اللقاء الأسطورى

وصلت عائلة سامى إلى ميناء نابولى قادمين من الاسكندرية وكان سامى فى استقبالهم بكل الحب والسعادة وقفز أطفاله عليه وهو يقبلهم من أى مكان وعيونه كلها غارقة فى دموع الفرح والشوق حيث مالت الأم على نور .. قائلة " هذا هو سلاحك للاحتفاظ بزوجك أينما يكون الأطفال تجدى الأب خلفهم وهذه نعمة من الله ولذا فلا تتركى تلك النعمة . أومأت نور برأسها بأنها قد فهمت ومؤيدة لأم زوجها في كل ما تقوله ودفع هذا بالسيدة " لبنى " إلى أن تحتضن نور وتقبلها وشاهد سامى هذا التصرف الذى أعطاه الإنطباع بأن أمه راضية عن نور وأن ما كان من خلاف قد سوته وأنه يجب عليه أن يكمل حياته ولا يقلب في الماضى مثل ما كان يفعل البعض ولذا فقد قبل زوجته واحتضنها فصفقت له أمه ..

قائلة : ولد مخلص كثير مثل الاما مخلص لسنيوريه هنونى أبو جلباب .. وأضحك هذا كلاً من سامى ونور .

استقلت الأسرة اللنش الذى يربط ما بين مينائى نابولى وبالريمو عاصمة جزيرة صقلية وهناك وجدوا سيارة سامى في منطقة جراج السيارات المفتوح فاستقلوا سيارتهم بعد أن وضع سامى حقائبهم فوقها وقاد السيارة في طريق ناعم ومرصوف بعناية يتخلل المزارع والمناطق الخضراء من كل مكان والطريق يحمل تضاريس الأرض من إرتفاع وانخفاض .. أما الأم " لوو " فكانت مثل الطفل الذى عثر على أمه بعد طول غياب وبعد أن فقد الأمل في العثور عليها وكانت تتحدث بكلام كثير بالإيطالية وسامى يخبر زوجته أنه لا يعرف معنى بعض ما تقوله أمه .. وفى بعض الأحيان تضحك وترفع صوتها ثم تبكى عندما تتذكر والديها

اللذين حرما من وطنهما من أجل البحث عن الرزق .. كان واضحاً مدى حبها لوطنها .

وصلوا إلى فيلتهم والتى كانت تقع في منطقة تسمى (**مكيافلى جاردن** ) حيث نسبت إلى المفكر الإيطالى مكيافلى والذى كانت له شهرة واسعة في عصر النهضة وأكملت " لوو " ثناءها وإعجابها بالمنطقة والمنظر العام للفيلا وما يحيط بها من مناظر طبيعية خلابة وكانت تعلق قائلة هذا هو وطنى الأصلى .. أنها بلاد جميلة حباها الله بالخير والأمطار والتى أخرجت المياه كل هذا الخير .

أعجبت " لوو " بمكونات الفيلا وكان بادياً على ما بداخلها من تنسيق بأن يد فنان قامت بها وخاصة لوحات الرسم التى كانت نور قد خططتها ونظرت لوو إلى زوجة إبنها قائلة : ذوق هايل نور يدل على مستواك الراقى والفنى أهنئك وأهنىء ولد سامى عليك .. كان هذا طبع لوو أن تنطق أسماء أبناءها بولد سامى أوولد سعيد أو بنت سيدة وهكذا وقد إستقت تلك الطريقة من أهل ميت البرامونى وهى صغيرة حيث كانت تسمع الكبار ينادون على أبنائهم " ولد " .. أو على بناتهم " بنت " ولهذا سارت على هذا المنوال ولم يكن أبناؤها أو بناتها يغضبون من ذلك .

أمهل سامى أسرته ساعتين لأخذ حمام وغيار ملابسهم حتى يتوجهوا إلى مطعم (**توكلسى**) لتناول الطعام هناك إحتفالاً بحضورهم وخاصة حضور الماما وفى الطريق الى المطعم أخبر سامى والدته بنتائج إتصالاته مع عائلتها حيث وُفق في العثور على الخالة " **سنيورا تريسا** " وهى بمثابة ابنة خالة والدته وقال أن الخاله أخبرته أنها ستحاول تجميع أكبر عدد من العائلة لمقابلتك في قريتهم أو مدينتهم (**جرزياتى سيتى**).. " لوو " في منتهى السعادة وهى تستمع إلى ما يقوله ابنها عن عائلتها .. فهى لا تصدق أن تسمع أو تشاهد أحداً من عائلتها بعد هذا العمر وهى التى فقدت والديها

وليس لها أحد سوى زوجها وأبنائها .. الحديث بين سامى ووالدته يدور باللغة الإيطالية لما به من أسماء وتعبيرات بتلك اللغة .

بعد مرور أيام ثلاثة إتصلت الخالة " سنيورا تريسا " بابن أختها سامى وأخبرها سامى بأن مفاجأة رائعة تنتظرها .. وأعطى التليفون لأمه التى بدا حديثها كله شجون وإختلط الكلام بالبكاء بين الاثنتين خلالها استطاعت لوو أن تحصل على بعض البيانات الأكثر دقة عن عائلتها فهى تسأل إبنة الخالة والسيدة تجيبها بالتصحيح أو الاندهاش واستمر الاتصال بينهما لفترة طويلة وكانت السعادة بادية على " لوو " من إحمرار بشرتها وابتساماتها وحزنها في بعض الحالات لما أصاب بعض الأقارب .

ظهر واضحاً أمام سامى أن أمه سيدة قوية وعلى درجة عالية من الوطنية والانتماء لبلدها إيطاليا .. أنه يعلم أن أمه ولدت في الصعيد في عام ١٩١١.. وها نحن الأن في عام ١٩٨٢ أى أن عمرها قد تجاوز السبعين عاما لكنها مازالت نشطة ومتيقظة الذهن وكان دائماً ما يقول عنها " على الحنونى " إنها مثل أمه "أم عاشور" في الذكاوه بس على خوجايه ..

سامى يسير على درب والديه بدون قصد فلقد تعلم منهما وشرب سلوكهما .. فاكتسب من والده النشاط وحب العمل والعطف على الفقراء وصلة الرحم والتدين والبعد عن المعاصى وشرب الدخان وخلافه أما ما أكتسبه من أمه فهو حب المدنية والرقى والأخذ بأسباب العلم والمعرفة والاهتمام بحضارة ولغة الأجداد .

ابتسم سامى الحنونى وهو يفكر في قول العامة من ان " الحلو ما بيكملش " وذكره هذا المثل بالفرق الواضح بين والدته ووالده لأن أمه التى لم تر اوتشاهد بلدها تحفظ كل صغيرة وكبيرة عنه وخاصة تاريخ وحضارة الإمبراطورية الرومانية وأسماء العلماء والمخترعين وأصحاب الفكر والدول المجاورة لوطنها وأسماء تلك الدول ولغاتها وحفظت كل تلك

المعلومات .. بينما نحن في محافظة قنا والأقصر إحدى مراكزها وبها ٣٣ % من آثار مصر و ١٦% من آثار العالم لا نعرف عنها إلا القليل .

كل ما نعرفه عنها هو وجود معابد يسكن بها الجان والثعابين السامة وكثير من المساخيط وأن البعض يأخذ هذه المساخيط ليشتريها الخواجات ويأخذون ثمن تلك المساخيط في صورة هدايا وروائح أو مشروبات كحولية والبعض مخدرات .. يبيعون إبداع الأجداد بهذه التفاهات .

وما السبب في ذلك ؟ يفكر قليلاً بأنه الجهل وليس غير الجهل من تراكمه منذ الرومان حتى بعد قيام الثورة المصرية في منتصف القرن العشرين .. ثم يحدث نفسه قائلاً : يجب علينا نحن المصريين أن نأخذ بالعلم الذى بدأه أجدادنا .. كما وأوصى به الله الناس جميعاً في بداية الدعوة الإسلامية .

في اليوم التالى اتصلت " سنيورا تريسا " بإبنة الخالة " لوو " واتفقت معها على اللقاء في عطلة نهاية الأسبوع القادم لأنها خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية تحدثت مع عدد كبير من أفراد العائلة الذين سعدوا بحضورها وأنهم يعدون للإحتفال بها عائليا في وجود أكبر عدد من أفراد العائلة وستخبرهم ليتواجدوا في هذه العطلة وقد أسعد هذا الإتصال "لوو" كثيرا حيث طلبت الخالة محادثة سامى وشرحت ووضحت له كيفية الوصول من (باليرمو) إلى المقاطعة عندهم ولم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وأوضحتها لابن الأخت سامى .

في صباح يوم السبت توجه سامى ووالدته للقاء الأسرة تاركين نور وأطفالها استعداداً لبداية العام الدراسى الجديد وقد بدا تأثير الحمل واضحاً على نور من التعب والإرهاق .. من مطار " باليرمو" إستقلا الطائرة متجهين إلى نابولى ومن مطار نابولى استقلا تاكسى إلى منطقة جرزيانى موطن عائلة " لوو " وهى عائلة " كاتيافيلى" وهذا هو اسم الجد الأكبر الذى يمتلك أكبر مزارع الكروم في جنوب غرب إيطاليا وقد إشتهر

بصناعة النبيذ الفاخر المعتق المشهور عالمياً وله أسواقه في داخل وخارج إيطاليا .

الطريق الواصل بين مطار نابولى وبين مقاطعة " جرزيانى " يتشابك مع الطريق الواصل بين مدينتى " كابرى / نابولى " وهو طريق دولى من الطرق الأوربية الشهيرة وظهر واضحا مدى ما وصلت إليه إيطاليا من تقدم والذى أعقب الحرب العالمية الثانية .. في جميع المجالات وكانت " لوو " تنظر يميناً ويساراً من داخل التاكسى وهى سعيدة بذلك وتتحدث مع السائق وتغمرها الفرحة بأن هذه اللهجة لم تسمعها منذ ما يقرب من خمسين عاماً عندما تقابلت أسرتها مع بعض العائلات الإيطالية في الإسكندرية حينما كانت في صحبة والدها بعد مهاجمة الأمراض له .

على جانبى الطريق التى تحيط به مزارع الكروم والتى تشتهر بها المنطقة وتتخلل تلك المزارع من حين لآخر بعض المنازل الريفية المتفرقة ذات اللون الأبيض كما تلاحظ بعض القرويات وهن يستخدمن " الدراجة " للتسوق أو لإنهاء مصالحهن .. نظرت " لوو " إلى ابنها قائلة : اليوم تغذيت من نسيم بلادى وعطرها إننى أشعر أننى عدت للوراء عشرين عاماً من عمرى .. إنها أصل الإنسان وكنت أحتاج إلى تلك الوجبة المعنوية الرائعة .. شكراً لله وشكراً للسنيوريه وصفى أن أشار علىّ بتلك المشورة وأسعد هذا سامى أن تكون مشورة والد نور قد أتت بكل هذه السعادة لوالدته التى بدا عليها أنها في حالة من التخدير أو السكر أو النشوة الحالمة .

وصلت السيارة التى أقلتهما من المطار إلى العنوان الذى أملته الخالة "سنيورا تريسا" على ابن الأخت سامى .. هاهو باب القصر الضخم الخارجى يفتحه أحد الخدم وتسير السيارة على ممر مرصوف وتحيط به على جانبى الممر أشجار ونباتات من أنواع الزينة المبهرة فى شكلها وألوانها ثم تصل بعد ذلك إلى ساحة انتظار للسيارات وهى أمام مبنى القصر مباشرة والذى يدل طرازه على أنه قد مضى زمن طويل على إنشائه ومكون من دورين وبالدور العلوى فراندات ضخمة وتغص بالرجال

والنساء من مختلف الأعمار وهم يرتدون ملابس رسمية تدل على مستواهم الاقتصادى المرتفع وتلاحظ أن المساحة المخصصة لانتظار السيارات لا يوجد بها مكان خال لأى سيارة قادمة .. كما تواجد عدد من الخدم كانوا مشغولين بإعداد الطعام والمشروبات أسفل شمسية ضخمة بالحديقة المجاورة للقصر الذى يقف فيه بعض الرجال والنساء والذى كان يغلب عليهم تقدمهم فى العمر قريبا من مكان إعداد الطعام كما أعُدت موائد وكراسى كثيرة لاستخدامها .

نظر الجمع إلى سيارة التاكسى والتى كانت تحمل شارة تاكسى مطار نابولى فأيقن الجميع أن ما بداخل تلك السيارة هى إبنة العمة أو الخالة " سنيورا مارتا " و" سنيوريه دوكيافيلى " وانتظر الجميع حتى هبوطهما من داخل السيارة وكلهم شغف بأن يروا ويشاهدوا هذه القروية والتى تعدت السبعين عاماً من عمرها ولم تشاهد وطنها طوال هذا العمر الطويل .. هبطت " لوو " من التاكسى وأشارت بيدها إلى جموع المنتظرين ..

قائلة : " فيفا إيطاليانو " ها قد حضرت كليوباترا الثانية بعد كليوباترا الأولى ملكة مصر وزوجة مارك أنطونيو ..." فيفا أنكولا ".....

صرخت النساء وصفق الرجال تحية لها وتحية لمصر الجار الجنوبى لهم ومهد الحضارة الفرعونية المذهلة للعالم حتى الآن .. دخل كل من " لوو" وابنها من الباب الزجاجى للقصر إلى داخل بهو رائع من الرخام والالبستر بينما كان الحاضرون يهبطون السلالم إلى الدور الأول لاستقبال القريبة العائدة فرحين مسرورين .

وقفت السيدات صفا عن يمين " سنيورا لوو " والرجال صفا عن يسارها .. وجعلوا يحيونها وكل يعرف نفسه لها وتحتضنها السيدات ويقبل يدها الرجال .. قدم سامى نفسه بلهجة حازت أعجاب كل الحاضرين وحيوه بالتصفيق وكان سائرا خلف والدته ويصافحه الجميع مرحبين به بلهجة ودودة ..

كانت " سنيورا لوو " في حالة من عدم الإتزان من ضخامة المفاجأة التى شاهدتها ولمستها .. فمن اغتراب لسبعين عاماً لم تشاهد وطنها ولا أقاربها الى هذا الحب الجارف لهذا الحشد الرائع وهى تنظر اليهم ولا تستطيع أن تكمل جملة كاملة لما بُهرت به سواء من حُسن الاستقبال أو روعة المستقبلين فى أزيائهم ورقتهم وبشاشة وجوههم .. إنها تعيش في هذا الوطن مهد أجدادها وعائلتها وكل هؤلاء الأقارب حولها يرحبون بها ودودين معها ومع ابنها والسعادة واضحة على وجوههم .

كل سيدة أو رجل يعرف نفسه لها حتى الجد الأكبر أى الجيل الثالث وهى تحاول أن تفهم وتستوضح هذه الأسماء وتلك القرابة التى سمعت عن بعضها من والديها ولكن الزمن طويل والعدد كبير والذاكرة تضعف لكن مشاعرها تحاول مساعدتها .

ومما أثر في " سنيورا لوو " كثيراً هو أن بعض السيدات أحضرن معهن بعض الصور الفوتوغرافية القديمة والتى تظهر والدتها في أعمار مختلفة حتى قبل سفرها إلى مصر في عام ١٩١٠ أى منذ اثنين وسبعين عاماً وصوراً أخرى لأعمام والدتها وصورة واحدة لجدة " لوو " لأمها وجدها وهو يعمل في مزارع العنب لمساعدة والده واستفسرت منهن عن كيفية الحصول على بعض تلك الصور والتى تطوعت السيدات اللائى يمتلكن الصور بعمل نسخ وتقديمها لها قبل سفرها غداً .

أغلب السيدات الموجودات يقتربن في عمرهن من عمر " لوو " لكنه كان من الواضح للجميع أن " لـوو " أجملهن جميعاً باعترافهن أمامها وقد زادها هذا الشعور بالسعادة والغبطة كما أوضح الرجال هذا ايضا مؤكدين على أن الحياة في مصر قد أضفت عليها من سحر هذا البلد وجماله .. كما تجمع عدد من الشابات والشباب الايطاليين حول سامى يرحبون به ويتحدثون ويضحكون سعداء به وقد تيقن لهم أن ابن الخالة سامى هو من عائلتهم لما فيه من تقارب الشكل وجودة لغة بلادهم .

"البارون كاتيافيلى" هو الجد الأكبر لـ "سنيورا لوو" فهو الجد المباشر لأمها " سنيورا مارتا " ولذا فإن " لوو " هى الجيل الرابع لهذا الجد الغنى كثير المال وكل الموجودين في هذا اللقاء من أحفاده مباشرة وهو المزارع العصامى قوى البأس شديد المراس على مصاعب الحياة في بدايات القرن التاسع عشر وهو الذى أسس مزارع الكروم في هذه المنطقة بجهده وعرقه وعرق أبنائه وأحفاده من بعده .

مكان الاحتفال الذى يتواجدون فيه هو قصر "البارون كاتيافيلى" وقد حصل على هذه الدرجة الرفيعة من ملك إيطاليا قبل أن ينقلب عليه العسكريون هناك وذلك تقديراً لدوره في إنعاش الاقتصاد في منطقته وقد ترتب على ذلك أن أصبح حاكما على المقاطعة التى تقع بها مزارعه الضخمة ومصانع النبيذ التى يملكها ويحيط به أبناؤه والعاملون عنده .

وقد دفعه هذا المركز إلى تشييد هذا القصر الرائع واستمر في بنائه قرابة العشر سنوات فكان يبنى جزءاً جزءاً من فائض أرباح تجارته واستعان في تشييد هذا القصر بعمال وفنانين في النحت والزخرفة وكان للمصريين نصيب الأسد في ذلك لأن صديقه البارون " إمبان " الذى كان يعيش في مصر والذى أسس ضاحية مصر الجديدة قد أخبره بأن بمصر الكثير من العمال المهرة وأنه ينوى أن يستعين بهم إذا توافرت معه السيولة المالية لبناء قصر في شرق القاهرة عاصمة مصر .. وأمده صديقه إمبان بكل ما يحتاجه من هؤلاء العاملين الذين برعوا في بناء دار الأوبرا المصرية وبعض قصور حكام مصر في ذلك الوقت مثل قصر الزعفران وغيرها ومنطقة ميدان الإسماعيلية التى شيدها الخديوى إسماعيل ( ميدان التحرير وطلعت حرب وسليمان باشا ) .

أثناء لقاءات أقارب "سنيورا لوو" بها والمحادثات الجانبية مع السيدات اللائى يستفسرن منها عن الحياة في مصر وعن أبنائها وكل المعلومات

التى تهم السيدات عامة صاح أحد الموجودين ليخبر الجميع بوصول رئيس العائلة "سنيوريه البرتو" .. فتوقف الحديث بينهم ووقفوا جميعا احتراما لكبير عائلتهم .. وتقدم إلى وسط القاعة رجل مهيب الشكل عليه وقار وشعر رأسه كثيف ولحيته بيضاء اللون وكان قريباً في العمر من " سنيورا لوو" الرجل يرد تحية المستقبلين له .. ثم أشار بالسكوت ونظر وجال ببصره بين الحضور وأشار اليه البعض بمكان وقوف ضيفة الحفل ابنة العمة "سنيورا لوو" فتقدم منها مرحباً .

قائلاً : " تشاو " أهلا .. تفضلى سيدتى وصافحها باحترام وسار معها إلى منتصف القاعة الرخامية والتى يحدد مركزها نجمة حمراء من الرخام بنفس اللون .. رحب الرجل بالسيدة وابنها ترحيباً حاراً شاكراً لهما حبهما ومودتهما وأن تبذل من الجهد والوقت للبحث عن عائلتها التى لا تعرفها ولم ترها من قبل حيث ولدت ونشأت في بلد الحضارة والتقدم مصر .. وهنا صاح الجميع مصفقين ( **فيفا إيجيبتو** ) تحيا مصر .

ثم أشار بيده ولوح في الهواء قائلاً .. إذا كنتِ يا ابنة العمة تبحثين عن عائلتك فإن عائلتك هى الاخرى تبحث عنك وقد هتف الجميع " فيفا سينيورا لوو "...." فيفا إيطاليانو " .

ثم قال "سنيوريه البرتو " منذ أن علمنا أن ابنة العمة "سينيورا مارتا" قادمة للقاء الأهل وزيارتنا ... عقدنا مجلس إدارة العائلة في اجتماع غير عادى لهذه المناسبة الرائعة التى قلما تحدث ان يعود شارد لأهله بعد هذه السنوات الطوال .. لقد راجعنا أصولك العائلية المنحدرة من جدنا الأكبر "البارون كاتيافيلى" العظيم ثم ابنته مباشرة الجدة " **سينيورا سليفيا** " ولها ميراث إنتقل إليها من ذلك الجد ولكن هذه الجدة كان حظها سيء فقد أنجبت الابن " سنيوريه راؤول " وابنة هى " سينورا مارتا " أمك .

جمع الحب بين عامل على ماكينة العنب هو العم "سنيوريه دوكيا" وبين أمك حفيدة الجد الأكبر وقررا الهجرة إلى مصر حيث إنها بلاد الأعاجيب وكنوز الملك الشاب "توت عنخ آمون" والتى جعلت المغامرين الأوربيين يهرعون إلى مصر للحصول على تماثيل الذهب الخالص والأعاجيب التى كانوا يشاهدون صورها في الجرائد في ذلك الوقت :. تركت العمة مارتا الأسرة وتزوجت والدك وهاجرا إلى مصر وبعدها بعام أرسل الخال " سنيوريه راؤول " إلى ليبيا مع الجيش الإيطالى هناك حيث يقاتل المجاهدون وهناك قتل خالك وهكذا أصبحت الجدة " سنيورا سليفيا " بدون ابنتها وابنها وبعد صراع مع الأحزان لاقت ربها تاركة ميراثها وقد مر على ذلك قرابة الثمانين عاما وقانون الأسرة لا يبيح التحفظ على الميراث المتروك أكثر من سبعين عاماً .. وفكرت مع أعضاء الأسرة كيف يكون من يبحث عنا جزاؤه أن يحُرم من ميراث عائلته حيث الذى وضع القانون هم أجدادنا .. وقد استأذنا أجدادنا عند الرب ( ضحك جميع الحاضرين على فكاهة كبير الأسرة سنيوريه البرتو ) .

سألنا الأجداد هل يمكننا إعطاء "سينورا لوو " إبنة العمة مارتا ميراث جدتها "سينيورا سليفيا " ووافق الأجداد على ذلك ونحن الأحفاد لا يسعنا إلا أن نسير على رأيهم .. صفق الحاضرون كثيراً وسعدت " لوو " وهنأتها السيدات ...."يكمل سنيوريه البرتو حديثه" لقد حجزنا الميراث للمنافع العامة لأهل المنطقة الفقراء وقرر مجلس إدارة العائلة أمس أن تحصل "سينورا لوو على كل ميراث جدتها "سنيورا سليفيا كاتيافيلى" بما فيه أرباح تلك الأعوام مُركبة .. تصفيق حاد وصفير وقبلات تنهال على "لوو" والتى تقف بجوار سامى ابنها لا تعرف كيف تتصرف في هذا اليوم المشحون بكل معانى الحب والإنسانية والمفاجآت وهى تمسك بيده خوفاً من سقوطها من فرط الانفعال والسعادة التى غمرتها .. يقطع خواطرها كلام السيد البرتو .. إن ما تستحقه من ميراث وأرباح مركبة مقوما بالدولار حتى

تستطيع تفهم ذلك لأن المصريين لا يعرفون الليرة الإيطالية هو مبلغ .... (الجميع ينظرون إليه منتظرين إلقاء المفاجأة ) المبلغ أيها السادة هو ... يصفقون طالبين منه عدم توترهم ( يضحك البرتو ) المبلغ هو مليونا دولار وسبعمائة وخمسون ألف وثلاثمائة دولار ٢،٧٥٠،٣٠٠ (دولار أمريكى) .. صاح الجميع مهنئين " لوو " ..... وحدث لغط وحديث وقد اغلقت لوو أذنها وأصبحت تشاهد ما يجرى بدون أن تسمع أى حديث أو تعليق فقد كانت المفاجأة أكبر من قدرتها على الحديث وأشارت لابنها بأن يقف معها حتى تأمن عدم السقوط أرضا من شدة المفاجأة .

صاح أحدهم : فلنشرب نخب ثلاثة ملايين دولار إلا قليلا وهتف الجميع ولكن البرتو قال لا .. فلنشرب نخب عودة الأبناء إلى أهلهم وعودة الحق إلى أصحابه .. وصاح الجميع فرحين مرددين .. فيفا إيطاليانو .... فيفا إيطاليانو ثم بأعلى صوته قال البرتو يا أحفاد "كاتيافيلى " العظيم ليكن شعارنا كل يأخذ حقه مهما طال غيابه وأن الغائب له نصيبه .. تدافعوا مهنئين مرة ثالثة ولوو مبتسمة لا تتحدث صامته حتى انشغلوا عنها في شرب الأنخاب ولكن السيدة " سنيورا روزانا " زوجة البرتو أحضرت لهما شراب عصير الليمون الذى يفضله المصريون وأخبرتهما أنها إطلعت على عادات المصريين حتى تعد لهما كل شىء مناسب لعاداتهم وثقافتهم وأخبرتهما بأن الجانب الأيمن من ترابيزة الطعام لايحوى لحم الخنزير وليس به أى إضافات يدخل في تكوينها الخمور .. وأسعد هذا كلا من " لوو " وابنها بأن السيدة " سنيورا روزانا " قد اهتمت بهما إلى هذه الدرجة .

شخصية " سنيوريه البرتو " كبير عائلة أسرة كاتيافيلى من الشخصيات التى تبعث على المرح والاحترام .. فهذا الرجل كان له من التصرفات الباعثة على الضحك ما يجعل أفراد العائلة يحبونه ويقدرون مواهبه ورغم إن عمره لا يقل عن السبعين عامًا وأقرب الشبه إلى الممثل المسرحى المشهور جورج أبيض فقد كان لبق الحديث سريع النكتة لا

يغضب من أحد ولايغضب أحداً ويستخدم يديه وقدميه في حديثه باستمرار وكان هذا يؤدى إلى متعة الحديث معه ... فإذا أشار بيده اليمنى وضرب بها على بطنه فهذا يعطى انطباعاً للآخرين بأنه فهم واستوعب وهضم ما يقال وإذا أشار بيده اليسرى إلى أذنه فهذا يعنى أنه لم يعر هذا الشيء اهتماماً .. أما إذا دفع بقدمه اليمنى للأمام كأنه يلعب كرة قدم فهذا يفيد بأنه سيتقدم فيما يتحدثون عنه وإذا أشار بقدمه اليسرى للخلف فهذا يعنى رفض ما يعرض عليه .

البرتو شخصية محبوبة من أفراد العائلة ويتميز سلوكه بحب وعطف على أبناء المنطقة التى تقيم بها الأسرة .. فيجمع المساعدات العينية والمادية للمحتاجين منهم وكان قد جهز أحد مخازن المزرعة ليكون مركزاً لتخزين الزائد عن حاجة الأسر حتى يوزع على المحتاجين منهم بشرط جودته وصلاحية للاستخدام وكان هذا المخزن يحتوى على أصناف كثيرة من إحتياجات العائلات مثل حجرات نوم وأجهزة تلفزيون وملابس مستخدمة وغيرها من تلك الأنواع والأصناف .

صاح البرتو هيا .. ودفع بقدمه اليمنى للأمام وضجت القاعة بالضحك واندفع الجميع للخارج حول موائد الطعام يتناولونه بشهية وهم يتضاحكون ويتمازحون .. وبعد أن انتهى الجميع من تناول طعامهم وشرابهم تحدث السيد البرتو...

قائلاً : والآن نُسلم ابنة العمة شيك استحقاقها والذى يمكنها أن تصرف قيمته من البنك الوطنى الإيطالى بعد أسبوع من الآن .. وقرأ صيغة الشيك وقيمته وجميع افراد العائلة يصيحون مهللين مهنئين أبنة العمة " لوو " .. استمر الاحتفال قرابة الأربع ساعات لم تهدأ " لوو " من الترحيب والتقدير والمجاملات سواء من السيدات أو الرجال بينما سامى يقف مبهوراً مما يراه ويسمعه .. بعد انتهاء الاحتفال اصطحبت السيدة " روزانا " زوجة البرتو

رئيس العائلة السيدة " لوو " وابنها سامى إلى الدور العلوى وتوجهت بهما إلى الجناح رقم (١٤) وهو جناح الملوك والشخصيات العالمية رفيعة المستوى وحملت الخادمة حقائب السيدة " لوو " إلى هذا الجناح وأطلعت السيدة روزانا لضيفتها سجلاً يحوى توقيع كل الزائرين لهذا الجناح .. فقرأت فى هذا السجل عن أسماء البعض وتذكرت بعض تلك الأسماء المشهورة ومن بينها ملوك وأمراء من أوربا ورؤساء وزارات ووزراء وبعض رجال الأعمال الأجانب .. ودعت السيدة الضيفين مؤكدة لهما على حضورها صباحاً للإفطار سوياً ثم اصطحابهما إلى مطار ميلانو حيث تغادره إلى مطار باليرمو عاصمة صقلية .

كانت السيدة " لوو " منذ وصولها إلى قصر البارون " كاتيافيلى " تسير وتتحدث وتتصرف وهى ليست واثقة من نفسها .. وتسأل نفسها هل تتصرف بلباقة وكياسه كما تعودت أو إنها لا تعى ولا تتحكم في تصرفاتها من هول ما رأت وسمعت من أسرتها وأقاربها وما أحاطوها به من نُبل المشاعر ودفء الإستقبال لقد كانت السعادة والبهجة التى شملتها قد أضفت عليها شعوراً لا تعى مداه وقد دفعها شكها هذا الي أن تستفسر من ابنها سامى هل كانت تصرفاتها معقولة أو خارجة عن المألوف ؟ وهل شعر أنها كانت تخطىء مع بعض السيدات أو تتجاهلن عن غير قصد ؟ .. وأخبرها ابنها أنه يشعر بما تشعر به وأنه لا يستطيع السيطرة على انفعالاته من هذه الاستقبالات الرائعة وحُسن المعاملة .

بعد انصراف السيدة " روزانا " توجه سامى إلى والدته بسؤال : هل ما حدث اليوم من هبوط لتلك الثروة عليها كان مفاجأة أم أنها كانت تعلم بها قبل سفرها من محادثتها مع الخالة " تريسا " ؟ .. وأخبرته أنها كانت مفاجأة لها لأن الخالة تريسا أخبرتها في إحدى المكالمات أن لها نصيب من بعض الميراث لكنه لا يتعدى قيمته بضع ألوف من الدولارات ولم يكن يدور بخلدها أن يصل قيمة إرثها إلى هذا المبلغ الكبير وفوجىء الجميع

بضخامته وقيمته المرتفعة .. ثم تقول : رغم أن والدتى "مارتا" أبلغتنى أن جدها " كاتيافيلى " واسع الثراء ولكن لم أكن أتوقعه بهذه الضخامة ؟! .. فهذا أمر مبالغ فيه ولم يكن يخطر على بالى إطلاقاً .

ترك سامى والدته تنفرد بنفسها وتوجه إلى قسم الرجال ليقضى ليلته وانتابته الافكار والاستفسارات وهى تدور حول سؤال واحد .. لماذا هاجر الجد والجدة من إيطاليا إلى مصر ؟ رغم توفر فرص عمل أمامهما وثراء الجد لهذه الدرجة .. كان واضحاً هذا الثراء على أقارب والدته أنهم جميعا يحيون حياة مترفة بعيدة عن الجهد الذى لاقاه جده وجدته في مصر .. لماذا تركوا كل هذه الحياة الرغدة إلى منفاهما الاختيارى في جنوب مصر وهذا الفرق الشاسع بين المنطقتين وبين الطقسين حيث درجة الحرارة المرتفعة وانخفاض المستوى الصحى والاجتماعى مقارنة بهذا البلد .. وليس هذا عيبا في وطنه الذى قبع تحت الاحتلال لأكثر من ألفى عام تدهور فيها المصريون إلى ذيل العالم بعد أن كان بلداً متقدماً يسعى إليه جيرانه يتلمسون منه العون والمساعدة .. ولم يجد امامه إجابة معقولة .

جلست " لوو " هى الأخرى تسائل نفسها نفس السؤال عن الهدف والغاية التى جعلت والديها يقدمان على الهجرة إلى مصر .. فلقد عاشت وحيدة .. لا أقارب ولا أهل ولا مجتمع تنتمى إليه وظلت حبيسة منزلها نظراً لاختلاف الطباع بين البيئتين فى مصر وإيطاليا ولم تخرج بإجابة واضحة تقنعها ردا على سؤالها هذا .. إنه سؤال محير .

# ( ٢٢ )

# الجناح الملكى

تقدمت " لوو " إلى الجناح الملكى وفى كل خطوة كانت تخطوها تقف مبهورة مما تراه وتشاهده في هذا الركن الرائع من قصر جدها البارون وتقف عدة دقائق تشاهد اللوحات المعلقة على الحوائط والتى لا تقدر بثمن لأنها مقتنيات نادرة لأشهر الرسامين الإيطاليين والأسبان والتى تعرض رسوماتهم في أشهر صالات العرض والمزادات العالمية ونظرت إلى سقف الجناح فشاهدت رسومات على الأسقف تدل على مدى روعتها رسماً وفناً والوانا وكانت الأرضيات من الرخام النادر الذى استورد من مصر كما أخبرها البعض وكان لونه كلون مياه البحر ومتدرجة .. فيخيل إلى السائر فوقها أنه يسير فوق مياه .. تحتاج إلى رفع الملابس حتى لا تبتل .. أما السجاد المفروش في تلك الحجرات فكان قريب اللون من رخام الأرضيات ولكنه منقوش كموج البحر وكأنك تقف في البحر بين الأمواج وبين مياهه.

أما حجرة النوم الرئيسية فهى غاية في الفخامة والروعة حتى يُخيل للإنسان أنه لا يجب عليه استخدامها حتى لا يضر بمكوناتها فالكراسى الفوتيه من الحرير الخالص بارز النقوش فتشعر قبل أن تجلس بأنك سوف تجلس فوق تلك الزهور أما السرير الموجود بالغرفة فيشعرك جماله ورقته بأنه خرج تواً من تحت يد الصانع الماهر الذى أبدع في إظهار تلك التكوينات الجمالية رائعة الألوان مع تداخل ألوان المفروشات مع ألوان أخشاب الموبليا رقيقة الزخرفة .

مقابض الحجرات والموبليا مصنوعة من الذهب عيار ١٨ لامعة بريقها أخاذ للنظر مع رقة في التصميم وعليه ختم بذلك (عيار الذهب) .

حجرة النوم الرئيسية لها حمام خاص مكوناته كلها من الرخام الرقيق المشابه لأرضيات المدخل لكن لونه يميل إلى الإحمرار مثل العقيق الأحمر

فاتح اللون ومع الإضاءة واستخدام المياه تشعر بإنك في مكان مياهه كلها يغلب عليها إحمرار اللون وينعكس هذا على جسد الإنسان فيصبح أقرب إلى اللون البرونزى والذى كانت تصنع منه التماثيل في العصور الوسطى أو إنك جالس على مياه البحر طوال اليوم تحت أشعة الشمس والتى أكسبتك هذا اللون .

لم يستطع سامى أو والدته أن يناما ملء جفنيهما في تلك الليلة فما شاهداه وماسمعاه أفقدهما الرغبة في النوم أضف إلى هذا روعة الجناح الخيالى والذى يشد إنتباهك لما فيه من قدرة أبناء آدم على الابداع فى روعة الصناعة وجمال الاختيار وتناسق الألوان .

السيدة " لوو " مستلقية على سريرها تفكر في الشخصيات التى شرفت بالإقامة في هذا الصرح الفنى الرائع وتذكرت الجد الأكبر " كاتيافلى " الذى عاش هنا وتنفس في هذا المكان وهى الحفيدة تتنفس في نفس مكانه .. وتفكر .. هل من الممكن أن تصبح ذات شهرة مثل جدها ؟ هذا الجد العصامى المكافح الذى استطاع إنشاء إمبراطورية اقتصادية خلدت اسمه من بعده طوال تلك السنوات التى تعدت القرن من الزمان وتركت لأحفاده من بعده إستثمارات كبيرة جعلتهم يحيون حياة الأغنياء والأمراء ويوظفون ألوف العمال الذين يعولون آلاف الأسر كل هذا بناه شخص واحد قوى الإرادة صادق العزيمة .. قامت ونظرت فشاهدت من شباك حجرتها أشجار الكروم على الأضواء المحيطة بالقصر وتذكرت أمها .. لقد كانت تلعب حول هذا القصر مع أقاربها ومن في عمرها وفي بيئتها التى نشأت بها وتعرفها وتعرف تضاريسها .. وأبى هو الآخر كان شاباً يافعاً يلهو ويمرح مع أصدقائه .. أنه الزمن .. قفزت بعض الدموع من عينيها الجميلة لذكرى الأب والأم .

قررت " لوو " أن تقوى علاقتها بعائلتها .. فهى سعيدة بكل المقاييس من هذا الاحتفال الهائل لها ولإبنها كما طغى على كل ذلك النفحة المالية

التى أعطتها لها عائلتها متمثلة في مجلس إدارتها وعودة ميراثها رغم عدم أحقيتها في ذلك لانقضاء المدة المقررة لذلك ثم تشريفهم لها ولإبنها بالمبيت في جناح العظماء والذى لا يبيت فيه إلا ضيوف إيطاليا الكبار حتى أن أحفاد " كاتيافيلى " لم يتشرف أحداً منهم بهذا التكريم من قبل وغداً ستحضر السيدة " روزانا " لتقيم على شرفها طعام الإفطار لها ولابنها ثم تقوم بتوصيلهما إلى المطار عائدين إلى باليرمو .

إذن لابد من دعوة أكبر عدد من افراد عائلتها لزيارة متحف الفن العالمى المفتوح في الأقصر وأسوان لمشاهدة آثار الفراعنة العظام .. شعرت بنشوة أنها تستطيع الاحتفال بهم وبتكريم أحفاد جدها الأكبر مثل ما قاموا بتكريمها والإحتفال بها ولتكن هذه الدعوة بمثابة إعلان لأبنائها وبناتها بعمل صلات حب ومودة مع أهلهم في إيطاليا مثل صلاتهم مع عائلة الحنونى .

تنبهت " لوو " على ظهور ضوء خافت من خلف نافذتها ينبىء بميلاد يوم جديد ولكنه ليس كأى يوم .. تعتقد أنه يوم لا يتكرر في حياة الإنسان أبداً وإشراقة شمس هذا اليوم على دنيا وحياة " لوو دوكيا " أو " لوو مارتا سيلفيا كاتيافيلى " آه لقد وجدت خط العائلة .. إنه أول يوم تشعر فيه بالسعادة والحب والحنان بعد وفاة الحامى لها وهو الأب " دوكيا " لقد شعرت أن كل هؤلاء الرجال من عائلتها يدافعون عنها وما هى " لوو " ابنة العمة أو الخالة " مارتا " لقد مضى خمسة وأربعون عاماً على وفاة الأب دوكيا ورغم أنها تعيش وسط عائلة الحنونى هؤلاء القوم طيبو القلب والعشرة وخلفها سبعة من أبنائها وبناتها وعائلاتهم إلا أن الإنسان بطبعه يحاول زيادة عدد الأحباء من حوله لأن شعور الإنسان بالحب له معنى كبير في نفسه ووجدانه .

قررت " لوو " توجيه دعوة لأحفاد " كاتيافيلى " لزيارة مصر وقضاء وقت ممتع في ضيافتها وضيافة أسرتها لمشاهدة مصر الفرعونية ومصر

الحاضر والتى بدات تنهض وتنمو بعد إنتهاء حرب أكتوبر المجيدة والتى مضى عليها قرابة العشرة أعوام .. تنبهت " لوو " على أصوات الطيور خارج نافذتها وقد تسلل شعاع ضوء خافت فتنبهت من تأملاتها لأنها لم تنم وتوجهت إلى الحمام .. وحصلت على حمام رائع كانت ترغب في البقاء تحت المياه لتتمتع بسحر ما يحيط بها داخل هذا الحمام الأسطورى وتوجهت بعد ذلك إلى غرفتها وأدت الصلاة " سنة الفجر وأعقبتها ركعتى الصبح " ثم جلست تدعو ربها شاكرة فضله عليها وعلى أسرتها وسار سامى على نهج أمه وزاد عليه أن فتح الفراندة فشاهد نعمة الله على عباده والزراعات المترامية الأطراف وإستنشق الهواء العليل وهو فخور بأسرة والدته وبالجد الأكبر قائلاً :

هنا جد عصامى " كاتيافيلى " وفى جنوب مصر جد عصامى أيضاً هو "إبراهيم الحنونى" الذى لم يشاهده ولكنه سمع عنه وعن نشاطه ودأبه على العمل والكفاح حيث يتذكره أبناؤه وبلدياته بشجاعته أيام الفيضان وعدم خوفه وخشيته من خطورة المياه المدمرة لكل شىء أمامها .. وضع سامى يديه في خاصرتيه قائلاً : وهو يهز رأسه فى خيلاء إذن فأنا حفيد هذين العملاقين ويجب أن أكون شيئاً آخر في الأيام القادمة .

طرقت الخادمة باب السيدة "لوو " مستأذنة لتخبرها بأن السيدة البرتو في الأسفل في قاعة الإنتظار وأن طعام الإفطار مُعد ثم توجهت إلى سامى وأخبرته بنفس ما حدثت به أمه منذ قليل .. توجه سامى إلى باب جناح أمه طارقاً الباب مستأذناً الدخول عليها فقبل يديها وسار خلفها هابطين السلم إلى قاعة الإنتظار .. وقفت السيدة البرتو مرحبة بهما " بن جيرنو " أى صباح الخير .. متمنية أن يكونا قد قضيا وقتاً مريحاً في تلك الليلة .. وشكرتها " لوو" على كل ما تقوم به من أجلها ومن أجل ابنها سامى الذى كان يلقبها بالخالة " روزانا " .

أثناء تناول طعام الإفطار أفضت " لوو " إلى ابنة الخالة برغبتها في استضافة أكبر عدد من أبناء وبنات الجد الأكبر " كاتيافيلى " في مصر لبضعة أسابيع للمشاهدة والتمتع بالآثار المصرية الرائعة .. وسعدت السيدة روزانا بهذا العرض قائلة "جراتسى " شاكرة لهما طالبة من سامى التوجه بعد الإفطار إلى سكرتارية القصر وملء نموذج الدعوة المبدئى حتى يعرضه " سنيوريه البرتو " في الاجتماع القادم على مجلس إدارة العائلة كما قدمت " سنيورا روزانا " نسخا من الصور التى شاهدتها " لوو " أمس مع بعض سيدات العائلة عن والدتها وجدها وبعض أقاربها .

بعد الإفطار نفذ سامى كلام السيدة " روزانا " ووجه الدعوة باسم والدته وعائلة الحنونى لأعضاء عائلة " كاتيافيلى " لزيارة مصر في أقرب فرصة وستقوم العائلة هناك بتيسير كل شىء لاستقبالهم وإسعادهم في تلك الزيارة والتى لم يحدد أعدادها تاركاً لهم تحديد الذين يرغبون في الحضور وتوقيتاتهم المناسبة وقد نوه سامى في عرضه عن أفضل توقيتات الزيارة في فترات نهاية الخريف وطوال فترة الشتاء نظراً لما تتمتع به مصر في تلك الفترة من طقس مشمس ودافىء يُسعدهم ويدخل البهجة عليهم بعيداً عن فصل الصيف الذى ترتفع فيه درجات الحرارة والتى يصعُب على الأوربيين تحملها .

أحضرت الخادمة الحقائب ووضعتها في السيارة وودعت إدارة القصر السيدة " لوو " وابنها قائلين " ارنيا ديرتشى " متمنين لهما رحلة سعيدة وترافقهم السيدة روزانا .. قاد السائق الخاص السيارة وهو يرتدى زياً خاصاً حتى مطار " نابولى " وودعتهما "سنيوريه روزانا" على أمل بلقاء قريب في القاهرة .

استقلت " لوو " وابنها الطائرة المتجهة إلى مطار باليرمو في صقلية فوصلت بعد الظهر وحمل سامى حائقبهما متوجهاً بها إلى جراج المطار حيث استقلوا سيارتهما عائدين إلى مقاطعتهما .. مخترقين الغابات والمناظر

الطبيعية الخلابة على الجانبين والتى تغمر المنطقة وبعد ساعة تقريباً وصلوا إلى منطقتهما التى يعيشان بها وكانت " لوو" طوال تلك الفترة ساكنة هادئة والابتسامة تعلو شفتيها وإبنها ينظر إليها من حين لآخر وهو يرى علامات السعادة والفرحة على وجه أمه .. أخيراً وصلا أمام الفيلا ولاحظوا انتظار الأطفال في فراندتها مع امهما فهتفوا بوصول تيته " وداد " قادمين من رحلتهما .

احتضنت نور السيدة " لبنى " مرحبة بها متمنية أن تكون قد أمضت وقتاً ممتعاً مع الأهل في نابولى وأشارت لها لوو بالتأكيد على قولها ثم علقت نور قائلة : ألاحظ ذلك على وجهك الذى تملؤه السعادة والضياء فينير بكل معانى البهجة والسرور .

أثناء تناول الطعام كانت نور تراقب انفعالات زوجها ووالدته وشعرت أن هناك سراً ما يحتفظان به ولا ينويان إخبار أحد به وهى تشعر في قرارة نفسها أن ما يعلمانه هو شيء مُفرح نظراً للنظرات السعيدة المتبادلة في عينيهما وهى لا تستطيع توجيه سؤال مباشر لهما لعلمها أن السيدة " لبنى " تكره أن يتدخل أحد في شئونها فاختارت الطريق الأوسط بين السؤال المباشر أو الصمت .. فقالت لهما رحلة سعيدة ويبدو أنكما قضيتما بعض الوقت الممتع مع العائلة وأجابتها " لبنى " بإجابة مختصرة وابتسامة عريضة قائلة لها : فعلا قضينا وقتاً ممتعاً ثم وجهت حديثها لابنها طالبة منه بعد الانتهاء من الطعام أن يتحدثا سوياً على إنفراد وأيدها في ذلك فانعكس هذا سلبا على نور التى لزمت الصمت .. فالأم وابنها يريدان التحدث بعيداً عنها وهذا معناه وجود سر لا يجب عليها أن تعلمه ولا يوجد أحد في المنزل سواها والباقى أطفال صغار لا يفهمون شيئاً ولا يعون ما يجرى حولهم وبعد الانتهاء من طعامهما توجه سامى خلف والدته حاملاً كرسيين من كراسى البلاج وسارا بعيداً حتى اقتربا من مياه البحر وفرد الابن الكرسيين وجلسا وتحادثا سوياً ونور تراقبهما مرسلة أذنيها جهتهما لعلها

تفوز بكلمة تثلج قلبها عن السر الدفين بين الأم وابنها الذى يجعلهما يتحدثان بعيداً .. إلا إذا كان ذا قيمة ويريدان ألا يعلم أحد عنه شيئا .

بدأت الأم حديثها مع ابنها بأن هذا المكان مضمون ولن يستمع أى إنسان لما يريدان التحدث فيه بخصوص الثروة التى هبطت عليهما أمس من العائلة في نابولى .

وزيادة في الحيطة تحدثت " لبنى " بالإيطالية وهذا دليل أنها تخشى أن تعلم نور أى شيء لأنه من المعقول إذا كانت تريد السرية الكاملة فإنها تتحدث بلغة مخالفة لأهل السكان الأصليين ومنها اللغة العربية وتطاير مع إتجاه الهواء بعض من تلك الكلمات الإيطالية والتى أكدت شكوك نور وتبرمها من هذا السلوك الذى يدل على عدم ثقتهما بها وقد دفعها هذا إلى أن تقدح ذهنها وفكرها في كيفية الحصول ولو على قدر ضئيل من هذا السر الدفين والذى كانت تتوقع أن يكون في مجال المال أو الاستثمار لأن هذه طبيعة " لبنى " .. كما أنها إيطاليا بلاد المال والاستثمار .

أصبحت " لبنى " مشتته الفكر لا تستطيع الاستقرار على رأى معين بخصوص الأموال التى جاءتها بدون مقدمات من عائلتها .. وتساءلت هل تترك تلك الأموال في البنوك الإيطالية ؟ أو تعطى تلك الأموال لأبناء العم والخال في نابولى لاستثمارها ؟ أو تأخذ أموالها معها حيث تعيش بين أبنائها وزوجها ؟ .

وقد دفعها هذا لأن تطلب من إبنها الرأى والمشورة وهو يريد التمهل حتى يعطوا أنفسهم فترة للتفكير والتروى حتى يصلا لأحسن رأى ومشورة يقتنعان بها .. لكن النقطة الأساسية امامه هى استثمار تلك الأموال في مصر فلم يكن ميالاً لأن تستثمر أمه أموالها في إيطاليا .. هذا هو اليوم الثالث بعد عودة الأم من منطقة " مكيافلى جاردن " قرب مدينة نابلى بعد اللقاء الأسطورى مع عائلتها وما نتج عنه من مكاسب معنوية عالية وهى السبب الرئيسى للزيارة ثم مفاجأة الثروة وما بعدها وما نتج عن تلك الزيارة

من مكاسب اقتصادية تفيد الطرفين .. تفكر الأم ( للآن لم يفدنى سامى برأى يساعدنى في إتخاذ قرار في ثروتى تلك) .

لم تكن الأم راغبة في الإسترشاد برأى نور رغم ثقتها بأن كثرة الآراء تعطى لمتخذ القرار الفرصة الأكبر للخروج من حالة السكون إلى حالة عامة يشارك فيها الجميع بآراء بناءة وأخرى لا تفيد بل وقد تضر والخروج بفكرتها التى دائما ما تكون صائبة .. وكان مبعثها على عدم الإستعانة برأى نور هو اعتقادها بعدم درايتها بمثل تلك الاهتمامات لأن كل اهتمامها كان منصباً على الأخبار السياسية وتحليلاتها متأثرة بعملها السابق فى وكالة الأنباء الفرنسية كما أنها في حالة صحية لا تساعدها على تقديم العون لأن طفليها الصغيرين دائماً فى احتياج إلى عونها يضاف إلى ذلك حالة الحمل الثالث والتى أثرت على مقدرتها الصحية .

جاء ظهر هذا اليوم وهى مهمومة ومنشغلة في التفكير للخروج من هذا المأزق .. ( ضحكت وهى تتذكر كلمة المأزق حيث تقول أن المأزق هو عدم وجود أموال ولكن فى وجود ثروة بهذه الكمية لا يكون مأزقاً ) وصل إخطار من البنك الوطنى الإيطالى يخبرها بوجود مبلغ ( .... ) والبنك جاهز لصرفه لكِ أو لوكيلك أو تحويله لأى حساب لك داخل أو خارج البلاد .. عقدت العزم على أن تأخذ من ابنها الرأى اليوم .. أما سامى فقد إتصل بزوجته يخبرها بأنه سيسافر بعد ساعة إلى مدينه "جنوة" وسيبقى أسبوعاً لظروف عمل مفاجىء ويطلب منها إبلاغ والدته بذلك .

أثار هذا حفيظة الأم من ابنها وهذا معناه أن تستمر أسبوعاً آخر فى انتظار أن يعود ابنها ليفيدها بالرأى السليم الذى ينير لها طريق الإستثمار وهى لا تستطيع أن تظل صامتة هادئة ومعها أكثر من اثنين مليون وثلاثة الأرباع من المليون دولار فهو مبلغ كبير يستطيع لو أحُسن استثماره أن يفعل الأفاعيل .. لم تجد أمامها غير نور وحينما تقرر أن تخبرها تتراجع لما سبق ذكره مع إضافة اعتقاد آخر .. بأن نور تربت تربية مرفهه ولم تدخل ميدان العمل الخاص مثلها ومثل أبنائها وحتى بناتها .

سرحت الأم في أفكارها وشعرت أن السنون أثرت عليها وهى لا تستطيع إتخاذ قرار في استثمار ميراثها .. وتتذكر .. ألم أكن " لوو " ابنة دوكيا ومارتا المغامرين اللذين حضرا من وطنهما للاستثمار في جنوب مصر ..... ألم أكن لوو زوجة على الحنونى المغامر الذى جازف واشترى أرض إخوته الفلاحين وهو الذى لم يعمل بالزراعة وانتقل إلى غرب النيل فى تلك المنطقة الموحشة ووقف أمام غضبة الطبيعة متمثلة في فيضان النيل والغرود الرملية التى كانت تزحف على زراعاته .. أبعد كل هذا أنتظر الرأى والمشورة ثم ممن ؟ من نور وصفى ابنة الإسكندرية لا لا لا لن يكون .

ما زالت نور على حالها وحب الإستطلاع يدفعها إلى الاستفسار عما حدث في تلك الرحلة ولكنها كانت تخشى "لبنى" فهذه السيدة التى أخذت من أمها "مارتا" النظام وعدم تدخل الآخرين فيما لايعنيهم ثم اكتسبت من نساء الصعيد وخاصة الجدة أم عاشور "والدة على الحنونى" قوة الشخصية وصلابة الرأى وقوة في الحق كل هذا اكتسبته الأم من هاتين الشخصيتين النسائيتين وأصبحت "لبنى" العظيمة .

تفتق ذهن نور عن تصرف ستقوم به وسترى النتيجة التى تتمنى من ورائها الحصول على ما تبغيه من سر الزيارة .. فحدثت نفسها قائلة : سوف أثبت لهم أن بنات الإسكندرية لا يقلون ذكاءً ولا دهاءً عن أبناء الشمال في إيطاليا أو أبناء الجنوب في الصعيد .. واتجهت إلى التليفون وطلبت صديقتها سلوى في الإسكندرية وطلبت منها أن تخبر صديقتهن ثريا بمعلومات هامة كانت راغبة فى معرفتها منها لاستثمار الثروة التى ورثتها عن والدها منذ عدة أشهر واستفسرت لها عن الاستثمار الأمثل وكانت النتائج والمعلومات التى حصلت عليها رائعة فقد أخبرها أحد المتخصصين بأن مجال الاستثمار في الأراضى المستصلحة وإنشاء المدن الجديدة وبناء المصانع كل هذا معفى من الضرائب لمدة عشرة أعوام .. وإننى منذ عدة أيام أحاول الاتصال بها ولكن تليفونها لا يجيب لذا فأرجوا أن تخبريها بتلك

المعلومات وأى استفسارات أخرى يمكنها الاتصال بى وأنا على أتم الاستعداد لمساعدتها .

أعدت نور خطتها حتى تستطيع أن تستدرج والدة زوجها .. فحينما لاحظت أن "لوو" جالسة في الفراندة والشباك مفتوحاً بين الصالة والفراندة وأن الهواء قادم من الجهة الخلفية إلى جهة " لبنى" هنا قامت نور بالمكالمة والتى سمعتها " لبنى" وحفظتها عن ظهر قلب واكتشفت أن زوجة ابنها على علم تام بعالم الاستثمار والدليل هو أن إحدى صديقاتها تستفسر منها عن معلومات خاصة بالإستثمار وقررت أن تحصل منها على بعض المعلومات حتى وقت حضور ابنها من عمله بعد عدة أيام وبالتالى تكون قد حصلت على الجزء الأكبر من تلك المعلومات .

طلبت الأم من نور أن تفرغ نفسها لأنها تريد الاستفسار منها عن بعض المعلومات .. وافقت نور وهى سعيدة بأنها استطاعت أن تستدرج والدة سامى لمعرفة المستور عنها وأمهلتها نصف ساعة حتى تنهى أعمالها وبعد أن أصبحت جاهزة عادت إلى " لبنى " قائلة إنها مستعدة لسماع سؤالها .

قالت " لبنى " إننى سمعتك تحدثين صديقتك عن الاستثمار .. أرجو أن تفيدينى بمزيد من تلك المعلومات .. أوضحت نور لها الكثير مما تعرفه عن الاستثمار ثم أعقبت أن الاستثمار الأمثل يختلف من شخص لآخر حسب مبلغ رأس المال .. وقد فكرت السيدة طويلاً فى أن تخبرها من عدمه وأخيرا أخبرت نور بالحقيقة وهكذا نجحت نور في أن تعلم ما اخفوه عنها ووعدتها بالبحث والسؤال حول هذا الموضوع .

انفردت نور بنفسها وغمرها فرح وسعادة بأن أم زوجها ورثت هذا المبلغ الضخم وأنها أصبحت من أصحاب الملايين وهذا سيعود عليهم بفائدة .. ثم سكتت قليلاً وقد شعرت بتأنيب الضمير لما سلكته من سلوك غير قويم كان لا يجب أن تسلكه مهما كانت الأسباب لأنه أبعد ما يكون عن سلوك

الإسلام وشعرت أنها تلصصت وتجسست وما كان يجب عليها أن تفعل ذلك وقد وضعت ما فعلته بالسيدة " لوو " مع تبديل الأدوار .. فهل كانت تقبل وتسامح من يريد الحصول على أسرارها بتلك الخديعة وقررت بينها وبين نفسها أن تتحوط بالحذر من أن لا تقع في مثل ذلك بعد هذا اليوم فهذا ثانى خطأ يحدث منها تجاه سامى وعائلته خلال عام بعد المشكلة التى حدثت بالباخرة .

أرادت نور أن تقلل من الأثر النفسى السيء الذى تركه استدراج أم زوجها فإتصلت بوالدها تطلب منه المساعدة في البحث عن شخص في هيئة الاستثمار يستطيع المساعدة في مدهم بمعلومات عن الاستثمار الأمثل في مصر لأن أحد المصريين هنا يرغب فى اقامة مشروع استثمارى ليستفيد من مزايا قوانين الاستثمار فى مصر .. فوعدها الأب بذلك وأنه سيبذل قصارى جهده في المساعدة في هذا الموضوع وقد أثلجت تلك المكالمة والدة نور معتقدة أن سامى الحنونى هو المستثمر الغامض الذى تتحدث عنه نور لوالدها والتى لم تذكر اسمه ورفض الأب كل تلك التكهنات وارتدى ملابسه متوجها إلى القهوة فهو على موعد مع صديقه الأستاذ غندور وقد أقبل فصل الخريف بطقسه المعتدل وغادر المدينة ملايين المصطافين بكل ما يحملونه من إيجابيات وسلبيات فقامت أجهزة المدينة بإعادة الروح والحياة إلى كل أجزاء الإسكندرية لتظل عروس البحر الأبيض وأسعد هذا الأستاذ وصفى الذى كان يسير هادىء البال غير متأثر من ازدحام الناس والعربات .

وصل وصفى إلى المقهى الذى تعود الجلوس فيه فوجد الأستاذ غندور جالسا يتابع المارة أمامه وفي انتظار وصول أحد من الصُحبة التى تعود الجلوس معهم والتحدث إليهم حيث ابتدره ..

قائلاً : إتأخرت النهارده يا وصفى يا خويا .. وفكرت إنك مش جاى ؟ ولكن وصفى رحب به واعتذر لتأخره بعض الوقت فقد إتصلت به ابنته من

إيطاليا وقد شغلته تلك المكالمة بعض الوقت وهذا هو السبب الرئيسى في تأخره عنه .. وصل صبى القهوة حاملاً بعض الصوانى على يديه وهو يتهادى يميناً ويساراً وبصوت قوى مسموع ( أيوه جاى ) ثم وقف أمامهما .

**قائلاً :** طلبات البيه .. أجابه وصفى الذى كان محدداً ما يشربه في هذه الحالة ( ينسون ) يا قورة .. تركهم مسرعاً لتلبية طلبه فقد لاحظ حضور بعض الزبائن فاسرع لهم .

صبى القهوة ويدعى **فتحى قورة** وهو بالطبع ليس كاتب الأغانى الشهير والذى أتحفنا بكتابة بعض الأغانى الشهيرة لمطربى ومطربات زمن الطرب والسلطنة مثل ( ليلى مراد .. محمد فوزى .. كارم محمود .. وشادية ) وغيرهم .. فاسمه الحقيقى ( فتحى لواحظ ) نسبة إلى أمه السيدة **لواحظ** والتى كانت تصطحبه للعمل بالقهوة وهو طفل صغير وقد كبر وأصبح شاباً وضايقه هذا الاسم حيث يصفق الزبون منادياً عليه (خبريه يا لواحظ فين الطلب بتاعى أو زبون آخر ينادى وهو مقبل على القهوة .. قهوه على الريحه يا لواحظ ) وتفتق ذهن المعلم صاحب القهوة بأن يلقبه باسم جديد حتى يزيل عنه هذا الحرج الذى كان يلازمه فلقبه بـ فتحى قوره بدلاً من فتحى لواحظ وسعد بهذا الاسم وأدرك زبائنه ضيقه من الاسم السابق وسرعان ما أصبح الاسم مشهوراً حيث يُقبل الناس على القهوة سائلين عن ( قورة ) ولكن لماذا قوره ؟ .

السبب فى ذلك أن المعلم لاحظ أن هذا الصبى يمتاز ( بقوره ) كبيرة في مقدمة رأسه وكان يستخدمها في المشاجرات ومعروف لدى أصدقائه أن روسية من دماغ قورة كفيلة بأن تفقد أى رجل اتزانه .. وفى بعض الحالات ينزف رأسه .. وحذره المعلم من أن يعود لضرب الزبائن المشاغبين سواء في دفع الحساب أو معاكسة النساء المستعرضات أنفسهن أمام القهوه ولذا أبدل ضرب القورة من الزبائن إلى عمود النور المواجه للقهوة وهذا دليل للجميع أن قورة حيعملها ولذا يبتعد المشاغب عنه .

بعد أن انتهى وصفى من شرب كوب الينسون وتبادل مع صديقه غندور قائمة أسعار أيام زمان كما كانا يهويان ذكرها فى كل مقابلة سأله وصفى ..

**قائلاً :** أنا فاكر يا أستاذ غندور أنك قلت لى إنك تعرف موظف في هيئة الاستثمار فاكر الحكاية دية والا نسيت ؟ وأضحك هذا الصديق حيث ..

**قال :** أعرفه ؟ .. أعرفه إزاى .. دا مراد إبنى خبير إقتصادى في هيئة الإستثمار .. وهنا طلب منه وصفى رقم تليفونه لأن زوج ابنته سيحادثه من إيطاليا بخصوص الاستثمار .. فأخرج ورقة وقلماً وزوده بكل بيانات ابنه مراد .

انتهى أسبوع العمل المفاجىء الذى قام به سامى في مدينة " جنوة " وعاد إلى منزله وفى المساء أخبرته والدته بقصة نور مع صديقتها وإنها تعلم الكثير عن عالم الاستثمار وكلفت والدها بالبحث في هذا الشأن وقد دفعها هذا لأن تخبرها بقصة الميراث وكل شيء دار حوله .

أثناء العشاء سأل سامى نور عن موضوع المكالمة التى قامت بها مع صديقتها سلوى فنظرت إلى زوجها دليلاً على أنه يتحدث في موضوع لا تعلم عنه شيئاً لأنها قد تناست قصة التمثيلية التى قامت بها أمام والدته بمجرد أن علمت بكل المعلومات التى تريدها وعندما ذكرتها " لوو " تنبهت وأدركت حساسية الموقف الذى أوقعت نفسها فيه وبكلام مختصر أجابت سامى لكنها أوضحت أنه يمكنه محادثة " مراد غندور " خبير اقتصادى في هيئة الاستثمار وهو ابن صديق والدها عم غندور .

أسعد هذا كثيراً السيدة " لبنى " والتى أثنت على نشاط نور وإهتمامها بما كلفتها به أثناء غياب سامى في عمله مما أعطى سامى دفعة لأن يتمم ما قامت به زوجته في مجال الاستثمار الذى طلبته منه قبل سفره .. وبالفعل إتصل بالرقم الذى أعطته له نور وتفهم كل شيء يخص الاستثمار ومميزات كل نوع من تلك الأنواع فأمد والدته بتلك المعلومات التى

أوضحت لها أنه يمكنها استثمار اموالها التى حصلت عليها من عائلتها في ظل مناخ هذا القانون المشجع .

أصبحت " لبنى " مزودة بالكثير من المعلومات عن الاستثمار في مصر وأرقام تليفونات الهيئة وعناوين البريد وأقسامها وإداراتها وقالت في نفسها سوف أقرر أنا ما يكون .

# ( ٢٣ )

## عـودة لبنى إلى مصـر

اقترب موعد عودة الأم لبنى إلى مصر بلدها الأول كما كانت تقول حيث ولدت وعاشت هناك فإتصلت بابنها سعيد طالبة منه فتح حساب بالدولار في أحد بنوك "قنا" وهى ستراجعه تليفونيا بعد يومين لتحصل على رقم الحساب وزودته باسمها الأصلى قبل اعتناق الإسلام لأن الشيك كتب بذلك الاسم .

تسير " لبنى" على شاطىء البحر أمام الفيلا التى تعيش بها أسرة سامى وتركت حذاءها جانباً حتى تلامس قدماها رمال ومياه البحر .. وقفت تنظر في الأفق سارحة بخيالها وهى تحدث نفسها .. كم من البشر ساروا في هذا المكان قبلها ؟ كم من الفتيات لهون وتمتعن بشبابهن الغض هنا ؟ كم من الشباب أتوا لهذا المكان يسبحون ويلعبون سويا ؟ .. آلاف .. ملايين .. ملايين ذهبت وأتت ملايين وهكذا الحياة .. ميلاد ووفاة .. وهكذا .. ثم تنظر جهة الجنوب .. هناك أبى وأمى في تراب ذلك البلد مصر أم الحضارة والبشرية وهناك أيضا زوجى هذا الرجل طيب القلب والعشرة ولا أنكر أنه في أحد الأيام نهرنى أو ضاق بمشاعرى بل إننى التى اضايقه وهو حمول ونبيل الخلق ويجب على أن أتلطف معه وأبادله شعوره وطيبة قلبه وأيضاً هناك أبنائى وبناتى .." تتنهد " آه .. أحبكم جميعاً وتواقة إلى العودة إليكم وهناك الفلاحون الطيبون والذين لا يتذمرون ويتحملون حرارة الشمس المرتفعة والعمل الشاق .. ثم توقفت عن المشى وظهرت الدموع في عينيها وتذكرت أحد العاملين في المعصرة وهو جالس تحت ظلال شجرة وقت الغداء وليس أمامه إلا بعض كسرات خبز وبصلة هى كل غداء رجل يعمل عشر ساعات يومياً في درجة حرارة شديدة وكيف إنها عادت وأحضرت طعاماً شهياً تعرضه عليه ولكنه أبى بكل شموخ وإنه سعيد وقانع بطعامه .

قضى سامى ووالدته وزوجته وأبناؤه الأيام الثلاثة الآخيرة في جولة بمدينة روما عاصمة إيطاليا قبل سفرها إلى القاهرة على متن شركة الخطوط الإيطالية (إليتاليا) وأسعدها أن تزور عاصمة بلادها وتشاهد الآثار الرومانية التى كانت في نفس زمن الحضارة الفرعونية ثم ودعتهم عائدة الى وطنها الأول كما أضحت تقول ذلك دائماً .

استقبلت أسرة الحنونى السيدة " لبنى" بأحسن ما يكون وكان على رأس المستقبلين الحاج " على الحنونى " والذى افتقد زوجته فى تلك الأسابيع الثلاثة وصافحته زوجته بكثير من الحب والحنان واحتضنته أمام أبنائه وأحفاده وهو يضحك ..

قائلاً .. ياخراب بيتك ياولد الحنونى مرتك بتعمل معاك زى التصاوير اللى بأشوفها في الصندوج الجزاز إللى في الدار .. وتبارى الأبناء في تقبيل يد أمهم والبنات في احتضانها وأشاحت بوجهها عن ابنها سلامه فقد إشتمت رائحة البصل من ملابسه وهو يوضح لها أنه كان بسوق الخضار مع التجار ولكنها " لبنى " أمهم التى لا تكل ولا تمل من المتابعة المستمرة لملاحظتها وكان هذا السلوك هو أحد الأسباب الرئيسية فى أن سكان عزبة الحنونى يعلمون أنها ستفاجئهم بما حذرتهم منه منذ شهور لذا فلا تهاون عن تعليماتها .

الأم عائدة إلى عزبتها مستقلة القطار الفاخر وكل مستقبليها معها وأعرب لها الجميع أنها قد ازدادت جمالاً وحيوية كما سبق وأخبرتها السيدات الإيطاليات بهذه الملاحظة وتذكرت أنها شاهدت في حفل الأسرة سيدات جاوزن التسعين من عمرهن وأنهن مازلن يتحركن ويعملن وحزنت عندما تذكرت أنها كانت تلاحظ في ميت البرامونى وبعدها في ميت الحنونى الكثير من السيدات اللاتى لم يبلغن الخمسين من عمرهن مرضى وقد كسا العجز أجسادهن النحيلة بل يتوفى البعض منهن دون سن الخمسين تاركات أطفالاً صغاراً .

في محطة القطار كان عدد كبيرٌ من أبناء عزبة الحنونى في استقبال السيدة الأم التى شعر الجميع إنهم افتقدوا نشاطها ووجودها بينهم يومياً وسار الركب حتى العزبة وحضر غالبية الفلاحين خاصة النساء للترحيب بعودتها وذبح على الحنونى ثلاثة عجول وزعت لحومها على أبناء العزبة والعزب القريبة بهذه المناسبة السارة .

في اليوم التالى طلبت السيدة " لبنى " من خادمتها إعداد عزومة لأفراد العائلة جميعها وهذا يقتضى أن يحضر الأبناء بالزوجات وأبنائهم وأن تحضر البنات بأزواجهن وأبنائهن أيضاً وموعد العزومة مقرر بعد نهاية صلاة الجمعة حيث يتسابق الجميع منذ هذا الصباح على سراية الحنونى .

اتصلت الأم بابنها سعيد طالبة منه الإتصال بعمه عويضه بالقاهرة لإرسال مندوب من طرفه للحصول على كل القوانين اللتى أصدرتها الدولة بخصوص الاستثمار ويحصل عليها من مبنى الهيئة الكائن بوسط القاهرة .

بينما كانت السيدة " لبنى " تفكر في المستقبل وتستعد له بالحصول على كل ما يهم فى مجال الاستثمار كان " على الحنونى " يعانى من إضطراب في القلب أثر على نشاطه مما دفع بأطبائه إلى أن يطلبوا منه الإقلال من مجهوده حتى لا يتأثر قلبه بما كان يقوم به من أعمال وقد انتبه والتزم بهذا التحذير حيث إستمع إلى نصيحة أطبائه وقرر أن يتبعها وتكون قيد التنفيذ العملى وبعد وصول زوجته بأربعة أيام أى في يوم الخميس .. قبل اجتماع العائلة غداً طلب من زوجته وابنه سعيد أن يحادثهما في أمر خاص بعد تناولهم طعام الإفطار في مجلسه المعتاد في الحديقة الخلفية في ظلال تكعيبة العنب المعروفة بإسم " مقعد الحنونى الكبير " وهو المكان المفضل لديه نظراً لما يحيط به من مناظر جميلة وخاصة أشجار التين والبرقوق والمشمش والجوافة كما ان السراية تشرف على مدخل العزبه مترامية الأطراف .

اتصل سعيد بالإدارة المالية ليخبرهم بتأخره بعض الوقت حتى لا يغضب منه المقدس شوقى الحريص على العمل وإحترام مواعيده أما والدته فقد شعرت بتوتر من طلب زوجها عقد هذا الإجتماع وهو الذى يعمل ولا يتكلم وخاصة في ظل تدهور حالته الصحية التى علمت بها بعد لقائهما سوياً في المطار وازدادت يقيناً بأنه مريض طوال رحلة العودة من القاهرة إلى دشنا .

في العاشرة صباحاً توجه " على الحنونى " مستنداً على ذراع ابنه سعيد وخلفهم زوجته إلى المظلة خلف المنزل وجلسوا ثلاثتهم وأمرت السيدة خادمتها بأن تُعد للرجال الشاى مع إحضار عصير الليمون المفضل لديها كما طلبت من أبو المواهب خفيرهم الخاص أن يقف في أول الحديقة وأن يمنع أى شخص يقترب من مكانهم طوال فترة جلوسهم وبعد أن تأكدت من أن كل الأمور على ما يرام وأنه لا مراقب ولا متلصص لحديثهم قالت لزوجها .. " على " خير فيه إيه طمنى على نفسك ؟ حيث أجابها إننى بخير ولكن صحتى لا تطاوعنى على العمل وأن الأطباء نصحونى بالراحة والسير مسافات قليلة كل يوم حتى تقوى عضلة القلب ولذا فقد أردت اليوم أن نجلس سوياً لدراسة أمر العزبة والعمل .. وتعلمون ما إنتويت عليه .

جلس " على " جلسة استرخاء بعد هذه الكلمات التى مهد لها قائلاً : وفيت السبعين سنه من عمرى .. يعنى كده بالبلدى كبرت ومحتاج الراحه وكمان المهندز فهمى في نفس عمرى ومجهوده جل كتير ومش جادر يواجه حمل الشغل والمسئولية كمان المجدس شوجى مريض وكل شويه رايح للحكيم .. يعنى الزعما الثلاثه تعبوا وحيفلسوا من الكبر وجُلت في بالى نعمل حركة تغيير ونسلم الرايه للشباب يكملوا علشان جُوة النشاط تستمر ومنعملش زى بعض الناس إللى بنسمع عنهم لازجين في كراسى الحكم والمسئولية بالسنين لحد ما يموتوا في مكانهم .

سعيد .... نطقها والده بكل ثقة وصوت قوى .. أنت من اليوم حتحل محلى .. حتكون مسئول عن عزبة الحنونى وما كنت أجوم به حتعمله وتضيف إليه جوة الشباب والعلم .. تعترض " لبنى " بس أنت ..

قاطعها .. أرجوكى .. مهلينى أكمل حديتى اللى بديته وبعدين جولى إللى فى هواكى .. سعيد : نعم يا بوى ..

"الاب" أخوك سعد حيتولى الإدارة الزراعية بدلاً من المهندز فهمى .. المحاسب دميان ابن عمك شوجى حيتولى الإدارة المالية .. أخوك سلامة حيتولى إدارة الإنتاج الحيوانى .. أختك سعاد حتتولى إدارة انتاج الفراخ وعسل النحل .. ثم إعرض على أختك سيدة إن جبلت أن تسيب عملها وتيجى تمسك العيادة الطبية وحنضيف عليها بعض التوسعات .. آخر شىء أختك الصغيرة سنية إذا وافجت تشتغل باجترح أنها تكون مساعدة لك في عملك كمدير عام لعزبة الحنونى .. ( ثم نظر إليهما قليلاً ) قائلا :

خلصت حديتى والفكرة من الجعدة دية .. فيه أيتها اعتراض ؟ .

" لبنى " اللى أنت صعيدى هتى وأنت مريض ولك رأى في كل هاجه وكل ما قلته مضبوط ولكنى عايزه اتنين من أبنائى وهمه ( ولد سامى وبنت سعاد ) وأهتاج لتخصصهم ومجهودهم .. موافق اللى ؟ .

ضحك الرجل قائلاً .. كلنا تحت أمرك دا أنت الخير والبركة ياست أم سعيد !

إحتجت عليه قائلة : إيه كلام فلاهين .. ست أم سعيد زى ست أم هير تعمل هادمة عند الماما .. ضحك كلاً من على وابنه سعيد بصوت عال حتى أن الخفير أبو المواهب هو الآخر ضحك وأعقبها ..

قائلاً ربنا يديم عليك الضحك والفرفشة ياحاج على .

قالت " لبنى " إسمع اللى .. إسمع سعيد .. أنا في إيطاليا عند أقارب أهنت فلوس .. فلوس كتير .. ورث بعد وفاة البابا الكبير " الجد" البارون

كاتيافيلى" والماما الكبير سنيورا " سلفيا " ثم الماما الصغير " مارتا " أهذت ميراث فلوس .. فاهم سعيد ؟ .. ولد سعيد .. بتضهك ومبسوط أن الماما " لبنى" معاه فلوس .

سعيد ما زال ضاحكاً ووالده يبتسم تهكماً على ميراث زوجته حيث سألها إبنها .. إيه مام عاملة دوشه بميراث وإفتح حساب في بنك قنا علشان تبعتى فلوسك عليه .. يعنى أخدت فلوس جد أيه ؟ تلاجيك محصلتيش ألف جنيه ..

وأكمل والده على .. دوول ياولد خواجات مفلسين !

صاحت قائلة : بس ولد سعيد سامع هاج على مس تقول كده .. البابا الكبير معاه فلوس كتير وأنا ورثتو فلوس كتير .

إبتسم على الحنونى وهو يقاوم بعض الآلام .. ابنك يا ست هانم بيكلم صُح .. حيجبضوكى جد إيه ؟

نظرت إليه نظرة حزينة وعيونها لامعة وهذا معناه أنها وصلت إلى الضيق وأخرجت ورقة من حقيبة يدها وهى تشير إلى زوجها .

لوو : وأنت كمان سنيوريه هنونى مبسوط كتير من ولد سعيد مس إفهم هاجه .. هد سنيوريه أللى وسوف زوجه غنيه كتير !

على الحنونى يحاول فك طلاسم الورقة المكتوبة ثم يناولها إلى ابنه سعيد بعد أن عجز عن فهم ما بها وقرأ سعيد الورقة : بنك الإسكندرية فرع قنا .. السيدة " لوو دوكيا فيلى " نحيط سيادتكم علما بأن حسابكم رقم .... بالدولار بالبنك قد وصله تحويل من البنك الإيطالى الوطنى بمبلغ ٢٧٥٠٣٠٠ دولار .. فقط اثنين مليون وسبعمائة وخمسون ألف وثلثمائة دولار لاغير ..... والمبلغ جاهز تحت تصرف سيادتكم من تاريخه .

نظر سعيد إلى والدته مندهشاً من المبلغ قائلاً : مش معقول مام .. ده مبلغ كبير جداً ولا في الخيال وصدجينى لو مش أنا إللى فتحت الحساب

مكنتش صدجت أى حاجه من المكتوب ده .. ثم نظر إلى والده قائلاً : صحيح يا بوى أمى عندها ماليه كبيرة وبجت من الأعيان . نظرت إليهما وهى سعيدة وقد شعرت بالانتصار ..

**قائلة** : أنتم الإتنين مُفلسين مس " لوو دوكيا " ومس البابا دوكيا ولا الماما مارتا .. أنا مليونيرة .. وتضحك وهى تشير إلى كلاً من زوجها وابنها .. أما أنتم فقراء تهتاجون مساعدة واضحك تعليقها عليهم كلاً من زوجها وابنها .

**لوو** : إسمعونى كما سمعت سنيوريه هنونى أنا أفكر أعمل مساريع إستثمار في بلد صغير قريب من هنا أو في مساريع سياهه كما قال لى ولد سامى قبل عودة من بلاد الأجداد علسان كده عايز ولد سامى يرجع من بلاد أجداد إيطاليين علسان يعمل في بلاد أجداد هنونيين .. واضحك هذا كل من على وسعيد من كلمة ( هنونيين ) .. وكمان تنضم له بنت صغير سعاد ودى مستسار اقتصادى كبير وفاهم كل هاجه .

**على الحنونى** : أولادك وبناتك عندهم علم بحكاية الورث دية ؟ يعنى حتعرفى ولادك بحكاية الورث ولا حتكفى على الخبر ماجور ..

**لوو** : استنكرت كلامه .. سنيوريه هنونى ايه هكاية ماجور .. أنت وسعيد وسامى يعرفوا بكل كلام عن فلوس .... ولكن يوم جمعة بكره .. أولاد يعرفوا بكل هاجه بعد تناول طعام .. رأى مضبوط ؟ وافقاها على رأيها .

قال لها سعيد من الأفضل التفكير في المشروع الذى تنوين العمل به حتى يكون الجميع على علم بما تنوين عمله في المستقبل بتلك الثروة وتخبرينهم بأن المشروع سيحتاج إلى مبلغ كبير وأنكِ ستدفعين كل ثروتك وتقترضين الباقى لتكملة إتمام مشروعك الذى قررت السير فيه .

نظرت إليه أمه مستفسرة : ليه كل اللف والدوران يجب أن نكون صرهاه وأهبرهم مثل ما أهبرتكم به ؟ وأجابها على الحنونى بأنه مؤيد كل كلام ابنه سعيد لأنكِ مجرد ما تخبريهم أنه معكِ مبلغ كذا .. فكل من الجالسين سيحسب نصيب زوجته أو كل سيدة ستحسب نصيب زوجها في ميراثه منكِ .. ضايقها هذا الرأى ونظرت إلى سعيد مستنكرة ..

**لوو :** إيه ولد تقوله على الماما .. أنت ولد تريد من الماما وفاه علسان تاهذ فلوس ؟ ولكنه أوضح لها المعنى من كلامه بأن فكرة مشروعها ستبعدهم عن هذا التفكير وأن كل ما تملكيه ستتصرفين فيه في عمل استثمارى وهذا أفضل .

اقتنعت السيدة " لبنى" بهذا التفسير ثم قامت لتغادر المكان إلى داخل سراية الحنونى وإنحنت تقبل زوجها برقة وعطف وأسعد هذا التصرف كلاً من على وإبنه سعيد .. ثم نظرت إلى سعيد وهى واقفة قبل مغادرة مكانها ..

**لوو :** تفتكر سعيد زوجة صباه كويس كتير ولا نص نص ؟

**سعيد :** والله مام مش عارف حكاية صباح حتم على ايه .

**لوو :** بتقول كده علسان ما فيس بيبى لهد دلوقت ؟

**سعيد :** صحيح عشر سنين مجوز لحد النهارده وما فيش ولد ؟ أنا بأفكر أجوز عليها .

**لوو :** ولد متخلف كتير زى ناس هنا جواز .. جواز مافيس إهترام لزوجة .. إيه فاكر نفسك هصان تسيب زوجة وتروووه لأخرى .. دى أفكار واهد أب مكار ومستهبى في واهد قفطان ( العباية .. وتنظر إلى زوجها ) .. أنت مبسوط كتير سنيوريه هنونى أن ابنك عنده الأفكار دية وعايز تهقق هلم قديم في زوجة تانية بس عن طريق ابن مغفل كتير .. وتركتهم عائدة وهى تتحدث بالإيطالية وسأله والده عن ماذا تتحدث أمك يا سعيد فأجابه أبدا .. زعلانه منى .

أرسل على الحنونى خفيره أبو المواهب لكلا من المهندس فهمى والمقدس شوقى طالبا منهما الحضور لاجتماع أمام سراية الحنونى الأن .. بعد عدة دقائق حضر الرجلان يسيران الهوينا من أثر التعب وكبر السن وجلسا مع الحنونى سعداء بأن حصلا على راحة من عملهما وأشار الى أبو المواهب قائلاً " ..

**على الحنونى :** سوى براد شاى زين ياولد " حيث أسرع أبو المواهب لتنفيذ ما طلبه .

**قائلاً** حاضر يا با الحاج .

**قال** الحنونى لصديقيه .. وإيه حتعمل فينا الأيام ؟

**وأجابه** شوقى أكتر من كِده ؟ مش معجول .. ونظر إلى السماء .. نفسى أحصلك يا بوى .. تعبت من الشغل ومن الزمن والمرض .. خلاص يا خوى على معدش فيه حيل .

ابتسم فهمى **قائلاً** : والله كلام أخويا شوجى جاى على الوجيعه .. خلاص الواحد منتظر فرج ربنا .. ياه دا الموت ده طلع حلو بيخلص الناس العجايز من ألم المرض والكبر .. نظر شوقى إلى على الحنونى ..

**قائلاً :** طيب أنا وفهمى تعبنا وأنت إزاى حالك ؟

**على الحنونى :** يضرب ببطن يده اليمنى على ظهر يده اليسرى التى كان ممسكا بها عصاه الأبنوس السوداء التى كان يستند عليها في تلك الأيام **قائلاً** .. ده سبب الجعدة النهارده .. ولفت حديثه انتباه كلاً من الرجلين ..

حيث سأله المقدس شوقى .. إيه يا بوى؟ .. ناوى تطخنا عيارين زى الخيل الحكومة لما تعجز والا تبعت رجالتك يرمونا في النيل ؟ وأضحك هذا السؤال كلاً من على الحنونى وفهمى كثيراً وتبعهما شوقى ضاحكاً ..

ثم **قال** على : عليك حديت " يا أبو دميان " يهلك من الضحك .

كانت كلمة أبو دميان هى مفتاح السر إلى قلب وعقل المقدس شوقى فإذا كان متعنتا في قراره وما أكثر تعنته بجانب المصلحة العامة .. فإن خاطبه الشخص صاحب المصلحة بكلمة أبو دميان تنفرج أسارير وجهه ويتساهل بعد شدة وإذا لزم الأمر فى أن يذهب إلى على الحنونى حتى ينجز مصلحة الشخص الذى ضرب على أوتار قلبه .. وقد دفعته الكلمة الساحرة التى تفوه بها الحنونى إلى أن قام الرجل مقبلاً رأس صديقه ..

**قائلاً** : حجك على يا خوى .. ضحك الحنونى وهو يحتضن المقدس شوقى وهو يحادثهم **قائلاً** : أنتم عارفين صداجتنا من زمن يامه .. ونبه ذلك شوقى حيث ما زالت كلمة أبو دميان يطن جرسها الموسيقى في أذنه ..

حيث **قال** .. ياه يابوى دى من زمن بعيد .. آنى فاكر لما كان رطل اللحمه بتلاته صاغ .. أضحك هذا التعبير الصديقين على حسابات صديقهم والتى كانت ترتبط دائماً بالأسعار فقد كانت تلك العبارة من لزماته التى اشتهر بها .. فعندما يأتى موظف جديد لإستلام العمل ويخبره عن راتبه .. فيقول له أنك ستتقاضى تسعة جنيهات في الشهر (مثلاً) يعنى حتجبض ٢٧ كيلو لحمه .. وذلك عندما كان كيلو اللحمه ثمنه ٣٣ قرش .. وإذا أصلحت ماكينة وتكلفت ٢٤ جنيها يخبر على الحنونى أن الماكينة تكلفة إصلاحها مرتفعة حيث أنها تساوى قنطارين قطن (سعر القنطار ١٢ جنيها) في ذلك الوقت هكذا كانت اللازمة التى ترافق المقدس شوقى في أحاديثه المالية .

**قال** الحنونى .. أنا فاكر أن معرفتنا من الاربعينات واحنا في آخر عام ١٩٨٢ معرفة أكثر من اربعين سنه أصحاب وزملا وبناكل من طبج واحد .. يهز الصديقان رأسيهما دليلا على تأكيد كلام الصديق على (ويكمل حديثه) ولكن أنا شايف أن صحتنا مش مسعدانا على الشغل التجيل ده وعلشان كده أنا شايف إننا نحيل نفسنا للمعاش .. إيه رأيكم؟

سكت الصديقان قليلاً .. ثم **قال** فهمى .. فعلاً أنا شايف إنى مش جادر على الحركة زى الأول وبعد صمت وحيرة شاهدها الحنونى متذكراً هذه

الحيرة التى شاهدها وشعر بها منذ أكثر من أربعين عاماً عندما كان شوقى يعمل عند الخواجه " جيوفانى " في دشنا .

قال شوقى : وأنا كده يا حاج على .. نظوى مش مساعدنى على الشغل

قال على الحنونى كده زين .. إحنا متفجين إننا خلاص معدش لنا لازمة إحنا التلاته ونريح في دورنا ونخلى الشباب يكمل إللى بدأناه وأعرفكم أنتم من بكره على المعاش وكل واحد حيقبض إللى كان بيأخده بزياده ٥ % زيادة كل سنه علشان الأسعار بترتفع .

نظر الرجلان كل إلى الآخر ثم إلى على حيث قال شوقى .. إزاى حناخد أجر وإحنا جاعدين في الدار .. ده مش يبجى عدل يا حاج على ..

أجاب على الحنونى .. وهو العدل إنى آخد شبابكم وعمركم وبعد ما تكبروا وصحتكم مش مسعداكم ومطوعاكم أجوم أستغنى عنكم ولا نسيتم فضلكم وأنه بمجهودكم وإخلاصكم العزبة كبرت وجابت الخير إللى كلنا عايشين فيه .. وح أجول ع إللى نويت أعمله وعرفت سعيد إبنى ينفذه من النهارده .. وذكر لهم حديثه مع سعيد .

أثلجت تلك التعديلات في مجال العمل صدر الرجلين الصديقين حيث أن سعيد الحنونى سيكون مديراً عاماً للعزبة وهذا أسعد المهندس فهمى أن أصبح زوج ابنته هو المسئول الأول وكما سعد المقدس شوقى أن ابنه دميان المحاسب في الإدارة المالية هو مدير تلك الإدارة بدلا منه .

تحسن الجو العام في جلسة الأصدقاء الثلاثة بما ذكره الحنونى فى حديثه واستمرت تلك الجلسة بينهم ما يقارب الأربع ساعات وطلب الحاج على من خفيره إخبار الست أم سعيد بتجهيز طعام الغداء لثلاثتهم وهو طعام شهى طازج يحوى من خير الأرض ومكون من الفطير المشلتت والخبز الجاف وعسل النحل والجبنة القريش خالية الدسم واللبن الرايب وإستمرت تلك الجلسة إلى قرب غروب الشمس حيث كان كلاً من على وفهمى يقومان لأداء الصلاة ويداعب الحنونى صديقه شوقى ..

قائلا : خللى بالك من المداسات ( جمع حذاء ) .

ويضحك شوقى قائلاً .. حأخد المداسات وأروح وخليكم تروحوا حافيين .

افترق الأصدقاء الثلاثة سعداء بما اتفقوا عليه .. فقد كان على الحنوني يخشى من غضب صديقيه ولكنهما كعادتهما سائران معه على حلوها ومرها كما أن الرجل لم يبخل عليهما بما يحفظ لهما معيشة ميسرة بما وفره لهما من دخل شهرى ونفس المميزات التى كانا يحصلان عليها من إقامة في منازل القرية ومميزات عينية من خضروات وفاكهة ولحوم .

فى المساء جلست " لبنى " مع إبنها سعيد مستفسرة منه عن السبب في عدم إنجاب زوجته صباح ابنة المهندس فهمى حتى الآن فأخبرها بأنه يعتقد أن السبب في ذلك يعود لها .. واستنكرت قوله هذا .. فأجابها بأن العادة قد جرت أن سبب عدم الإنجاب يعود للنساء وليس للرجال فأخبرته أنه طالما أن سبب الإنجاب يعود للرجل والسيدة فلابد أن يرجع السبب لعدم الإنجاب إلى أحد منهما وليس طرفاً واحداً .

# ( ٢٤ )

## الشيخة هوانم

عادت السيدة " لبنى" إلى حجرتها وهى تفكر .. لماذا لم تنجب صباح زوجة ابنى حتى الآن؟! فلابد من وجود سبب قوى أدى إلى ذلك .. ولابد أن تكون هناك مشكلة صحية وهى تعلم هذا من قراءتها عن مثل تلك الموضوعات وقررت التدخل في بحث هذا الأمر .. توجهت إلى منزل المهندس فهمى وقابلت زوجته التى فوجئت بحضور السيدة الأولى إلى منزلها وهذا شرف كبير لها ولأسرتها أن تعود من الخارج وبعد أيام قلائل تحضر لزيارتهم بدون موعد مُسبق .

بعد جلسة قصيرة بين السيدتين قالت " لبنى " للسيدة " تفيدة " والدة صباح .. أرجوكِ إشرحى لى ماهو سبب عدم إنجاب صباه زوجة ابنى سعيد ؟ وفوجئت السيدة بهذا السؤال الذى كانت تخشاه منذ علمت أن ابنتها لم تنجب لكن بطول المدة وعدم استفسار السيدة " لبنى " عن هذا الأمر أرجعته أم صباح إلى أن الخواجات لا يهتمون بتلك الأمور مثل المصريين ولكن السؤال عاد فجأة إلى الظهور وتلعثمت أم صباح في بادىء الأمر ولكنها تماسكت ..

وأجابت : بأن تلك الحكاية بتاعة ربنا .. فنظرت لها السيدة " لبنى " بنظرة استفسارية يغلب عليها الدهشة من تلك الإجابة الغير شافية ..

قائلة : يعنى وجود اتفال مس بتاع ربنا سنيورا تفيدة ؟

ثم أكملت كلامها مع أم صباح بلهجة حازمة متسائلة .. فيه مقابلات مع طبيب أو إهصائى ؟ لم تجب السيدة على هذا السؤال وأعادت السيدة سؤالها مرة ثانية ولكن تفيدة أجابت أصل يعنى مش كنا متأكدين إن الحكاية محتاجه طبيب لكن على كل حال إحنا عملنا اللازم ورحنا زيارة للشيخ ( أبو الحاجات ) وبعد ما حضر الجن قال لنا طلباته .

**لـوو :** نظرت إليها مستفسرة .. إيه هاجات سنيورا تفيده ؟

**تفيدة :** عايز ندبح حمام أبيض (أتناشر فردة حمام أبيض وتلتين فردة ) .. زغاليل وإحنا مش عارفين نعمل إيه ؟

**لـوو :** وليه مس عملتوا طلبات واهد سيه ( أبو هاجات ) ؟!

**تفيدة :** مش عارفين نلاقى تلتين حمامة .. يا حمامة كاملة يا نص حمامة يا ربع .. ما فيش حكاية التلت دية .. وبعد كده يبعتنا للشيخه هوانم أم المقاسات .

نهضت " السيدة لبنى " **قائلة :** سنيورا تفيدة .. سوف أفيدكم باكر بهل تلتين همامة .. وأسعد هذا السيدة تفيدة كثيراً وأطلقت لنفسها العنان للدعاء لها وقد قاطعتها

**قائلة :** كفى تفيدة أنت مس واهد سهات في سارع .

واثناء عودة السيدة إلى منزلها وتسير وسط المزارع والحقول وبين الفلاحين وهم مرحبين بعودتها وسلامة وصولها من بلاد الخواجات كانت مشغولة بالتفكير فيما سمعت من أم زوجة إبنها وهى تقول تهلف "تخلف" وعودة إلى الوراء منذ وعيت وأنا أسمع هكاية سيه يعالج بدلاً من طبيب .

وصلت إلى منزلها واقتربت الساعة من الرابعة مساء وكانت تشعر باختناق وضيق فطلبت من خادمتها إعداد حمامها وبعد ذلك طلبت إبنتها د. سيدة الحنونى تليفونياً وبعد محادثة قصيرة طلبت منها الرأى والمشورة فيما تعانيه زوجة شقيقها سعيد وهل تعلم السبب في عدم إنجابها حتى الآن ؟ أخبرتها سيدة بأن سعيد جاء لزيارة عيادتهم أكثر من مرة لهذا السبب وإنها فحصت صباح وأجرت لها بعض التحليلات وفحصها أكثرمن طبيب متخصص في أمراض النساء وأكد الجميع أنه ليس بها اى عيب وأنها صالحة للإنجاب .

لـوو : متسائلة وبعدين سيدة أكملى للنهاية .

سيدة : مافيش إحنا منتظرين للنهاية وفرج ربنا .

تنهدت السيدة " لبنى " بعمق وحزن وأسى وقالت ..

لوو : أنـا سألت أم صباه النهـاردة وقالت أنهم راهـوا عند واهد سيه أبو هاجات .. تعرفى كلام زى ده سيدة ؟

سيدة : فعلاً أنا عندى خبر عن الحكاية من صباح وعرفتها أن ده جهل وتخلف ومش بيجيب نتيجة ولكنهـا اخبرتنـى بـأن الخالـة تفيدة بتقول أن الحكاية دية مجربة ومضمونه وجابت نتيجة قبل كده .

شكرت ابنتها على تلك المعلومات طالبة منها عـدم إخبار أحد بما دار بينهما حتى زوجها ووعدتها سـيدة بهذا لأن ذلك من ضمن أسـرار المهنة التـى لا يجب أن يعلم بـه أحد سوى المـريض نفسه وهو حر في إخبار الأخرين أو عـدم إخبارهـم أو الاحتفاظ بسـره .

في صباح اليوم التالى طلبت السيدة لوو من خادمتها ذبح ثلاث عشرة حمامـة بيضاء وتنظيفهم وإحضار فردة حمامـة أمامها حيث طلبت منها إقتطاع ما يساوى ثلث حمامه وأرسلت بالباقى مع الخادمة للسيدة تفيدة حتى ترسلهم للشيخ أبو الحاجات تلبية لطلب الجان وهى تضحك في داخل نفسها

لـوو : سوف أمسى مع واهد كداب حتى بـاب منزل كمـا يقولون هنا وسنرى واهد نتيجة .. نتيجة مس كويس لكن لازم الماما أم صباه تعرف أن فيه علم وطب وهيه مس تهب تتعلم ده .

عادت الخادمة سعيدة بعد مقابلة أم صباح وهى تخبر السيدة " لبنى " بأن السيدة تفيدة تدعو لها بطول العمر لأنها إستطاعت حل المشكلة التى تواجههم وأنها ستعرف بعد مقابلة الشيخ أبو الحاجات بموعد مقابلة وزيارة

الشيخة " هوانم " أم المقاسات وشكرت خادمتها التى كانت أكثر سعادة من السيدة تفيدة بأنه أخيرا إقتنعت الخواجاية بالجن والسحر .

قبل آذان صلاة الجمعة حضر جميع أبناء على الحنونى وبناته مع عائلاتهم حسب موعدهم لتناول طعام الغداء سوياً والتحدث فيما إنتوت عليه كذلك الأب على الحنونى رتب مع ابنه سعيد بأن يقوم بإخبار إخوته بما تم من تغيير في إدارة العزبة .

كان أكثرهم سعادة هو الأب والجد على الحنونى الذى ورث عن المصريين حبهم لأحفادهم وكان الأحفاد يصافحون جدهم مقبلين يده وهو يعطيهم من هباته المادية الكثير وبعد الصلاة إلتقت العائلة حول مائدة الطعام يتناولونه بشهية ويدور بينهم الحديث عذباً رقيقاً في مختلف الموضوعات وأعُد للأب الحنونى طعام خاص لظروفه الصحية سيراً على تعليمات الأطباء .

انتهوا من تناول طعامهم ورفع الخدم الأطباق وتوجه الجميع للجلوس في الصالة الكبيرة والمزودة بمقاعد كثيرة فاخرة لتفى بعدد الأسرة المتزايد وتوجه الأطفال خلف السراية للهو والمرح واللعب مستفيدين من ظلال الأشجار .

تحدثت الأم عن رحلتها إلى أرض الأجداد ووصفت مدى استقبالهم لها ولابنها سامى ثم تطرقت إلى ميراثها والتى لم تحدد قيمته لهم وأخبرتهم بأنها تفكر في عمل استثمار في المناطق المحررة في سيناء بعد زوال آثار الاحتلال الإسرائيلى عن أرض الوطن وأنها سوف تقوم بتلك الاستثمارات مع أبناء العم والعمة من أقاربها في الوطن لأن جميع أبناء البابا الأكبر " كاتيافيلى " وقد علق " على الحنونى " على ذلك قائلا بابا " الفاتيكان " ونظرت له زوجته نظرة ذات مغزى .. وقد لف نفسه بالعباية وأغمض عينيه بين ضحكات الموجودين لقفشاته مع زوجته وأكملت حديثها ..

لـوو : سيساعدنى في عملى هذا ولد سامى كمهندس وبنت سعاد هبير إقتصادى ويعرف كتير عن هاجات زى دى..

وقفت الابنة الصغرى سنية حبيبة أبوها كما كانوا يطلقون عليها لأنه لا يرفض لها مطلباً ولا يسمح لأحد أن يغضبها حتى لو كانت أمها حيث سألت أمها قائلة ..

سنية : " مام " أنتى وفرتى فرصتين عمل في مشروعك الجديد مع الخالات والأعمام الإيطاليين ولم تعطينى فرصة مثل سعاد أو سامى ؟ .

نظرت إليها أمها بكل الحب والعطف الأموى قائلة ..

لـوو : أنتى سنيه آهر عنقود كما يقال هنا .. هلى"خلى" واهد أول عنقود يقول وبعد كده إسأل .. ونظرت إلى سعيد ابنها الذى تحدث بهدوئه الذى ورثه عن والده وشرح كل التعديلات الجديدة وعمل كل واحد من إخوته المكلف به ثم ذكر الراتب الشهرى .. ولاحظ إخوته أنه حدد راتباً واحداً ومتساوياً لهم جميعاً بدءاً منه حتى أصغرهم سنية وهى نائب المدير العام لعزبة الحنونى .. أسعدت تلك التغييرات الجميع وخاصة المساواة في الأجر .

أكملت السيدة " لبنى " الحديث بعد أن استراح الجميع وبأن لكل منهم فرصة عمل في عزبة والدهم كما وزعت تلك الأعمال بناء على تعليمهم ومهارتهم والمرتب المتساوى الذى أكد لهم أن والدهم يفكر في كل شيء وأن شقيقهم الأكبر ما زال عطوفاً عليهم مثل ما كان عطوفا عليهم وهم صغار

قالت : أن المشروع السياحى سيكلف حوالى خمسة عشر مليون دولار وأنها لا تملك سوى (وأخبرتهم بالمبلغ الذى ورثته من البابا الكبير) وأنها ستضطر للاقتراض من البنك حتى تستطيع المشاركة معهم بنصيب الثلث

حتى يصل ما يجب عليه دفعه هو خمسة ملايين دولار .. صاح أبناؤها وبناتها ( مبارك الماما .. مبارك الماما ) .

نظرت الأم إلى إبنها سعيد طالبة منه أخذ إذن البابا حتى يفسر لأشقائه كل شيء عن عملهم الجديد الذى قرره والدهم واستأذن من والده والذى قال معلقاً وهو ما زال مختبئاً في عباءته حتى يناغش زوجته التى كانت جادة في كل شيء ..

**الحنونى :** " جول ياولد .. جلى حاجه .. أى حاجه .. جول كرهتك .. وجول ومتخبيش أى حاجه يابوى " .. نظرت إليه زوجته بتوتر قائلة ..

**لوو :** سيدة قوم سوف البابا مهتاج دواء مريض وبيقول هاجات مس معروفة ولكنهم ضحكوا بمن فيهم الأب حيث ..

**قالت** سيدة أن بابا يغنى وهو مبسوط .

ولكن " لبنى " **قالت** سنيوريه هنونى بلاس غناء لأن طيور هربت من صوت مثل ماكينة طهين غلال " وأضحك وصف الأم لصوت الأب الذى كان مطابقاً لما تقوله

أضاف سعيد لاتفاق الأب معه أمس بانه طلب من جميع الأبناء عدم التصرف في أملاكهم بعد عمر طويل لوالدهم لأحد خارج العائلة .. وأحزن هذا الجميع لأن معناه أن والدهم يفكر في الموت ولكن سعيدا طمأنهم على كل شيء وأن والده يقتفى أثر إخوته الذين لم يتصرفوا في ملكهم إلا لواحد منهم وهو شقيقهم على الحنونى لأن دخول الأغراب في وسط الإخوة ضار بهم .. وأظهر لهم التعهد الذى طلب منهم التوقيع عليه بعدم التصرف في ملكهم إلا لأحد منهم .. فوقع الجميع باستثناء سامى الذى كان خارج البلاد .

غادر الأبناء المنزل سواء الذين يقيمون في المركز في دشنا أو المقيمين في ميت الحنونى وشمل الجميع السعادة والراحة النفسية لما سمعوه سواء من حديث شقيقهم أو حديث الأم والتى أصبحت مليونيرة ..

فى المساء دخلت السيدة " لوو "الى سريرها مبكراً كعادتها لأن الغد هو موعد زيارة الشيخة هوانم أم المقاسات بناء على كلام صباح زوجة سعيد والتى أخبرتها بذلك قبل الاجتماع .

صباح اليوم التالى توجهت السيدة " لبنى " ومعها خادمتها كاملة بالكاريته يقودها أبو المواهب إلى منزل السيدة تفيدة وبرفقتها صباح ثم توجهوا جميعا إلى مقر الشيخه هوانم .

منزل الشيخه في قرية نائية قليلة السكان وبها بعض المنازل المتفرقة وتبعد عن عزبة الحنونى حوالى ثلاثة كيلو مترات .. وهو منزل بسيط للغاية مبنى من الطوب اللبن " الطينى " وحوله بعض أشجار النخيل والليمون الغير مهذبة الأفرع وبعض الحشائش الطويلة وقد أعطى هذا إنطباعاً بالخوف والرهبة بالإضافة إلى عدم النظافة وقابلتهم سيدة عجوز وهى المساعدة للشيخة وتضع وشما أسفل شفتها السفلى عبارة عن ثلاثة خطوط طولية وبصوت خافت ولكنه غليظ سألت ..

السيدة العجوز : مين فيكم المره إللى عايزه الحبل ؟ وأشارت تفيدة إلى ابنتها صباح والتى ترددت خائفة من تلك السيدة ..

فأكملت المرأة العجوز حديثها : أنتى وبنتك ورايا وباقى النسوان تفضل بره .

ضايق هذا التصرف السيدة " لبنى " ولاحظ خفيرهم ذلك فتكلم معها بحدة وموضحاً لها أنهم جميعاً كسيدات سيرافقن صاحبة الحالة وأخرج من جيبه بعض العملات القليلة وأعطاها لها .. فرحت بها العجوز وأباحت الممنوع ودخلت السيدات الأربع .

السيدة العجوز : الأسياد وافجوا على دخلوكم .

سارت السيدات خلف السيدة العجوز فى ممر مظلم قليلاً تنبعث منه روائح الأغنام والماعز الموجودة في هذا المكان مختلطة بروائح مخلفات الدواجن ودخان فرن أو كانون وتوجهت بهن السيدة إلى حجرة مظلمة لا ينيرها إلا طاقة في الحائط (فتحة) ينبعث من خلالها أشعة الشمس .. فشاهدن سيدة عجوز وأمامها شالية ( منقد ) به نيران خامدة ولكن ماتزال بها النيران وتقذف ببعض أشياء في يدها فينبعث الدخان وتسمع طقطقة وتشم روائح أقرب الى روائح العطارين والسيدات يجلسن على شلت مصنوعة من أكلمة صوفية من وبر الجمال ولا تعرف للنظافة طريقاً والسيدة ما زالت تقذف ببعض ذرات من يدها ويخرج الدخان .. السيدة جاوز عمرها الستون عاما وقد أظهرت السنون تضاريسها وقسماتها فأعطتها مهابة ورهبة أكثر ..

وتحدثت بصوت أجش كأنه قادم من عالم آخر ....

**الشيخة :** مين فيكم إسمها صباح .. وسبب هذا إرباكا .. ولعثمة للسيدات بما فيهن صباح ..

**لوو :** هذه صباه زوجة ابنى (وهى تشير إليها ) فتمتمت السيدة بكلمات غير مفهومة وهى تقذف في الشالية بحبات الملح والمستكة وهذا يجعل النيران تحدث صوتا وتتصاعد أبخرة ملونة ثم أكملت أسئلتها ..

**الشيخة :** وإنتى طلباتك إيه يا بنتى ؟

**تفيدة :** الخلفة .. الخلفة يا ستنا الشيخه .. عايزنها تحبل وتولد .. دا كل طلبنا .

كانت الشيخة هوانم مصابة ببرد وقد زاد هذا من عمق صوتها وكان أنفها مزكوما وقد ملىء بالمخاط والذى كانت تتخلص منه بواسطة طرحتها التى فوق رأسها وبعض الأحيان كانت تبصق ما في أنفها بصوت مسموع مما أدى إلى إصابة الجميع بالإستياء والقرف وكان للذباب دور فيقبل على ما وضعته في طرحتها ليمر على الموجودين ليعطرهم به .

طلبت الشيخة من صباح أن تقترب منها ثم أزاحت الطرحة من فوق رأسها فظهر شعر رأسها وجذبت شعرة ثم طلبت منها الوقوف حيث ..

سألتها عن طولها ولم تجب صباح ..

**الشيخة :** ١٥٥ سم ووزنك فلم تجب .. فقالت ٦٠ كجم .. وعمرك

**تفيدة :** ٢٨ سنة .

بعد هذا أخرجت السيدة العجوز قطعة خشب مثل عقلة القصب وعليها بعض العلامات وفردت الشعرة بجوارها لتقيسها وقالت شعرك طوله شبر وربع ثم طلبت من مساعدتها إحضار لوحة المقاسات وهى عبارة عن لوح خشبى وعليه براويز من جميع الأجناب مشابه لصينيه خشبية مستطيلة الشكل ومملوءة بالرمل الناعم وقامت بعمل رسومات عليها مستخدمة المقاسات التى حصلت عليها سواء بالسؤال عن الطول والوزن والعمر أو طول الشعر ووضعت بعض عصى من نبات القطن الجاف أشعلته وهى تتمتم بعبارات ليست مفهومة وترفع صوتها وتخفضه وهى تطلب من الجان " حرنكش " إللى بينفش ويخلى البطن يُكرش أنه يساعد الشابه صباح إنها تحبل من جوزها الأسبوع ده .. وتسأله فاهم يا حرنكش ؟ وبعد ثوان سمع صوت صادر من السيدة وهو صوت رجل مسرسع ويسأل صباح عن طلبها والكل يرتجف خوفاً ورعباً وأخيراً تتشجع ..

**تفيدة :** ربنا يخليك ياعم حرنكش ويسترها مع عيالك عايزة بنتى صباح بنت تفيدة تحبل وتخلف أمانه عليك يا خويا تساعدنا .. أما السيدة " لبنى " فكانت مختبئة خلف ظهر خادمتها .. وواسنان خادمتها يسمع صوته وهى ترتجف .. وأخيراً يصدر حرنكش توصيته بأنه بعد شهور عشر ستلد صباح بنت تفيدة صبى مليح .. ثم ودعهم فعادت هوانم إلى صوتها المعتاد بعد أن خلعت قلوب السيدات المتواجدات بحجرتها .

أحضرت الشيخه هوانم الرماد المتبقى من حرق أعواد القطن الجاف ووضعت بعضا منه في حجاب وناولته إلى صباح قائلة :

ده لكى .. وحجاب آخر ووضعت عليه علامة سوداء من بقايا الحطب المشتعل وقالت .. وده لجوزك .. أنتم الإتنين تزوروا أهل البيت .. أنت تروحى السيدة زينب بعد صلاة العشاء وهو يزور سيدنا الحسين قبل الفجر .. بعد زيارتك للسيدة زينب .. أم هاشم ترجعى دارك وتضيفى التراب ده على لترين ميه وتستحمى بيهم .. فهمانه .. وجوزك يضيفهم على جزازة ميه وجبل الفجر يجلع كل خلجاته ريح مسجد الحسين في الطل ويدعى زى ما ولدته أمه علشان الدعوة تستجاب ويستحمه ويلبس ملابس جديدة ويرجع لكى وتناموا .. والليلة حيتم المراد وكل ده يتم ليلة ظهور الشهر العربى إللى جاى .. فاهمه يا صبية ؟

عادوا جميعاً إلى عزبة الحنونى يحدوهم الأمل بأن يتم المراد وأن تلد صباح بنت تفيده من جوزها سعيد الحنونى الطفل الذكر الذى وعدهم به حرنكش إللى بينفش وبيكرش وتوجهت السيدة " لبنى " لأخذ حمام طالبة تطهير كل ملابسها من الحشرات والقاذورات التى شاهدتها والتى لم تشاهدها ولكنها شعرت بها تتنزه داخل جسدها ولم تستطع في ذلك اليوم تناول الطعام مما ألم بها من قيىء وارتجاع .

السيدة تفيدة هى أسعد الناس في هذا اليوم حيث بشرهم حرنكش بالمولود الذى سيظهر بعد عشرة أشهر وبالتالى ستنتهى مأساتها مع ابنتها ومع سيدة عزبة الحنونى فهى تخشى المستقبل وأن تؤثر على إبنها بأن يطلقها أو يتزوج بأخرى تنجب له البنين والبنات كما أن السيدة " لبنى" أيدت طريقتها في علاج مشكلة عدم الإنجاب فقد كان يساورها الشك برفضها مثل تلك الأفكار .. صباح هى الأخرى كانت في منتهى السعادة وهى تقف أمام المرآه تنظر إلى بطنها وتتخيل أنه بعد عدة شهور ستمتلىء تلك البطن وتكبر وتنمو إنتظاراً لطفلها القادم الذى تأخر عشرة أعوام .. وتغنى .. حرنكش جاى .. حرنكش جاى .

جلست السيدة "لبنى" مساءً في سريرها بعد عودتها من زيارة الشيخه هوانم أم المقاسات وهى غير مقتنعة لما شاهدت وسمعت وتسأل نفسها هل هؤلاء الجهلة يعلمون أكثر من الأطباء المتعلمين ..أنهم لا يستطيعون تقديم العون لأنفسهم .. أن السيدة أم المقاسات لا يجب أن توضع في مصاف بنات حواء إنها لا تعرف للنظافة طريقاً أننى ألاحظ الحصان والأبقار تذهب لمياه النيل كى تستحم ولكن تلك السيدة لالالا .. ثم كيف يعيش معها زوجها ؟ أعتقد أنه ليس لها زوج .. فمن يكون هذا الغبى الذى يتزوج مثل تلك لالالا وهل هذه السيدة تستطيع أن تفعل ما لم تستطع ابنتها أو زملائها أن يفعلوه بعد أن قضوا سنين من أعمارهن في الدراسة بالمدارس ثم بالجامعة .. هذا شيء لا يصدق !

أخبرت صباح زوجها سعيد بكل ما تم مع الشيخة هوانم وحضور " السيدة لبنى " تلك المقابلات واللقاءات ودُهش الإبن من هذا فهو يعلم تمام العلم رأى والدته في هذه المعتقدات .. وفكر .. هل كل هؤلاء على خطأ وأنا على صواب .. إذن فسوف أسير خلفهم ولأرى النتائج وكما يقولون إن الغاية تبرر الوسيلة .

قبل حلول الشهر العربى بثلاثة أيام اصطحب سعيد زوجته صباح متوجهين إلى القاهرة فنزلا في عمارتهما بميت عقبة وفى الليلة الموعودة والتى حددتها الشيخة هوانم أم المقاسات أعد عدته حيث خلطت زوجته التراب المخصص له على جالون مياه وحمل معه فوطه وغيار داخلى متجهاً إلى مسجد سيد الشهداء سيدنا الحسين رضى الله عنه وأرضاه حاملاً معه كل الأمانى بأن يوفقه الله .. ها هو قادم من جنوب مصر ويجاور حفيد الرسول طالباً بركاته في أن يكرمه بالخلفة التى حُرم منها أكثر من عشر سنوات .

منتصف شهر ديسمبر وقريبا من وقت الفجر والناس مختبئة في أماكنها من شدة البرد والشاب سعيد الحنونى يقف بجوار مسجد الحسين يتلفت يميناً ويساراً حتى يتأكد أن أحداً لا يراه وبعد أن اطمأن قلبه نزع

ملابسه جميعها كيوم ولدته أمه وهو يرتجف من البرودة واستعد ليغطى جسده بالمياه المباركة والتى زودته بها الشيخة أم المقاسات حتى يعطيه الله من فضله وبعد أن إبتل جسده وازدادت رجفتة من شدة البرد شعر أن أحداً أمسكه من قفاه زاعقاً فيه بأن ليلة اللى خلفوه زى الطين وأنه يعمل عملاً فاضحاً في الشارع العام في منطقة سياحية يؤمها السائحون الأجانب من مختلف أرجاء العالم .

نظر سعيد إلى من فاجأه على هذا الوضع وإذ بأمين شرطة مصمم على أن يأخذه للقسم بهذا الوضع والشاب بكل حزن وألم يستعطفه في إن يتركه لحال سبيله وأنه لم يقدم على هذا العمل إلا بسبب رغبته في الإنجاب .. ولكن أمين الشرطة لم يتأثر بكل تلك الإستعطافات والتوسلات التى ساقها سعيد وأقبل بعض المصلين وشاهدوا ذلك فمنهم من استنكر ذلك وبصق عليه لاعناً اليوم الذى إختفى فيه الخجل والحياء ومنهم من طلب من أمين الشرطه أن يعطى الشاب الفرصة لستر عورته ولكن أمين الشرطة أراد أن يوصله للقسم بهذه الحال متلبساً على حد قوله .

يسير سعيد الحنونى في الشارع ممسكاً بملابسه والأمين واضعاً الكلابشات في يديه والرجل يرتجف من البرودة ولكن برودة الخجل والخوف زادت على برودة الطقس وأخيراً وافق الأمين على أن يسمح له بارتداء سرواله ليغطى سوءته كما شرح ذلك للأمين أحد الشيوخ العابرين فى الطريق متوجهاً إلى المسجد .

وصل الركب المكون من الأمين والمتهم سعيد الحنونى وبعض السوقة التى تصادف سيرهم بالطريق العام ليروا ما يحدث لهذا المجذوب على أيدى ملائكة الرحمة في القسم .

تهلل الضابط النوبتجى بما يحمله له أمين الشرطة من أحد عباد الله الذين قذف بهم حظهم العاثر في مقابلته .. حيث استقبله إستقبال الشرطة المصرية الشهير بالضرب على قفاه والسباب له ولأمه ولبلدته ولم يترك

للشاب فرصة ليتعرف على مشكلته وما دفعه لذلك .. كان الضابط يتعامل مع سعيد الحنونى وكأنه عبد اشتراه له السيد والده من سوق النخاسة .

ينظر سعيد إليه وهو يفعل به كل هذا ولسان حاله يقول : إن هذا الضابط لا يعلم أن من أمامه ويسُبه ويلعنه هو الذى يسلمه مرتبه أول كل شهر من صندوق جباية الحكومة المصرية والتى إستطاعت أن تأخذ أموال المصريين لتعد قوات أمن لضربهم وإهانتهم عام بعد آخر وتذكر سعيد الحنونى لماذا لجأ أشراف مصر تحت قيادة عبد الله النديم إلى تسليم محمد على حكم مصر لأنهم قوم أذكياء دارسون للقهر الفرعونى للشعب وهكذا في أول حكم مصر بيد أبنائها جلد الحكام أبناء الشعب المساكين .. أحدهم يقتلهم في حروب فاشلة .. والآخر تحت سياط الشرطة .

دُفع بالمسكين لغرفة الحجز التى هى شريحة الشعب المصرى في الظل وإلتف حوله المجرمون يفتشون ملابسه واستولوا على ما تبقى معه بعد أن حصل الأمناء والمساعدون على إحتياجاتهم وتركوا البواقى معه .. ولكن عندما علم هؤلاء المجرمون السبب وراء حضور الشاب للقسم حتى تأثروا لحاله وتعاطفوا معه والبعض أفسح له مكاناً يستريح فيه من حسن استقبال رجال الأمن .

اقترب الوقت من التاسعة صباحاً ولم يحضر سعيد لزوجته حتى يتم اللقاء الزوجى بناء على خطة الجنرال حرنكش الذى يعمل عند الشيخة هوانم وقد توترت الزوجة لهذا التأخير وتوجهت للحاج عويضه تبثه مخاوفها وعندما علم منها الرجل بالسبب الذى ذهب سعيد من أجله إلى منطقة الحسين إندهش وأسرع بسائقه إلى المنطقة هناك فقابله بعض أعيان ومشاهير المنطقة والذين أرسلوا عيونهم لمعرفة الحدث فجاءت الأخبار بمأساة سعيد الحنونى وتوجه مع بعض كبار الحى إلى قسم الموسكى وعلموا أن أوراق سعيد أمام وكيل النيابة فقابلوا الرجل الذى كان أكثر رحمة وتفهما من رجال الأمن وأفرج عنه بضمان محل إقامته ووقع عمه عويضة على ذلك وخرج معه عائداً إلى عمارته لاعنا هذا اليوم رافضاً

الإنجاب إذا كان هذا هو الثمن .. عاد سعيد وصباح إلى ميت الحنونى حاملين أسوأ ذكرى لهما منذ أن أدركا الدنيا .

علمت الأم بما حدث لابنها من تلك الليلة المؤلمة ولعنت الجهلاء ومن يسير خلفهم ومن يتركون العلم وتسأل زوجها " على الحنونى " .. أنا افتكر إن في قرآن كريم يطلب من المسلم العلم .. مس كده سنيوريه هنونى ؟

يجيبها الحنونى الكبير والذى كان متأثراً على ما حدث لابنه الأكبر والذى لم يطلب شيئاً سوى حقه الطبيعى في الإنجاب لكن الجهلة والأغبياء والمشعوذين يفسدون الدنيا لكى يحصلوا على طعام فاسد مثلهم يدفعهم العوز والاحتياج لمثل تلك الأشياء الضارة .. يتحدث مع " لبنى " الإسلام يطالبنا بالعلم والمعرفة وفى نفس الوقت يطلب منا الابتعاد عن الخرافات والتنجيم ولكن ماذا نقول لأصحاب العقول البالية ..

ايقن سعيد بأنه لا فرصة امامه للإنجاب وأن ما حدث له يكفيه طوال عمره لما لاقاه من مذلة وهوان على أيدى هؤلاء القساة معدومى الضمير والإنسانية .. حاولت أم صباح التدخل بالبحث عن شيخ بديل ولكن سعيد طلب منها الكف عن التدخل في أحواله والابتعاد عن حياته .. ولكن السيدة أجابته إنها تريد أن تطمئن على إبنتها ومصلحتها فثار سعيد في وجهها قائلاً : أن ابنتها أمامها ويمكنها اصطحابها معها وهى عائدة إلى منزلها .

# ( ٢٥ )

## نتائج الشعوزة

كان ما حدث درساً قاسياً لكل أفراد عائلة الحنونى بالإضافة إلى عائلة المهندس فهمى سواء صباح أو أمها .. فها هو زوج إبنتها المسكين ضحية للأفكار والخرافات المتوارثة في مجتمع الجاهلية بالقرى المصرية المرتبطة بعالم السحر والجان والذين يفعلون ويعملون ما لا يستطيع العلم أن يفعله ولم نأخذ من العلم والعلماء إلا الحواديت والأحاديث وتركنا التقدم العلمى الذى تسير فيه دول العالم المتقدم والتى نرسل الوفود لها للتعلم وكأن الدين وتعاليم الله لرسوله والمسلمين جاءت لنسمع عنها ونمصمص شفاهنا قائلين الله الله وهذا يكفى .. بل ان آخر إحصائيات مراكز الأسرة والسكان تعطى مؤشراً خطيراً بأن تلك الآفة إزدادت مؤخراً وللعجب أن كثيراً من المثقفين يلجأون إليها .

بعد عودة سعيد وزوجته صباح من القاهرة وبعد أن هدأت أمور تلك الكارثة بالأخص على الشاب سعيد الحنونى طلبت السيدة " لبنى" من ابنتها الطبيبة سيدة الحنونى البحث عن أشهر طبيب متخصص في هذا المجال وأن تحدد لهما موعداً للفحص ومعرفة السبب وراء تلك المشكلة قائلة :

لـوو : مس عايز جهل وهرافة ولكن عايز رأى العلم وهيقول إيه سنيوريه طبيب مس سنيوريه هاجات وست أم مقاسات .. ما فيس موه "مخ"!

عندما استفسرت الابنة من والدتها بأن الفحص سيكون لصباح فقط وليس سعيد أيضاً تضايقت منها أمها قائلة .. لقد سبق وأن قلت لك أن الإثنان الذين يتسببان في الإنجاب هما أيضاً المتسببين في عدمه .. سعيد يفحُص مع زوجته .. في اليوم التالى أخبرت سيدة الحنونى أمها بأنها

عثرت على طبيب ممتاز وأنها حجزت عنده لكل من سعيد وصباح وأن موعدهم معه بعد باكر الخميس الساعة العاشرة صباحاً فى أسيوط .

أخبرت الأم سعيدا وصباح بموعد الطبيب ولكن سعيداً اعترض على ذلك بأن النساء هن اللائى يذهبن للكشف وليس الرجال كما يكفينى ما حدث لى على أيدى هؤلاء النصابين المحتالين .. غضبت منه الأم .. قائلة له كيف تقبل أن تسلم نفسك أنت وزوجتك لمثل هؤلاء الجهلة وترفض العلم والعلماء .. إن الإنسان الذى لا يستطيع العناية بنفسه لايجب أن تتعامل معه وأن الناس تتطور .

أرسلت " لوو " خادمتها كاملة إلى منزل السيدة تفيدة والدة صباح تطلب منها الحضور إلى سراية الحنونى عصر اليوم .. حضرت السيدة في الموعد المحدد وهى مضطربة فقد كانت في حالة من الضيق والحزن لما ألم بزوج ابنتها في القاهرة كشعور بالذنب كما إنها كانت متوقعة أن ما حدث لن يمر مرور الكرام على السيدة " لوو " .

وصلت السيدة تفيدة الى قصر الحنونى وإستقبلتها " لوو " بعدم اكتراث ولا مبالاه قائلة لها : هل سمعت وعلمت ما حدث لزوج ابنتك في القاهرة ؟ هل رأيت طريقتك التى أوصلتنا إلى هذا الموقف السيء ؟ لماذا تصرين على السير خلف الجهلاء والمشعوذين ؟

جمعت السيدة تفيدة كل ما لديها من شجاعة وقوة لمواجهة " لوو " قائلة لها أنتِ أيدت ما حدث وساعدتينى في كل شيء وهذا معناه إنك موافقه على كل ما تم حتى الآن .. إذن فنحن الاثنتان فعلناها واشتركنا في كل شيء لغرض واحد وهو إسعاد أبنائنا .. فلماذا أكون أنا المخطئة وأنتِ على صواب ؟ فإذا كنت أنا مخطئة فأنتِ الأخرى مخطئة ..

ثم قالت : والا الحكاية خيار وفقوس ؟! ..

كانت تفيدة وهى تحدث السيدة " لوو " رافعة نبرة صوتها خاصة عندما لاحظت أن السيدة " لوو " صامتة مستكينة وقد شجعها هذا أكثر فأكثر وتمادت في حديثها الغوغائى الذى خرج عن كل آداب اللياقة والذوق .. وكان هذا حدثاً غريباً أن يقع فى منزل الحنونى ومع السيدة الأولى في العزبة التى لم يتجرأ عليها أحد من قبل .

بعد أن هدأت السيدة تفيدة وبكل ثقة وهدوء ..

قالت : لها السيدة " لوو " تفيدة أنا لما رجعتو من سفر عرفت إنك تروهى لسيه أبو هاجات وأنه عايز منك هاجه هرافه "خرافه" .. إتنين وعسره وتلتين همامه بيضه .. وهبيت أعرفك أن ده هرافه .. ثم رهنا سيهه أم مقاسات وتقيس كل سيء مثل واهد مهندس وسفتى قذاره وهاجه وهسة كتير ! هل تقبلين أن تسربى كوب ماء من يد سيهه أم مقاسات ؟ كل هذا ضد دين ضد قانون ضد علم وهرافه وجهل سنيورا تفيده .

وبلهجة حازمة قالت : لها " لوو " إسمع تفيده يوم هميس قادم أهد "اخد" صباه وسعيد لطبيب ويعرف كل هاجه .. فاهم تفيده ؟

تفيده بصوت مستعطف وهادىء .. متسائلة .. وأنا جايه معاكم ؟

صرخت فيها " لوو " أبدا مس ممكن أنت تجلس في منزل مع فرهه وهروف .. لقد اخترتى طريقك وأنا إهترت طريقى وجربنا طريقتك وعرفنا نتيجة ما هدث واتركينى أجرب طريقى ولنرى ما سيهدث .

غادرت تفيدة منزل الحنونى حزينة بأنها لن تستطيع مرافقة إبنتها صباح إلى الطبيب صباح الخميس .. وهى سائرة عائدة إلى منزلها تفكر بأن الطبيب معناه أدوية وعلاج وقد تصل إلى عملية جراحية وبكت من أنها لا تستطيع أن تقف مع وحيدتها .. قالت في نفسها لقد كان السبب في ذلك هو إندفاعى على السيدة " لوو " وما كان يجب على أن أفعل ذلك وهذا هو أول رد فعل على ما فعلته معها وستحمل الأيام القادمة الأسوأ لعائلتى .

عادت تفيدة إلى منزلها مطأطأة الرأس محتقنة الوجه بعد هذه المقابلة وألقت بتحيتها على زوجها الذى لاحظ أن زوجته على غير عادتها فاستفسر منها عما جرى وماذا كانت تريده " أم سعيد " .

صرخت قائلة بلاش تقول الاسم ده .. مش عايزين مشاكل أكتر من كده ثم قصت على زوجها ما حدث في منزل الحنونى بينها وبين السيدة .. نظر فهمى إلى الأرض وهو صامت لا يتحدث وآثار هذا حفيظة زوجته واضطربت متسائلة .. فيه إيه يا فهمى ؟

فهمى : ما فيش حاجه .. لكن مكنتش أحب أن علاجتنا معاهم توصل للمستوى ده .. وعلى كل حال سيبيها تجرب وتشوف طريجتها وكل إنسان يجرب الطريجة إللى يعرفها والحكم في النهاية على النتيجة .. وأنتى فاكرة إنى جلت لك أن حكاية الشيخه دية أنا مش مجتنع بيها .

بعد محاولات من الأب والأم مع ابنهم سعيد وافق على زيارة الطبيب مع زوجته .. ولاحظت " لوو " أن صباح حزينة لأن أمها لن ترافقها في تلك الزيارة وأقرها " على الحنونى" وطلب من زوجته وسعيد إصطحاب أمها معها حتى تطمئن لتلك الزيارة .. وافقت " لوو " على ذلك وسافرت العائلتان عصر الأربعاء إلى أسيوط وأمضوا ليلتهم في إحدى لوكاندات البلدة وفى الصباح كانوا جميعا في عيادة الطبيب حيث انهم أول كشف سيقوم به الطبيب .. كما كان الوجوم والحزن مسيطراً عليهم جميعا .

بعد أن فحص الطبيب الزوجة جاء الدور على سعيد هو الآخر للفحص وأخذت عينة منه لفحص مدى خصوبته من عدمه وأرسلت إلى المعمل وبعد إنتظار ساعة طلب الطبيب سعيد لمكتبه وأخبره وهو حزين بأن الزوجة سليمة وأن المشكلة يتحملها سعيد لأن خصوبته أقل من المعتاد ولا تساعد زوجته على الحمل وهذا شيء من عند الله .. وأنه للأن لم يتوصل العلم لعلاج مثل تلك الحالات راجياً منه أن يكمل حياته على هذا القدر اللإهى .

غادر الجميع العيادة إلى محطة القطار عائدين إلى العزبة وحاولوا الإستفسار من سعيد عما أخبره به الطبيب .. فأجابهم بأنه سيرسل لهم بالنتيجة يوم السبت المقبل .. وصلوا مسلمين إلى بيت الحنونى راجين من الله أن يتم نعمته عليهم بالإنجاب.

اليوم التالى بعد صلاة الجمعة طلب سعيد من والده أن يجلسا سويا تحت أشعة الشمس يتحادثان وبعد محادثة في شئون عامة ..

**سعيد :** أبى إننى أحمل خبراً غير سار من زيارة الطبيب أمس ..

سكت الأب قليلاً **وقال :** لابنه أكمل يا بنى إننى أسمعك ..

**سعيد :** لقد أخبرنى الطبيب إننى غير قادر على الإنجاب وأن صباح زوجتى سليمة .. ماذا أفعل ؟

قال الأب تسألنى ماذا تفعل يا سعيد .. ثم نظر إلى أعلى وقال .. الله فوقنا وعرفنى ماذا أنت قادر على فعله معه .. نظر إليه سعيد مندهشاً قائلاً:

**سعيد :** أفعل مع من ؟

**الأب :** أجاب بهدوئه الذى لم يفارقه منذ علم بما يمر به إبنه من عدم الإنجاب وهو الآخر سيحرم من حفيد من ابنه الأكبر سعيد .. يا بنى لا توجد أمامك مشكلة .. لأن الذى نتكلم عنه وفي يده كل شىء هو الله ولا نستطيع أن نفعل اى شىء غير الدعاء والاستسلام لقضائه حيث يقول في كتابه الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم " لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ[1] (٥٠) " صدق الله العظيم.

---

[1] سورة الشورى من الآية ٤٨- ٥٠

بعد تلاوة الأب لهذه الآية القرآنية ظهرت ملامح الراحة على وجه ابنه

سعيد : الواحد كان الشيطان مسيطر على فكره .. ثم سأل والده ما هو التصرف المناسب مع زوجته صباح .

الأب : ماذا نفعل إنها إرادة الله .. ولكن سعيد أجاب والده بأنه يعتقد إن من المفروض هو تسريح بمعروف .. بفرض أنها راغبة فى الأمومة فلماذا أحبسها بجانبى ؟

الأب : ربنا يرضى عنك إنك بتفكر فيها وإسألها وشوف رأيها إيه .. اقترب سعيد من والده هامساً طالباً منه الاينس أن يخبر أمه بما قاله له .. وعده الأب بذلك طالباً منه النظر إلى الحياة بمنظار جميل حتى تشعر بمتعتها وأن الإنجاب من عدمه ليس نهاية الحياة .

ودع سعيد والده محتضنا إياه قائلاً :

ريحتنى يابا ربنا يريح بالك ويخليك لنا .

سأله الأب الى اين انت ذاهب ؟

سأذهب إلى صباح لأنهى موضوعى معها حتى أكون قد تحررت من أى قيد ولم أتسبب لأحد فى أى مشكلة .. فدعا له الأب بالتوفيق مودعاً .

ترك الابن والده متجها إلى منزله للتفاهم مع زوجته صباح .. بينما اتجه على الحنونى إلى داخل المنزل فإذا بزوجته " لوو " جالسة في الفراندة بعيداً عن الشمس فنادته أللى ؟

أيوه .. أنتى جاعده لوحدك ؟

سعيد إبننا قال إيه ؟

فأخبرها بملخص ما تحادثا به .. ولاحظ دموع زوجته تملأ عينيها .

كانت " لوو " تشعر في قرارة نفسها بأن القدر قد خبأ شيئاً غير سار لها ولأسرتها وكانت هذه هى المرة الأولى التى تبكى فيها منذ وفاة أمها مارتا منذ سنين عدة وتركت الفرانده متجهة إلى حجرتها فشاهدها على وهى تصلى ركعتين شكراً لله وطلبا للمساعدة منه .

بعد أن ترك سعيد والده إتجه إلى منزله سائراً بين أشجار الموالح من برتقال ويوسفى بالوانها البرتقالية وتحيط بها الألوان الخضراء وكأنها مصابيح برتقالية اللون تتدلى من نجفة خضراء بديعة اللون .

يحدث نفسه قائلاً : لقد تخلصت من هذا العبء القاسى الشديد علىّ وها أنا وصلت إلى قناعة تامة بأن الله لم يرد لى الإنجاب وأن لا تكون لى ذرية ولقد قبلت حكم الله علىّ والآن سوف أصارح زوجتى الحبيبة فيما أنا مقبل عليه بعد أن علمت وعرفت حكم الله من الطبيب .. لقد أرحتنى أيها الأب قليل الكلام قوى الحجة واسع العقل سديد المشورة ..... وتنهد قائلاً أن الأبناء لا يستطيعون الاستغناء عن نصائح الأباء مثل ما لا يستطيعون الاستغناء عن حب وعطف الأمهات أيضاً .

اقترب من مسكنه وصباح تقف في الفرانده تنتظر قدومه مثل كل يوم .. يالها من زوجة مُحبة ومخلصة إننى أكن لها كل حب وتقدير .

وقف برهة قائلا : يا لهذه المسكينة التى لا تعلم ماذا يُخبىء لها القدر وماذا إنتويت أن أفعله معها .. أسرعت تفتح باب المنزل مستقبلة اياه بكل معانى الحب والإخلاص والبهجة التى أودعها الله في قلبها الكبير .. دخل عليها ملقيا عليها تحيته .. وهى بدورها ترد تحيته بأن تحتضنه بطريقتها .. فتقف أمامه وهى مازالت محتضنه زوجها قائلة له .

ليه حبيبى إتأخر النهارده؟ .. يلاعب خصلات شعرها الجميل بيده قائلاً:

آسف يا صباح .. تعالى لنجعد .. عايز اكلمك كلمتين بينا وبين بعض .. سارت خلفه وجلس وطالبها بالجلوس .. وهى مازالت مترددة وكأن إحساسها الداخلى يُخبرها بأن شيئاً سيئاً قادماً وأن زوبعة شديدة فى الطريق وهو يفكر فيها ..

أما هو فيقول فى سريرة نفسه .. آه عليكِ وأنتِ برقتك وضعفك الإنسانى .. لن تستطيعين تحمل ذلك .

جلست نصف جلسة مثل الإنسان الذى يتوجس خطراً فيريد أن يكون مستعداً للفرار من هذا الخطر .. لم تركن ظهرها إلى ظهر الكرسى الذى تجلس عليه وهى تنتظر القرار الذى سيصدره سعيد فهى تعلم كل شىء مما قاله الطبيب من أمها التى إستطاعت رشوة الممرضة .. وهى تعلم أن زوجها تأخر بعد أن جلس وتناقش مع عائلته فيما هم مقدمون عليه خاصة بعد المشكلة التى إفتعلتها أمها مع أم زوجها منذ عدة أيام .

كانت أم صباح في زيارة ابنتها هذا اليوم أثناء وجود سعيد عند أسرته وتذكرت حديث أمها لها وهى تقول : بأن الموكوس ابن الخواجايه مش حيقدر يعشرك .. إبن الحنونى واللى العزبة ملكهم مش حيقدر يخليكى أم .. كل الفلاحين حوالينا بيخلفوا ويعشروا نسوانهم والحمير والخرفان إلا إحنا حظنا الدكر أن جوز بنتنا مطلعش دكر .. لازم نشوف حل معاه وأمه عامله دوشه وبتزعق على إيه .. إتنيلى عليكى وعلى إبنك .. لازم تطلبى منه الطلاق .. فاهمه وربنا يرزقك بواحد راجل شارب لبن أمه يقدر يعشرك ويجبلك العيال ..وأنا وأبوكى نفرح بيهم ويقولوا لنا يا سيدى ويا ستى .. بكت صباح من كلام أمها طالبة منها الإبتعاد عن مثل تلك الأقوال وأنها تحب سعيد ولا تتخيل أن تعيش مع إنسان آخر غيره .

ما زال الزوجان ينظر بعضهما الى بعض وكل يفكر فى الخطوة التالية وكل يفكر ماذا ينتظر منه الآخر وخاصة صباح إلا أن الرجل هو الذى

يتخذ قرار الزواج والطلاق .. إن السيدات هن الخبر لمبتدأ الرجل .. لذا فعليهن سماع الحكم وتنفيذه .. اما سعيد مازال ينظر إلى صباح ثم قال لها .

اسمعيني يا صباح .. مشوار إمبارح للطبيب مكنشي كويس وأخباره مش حلوه بالنسبة لى .. لكن أنتِ سليمة وكويسة وتجدرى تخلفى وعلشان كده أنتى حرة وخططى مستجبلك على مهلك وأنتى حرة تعيشى معايا أو ننفصل وكل واحد يشوف حياته ..

تركت الكرسى التى كانت جالسة على حافته خوفاً من المستقبل المجهول وجلست أمامه أرضا فوق السجادة طالبة منه ألا يقول مثل هذا القول وأنها معه إلى الأبد وإنها تحبه ولا دخل للإنجاب في علاقتهما .. ثم بكت وهى واضعة يدها الرقيقة على فمه حتى لا يقول مالا تحب أن تسمعه ولا يجب أن يكون هذا بينهما .

كان سعيد صلباً في هذا اليوم على عكس ما كانت عليه تصرفاته طوال حياته سواء مع زوجته أو مع الآخرين حيث قال ..

ملوش لازمة للبكى .. والنهاردة يوم حاسم ولازم نجرر ونعرف راسنا من رجلينا وانتى لازم تكونى حرة .. صباح .. من اليوم وأنت طالج ..

ساد صمت طويل لا يستطيع أحد حسابه ولكن المؤكد أن صباح ظلت فترة صامته في وضعها المستذل أمامه ثم أغمى عليها فاقدة الوعى .. تنبه سعيد من حالة اللاوعى التى لازمته بعد أن أخبرها بقراره فرفعها واضعاً إياها فوق سريرها وأسرع بالاتصال بشقيقته د. سيدة الحنونى التى حضرت مسرعة ومعها خادمتها كاملة ولحقت بهما السيدة " لبنى " وتركهم سعيد سوياً بعد أن تاكد أن هناك من يرعى زوجته متجهاً إلى مزرعة الدواجن حيث شقيقه سلامه الطبيب البيطرى مشغولاً مع المحاسب دميان في بيع إنتاج المزرعة وتجار الدواجن متواجدين بسيارات النقل مع عمالهم وانضم إليهم المدير العام سعيد الحنونى ليباشر عمله ويخرج نفسه من دائرة الحزن والنكد التى لازمته الفترة الماضية .

استطاعت د. سيدة الحنونى أن تساعد صباح زوجة شقيقها سعيد في أن تستعيد حالتها الطبيعية باستثناء البكاء الذى لازمها حتى وصلت والدتها والتى كانت مضطربة بعد أن وصلها خبر مرض إبنتها والتى أبلغتها به الخادمة كاملة بناء على تعليمات الأم " لوو " .

تجلس صباح في سريرها وهى مازالت تواصل البكاء والجميع يستفسر منها عن سبب ذلك ولم تستطع والدتها أن تمسك لسانها عن الحديث حيث سألت ابنتها عما فعله زوجها " الموكوس " حيث نظرت إليها سيدة الحنونى وكاملة الخادمة بضيق بينما سألت السيدة ' "لبنى " عن هذا الشخص الذى تتكلم عنه أم صباح ؟ ولكن أم صباح لم تهتم بنظرات الضيق التى لازمت العائلة .

أخبرتهم صباح بما قاله لها زوجها سعيد ونزل هذا الخبر على الجميع بالدهشة والاستفسار وجن جنون والدتها فأخذت تهلوس وتتحدث بكلمات غير مفهومه وشعرت السيدة " لبنى " أن هذه السيدة سوقية ويجب ترك المكان .. غادروا منزل ابنهم عائدين إلى سراية الحنونى يشملهم الضيق والحزن مما فعله كل من إبنهم ووالدة زوجته التى حاولت أن توجه لهم الإهانات الغير مبررة وحاولت صباح الاعتذار لهم وأن يمكثوا معها ولكنهم اعتذروا رافضين البقاء بسبب ما قالته أمها وما زالت السيدة تفيدة في حالة تحدى أمامهم .

انتشر خبر طلاق صباح من زوجها سعيد الحنونى .. فهو إبن الحنونى الكبير ومدير عام المزرعة لدرجة أن هذا الخبر وصل إلى سلامه الحنونى وهو مشغول عند مزرعة الدواجن مع التجار وبجواره شقيقه صاحب هذا الخبر القاسى على النفوس وبعد أن علم بهذا النبأ كان ينظر إلى شقيقه وهو يقف وكله ثقة وكأن شيئاً لم يحدث ثم يحدث نفسه هل معقول هذا التصرف من أخى الأكبر عنوان الحلم والخلق والتسامح ؟ ! .

عادت السيدة " لبنى " إلى سراية الحنونى وهى ما زالت غير مصدقة ماحدث وتتساءل هل معقول سعيد يعمل كده ؟ لازم فيه واحد لهبطه في هكايه ..

فور وصولها الى المنزل طلبت الخفير أبو المواهب وطلبت منه إحضار سعيد الحنونى " فوراً " .. وأجابها حاضر يا ست هانم .. خرج أبو المواهب وأبو البركات لتنفيذ تعليمات السيدة الأولى في العزبة مستقلين العربة الكاريتة يبحثون عن سعيد أفندى حيث أرشدهم بعض الفلاحين الذين كانوا عند مزرعة الدواجن يتسلمون حصتهم الشهرية من فراخ المزرعة بأن سعيد أفندى ولد الحنونى موجود بالمزرعة .

توجه أبو المواهب وزميله إلى سعيد وأخبره أن السيدة الكبيرة تريده حالاً وعلى وجه السرعة .. وضحك سعيد من منظرهما وهما مقبلان عليه حيث قال : منظركم كده فيه حاجه .. عايزين إيه ؟ وأراد أن يجلس بعض الوقت مع العاملين في المزرعة لكن الخفيران طلبا منه التوجه معهما حالاً بدون تأخير حيث أنهما لا يستطيعان العودة بمفردهما دون وجوده وإلا سيسبب هذا مشكلة كبيرة مع والدته ..

حيث قال أبو المواهب " الست عايزاك دلوجتى حالاً " .. اعتذر سعيد لشقيقه سلامه حيث أخبره بأنه صدر أمر بالقبض على من " مام " ضحك سلامة متمنياً لشقيقه سعيد كل توفيق وأخبره بأنه فى المساء سيحضر لزيارته ومعه عيش وحلاوة .

إستقل الثلاثه الكاريتة عائدين إلى قصر الحنونى " سراية الحنونى " ودخل على أسرته حيث كان والده جالسا وأمامه والدته وشقيقته سيدة .. وجد سعيد والدته في أشد حالات الضيق وكانت منفعلة وهى تتحدث بالإيطالية .. القى عليهم تحية المساء وجلس موجها نظره جهة والدته .. متسائلاً ..

خير مام ؟ الغفير جالى إنك عايزه تشوفينى حالاً .. فيه شى مستعجل علشان سيبت عملى في المزرعة وأنتى عارفة اليوم فتحنا البيع في الفراخ .. تنظر اليه بتركيز وضيق في نفس الوقت وقالت ..

سعيد أنت تطلق صباه وتروووه تقعد مع فراه .. أنت ولد مس بتفهم أمور كويس ومه ملهبط كتير .. ده عمل يعمله راجل كويس ومتربى .. كانت " لوو " في أشد حالات الضيق وفى احتياج إلى أن يتدخل أحد ويهدىء من توترها وإنفعالها أو أن يخبرها إبنها بشىء مقنع لها لما حدث منه .. وكان من المعروف عنها ولدى الجميع أيضاً سواءً فى محيط الأسرة أو الفلاحين في العزبة أنها تكره الرجال الذين يعاملون زوجاتهم بعنف أو يقدمون على زواج آخر أو الطلاق .. إذن فماذا يكون عليه الحال الآن .. وما حدث هو من إبنها .. بل والأكبر والمعروف لدى الجميع بحسن خلقه وعطفه على الآخرين .

تحدث على الحنونى الأب قائلاً ..

هوه ده التصرف إللى إتفجنا عليه ياولد؟ .. طيب البنت ذنبها إيه ؟

تحدث سعيد موضحاً لهم السبب فيما فعل .. وأنه ارتضى قضاء الله وقدره وأنه يُحب صباح ويكن لها كل تقدير وإمتنان ولا يستطيع الإستغناء عنها ولهذا أراد أن يعطيها حرية الاختيار بين أن يعيشا سوياً تحت قدر الله ومشيئته أو ننفصل وكل شخص يبحث عن بديل له بين الناس وخاصة أنها تستطيع الإنجاب ولهذا أردت أن أعطيها حقها في أن تكون أما من عدمه .. هنا تستطيع أن تختار فهى حرة الآن أما إذا كانت في عصمتى فهى ستجاملنى أو مُكرهة العيش ولا تستطيع أن تعبر عن ذلك أو أن والديها يطلبون منها أن تنفصل لإحتياجهم لأطفال لأنها ابنتهم الوحيدة ويريدون أحفاداً يملأون عليهما المنزل .. كل تلك الأسباب هى التى دفعتنى إلى أن أتصرف بما تم وهى حرة الآن .. أما إذا أرادت ووافقت صباح فى أن تستمر حياتنا سوياً فأنا على أتم الاستعداد لذلك وسأعيدها إلى عصمتى .

ضربت " لوو " بيدها على الترابيزة التى أمامها وهذا في عُرف العائلة أنها ما زالت غاضبة ..

وقالت له : إيه كلام هايب "خايب" تقوله ولد .. انت مس مكسوف تعمل كده مع واهد زوجة ابن ناس .. كلام كتير ومس يُهس واهد عقل الماما .. هدأ سعيد من إنفعال أمه طالباً منها الإنتظار حيث أخبرهم أنه سيمنحها فترة شهر تقضيها صباح في منزلها وليس فى منزل عائلتها ولها حق الإختيار بعد ذلك وطوال هذا الشهر ستظل مسئولة منه في الرعاية والصرف عليها حتى تقرر قرارها .. إما الانفصال النهائى بعد مضى الشهر وتحصل على كل حقوقها الشرعية أو ان تعود إلى العشرة معه كما كنا .

قال الأب يعنى الطلاج ده مُوجت ومش نهائى ؟ .

أجاب الابن مظبوط .. ده طلاج موجت ومش نهائى وإللى هيه تجول عليه حنفذه لها .. غادرت الأم الجلسة وهى ما زالت متوترة من تصرف ابنها رغم كل ما أورده في شرحه لهم بينما قال الأب العمليه في بيتها وملوش لازمه نعملها مشكله .. طلب على الحنونى من خفيره أبو المواهب أن يأخذ الكاريتا ويذهب لإحضار كلا من المقدس شوقى والشيخ عبد الله الحنونى كما طلب من الخفير أبو البركات أن يذهب إلى منزل المهندس فهمى ويخبره بأن الحاج " على الحنونى " قادم لزيارته ومعه بعض الأصدقاء في ظرف ساعة من الأن .. ثم نظر إلى إبنه قائلاً له ستحضر معنا إلى منزل المهندس فهمى .. وأجابه الإبن إللى تطلبه منى سأوافق عليه

بعد دقائق حضر كل من الشيخ عبدالله والمقدس شوقى وبمجرد دخولهما ومصافحتهما كلاً من الحنونى الكبير وإبنه سعيد .. سألاه عن الخبر المتداول في أرجاء العزبة من أن سعيد الحنونى طلق زوجته صباح ابنة المهندس فهمى .. ومدى صحة هذا الخبر ؟

أجابهما الحنونى الكبير بأن الخبر صحيح ونحن الأربعة سنذهب إلى المهندس فهمى في منزله لبحث هذا الموضوع معه وحله بإذن الله .. كما حضر أبو البركات يخبر الحاج على بأن المهندس فهمى منتظرهم .. توجه الأربعة مستقلين الكاريتا يقودها أبو البركات إلى منزل المهندس فهمى والد السيدة صباح زوجة سعيد الحنونى .. وبمجرد وصولهم كان المهندس فهمى في استقبالهم على باب منزله مرحباً بهم واصطحبهم إلى حجرة الجلوس المخصصة لاستقبال الضيوف بينما سمع الجميع صوت زوجة المهندس فهمى تتحدث من داخل المنزل وهى تقول ..

ده ينفع يا حاج على ؟ .. ابنك سعيد مش أمين على بنات الناس والله عيب وميرضيش .. ربنا .. الله لا يسامحك يا سعيد يا ابن لوو .

صرخ المهندس فهمى في زوجته قائلا ..

خبر إيه يا " تفيده " عيب الكلام والحديت ده ولما الرجاله يتحدتوا ملوش لازمة الحريم يفتحوا خاشمهم .. خشى إجعدى جوه وإجفلى خاشمك بلاش جلة حيا .. سكتت السيدة على مضض وهى ما زالت تبكى حظ إبنتها العاثر الذى أوقعها مع إنسان معندوش رحمة .. تحدث على الحنونى وقال

شوف يخوى فهمى .. إللى حُصل بين سعيد وصباح يتصلح وملوش لازمة تكبير الحكاية أكبر من كده وآنى جاى دلوجت أتحدت معاك ومعاى أخوى شوجى وعبد الله ونشوف إيه إللى يرضيك وإحنا حنعمله وإللى تأمر بيه حنفذه .

قال فهمى : ما فيش حاجه خالص وسعيد استخدم حجه الشرعى إللى أعطاه له الدين ومحدش يزعل من شرع ربنا وإلا يكون راجل ناجص في دينه .. مش كده يا شيخ عبد الله ؟ أجاب عبد الله قائلاً :

كل حديتك زين .. لكن الحجيجه غير كده والجصد من تصرف سعيد ولد أخوى هوه غير كده ونيته زين خالص ومليحه .. ثم نظر إلى سعيد قائلاً .. خبر بُوك فهمى بالحكايه .

تحدث سعيد وأخبر المهندس فهمى من الغرض الذى فكر فيه من وراء تصرفه بطلاق إبنته وهو نفس ما قاله لكل من والديه ثم رواها مرة أخرى أمام عمه الشيخ عبد الله والمقدس شوقى وهم فى الطريق إلى منزل المهندس فهمى .. وبعد أن أنهى سعيد روايته قال له المهندس فهمى:

وليه كل اللفة دى ؟ ما هى البنت ريداك وموافجة أنها تعيش معاك ومتمسكة بيك وليه تكسر بخاطرها يا سعيد يا إبنى ؟

أجابه سعيد بأن من حجها الاختيار بين أن تكون أما .. أو أن تعيش معى على هذا الوضع الذى جدره الله علينا وعلشان كده اتركونا شهر كل يفكر فى إللى عايزه من التانى وبعد مرور الشهر أنا موافج على حل من الإتنين .. إما أن تبدأ حياتها مع شخص آخر بعد مرور العدة أو نرجع لبعضنا البعض .

كان حديث سعيد واضحاً لكن رغم هذا فقد دُهش الرجال لهذا التصرف .. ولكن المقدس شوقى الذكى والذى لا تفلت أمامه أى شاردة أو واردة سأل سعيد ..

وتفتكر يا سعيد يا ابنى بعد الشهر حتكون الحكاية نهايتها إيه ؟ نظر إليه سعيد وقد فهم المغزى من وراء هذا السؤال الذكى ..

ده علمه عند ربنا وهو أعلم بما بالنفوس .. ثم استدرك فى كلامه أنا نفسى بعد مرور شهر .:... ( صمت قليلاً ) والكل منتظر الإجابة وعمه عبد الله يشجعه على الحديث ..

أن نعود لبعضنا البعض زى ما كنا .. أطلق الجميع كلمات الاستحسان والثناء على فكر ورأى سعيد وسُمع من داخل المنزل زغرودة الأم الحزينة " تفيدة " .

حيث قال المقدس شوقى ( جوم يا أبو صباح هات لنا الشربات ) .

قفز الرجل إلى داخل المنزل وقد صاحبته قوة ونشاط الشباب الذى ولى منذ سنين وبعد قليل حضر حاملاً صينية وعليها أكواب الشربات فقام سعيد حاملاً عنه الصينية موزعاً الشربات على الموجودين وفى نهاية الجلسة قرأ الجميع الفاتحة على ماتم الإتفاق عليه بينما تلا المقدس شوقى صلواته ودعاءه لهما بالتوفيق وإحتضن فهمى وسعيد بعضهما البعض وإستأذنوا في مغادرة المنزل ..

حيث... قال " على الحنونى " للمهندس فهمى " موعدنا بعد شهر من دلوجتى .. وصباح لسه بنتى وكل لوازمها مسئولة منى ومن أم سعيد .

مرت الأيام بطيئة على صباح تعيش وتحيا ما بين منزلها ومنزل أمها .. أما السيدة " لبنى " فقد أرسلت خادمتها الأخرى سلمى لرعاية صباح والبقاء معها في المنزل في الأيام التى ترغب البيات فيها به .. بينما يقوم " على الحنونى " وزوجته بزيارتها كل عدة أيام في منزلها للإطمئنان عليها .. سعيد هو الآخر كان مشغولاً بعمله نهاراً مُسهداً ليلاً انتظاراً لمرور الشهر متمنياً من الله أن تبقى صباح زوجة له برغبتها دون ضغط عليها من أحد .

بعد مرور أسبوع من طلاق صباح وسعيد والذى علم به كل من في العزبة كما علم به العامة من الخدم والخفر وتم نشره على الملأ .

حضر مهندس الزراعة في الناحية وهو المسئول الحكومى عن زراعة تلك المنطقة وقابل المهندس فهمى طالباً منه يد ابنته صباح فاعتذر الرجل

مؤجلا القرار شهراً ونصف الشهر .. وفى الأسبوع التالى حضر أحد مدرسى مدرسة الحنونى الإبتدائية طالباً نفس الطلب من المهندس فهمى وأجابه بنفس الإجابة السابقة وهو التأجيل لفترة الشهر ونصف الشهر .

كانت كل تلك الأخبار تصل إلى مسامع سعيد وهو يتقلب على نار السُهد والألم الذى كان يعتصر قلبه لما تمثله له صباح من حب عذرى رقيق الإحساس والمشاعر مثل البيئة التى كانا يعيشان فيها وكان يراوده هاجس الخوف بأن توافق صباح على الاقتران بأحد المتقدمين وبعد ذلك بعدة أشهر تصبح أماً وهى التى حُرمت من هذا عشرة أعوام .. كما كان يراوده شعور بأن امها قد تمارس ضغطا عليها لما شاب العلاقة من سوء في الفترة الأخيرة .

انتهى الشهر وأعيدت زيارة الرجال الأربعة للمهندس فهمى ( الحنونى الكبير والمقدس شوقى والشيخ عبد الله وسعيد الحنونى ) والذى استقبلهم بترحاب وبعد كلمات الإطراء والمجاملات ..

قال الشيخ عبد الله .. لتحضر صاحبة الشأن ..

حضرت صباح والتى لم يشاهدها سعيد منذ طلاقهما وأشرقت على الجميع مثل البدر المنير بهى الطلعة وهى تتحرك بكل رشاقة وجمال أودعها بها الخالق عز وجل وبعد أن ألقت تحية الإسلام على الجميع .. نظر إليها الشيخ عبد الله الحنونى ..

سائلا إياها : انتى موافجة على رجوعك إلى جوزك السابج سعيد ولد على الحنونى الموجود جدامك دلوجتى ولا مش عيزاه وهواكى الطلاج من الولد ؟

ابتسمت ولم تجب ..

ولكنه قال أن الشرع حتم عليك الإجابة ..

أجابت بكل خجل وتواضع الأنثى .. إننى أريده ( ثم أشارت إليه ) أى إلى سعيد الذى قام واقفاً والإبتسامة تعلو شفتيه والسعادة تغمره وإتجه ناحيتها مقبلاً رأسها واندفعت من داخل المنزل الزغاريد من كل من الأم تفيدة والخادمة سلمى التى كانت مرافقة لسيدتها صباح طوال هذا الشهر .. وأشيع وانتقل خبر عودة الزوجين المحبين صباح وسعيد الحنونى الذى نزل برداً وسلاماً على أبناء العزبة الطيبين .

كان أسعد الناس بخبر عودة الزوجين لبعضهما البعض هى السيدة " لبنى " فقد كانت تكره الطلاق لما شاهدته من مآسى وآلام جنتها الأسر التى نُكبت من مثل هذا التصرف الذى هو في الغالب يكون أهوجا يقع من رجال لا يقدرون تبعاته وما يخلفه على أحبائهم من الأبناء من ذُل وهوان وعوز للعيش كما كان يغضبها الزواج الثانى وشعر أهل ميت الحنونى بذلك حتى أشيع أن السيدة "لوو" أقسمت بالرجل الكبير في الكنيسة الإيطالية "البابا " أن من يفعل هذين التصرفين ( الطلاق أو الزواج الثانى ) سوف يطرد من العزبة وثبت بعد ذلك أن نساء العزبة الأذكياء هن اللائى افتعلن هذا الخبر وهو مدسوس على السيدة ولكن نتيجته كانت ممتازة لأنها منعت هاتين الآفتين المنتشرتين بالمجتمع المصرى عن ميت الحنونى .

كانت بعض نساء العزبة المقربات للسيدة " لبنى " يخبرنها أن موضوع الطلاق موجود في الشرع ونزل بالقرآن الكريم .. ولكنها تجيب بأنه مقنن ولظروف خاصة وأن السيدات هن اللائى تجنين وأطفالهن نتائج هذا العمل السيء حتى في ظرف إبنها سعيد كانت رافضة تصرفه طالبة منه الارتداد عن ذلك إلا في حالة واحدة وهى طلب صاحب الضرر وهى صباح .. لم تتعاطف مع ابنها وكانت في جانب الحق والضعيف وهن النساء كما أنها كانت تقول أن الإنجاب من عدمه ليس هو نهاية العالم وأن

كثيرين من زعماء العالم لم يرزقوا بذرية وكان المثل الواضح أمامها زعيم الأمة سعد باشا زغلول .

اقترحت الأم على إبنها سعيد بأن يذهب إلى إيطاليا في رحلة مع زوجته للاستجمام شهراً يقضيانه مع شقيقه سامى وأسرته ويزور أرض الأجداد ويتعرف عليهم ويقدم طلباً مثل سامى للحصول على جنسية الأم .. وجد هذا قبولاً من سعيد وزوجته وباقى أفراد الأسرة وأسعد هذا الخبر كلاً من والذى صباح (فهمى وتفيدة ) .. بعد عدة أسابيع زار الزوجان إيطاليا وكان الربيع على الأبواب .

وبصحبة سامى بدون زوجته نور التى كانت في الشهر الأخير من الحمل الثالث زاروا أسرة كاتيافلى وتقابلوا مع العمات والخالات من الأسرة كما قدم سعيد وزوجته أوراقهما للحصول على جنسية الأم في العاصمة روما .. وكان سامى قد قدمها منذ عدة أشهر واستلمها حديثا .

بعد قضاء ما يقرب من ثلاثة أسابيع بين الأهل والأصدقاء ومعالم إيطاليا السياحية والأثرية الرائعة وشاهد تقدمها الحضارى والعمرانى عاد الزوجان إلى عزبة الحنونى سعداء بتلك الفترة مستعدين للعمل والإنتاج متناسين الماضى وكأنه سحابة صيف لم تدم ولن تدوم راجين من الله ألا تحدث لأحد من الناس مُستسلمين لقضاء الله وقدره .

# ( ٢٦ )

## " ميشيل أو ميشلان "

كان للمقدس شوقى ابن أخت يدعى ميشيل يعمل فنى كاوتش فيقوم بإصلاح ونفخ كاوتش السيارات التى تحتاج إلى إصلاح ويمتلك ورشة صغيرة قليلة الإمكانيات على الطريق الواصل بين دشنا وعزبة الحنونى وهو طريق فرعى وكانت السيارات القديمة هى التى تقصد هذه الورشة لقلة الأجر والإمكانيات بها وبالتالى فهى قليلة الزبائن مما أثر على هذا الشخص سواء على إمكانياته المادية المتواضعة أو على حياتة القاسية في هذا المكان المتطرف ولهذا كان المقدس شوقى يقدم له يد المساعدة من باب الرحمة والشفقة لمساعدته هو وأسرته على العيش ومواجهة أعباء الحياة حيث كان كثير الأبناء ويتيم الوالدين وعندما قرر المهندس فهمى حينما كان مديراً للمشروع قبل تولى سعيد الحنونى ذلك المنصب بأن يزود المشروع بورشة لإصلاح كاوتش الجرارت الزراعية والمتزايدة العدد نظراً لأن عطل كاوتش الجرار أو المقطورات يعطل العمل بنقل هذا الكاوتش إلى ورشة في دشنا ويخصص لها جرار بمقطورة لنقله للإصلاح والعودة فأصبح هذا يمثل عبئاً على اقتصاديات المشروع وعرض هذا الأمر على الحاج "على الحنونى " بإعداد ورشة خاصة لهم ووافق الحنونى على ذلك .. وكان المطلوب هو شراء مستلزمات الورشة وكان لابد من العثور على فنى لهذا الغرض .. وحينما علم المقدس شوقى بهذا الأمر عرض عليهم ابن شقيقته والذى يعمل فى هذا المجال .. وافق عليه الحنونى الكبير ثقة منه في صديقه الوفى شوقى .

أرسل شوقى ابنه دميان الذى كان ما يزال طالبا بالجامعة لإحضار ابن شقيقته من بلدته التى يعمل بها وحضر الشاب سعيداً بذلك حيث سيعمل

ويحصل على مرتب ويحصل أيضاً على كل المميزات العينية التى يحصل عليها العاملون في العزبة كما أخبره ابن خاله .. حضر الشاب " ميشيل " ولكن لقبه بين العامة ميشيلان .. وقد أضحك هذا الاسم المهندس فهمى وأخبر شوقى قائلاً الآن عرفت لماذا سُمى بهذا الاسم .

ميشيل أو ميشيلان كان قصير القامة منتفخاً من وسطه ويشبه إلى حد كبير إعلان شركة الكاوتش العالمية " ميشيلان " وهو شاب مهذب .. عرض طلباته لتأسيس الورشه موضحاً الفرق بين المعدات القديمة قليلة الامكانيات والحديثة التى تسهل العمل وتقلل أعطال كاوتش اللوارى والسيارلت والمقطورات .

حُدد موقع الورشة وبدأ البناءون في بنائها بينما إنهمك ميشيل مع سعيد الحنونى في شراء مستلزمات الورشة من مدينة قنا .. بدأت الورشة في العمل وكان التفكير في تواجدها في العزبة من الأفكار الممتازة .. حيث قللت من الأعطال والتى يتم إصلاحها بسرعة كما ساعدت على سرعة العمل ووفرة وسائل النقل الجاهزة للمساعدة في نشاط العزبة .

زوجة ميشيل هى السيدة بشرى ولديها طفلان عندما وصلت إلى العزبة لتقيم بالمنزل المجاور للورشة والذى أعُد خصيصا لفنى الورشة مع بدء إنشائها .. تحسنت الحالة المالية للعائلة الصغيرة نظراً للمساعدة العينية التى كانت تقدمها أسرة الحنونى للعاملين بها سواء من أطعمة أو كساء أو سكن مجانى مزود بالكهرباء وقد دفع هذا ميشيل وزوجته لكثرة الإنجاب حتى وصل عددهم إلى أربعة متقاربى الأعمار كانوا يستهلكون من أمهم بشرى مجهوداً كبيراً لرعايتهم .

ونظراً لتعامل ميشيل مع السائقين فقد تطبع ببعض طباعهم ومنها تدخين السجائر والصوت العالى واللا مبالاه أثناء العمل وإهمال زوجته بل والتعدى عليها بالضرب أو السب مما كاد أن يؤدى لطرده من العزبة لولا

تدخل الخال والتعهد بعدم عودته إلى ذلك التصرف .. وقد نبهه الخال إلى أنه سيفقد وظيفته لسوء سلوكه .

أثناء عمل ميشيل وعدم الإهتمام بعمله حيث كان يدخن السيجارة بيد والأخرى ممسكا بخرطوم دفع الهواء داخل الكاوتش الضخم للجرار الزراعى مما زاد الضغط وأدى هذا إلى انفجار فردة الكاوتش والتى أطاحت به عدة أمتار أدت الى إصطدم رأسه بحائط الورشة وحدث له نزيف نقل على أثره إلى العيادة الموجودة حيث حاولت د. سيدة الحنونى إنقاذه ولكنه لفظ أنفاسه بعد نقله بدقائق وتوفى تاركاً زوجة وأربعة أطفال صغار وحزناً شديداً في العزبة .. فلم يحدث من قبل أن لقى أحداً حتفه بسبب العمل .

قرر سعيد الحنونى مدير عام العزبة معاشاً لتلك السيدة وأن تبقى في منزلها وأمر بإعداد منزل آخر للعامل الجديد وخاصة بعد تدخل المقدس شوقى لدى صديقه الحنونى الكبير والذى كان من رأيه أن من يدخل العزبة لا يفارقها إلا برغبته أو لمخالفة تعليمات العمل بها ولذا فلتبقى السيدة بأطفالها طالما كانت راغبة في ذلك حيث رغبت فى البقاء .

بعد مرور شهر على هذا الحادث طلبت الأم السيدة " لبنى " من سعيد وصباح مرافقتها لزيارة تلك الأسرة فقد كانت تتابعهم بنفسها مذللة أى شىء يقابلهم أو يسيىء إليهم .. جلسوا مع بشرى بعض الوقت للإطمئنان عليها وعلى أبنائها ولاحظوا أن حالة الأطفال مهملة لأن أمهم لا تستطيع رعايتهم لصغر أعمارهم وتقاربهم ولحالتها الصحية المتوعكة وكان أكبرهم الطفل عزيز والبالغ من العمر ثمانى سنوات وأصغرهم شهرين .

بعد مغادرة أسرة الحنونى لمنزل بشرى رافقت الأم سعيدا وزوجته إلى منزلهما لتناول مشروب عصير الليمون المفضل لديها وبعد تحدثهم عما شاهدوه ولاحظوه قالت لهما إننى أرغب في أن أعرض عليكما رأياً وليس قراراً وبعد سماعكما لهذا الرأى فكروا وإخبرونى بقراركما .. أجابها

الزوجان نحن في إنتظار رأيك .. قالت : إذا شاءت إرادة الله أن لا ترزقوا بأطفال لحكمة هو يعلمها وإذا إختار الله ميشيل لحكمة هو يعلمها أيضاً وحرم أطفاله من حب ورعاية الأب كما حرمكم من الأبناء ألا تلاحظون أن القدر يوضح لكما أشياء لا تظهر في كل الأوقات ولكل الناس .

نظر سعيد إلى أمه وقال لقد فهمنا الجزء الأول ولكن الجزء الأخير من حكاية القدر لم نستوضحها بعد ثم نظر إلى زوجته متسائلاً هل تفهمينها؟ وأجابت إنها مثل سعيد في عدم فهمها وأرجو من مام أن توضحها لنا .. إبتسمت لهما وقالت اعتذر لضعفي في اللغة العربية وقد لا أكون مقنعة .. ثم تحدثت بالإيطالية وسعيد يحرك رأسه من حين لآخر حتى انتهت من كلامها فقال لها لقد فهمت كلامك مام .. نظر سعيد إلى زوجته يوضح فكرة أمه وقال :

أن والدتى تقول أن أمامكما أربعة أطفال حرموا من حنان الأب كما أن أمهم لا تستطيع أن تقوم بواجبها نحوهم لكثرة عددهم أو لسوء حالتها الصحية .. إذن لماذا لا تفكرا أنتما الاثنان أن تصبحا الأب والأم البديلين أو المعاونين مثل ما يحدث في أوربا وبدون تبنى .

قالت صباح لقد فهمت .. تريدين منا أن نحضر الأطفال هنا ونربيهم ونطعمهم ونشرف عليهم .. أجابت " لبنى " لا .. الأطفال في حضن أمهم وفى منزلهم وتحت إشرافها المباشر لكن عليكما مساعدتها والإشراف .. لو حدث تقصير فنقدم يد المعاونة لهم جميع بعد فترة صمت تحدث ..

سعيد : مام .. هذه الأسرة مسيحية ونحن مسلمون .. كيف نشرف على عائلة تختلف معنا في الدين ؟

أجابت : سعيد إننى لم أتحدث عن الدين ولكننى أتحدث عن مخلوقات بريئة وعن رحمة إنسانية .. وإذا كان الله قد أوصى بها دون تحديد ديانة أو

لون أو جنس أو عمر نأتى نحن ونفرق .. أنتما عليكما المساعدة فقط وتحصلان على أجركما من الذى أمر بذلك .. الله .

كان سعيد يعارض فقط بغرض الاستيضاح لكنه في قراره نفسه كان ميالا إلى مساعدة هؤلاء الأيتام خاصة أن الأب ميشيل كان على صلة قربى بالمقدس شوقى وماله من منزلة عند عائلة الحنونى وسعيد لا ينسى ميشيل فقد كان كثير الضحك ويميل إلى الفكاهة وكل من عرفه حزن على مصيره .. أما الزوجة صباح فقد كانت متأثرة بكلام السيدة " لبنى " ودائما تتذكر كيف لاحظت بؤس الأطفال والأم .. وهذا نابع من قلبها الكبير الحساس والذى ينبض بمشاعر الحب .. وكلما تذكرت الطفلة الرضيعة " مادلين " تجرى الدموع في عيونها الجميلة .

ساد صمت لفترة قطعته " لبنى " قائلة :

سأقص عليكما قصة قديمة نسبيا تعرفكما وتوضح لكما أن الرحمة والإنسانية ليس لهم دين ولا عمر ولا جنس .. بل إنها وصية من الله على البشر فيدفع ببشر مصلحين لتقديم يد العون لهم بإيعاز منه .

عندما كان " على الحنونى " والدك عمره ثمانية أعوام أحضره أبوه (جدك الحنونى) إلى جدك " دوكيا " والدى لكى يعمل عنده في عصارة القصب التى كان يمتلكها وكان عمرى وقتها تسعة أعوام .. بعد عدة أيام من العمل انتقل جدك الحنونى وأعمامك إلى البر الغربى للنيل .. فى هذا المكان وكانت صحراء قاحلة موحشة خالية من السكان وكان هذا دأب حياتهم سنوياً أن ينتقلوا للغرب للزراعة على مياه الفيضان المتدفقة المندفعة وهذا قبل بناء السد العالى ولعلك تتذكر وأنت صغير هذا الفيضان .. طلب جدك الحنونى من والدى " دوكيا " أن يبيت " على " ابنه في العصارة الثلاثة أشهر فترة وجودهم في البر الغربى وكان شقيق جدك الحنونى يزوده ببعض الطعام خبز جاف وقطعة جبن كل يوم لا يتغير هذا الصنف أبدا ويشرب " على " من طلمبة المياه الموجودة بالعصارة وينام على كليم

صوف خشن من وبر الأغنام وحيداً في العصارة وكان يشاهد الثعالب والذئاب تحاول الدخول والفتك به وكان يخاف ويصعد للغلاية خوفاً منها وهو لا يستطيع مقاومتها .

عندما علمت جدتك " مارتا " بهذا صرخت في والدى " دوكيا " وطلبت منه إحضار الطفل " على " إلى المنزل للرعاية والإشراف ولم تفكر في أن هذا الطفل مسلم أو مسيحى .. إن الإنسانية في كل مكان وكل زمان وليس لها دين ولا جنس ...إنسانية فقط .

غادرت السيدة " لبنى " منزل ابنها عائدة إلى سراية الحنونى بعد هذه الزيارة لأسرة بشرى وأبنائها بعد فقدان الأب ميشيل وتركت ابنها سعيد وزوجته صباح يفكران ماذا يفعلان فيما اقترحته عليهما بخصوص رعاية هؤلاء الأطفال الأيتام ؟ .. بعد مغادرة الأم منزل ابنها إنتابت صباح حالة من البكاء وسعيد يعمل على تهدئتها دون جدوى .. جلس سعيد ناظراً إلى زوجته الباكية ..

كان من المعروف عن صباح أنها تمتلك قلباً رقيقاً لا يتحمل الظلم والأذى .. بعد دقائق دق باب المنزل فقام سعيد لفتح الباب قائلا :

أهلاً إتفضلى يا خالة تفيده فدخلت الأم ووجدت إبنتها حزينة والدموع تملأ عيونها فأسرعت واحتضنتها مستفسرة عما حدث لها وهى تنظر إلى زوج ابنتها ..

إيه إللى عملته فى بنتى ؟ ما أنتم عيله قوية ومترحموش الغلابة .. إستاء سعيد من كلام أم زوجته ..

سعيد : خالة تفيدة حافظى على كلامك .. أنتى الأيام إللى فاتت عكيتى كتير فى الكلام .. أرجوك احترمى الناس عشان الناس تحترمك !..

تفيدة : يعنى إيه يا أبن الحنونى .. ناوى تشتمنى والا ناوى تطردنى من بيت بنتى .. ؟!

صباح : خلاص يا ماما بلاش الكلام ده وملوش لازمة .. سعيد معملش حاجة غلط .. يعنى يجرى ايه لما الواحدة فينا تفك عن نفسها شوية .. أنا واخده بالى إنك لما بتشوفى سعيد والا الخالة " لوو " تعملى مشكلة معاهم .. يعنى المشاكل والزعيق بتحل المشكل .. دى بتزود العداوة .

خرج سعيد من منزله تاركاً زوجته مع حماته وهو مصمم أن يبتعد عن أم زوجته والتى بدأت تتجرأ على أسرته وتوجه مباشرة إلى منزل المهندس فهمى الذى قابله بالترحاب وكان مسروراً بقدومه وأخبره بان أم صباح ذهبت لزيارة صباح منذ قليل

سعيد : فعلاً هيه وصلت .. عمى فهمى أنا لى طلب عندك وأرجوك متزعلش منى وتنفذه لمصلحتى ولمصلحة صباح ..

قال الرجل : إطلب يا إبنى ..

سعيد : أنا مش عايز الخالة تفيدة تزور صباح فى بيتنا .. تتصل بصباح وتيجى صباح تزورها هنا فى بيتك .. كمان مش عايز الخالة تروح سراية الحنونى لأن كل العيلة زعلانة من كلامها وبجى من عوايدها المشى والمرور على البيوت والتطاول على أمى وأبوى وده مايرضيش حد وإذا كان الناس ساكتين النهاردة بكرة محدش هايسكت أو يتحمل .... أرجوك تعرفها بالكلام ده وأنت عارف أن ده نسب وأى حاجة مش كويسة فى النسب بتعكره وكمان مش معجول أم مراتى تساعد العمال عندنا على الجراه على عيلة الحنونى وتخلى كل من بالعزبة جايبين فى سيرة العيلة .. بدون زعل لو حُصل ده تانى تكون العزبة ضيجت علينا إحنا التنين وعلى طرف فينا إنه يرحل ويسيب العزبة .

كان الرجل صامتاً مستمعاً حديث زوج ابنته وهو فى منتهى الضيق والألم ..

فهمى : كلامك زين يا ابنى وإنى نبهت عليها للحكاية دية .. وعلى كل حال إللى يرحل إحنا.. دى أرضكم وده مالكم مش معجول تسيبوا أملاككم للشغيلة عندكم سابجا .. إن مكنتش حاجدر على طول لسان مرتى حاسيب العزبة وأمشى بس مش حوصيك على صباح بنتى ربنا يخليك ويطرح البركة فيك .. وبكى الرجل واحتضنه سعيد مهدئاً من ضيقه وحزنه .

******

فى بداية شهر إبريل من عام ١٩٨٣ وآلام الحمل ازدادت على "نور" .. والطفلة لمياء بحضانة البلدة أما طارق فلم يكمل عامه الرابع بعد وما زال تحت رعاية أمه .. سامى الحنونى متقدم فى عمله حيث تقلد منصب نائب مدير عمليات جنوب إيطاليا لشركة باكتل الأمريكية وزاد راتبه وازدادت مسئولياته فهو دائم المرور على مواقع الشركة فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا .

فى نهاية شهر إبريل شعرت نور بآلام المخاض وأخبرها طبيبها المعالج بأنها دخلت أسبوعها الأخير من الحمل وبعد عدة أيام سوف ترزق بطفلة جميلة وقد تمكن طبيبها بالأجهزة الحديثة من التعرف على جنس المولود .. فى اليوم السابع والعشرين شعرت نور بآلام شديدة استدعى سامى على أثرها الطبيب والذى بدوره طلب سيارة إسعاف المستشفى حيث رافقها سامى تاركين أطفالهما فى رعاية المهندس روبرت وزوجته شاريل وهما من أصدقاء سامى ونور المقربين ومن رعايا الولايات المتحدة حيث يعمل روبرت كمهندس محركات فى المشروع وزوجته شاريل مسئولة الأفراد بنفس الشركة .

فى صباح اليوم التالى أنجبت نور الطفلة التى بشرها بها طبيبها منذ عدة أسابيع وكانت سعادتها لاتوصف .. فقد جاءت توقعاتها كما أخبرت

سامى منذ عدة أعوام فى رغبتها فى إنجاب طفلة لتكون سنداً لشقيقتها لمياء ويتعاونان سوياً فى المستقبل مثل ما كان يحدث بينها وبين شقيقتها شمس .

بعد مرور ثلاثة أيام على نور فى المستشفى عادت إلى منزلها حاملة الرضيعة الصغيرة " مى " وأقبل كل من لمياء وطارق يفحصان هذا المخلوق الصغير الذى عادت به أمهما بعد غيبة عدة أيام وحزن طارق لأن أمه أحضرت عروسة لشقيقته لمياء لتلعب بها وهو يريد مسدسا يلعب به أيضاً فأخبرتهما " نور " بأنها ليست بعروسة ولكنها أختهم الصغرى واستفسرت لمياء من أمها الا يكون لكل بيبى اسم مثل ابنة الجيران الصغرى وشرحت لهم نور أن شقيقتهم الصغرى إسمها " مى " وفرحا بها كثيراً وطلبا من والدتهما أن يقبلاها ووافقت على أن يقبلاها بخفة وهدوء وقبلة خفيفة لأنها ما زالت صغيرة .. إختطف الطفلين قبلة صغيرة وتركاها مع والدتها وذهبا يلعبان مع أبناء الجيران ويخبرانهم أن والدتهم أحضرت لهم بيبى يلعبون به مثل البيبى الموجود عندهم منذ أشهر .

أدخلت الطفلة الوليدة السعادة على الجميع وأصبحت العامل المشترك الذى يشغلهم وخاصة نور التى شعرت بأن تلك الطفلة آخر العنقود ولهذا افرغت بها كل مشاعرها وحب الأمومة المتدفق عندها .. كانت تحدث سامى زوجها وهى ترضعها وهى فى منتهى السعادة .. قائلة له: سمسم حبيبى إلى الأبد .. بص شوف " مى " بنتنا حلوة وجميلة إزاى .. زى القمر شبهك خالص وسامى بدوره ينظر الى تلك المولودة الصغيرة بكل حب وحنان الاب ومن لا يستطيع إلا أن يرق قلبه وعواطفه تجاه الأطفال وخاصة الصغار منهم .

تحركت مشاعر نور جهة زوجها وتذكرت أيام حبهما وهما فى مرحلة الخطوبة بالإسكندرية ولهذا طلبت منه إحضار فيلم موعد غرام والذى شاهداه منذ عدة أعوام .. وعدها بأنه سيبحث عنه .. فقام بعدة إتصالات مع بعض المصريين والعرب فى " بالريمو " أو فى " روما أو نابولى "

ووفق أخيراً فى العثور على محل عربى فى مقاطعة " ماركو " وهى على بعد حوالى خمسين كيلو متراً من سكن سامى وعرف أن صاحب هذا المحل " لبنانى " الجنسية ويشمل محله على بعض مأكولات شامية ومصرية .. قرر سامى أن يصطحب أسرته فى صباح السبت القادم لهذا المحل للتنزه وتناول طعام مصرى وإحضار شريط الفيديو .

كان سامى دائماً ما يوضح لزوجته أن تقلع عن مناداته بكلمة سمسم وخصوصا أمام الناس وخاصة العرب .. بل أنها فى بعض الأحيان تتصل به فى العمل ويكون خارج مكتبه ويسمع زملاءه ينادون عليه " مستر سمسم زوجتك تريد محادثتك " حتى الأجانب علموا بهذا الاسم وهو أيضاً لم ينس أنه فى بعض اللقاءات العائلية كانت نور تتحدث مع السيدات عن سمسم وخلق سمسم وكانت الزوجات ينقلن هذا الحديث لازواجهن ما بين متهكم وما بين مبتسم لحظ هذا الرجل والذى تدلعه زوجته مما أدى فى أحد الأيام أن حضر صبى لم يتعد الخامسة عشر ليحدث والده وشاهد سامى وهو يعرفه بحكم العلاقة الأسرية .. مد الصبى يده مصافحاً سامى قائلا له أهلا أونكل سمسم !

شعر سامى أن إسم سمسم أقرب إلى مشاعر الناس وقد يطغى على إسمه الشخصى ولهذا طلب من نور أن تبتعد عن هذا الإسم خاصة أن طفليه " لمياء وطارق " كانا يناديانه بهذا الإسم .

صباح السبت إصطحب سامى أسرته بسيارته والتى يقودها إلى مقاطعة "ماركو" شمال جزيرة صقلية حيث محل " أضواء بيروت " والطريق بين المدينة التى يعيش بها سامى والمدينة التى بها محل أضواء بيروت يخترق الغابات ومزارع الكروم والموالح وكانت متعة للطفلين وللزوجة نور .. كما أضيف إلى جمال الطبيعة جمال سيدات تلك المنطقة حيث شهر مايو وإرتفاع درجة الحرارة فتخلص الكثيرات منهن من الملابس ولم يتبق إلا أقل القليل فاكتملت لوحة الفن والجمال اللإهى .

وصل سامى بأسرته إلى مقاطعة " ماركو " مستخدما العنوان ووصل الى المحل فشاهد يافطة مكتوبة باللغة العربية إلى جوار يافطة بالإيطالية كما لاحظ جمهورا كان متوجها أو مغادرا هذا المحل من بعض أبناء الجالية العربية بشكلهم الواضح وحديثهم المرتفع الصوت وتحريك اليدين بالهواء بكثرة خلاف الشعوب الأوربية .

دخل سامى وأسرته إلى داخل المحل وشعروا بالألفة من أحاديث زبائن المحل ورائحة الطعام وأغنية " فيروز " شط إسكندرية للشيخ سيد درويش حيث أسعدت نور كثيرا ونظرت إلى سامى وقد غلب عليها الجو الرومانسى قائلة :

إسأل صاحب المحل عن أغنية شط " دشنا " وضحك الزوجان على هذه الكلمة وعلق سامى قائلا " الولد ميعرفش لاشط دشنا ولا شط جنا " .

حضر صاحب المحل مرحبا بزبائنه عارضا تلبية طلباتهم وعرف الرجل نفسه إلى سامى قائلا :

أخوك زياد من لبنان .. جبل الشوف ورد سامى التعارف ..

قائلا : أخوك سامى ولد الحنونى من جنا ..

ضحك زياد قائلا : أنت صعيدى ؟..

فأجاب : سامى صُح يابوى .. وبعد هذا الحديث القصير طلبت الأسرة الأطعمة التى ترغبها وكانت مركزة فى سندوتشات الفول والطعمية التى أعجبت الطفلين قبل هذا أثناء زيارتهما للإسكندرية فى العام الماضى .

زياد نشيط فى محله يحضر رغبات وطلبات زبائنه بهمة ونشاط .. وهذا معروف منذ زمن عن أبناء الشام لمهارتهم فى التجارة بعكس بعض المصريين إذا ذهب لإحضار طلب يعود وينس الطلب الثانى وينام تاركا زبونه أو ينس ما طلبه هذا الزبون أو يحضر طلبا آخر غير الذى طلبه الزبون وهكذا حتى تقفز من المحل خارجا منه بلا عودة .

كانت نور توزع الطعام على أطفالها وتراقبهم وتساعدهم محاولة الحد من خسائر تلويث ملابسهم بالطعام كعادة الأطفال .. وتسأل سمسم إذا كان فى حاجة الى سندوتش جبنه رومى أو أى نوع آخر ثم تطلب النوع الذى رغب فيه سامى ..

نور : لو سمحت كمان سندوتش جبنه رومى عشان سمسم وهكذا .. أحضر عصير طازج فى زجاجة وبعض الأكواب الزجاجية وبعد أن صب الرجل العصير نظر إلى طارق قائلا:

خلى بالك يا سمسم .. أوعى تبهدل هدومك من العصير ..

وبكل براءة الأطفال قال طارق وهو يشير جهة سامى .. ده سمسم وأنا إسمى طارق وقد كسى الخجل والإحمرار وجه سامى .. وبعد نهاية الجلسة وإحضار زياد للفيلم الذى طلبته نور وبعد دفع الحساب شكرهم زياد مودعاً

زياد : مع الف سلامة يا أستاذ سمسم .. كان من المعروف عن أصدقاء سامى عندما يتضاحكون معه بأنه مدلع وواخد حقه وهم يتمنون أن تدلعهم زوجاتهم بينما آخر يقول أن هذا حلم بعيد المنال عليه لكنه يتمنى أن تتركه زوجته بعض الوقت بدلا من كبستها على نفسه طوال اليوم والليل .. فيسمع صوتها تنادى عليه .. أنت فين يا ممدوح ؟ ضحك أصدقاؤه عندما قفز متجها ناحيتها ملبيا رغبتها فى القبض عليه كما يقولون .

سامى محدثا: والله يا ولد حكاية الدلع دى مش ماشيه امعاى .. دى عايزة واد خنفس مش راجل صعيدى .. دى حاجة تضايج وتخلى النفر يطلع من خلاجاته .

أثناء العودة من مقاطعة "ماركو" كانت نور فى غاية السعادة والمرح فقد استمتعت مع أسرتها برحلة رائعة ثم إنها ستسهر الليلة لمشاهدة فيلمها المفضل كما تتمتع بأغانى عبدالحليم حافظ التى تربت عليها مع جيلها .. أما سامى فقد ملكه الضيق والخجل من نظرات زياد له وهو مغادر المحل على

هذا الاسم الذى لا ينطبق عليه وما زال سامى يسأل نفسه .. لماذا نور مصممة على هذا الاسم ؟

ضحك فى نفسه عندما تذكر أن هذا الإسم لشخصية بطل الرواية حيث كان إسمه سامى أما بطلة الرواية فإسمها " نوال " ولذا فـ سامى أصبح سمسم ونور يجب ان تصبح نوال .. فقرر انه من الآن عندما تناديه بسمسم أن يبادلها باسم نوال .. وقد أسعدته هذه الفكرة التى تأخرت أكثر من تسع سنوات .

قال سامى لزوجته : بلاش يا بنت عم وصفى تجولى سمسم بعد كده وأنتى شفتى الولد فى الدكان كان بيزغر لى كبيف .. والله كان هاين على أجوم وأجيب الباروده وأطخه عيارين كانت بصته عفشه خالص وزى جالوص الطين .. طيبت نور من خاطر سامى ..

سمسم حبيبى أنت عارف أن الاسم ده له ذكريات جميلة عندى .. ولكنه قاطعها قائلاً : ياستى ذكريات جميلة وزينه أنا عارف وفهمان الحكاية جوى .. لكن جدام الناس بلاش حكاية المخروب سمسم ده ..

سكتت قليلاً ثم قالت : إللى تشوفه .. وقد كسا وجهها الحزن .

كان واضحاً أن هذا الاسم له معنى كبير فى نفسها وعقلها وينقلها إلى عالم آخر وماضى سعيد لا تتذكره إلا بمفتاح السر وهى كلمة سمسم وأن استبداله باسم آخر حتى لو كان سامى لا يعنيها فى شىء .. كان سمسم ولا يزال سمسم وإلى الأبد .

فى المساء وضعت نور شريط الفيلم فى جهاز الفيديو وجلست تشاهد الفيلم وهى فى عالم آخر حتى لم تشعر ببكاء الصغيرة " مى " حيث كانت سابحة ومحلقة فى عالم روحانى سعيد وممتع وهى تستعيد ذاكرتها عن أيام الشباب الأولى وتحتضن ذراع سامى وهما متوجهان لمشاهدة الفيلم وأثناءه ثم بعد نهاية الفيلم وأحداثه والتى خدرت نور وإعتقد سامى وقتها إنها

تناولت مشروب عصير قصب مخمر مثل أهل الصعيد الفقراء والذين يتناولونه بديلاً عن الخمر مرتفع الثمن .. تنظر نور إلى زوجها تحدثة قائلة

فاكر يا سمسم يا حبيبى من كام سنه يوم ما شفنا الفيلم ده .. آه على حلاوته وجماله وشوف الناس كانت زحمة على الفيلم إزاى .. ياه .. الله يرحمك يا عبد الحليم متعت شباب عصرنا بصوتك الجميل .. وياه على جمال فاتن حمامة ورقتها .. كانوا وقتها مثل للشباب المحب .

سامى ضاحكا .. فاكر زين .. زى ما يكون ليلة إمبارح فيلم مليح وزين والله يابوى .. وحشانى يا مصر .. وحشانى يا ميت الحنونى .. مدد .. مدد ياشيخ يا عبد الرحيم ياجناوى .

كان طفلاه سعيدين بحديث والدهما وإذا أراد أحد أن يقلد مثل لهجة سامىفإن نور كانت تعاقبه وهى تريد منهما أن يتحدثا بلهجة وجه بحرى وتضحك وهى تقول ما فيش واحد حلو فى لهجته الصعيدى غير حبيبى سمسم .

بعد عدة اشهر أقيم احتفال فى مقر الشركة فى صقلية حضره كل العاملين فى الأفرع المختلفة وأسرهم .. وزعت إدارة الحفل تذاكر بأرقام على الحاضرين لعمل سحب على الأسرة الفائزة لهذا العام كما هو متبع فى الشركة .. والأسرة الفائزة تحصل على جائزة من رئيس الشركة " مستر دوجلاس " .... وعندما تم سحب الأرقام كانت الأسرة صاحبة الحظ والنصيب هى أسرة سامى الحنونى والذى صفق لهم الجميع وقام كل فرد من الأسرة يعرف نفسه للحاضرين .

بدأ الحديث .. سامى وزوجته نور( بالإنجليزية ) .. ثم لمياء بالإيطالية حيث قالت .. أنا إسمى لمياء سامى على الحنونى ( ونظرت إلى أمها ) لكن ماما قالت بلاش تقولى الحنونى علشان اسم الحنونى مش حلو .. وعلشان

كده أنا اسمى لمياء سامى على .. ضج الحاضرون بالضحك لبراءة الطفلة فى حديثها .. أما نور فوقعت فى حرج شديد .

ظهر واضحا حب وعشق نور لشخصية سامى كما أنه من الواضح مدى الرومانسية التى تعيشها نور منذ تعارفها على سامى فى بداية علاقتهما أثناء اللقاءات مع أصدقائهما (سلوى ومدحت) تلك العلاقة الحالمة لا تريدها نور أن تخرج من ظلالها .. فهى الأمان لها لأى ظرف قد يعكر صفو علاقتها بزوجها وهى تريد استمرارية تلك الحالة التى تسعدها وتزيل أى غبار يهب على حياتهما خصوصا بعد مرور تلك السنوات .. وأصبح مرجعها هو مشاهدة أى تسجيل للحدث الذى نقلها إلى تلك الحالة وما بين تلك المشاهدات تسمع وتنبه نفسها بالكلمة الساحرة سمسم .. وسمسم إلى الأبد .. وفوق كل ذلك أغانى هذا الفيلم التى تحفظها عن ظهر قلب وتشدوبها بينها وبين نفسها وأمام أطفالها .

# (٢٧)

## مشاكل تواجه العزبة

حل عام ١٩٨٤ وعزبة الحنونى تسير بقوة وبنظام بفضل قوة الدفع التى قام بغرسها كبار رجال العزبة فى ذلك الوقت منذ أربعين عاماً ( الحنونى الكبير وزوجته " لوو " والمهندس فهمى والمقدس شوقى ) كان النظام قوياً راسخا ومستمرا لدرجة أنه ترسخ فى عقول وقلوب أهل البلدة من جودة العمل وإتقانه والأمانة وكان للشيخ عبد الله الحنونى الفضل أيضاً لأنه ربط المبادىء الحسنة والتى نزلت بالقرآن الكريم بالفعل والتنفيذ حيث يضرب الأمثال لما يفعله فلان بأنه يسير على منهج الصحابى الجليل (.....) وهكذا ولهذا تغير الحال من خوف من سيدة العزبة إلى اقتناع أن ما تفعله ليس سيطرة عليهم لأنها تملك المال وهم فقراء ولكنه من أساسيات الدين الإسلامى .. وقد أدى كل هذا فى النهاية لارتفاع مستوى الإنتاج وزيادة فى الدخل كما زاد الاهتمام بالعاملين بميت الحنونى وأصبح من الطبيعى أن تجد الكثير منهم يمتلك دفتر توفير لإدخار ما زاد عن حاجته وكل هذا بتشجيع من المقدس شوقى الذى أوضح لهم ميزة هذا الإدخار بل وتولى جمع تلك المدخرات ويرسلها مع مندوب إلى مكتب توفير بريد دشنا ويعود بالإيصال الدال على الدفع والدفتر بعد أن سجل بداخله المبلغ المدخر .. وهكذا وجد العاملون أنهم فى نهاية العام قد أصبحوا يمتلكون مبالغ مالية لم يكن فى استطاعتهم الإحتفاظ بها فى المنزل دون التصرف فيها أو تعرضها للسرقة .

ظهر واضحاً مدى أهمية الكشف الدورى والذى قامت به طبيبة العيادة سيدة الحنونى لجميع العاملين بها والتحاليل الطبية وانشاء سجل الطبى لكل شخص .. فكان له أكبر الأثر فى اكتشاف حالات مرضية فى بدايتها يسهل

علاجها قبل أن تتفاقم الحالة وتصبح خطراً على صاحبها وكان من المعروف فى أوساط الفلاحين فى تلك السنين السابقة أن الفلاح الذى يمرض لا يزور عيادة الطبيب إلا بعد أن يسقط من الإعياء ويحمله أهله وأصدقائه ( مرابعة ) إلى الحكيم حسب قولهم وتكون حالته متأخرة أو ميؤوس منها حيث تمكن منه المرض .

أما سعيد الحنونى الشاب المتفتح لما تربى عليه من أم تتعلم وتحب المعرفة على يد أستاذتها " مارتا " ثم بعد ذلك تعليمه الجامعى واشتراكه فى نادى الزمالك الرياضى وحبه وعشقة للسياحة لمشاهدة معالم القاهرة أثناء فترة دراسته وبعد حادثه المأساوى للبحث عن الإنجاب وفشله وإستسلامه لقضاء الله وقدره وإنفصاله عن زوجته صباح والآلام التى كان قد شعر بها خلال تلك الفترة ثم عودتهما لحياتهما سوياً مع تحمل مسئولية إدارة عزبة الحنونى والتى زاد عدد العاملين فيها إلى رقم كبير وأفراد أسرهم كل هذا جعل سعيد الحنونى إدارياً قوياً وله من الأراء القيمة التى ورثها عن والديه (على الحنونى ولوو دوكيا فيلى ) والمقدس شوقى الدقيق فى عمله وأستاذه الحقيقى فى المحاسبة .. كما أنه توصل إلى حقيقة هامة وهى أن الحياة ليست إنجاباً فقط وأن بالحياة الكثير من نقاط السعادة والبهجة .

كان لرأى الأم " لبنى الحنونى " فى أن تقوم صباح وبمساندة سعيد بعون لأسرة ميشيل بعد وفاته أثرا هاما وفعالا فى محيط العلاقات الإنسانية سواء بين العاملين فى العزبة أو على السيدة بشرى وأبنائها بعد ذلك مما جعل السيدة صباح تعود لمنزلها يوميا قريرة العين منشرحة الصدر والقلب لما لاحظته من تقدم حالة الأطفال الصحية والنفسية وشجع هذا صباح على زيادة نشاطها الإجتماعى لدى أبناء ميت الحنونى خاصة أن الأم " لبنى " كانت السنون والأيام قد ارهقتها مما قامت به من أعمال وإستأذنت صباح من السيدة " لبنى " عن إمكانية مساعدتها فى أعمالها الخيرية وقد أسعدها

هذا كثيرا حيث قالت لها ها أنا أجد أحد أفراد العائلة له الرغبة فى ذلك وقد حرم الله بناتى من حب العمل التطوعى ولذا فسأكون مسرورة وممتنة لك اذا قمت بهذا وخاصة إننى مقبلة على استثمار كبير أريد أن أفرغ نفسى له

كما كان من المعروف أن جميع التطعيمات التى تقرر للأطفال من قبل الحكومة ترسل السيدة لبنى فى طلبها والحصول عليها حيث يُقبل المسئولون من مكتب صحة دشنا سعداء لما توفره لهم من وسائل المواصلات والهدايا العينية بعد انتهاء مهامهم .

نشأت صباح فى تلك البيئة النظيفة المنظمة فمنذ أن وعت وهى تشاهد السيدة " لوو " وهى تطوف على منازل القرية للتأكد من حُسن إتباع تعليمات النظافة والاهتمام التى تطالب به للأحسن مثل دورات المياه ووضع أفران اعداد الخبز خارج منطقة المساكن وعمل نظام إطفاء للحرائق وعيادة طبية ومدرسة لأبناء ميت الحنونى والتهديد والوعيد من الطلاق أو الزواج الثانى كل هذه الأفكار والأعمال ترسخت فى عقل ووجدان صباح فهمى زوجة سعيد الحنونى التى تستعد لأن تحل محل السيدة الأولى وتمسك بزمام العمل الخيرى والإجتماعى خلفا للأم " لوو ".. ومن الظروف المساعدة والتى أثرت على صباح هو والدها المهندس فهمى رقيق الإحساس والشعور والذى لا تسمع صوته من حيائه ثم أمها السيدة نفيدة والتى كانت تخشى من السيدة " لوو " ومن تفتيشاتها المفاجئة للعزبة وكانت تفهم طباعها ثم أخيراً هذا الزوج الرقيق سعيد الحنونى العطوف على المحتاجين دون ذكر ما فعل ولكنها كانت تعلم من صاحب الحاجة أو أن صاحب الحاجة يخبر الآخرين مثل ما فعل المقدس شوقى وأخبر الجميع بما فعله معه سعيد الحنونى وابدال نظارته القديمة .

أصبحت صباح مُعدة لتولى منصبا اجتماعيا تطوعيا .. إنتاجه هو صحة ورقى البشر والحفاظ على تماسك وراحة الأسرة فى العزبة .

كان من المتعارف عليه عن سعيد الحنونى أنه منذ عمل فى الإدارة المالية هو عدم صرف أى أجور للصبية الذين يحاول آباؤهم أن يحضروهم للعمل معهم فى الحقل حيث أخبر الجميع أن مكان هؤلاء هو المدرسة .. والمدرسة موجودة فلتذهبوا للتعلم وخاصة أنه أخذ موافقة والده الحنونى الكبير بأن يُقدم لطلاب المدرسة كوب لبن يومى من إنتاج مزرعة العجول وغذاء بعد الساعة الثانية عشرة حتى يشجع أولياء الأمور على ذهاب أبنائهم للمدرسة .

وعندما علم أن بعض الفلاحين يراوغون بإرسال أطفالهم للعمل بالعزب المجاورة تهربا من قسوة سعيد الحنونى عليهم وضغطه لإرسال أبنائهم للتعلم كلف بعض المعاونين بعمل إحصاء داخل العزبة وحدد أسماء الأطفال فى سن التعليم ورب الأسرة التى لا يذهب أبناؤه للمدرسة يحرمهم من المساعدات العينية من إنتاج العزبة مثل اللحوم والدواجن والفواكهه والأقمشة السنوية .. هذا طوال فترة غياب الطفل عن المدرسة ولذا كان الآباء يجدون أن عمل أبنائهم أقل دخلا من تلك الهبات وبالتالى دفعوا بهم إلى المدرسة وإمتلأت الفصول وبمرور الوقت والأيام والسنين شعر الجميع أن ما فعله سعيد ولد الحنونى من أهم الأعمال التى أفادت أبناءهم خاصة بعد حصول بعضهم على الثانوية العامة وإلتحاق بعضهم بجامعة أسيوط والبعض اكتفى بالدبلوم كما لاحظ الأهالى أن أبناءهم يتحدثون الإنجليزية مثل أبناء الحنونى فكانت سعادتهم لا تعادلها سعادة لأنهم محرومون من التعليم .. فقد خلقوا ليعملوا ويتزوجوا وينجبوا ويطعموا أبناءهم ولا دخل للتعليم بأولاد الفقراء .. لذا فإن تلك الأسر لم يكن منهم متعلم واحد يتذكرون إسمه وكان أبناؤهم هم طليعة المتعلمين هذا بالإضافة إلى أن البلاد المجاورة كانت وما تزال تقع تحت هم العمل والهرب من التعليم تحت ضغط الإحتياج للقمة العيش التى وفرها الحنونى الكبير وسهل الحياة على العاملين معه .. وهم سهلوا له الرزق الوفيروأجادوا فى عملهم .

أصبح من المعروف لدى العامة فى محافظة قنا عامة ومركز دشنا خاصة أن " على الحنونى " هو المثل والقدوة لقوة الإرادة وكان كبار السن والعجائز من أهل المنطقة يقصون على أبنائهم وأقاربهم حكاية المليونير " على الحنونى " والذى كان طفلاً فقيراً يسير حافياً بدون حذاء ويعمل فى عصارة الخواجة " دوكيا " فى نظافة العصارة نظير بياته وطعامه من شدة فقر أسرته وكيف أن البر الغربى كان صحراء جرداء ولا يعيش فيه انسان وأن عائلة الحنونى هى الوحيدة التى كان يجازف كبيرها بالذهاب بأبنائه إلى تلك المنطقة لأكل العيش ويتبارى الرجال المسنون وهم جالسون تحت أشعة شمس الشتاء ساندى ظهورهم المحنية على الحائط تحت عبء السنين والأيام بأن الحظ كان معهم ويقول آخر : أن الحنونى عنده طين يامه (الأرض الزراعية) وأنه مليونير والفلوس عنده زكايب وصرر ويضيف أحد فرسان التاريخ لحديثهم بأن جوز بنت أختى مستوظف كبير فى مكتب أملاك الدولة بيجول إن إبن الحنونى كان موجود عندهم الأسبوع إللى فات واشترى خمسمائة فدان (الجميع فى صوت واحد) خمسمية فدان ويكمل .. ماهى رمل والأرض الجديدة ريحهم طوالى .

المتحدث الأول ينظر إلى أصدقائه وهو يخرج علبة نشوق من صديرى جلبابه ويضع قليلاً منه على سبابة أصبعه ويقربها من أنفه ويسحب نفساً قوياً ثم بعد ذلك (يعطس) عطسة قوية ويقول الحمد لله (خلاص إنفكت) أى أن ربطة رأسة وضيقة قد عالجهم بالنشوق الذى كان منتشراً فى ذلك الوقت وكان علاجاً فعالاً للصداع أيضاً .. يتحدث الرجل بعد أن استراح قائلاً : هيه الناس دوول مش بيشبعوا أراضى ويجيبه صديقه الذى فقد جميع أسنانة تحت ضربات الزمن قائلاً : سيبك يا حاج معوض دى كلها رمل متنفعش بحاجة ..

ويجيبه معوض : أنت نسيت يا عتمان أن عزبتهم إللى كلها خير دلوجتى كانت رمل من خمسين سنة .. فاكر والا نسيت .

يجيب : عثمان على صديقه معوض بأنه لم ينس ذلك ولكن مين يعيش خمسين سنه .. ده عمر علشان يخضر الأرض وتجيب خير .. يرد الصديق كل جيل يعمل إللى عليه .. شوف إبراهيم الحنونى عمل شوية وبعد كده على إبنه بسم الله وماشاء الله عمل إللى معملوش حد فى بر مصر ودلوجتى عيالـه بيعملوا علشان أولادهم .. جيل بيسلم جيل وفاكر حديت الأجيال الجديمة لما كانوا يجولوا للولد ( إزرع كل يوم تاكل كل يوم ) ومدام إحنا عايشين وحناكل كل يوم فلابد أن نزرع كل يوم .. مش حيعملوا زينا جاعدين للحديت الفاضى وضيعنا عمرنا شغيلة عند الناس .. ويجيبه آخر .. كلتها أرزاج .

كانت هذه أحاديث العامة فى القرى المجاورة لعزبة الحنونى والذين كانوا يتفاخرون بصداقتهم معه وهم صغار وأخر يرتب سلسلة من الأهل والنسب ليظهر فى النهاية أنهم على صلة قرابة وآخر يعرف أصدقاءه بأن أبناء الحنونى أصدقاء لأبناء أخيه المستوظف فى بندر المديرية .. وهكذا أصبح على الحنونى مفخرة ونموذجا لأهل المنطقة للتحدث عنه بكل فخر وسعادة .

كما كان شقيقه عويضه هو الآخر من الشخصيات الهامة فى المنطقة وعلى مستوى الجمهورية حيث أصبح من أكبر المقاولين والذى تسند له الحكومة إقامة الإنشاءات الضخمة ويشاهد المرء اسم شركته (الحنونى للإنشاء والتشييد والبناء) فى كل الأماكن وعلى صفحات الجرائد ومتواجدا مع شخصيات هامة أثناء افتتاح المشروعات .

بعد عودة السيدة " لوو " من رحلة إيطاليا وجلوسها مع الحنونى الكبير وابنها سعيد واقتراحها العمل فى مجال السياحة .. واعتراض إبنها على هذا المجال موضحا لها أنه مجال جديد علينا وليس لنا فيه خبرة وأنه يقترح أن نعمل فى نفس المجال الذى أصبحت لنا جميعا خبرة فيه بفضل والده

والمهندس فهمى وأخذ يوضح النقاط القوية والتى يرتكز عليها فى هذا الرأى وكانت تشمل النقاط التالية :

*مجال السياحة مجال جديد على الأسرة تماماً وبدون خبرة مسبقة .

*يعتمد نشاطه على السائح القادم من الخارج وهذا يتأثر بالظروف السياسية .

*لايوظف عدد كبير من الشباب ونحن فى أشد الإحتياج لتوفير فرص عمل لإستيعاب الأعداد المتزايدة من شباب عزبة الحنونى الذين يتسكعون فى طرقاتها .

*الزراعة ومنتجاتها نشاط حيوى هام يعتمد على المعيشة والحياة ولا غنى عنه .

*تكلفة الاستثمار السياحى كبيرة وقد يصل تكلفة إنشاء الفندق إلى ما يقارب خمسة عشر مليون جنيه .

ثم قال أما فى مجالنا فكل العيوب التى تحدثت عنها فى مجال السياحة تقابلها ميزات فى مجال عملنا .. وهذا لا يدل على أن مجال السياحة سيىء أو شىء من هذا القبيل بل أن عائد الجنيه فيه أكبر من الزراعة ولكن نقاط ضعفه خاصة بنا وليس بالنشاط نفسه .

أحضر الغفير أبو البركات الشاى الساخن للرجال وعصير الليمون للسيدة الكبيرة " لبنى " وكان سعيد ووالده حريصين فى شربهما للشاى بدون صوت حيث كان صوت الرشفه العالى يضايقها مما يجعلها تترك المكان .. نظرت إلى زوجها مستفسرة .. سنيوريه هنونى ..

قال : حديت سعيد زين وأنا موافج عليه .. نظرت لهما ..

وقالت : أنا أوافق على بدء مشروع فكر فيه ولد سعيد ابننا .. سعيد من الآن أنت عليك تجهيز قطعة أرض كويس كتير وتكون جنب أرض

سنيوريه هنونى سوا سوا .. سعيد مس تنس أن تكون كمية أرض كبير كتير علسان فلاهين كتير قربوا من عزبة هنونى عجوز .

فى صباح اليوم التالى توجه سعيد إلى مصلحة الأملاك فى محافظة قنا وكان يرافقه عضوى مجلس الشعب عن دائرة دشنا واللذين أيدا مطلبه في قطعة أرض لاستصلاحها .

صدق مدير أملاك الدولة على توفر المساحة المطلوبة لأسرة الحنونى والتى بلغت (خمسمائة) فدان مقسمة على الإخوة السبعة .. كل أخ أو أخت نصيبه (٧١،٥ فدان ) .. وكانت الخطوة التالية تصديق وزير الزراعة على هذا واستطاع العضوان أن يقنعا وزير الزراعة بإحدى جلسات مجلس الشعب بالتصديق على تلك المساحة وبعد هذا توالت الموافقات المطلوبة لإمتلاك أرض بالصحراء (وزارة الدفاع – وزارة الثقافة – وزارة البترول ) إستمر الحصول على تلك الموافقات طوال عام ١٩٨٤ .. ثم قامت مصلحة الأملاك مع مصلحة المساحة بتحديد المساحة المقررة .. وبعد ذلك حددت الثمن المطلوب لدفعة لخزينة وزارة المالية .. ودفع سعيد الحنونى كل المطلوب منه لثمن الأرض والرسوم المقررة .

أصبحت المساحة الجديدة فى حوزة عائلة الحنونى حيث انتشر بها الخفر لمنع التعدى عليها .. لكن المشكلة التى كانت تواجه سعيد هى عدم رغبته فى ضم تلك المساحة إلى عزبة الحنونى لأن هذا معناه ببساطة هى زيادة الحيازة الزراعية حيث ستبلغ الإدارة الزراعية الحكم المحلى وبالتالى يصدر قرار بتعيين مسئول محلى ويدخل الفساد الإدارى بالدولة الى تلك المنطقة وينقلب حال العزبة تحت سطوة أهل السلطة الإدارية وجهلهم وجشعهم إلى وضع آخر سيىء .

مساء تواجد الأصدقاء القدامى ( فهمى وشوقى ) مع " على " ألحنونى والسيدة "لبنى" وسعيد الحنونى وشرح لهم سعيد مخاوفه فاقترح المقدس شوقى طالما أن هناك عزبة باسم الحنونى فما المانع بأن تكون هناك عزبة

باسم " لوو " وقد أسعدها هذا فوافق الحنونى على ذلك مشيراً إلى احتمال قيام حرب بين العزبتين .. وأضحك هذا الأصدقاء وتقرر إطلاق اسم **(عزبة لوو دوكيا فيلى)** طغت السعادة على قلب " لوو " عندما شعرت أن اسم والدها الذى قدم إلى مصر منذ ثمانين عاماً ستكتب عزبة باسمه على ارض مصر وتعلق يافطة بهذا المعنى باللغتين العربية والإيطالية .

بدأت المشاكل بين الشباب فى عزبة الحنونى فى الظهور حيث الأولاد والبنات لا يجدون العمل المناسب لتعليمهم فى المدارس أو حتى فى مجال الزراعة .. إن جزءاً بسيطاً يعمل إما فى المدرسة أو العيادة الطبية أو مع سائقى النقل بالعزبة لنقل الخضروات والفواكه لأسواق الجملة .. أما عدا ذلك فلا مجال لعمل طويل وذى عائد أضف إلى هذا قصص الحب بين البنات والبنين .. فكل فتاة ترغب فى إجتذاب شاب لتهرب إلى عش الزوجية بتشجيع من الأم وقد أدى هذا إلى التسابق بين الأمهات كل تريد إجتذاب شاب لخطبة إبنتها مما أدى إلى ارتداء الفتيات الملابس الحديثة والتحدث بلهجة بنات القاهرة وقد ساعدهن الإرسال التلفزيونى وما به من ألوان الإبهار سواء فى الأفلام أو ألوان التليفزيون .

أما الشباب فقد كانوا فى حالة نفسية سيئة لأنهم لا يستطيعون التقدم لأى فتاة حيث لا عمل لهم ولا دخل وأمامهم فتيات جميلات جاهزات للزواج والإنجاب وتكوين أسرة وخاصة أن بعض التجارب السابقة قد فشلت لخطبة شاب وفتاة لخلافات بين الأسر فيتم التشجيع من قبل الأم للشاب للتقدم لإبنتها مقدمة كل التسهيلات وبعد الخطبة يفاجأ الشاب بأن الأم تطالبه بأشياء خارج ما إتفق عليه وهو لا يملك الإمكانيات فمن أين بشبكة كبيرة ومهر وحفلة زواج وشقة وأثاث وهو لا يملك قوت يومه معتمداً فى إعاشته على والده الذى ما زال يكافح ويعمل ثم تطالبه الفتاة بأن يبحث له عن عمل فى إحدى الدول العربية مثل فلان ابن فلان .. وهكذا ضربت المشاكل الإجتماعية قرى مصر تحت زحف زيادة عدد السكان لكثرة

المواليد وقلة فرص العمل مع قلة الدخل وزيادة الأسعار وزيادة تطلعات البنات إلى مستوى معيشى مرتفع تقليداً للحداثة ورقى المجتمع .

صباح هى المسئولة عن الإشراف على عزبة الحنونى بدلاً من الأم " لبنى " نقلت لزوجها سعيد كل تلك المشاكل التى عايشتها وتدخلت لحلها وقد أصبح الكل عاجزاً عن مواجهتها أو وضع حل جذرى لها وأين هم من الحكومة المركزية بالقاهرة التى عجزت أمام كل تلك المشاكل ولا تعالجها العلاج الجذرى .. بل تعطى المسكنات المتمثلة فى أعمال إدارية وخدمية أصابت ميزانية الدولة بالأعباء المادية وأصابت الجهاز الإدارى فى الدولة بالترهل والعجز عن القيام بأعماله بل دفعت بالبعض إلى السلوك المشين من تردى المحسوبية والرشوة وخراب الذمم مما أدى إلى انتشار الاختلاسات والمحاكمات والسجون وما زالت المشكلة موجودة مع زيادة عدد السكان وارتفاع عمر الإنسان فى مصر حتى وصل إلى ما يجاوز الخامسة والستين عاما بعد أن كان ستة وخمسين عاما .

جلس سعيد الحنونى أمام تلك المشكلة يحاول فك طلاسمها السحرية المتمثلة فى قلة المعروض من فرص العمل المنتج والعرض المتزايد من الراغبين فى العمل وكان يضع أمامه دائماً نظرية جده " دوكيا " والذى علم ودرب " على الحنونى " والده عليها .. وهو أنك قبل أن تعطى العامل قرشاً فلابد من أن تحصل منه على ثلاثة قروش (قرش للعامل وقرش للمعدات والماكينات والآلات وقرش ربح لك كصاحب المشروع حتى تستمر فى عملك ويستمر الآخرون يعملون ويعيشون) .

كانت النظرية رائعة والتى سار عليها " على الحنونى " حتى الآن ولكن المشكلة لم تكن بهذه القسوة فى أيامهم .. حيث لم يكن الطموح وصل إلى تلك الدرجة ثم يعود بذاكرته للماضى وهو طفل صغير وكيف كانت تعيش الاسرة المصرية .. ثلاثة اجيال فى بيت واحد (الجد والاب والاحفاد) طعام واحد وبقليل من الاحتياجات.

# (٢٨)
# الإيطاليون فى ميت الحنونى

بعد عودة " لوو " من رحلتها إلى وطنها إيطاليا وقضائها أسعد أوقات حياتها كما أخبرت عائلتها بذلك أرسلت بخطاب شكر وتقدير إلى كبير العائلة " سنيوريه البرتو" والسيدة زوجته على حُسن الاستقبال والرعاية التى قوبلت بها هى وابنها سامى فترة زيارتهم موطن عائلة " كاتيافيلى " فى جرزيانى جاردن منذ عدة شهور .

السيدة " لوو " فخورة بعائلتها وبوطنها وازداد هذا الشعور لديها بعد الزيارة حيث استقبلت أحسن استقبال يتمناه أى إنسان وليس هذا شعورها فقط فقد كان ذلك هو شعور وإحساس ابنها سامى أيضاً والذى كان يقارن بين ما شاهد وسمع ورأى .. ثم يتذكر القصص التى تحكى عن أى مصرى يعود بعد غياب إلى مصر وكيف يستقبله ولاة الأمر بالبحث والتدقيق بل قد يكون من حظه العاثر ان هناك تشابه فى اسمه مع اسم آخر مطلوب فى قضية أو ورد اسمه فى تحقيق سياسى من التى نسمع عنها منذ قيام الثورة حتى الآن بأن مجموعة كذا تعمل على قلب نظام الحكم وليس هذا صحيحا بل كلها افتراءات على الناس حتى تصدر القوانين المسيطرة على الشعب .. والشعب مسكين لا يعرف قلب نظام الحكم من قلب مائدة قهوة كتكوت عندما يخسر أحدهم عشرتين طاوله .. الشعب غارق فى همومه وهم الغالبية .. أما الأقلية فهى غارقة فى النعيم .. لقد عاد مجتمع النصف فى المائة الذى كان موجوداً قبل الثورة .. يحدث نفسه قائلاً: أتركوا الناس ولا هناك قلب أو عدل للنظام وارتضينا بالموجود .

ازداد شعور " لوو " بالفخار لتقدم وطنها وكانت تفتخر بأنها سليلة الرومان العظام وما سمعته من أمها وما قرأته من كتب ومجلات فى مصر عن وطنها ازداد إتساعاً وعمقاً وحقيقة لا خيالاً .

كان واضحاً أمام سامى الحنونى لماذا تتقدم كل شعوب أوربا ونحن فى العالم الثالث أقل تقدماً وليس كل الشعوب فى أوربا أصحاب حضارات مثل الرومان والإغريق ولكنهم تقدموا .. كما إنه ليس كل شعوب العالم الثالث أصحاب حضارات .... لأن أصحاب الحضارات التاريخية المؤثرة فى العالم الثالث هم ( مصر - الهند - اليمن - العراق – المكسيك ) فإذا تخلفت هذه الدول مع بلاد العالم الثالث فهذا معناه كارثه لأن العلم والتقدم والحضارة كانت موجودة ونقلها العالم عنكم فما هى حجتكم إذن .

وكان السبب كما شعر به سامى الحنونى هو المصداقية وعدم الكذب واللف والدوران الذى نعيش فيه .. فإذا افتخر أحد من المصريين أنه من أحفاد الفراعنة ينظر إليه الجهلاء وما أكثرهم بأن هذا الشخص كافر .. والسبب أنه لا يقول إنى حفيد الصحابة أو المسلمين الأوائل .. فيجب عليك أن تتنكر لجدك ( رمسيس أو خفرع أو نفرتيتى ) إذن ماهى العلاقة بين أنك مسلم أو إنك من أحفاد هؤلاء العظام .. إن الله قال فى كتابه الكريم " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " صدق الله العظيم

ان عدم احترام الوطنية أو جنسية الوطن جعلنا بلا هوية وبالتالى لم تعد عندنا نخوة المصريين القدماء فى أن نكون أقوياء عسكرياً وصناعياً وعلمياً وجعلنا نلهث خلف الآخرين نستجدى منهم العلم والتكنولوجيا مثلنا مثل الإنسان الأمى الذى يجهل القراءة والكتابة ويأخذ أى خطاب أو أى ورقة رسمية جاءت له إلى من يعرف القراءة والكتابة وعلى هذا العالم أن يفرض شروطه على المسكين الذى ينتظره أمام منزله فى حرارة الشمس حتى يحن قلبه عليه ويعطيه خدمته كما يعرف أسراره ويضغط عليه بها فهو لم يعد صاحب سر أو سريرة .

إن خطاب السيدة " لوو " إلى كبير عائلة " كاتيافيلى " بعد أن شكرته على حُسن استقبالها عرضت عليه دعوة عائلتها لزيارة مصر فى خريف

أوشتاء عامى (٨٤-٨٥) وبدون تحديد عدد محدد ولكن تقسم إلى أفواج حتى يمكن تقديم الرعاية الواجبة لهم

جاء الرد من السيد " البرتو " على رسالة السيدة " لوو " يشكرها بالإنابة عن العائلة ويخبرها أنه عندما قرأ خطابها على أعضاء الأسرة هتف الرجال وصفقت النساء لدعوة ابنة العمة " مارتا " لزيارتهم لها فى مصر التى يسمعون عنها ويقرأون عنها فى الكتب ويشاهدونها فى التليفزيون ولكنهم لم يزوروها ويشاهدوها مشاهدة العين المباشرة ثم أخبرها بأنه سوف يرسل لها بكشف عن الأفواج التى سوف ترغب فى تلبية الدعوة وتوقيتاتها بناء على ظروف أعمالهم وأجازاتهم .. وسيكون هذا فى مطلع الصيف .

سعدت " لوو " بهذا الخطاب وطلبت من ابنتها سعاد الحنونى والتى قررت أن تكون هى وسامى الساعد الأيمن لها فى مشروعها القادم " مزرعة لوو دوكيا فيلى " أن تحتفظ بتلك الخطابات وأن تفتح ملف صادر ووارد مع عائلة " كاتيافيلى " لشعورها بأن الأمور ستزداد تعاوناً بينها وبينهم من سياحة واقتصاد .

كما وصل خطاب من سنيوريه " البرتو " كبير عائلة "كاتيا فيلى" يخبرها فيه بأن عدداً كبيراً من أبناء العمات والخالات يرغبون فى زيارة مصر وزيارتك شخصياً وأنه قسم هذا العدد على عامين .. وفى كل عام عشرة أفواج .. وكل فوج يتكون من عشرون شخصا .. وكل فوج سيقضى سبعة أيام منها أربعة أيام فى محافظة قنا بين الأقصر وبين إقليمك وسوف يتحملون جميع مصاريفهم باستثناء اليومين اللذين سيقضيانهما فى ضيافتك كما سبق وأن أخبرتنا .. وحدد التوقيتات والأسماء ولم ينس صغيرة ولا كبيرة إلا وأرسلها لابنة العمة .

رتبت " لوو " مع إبنتها سعاد كل شىء وكانت سعادتها كبيرة بأنها لفترة سبعين يوماً ستشاهد أقاربها وتسمع لغتها وأسماء إيطالية وقررت أن

تسعد هؤلاء الأقارب وتعرفهم أصل مصر ونهضتها والذين وراء تلك النهضة والسبب الرئيسى لها .. إنه الفلاح الذى يعمل فى الريف والعامل البسيط الذى يقوم بالإنتاج ويساعد على نهضة وطنه مصر .

رتبت سعاد كل شىء لاستقبال الأخوال والخالات كما كان أبناء " لوو " يطلقون عليهم لدرجة القرابة ومن أهم ما قررته سعاد هو تدريب أكبر عدد من فتيان وفتيات القرية والذين انهوا تعليمهم على اللغة الإيطالية ومفرداتها الأولية لمساعدة القادمين فى تقديم الخدمات لهم وحُسن استقبالهم بلغتهم والترحيب بهم وتبادلت هى وشقيقيها سعد وسلامة تعليم الأولاد والبنات اللغة الإيطالية فى مسجد العزبة بعد صلاة العصر بالتناوب بين الفتيات فى يوم والذكور فى يوم آخر وهكذا لمدة شهرين سعد فيه الشباب من الجنسين بهذه اللغة الجديدة وكانت سعادتهم أنهم اصبحوا يتحدثون بها أمام الآخرين .. ثم بعد ذلك قسم هذا العدد إلى مجموعات سواء لتقديم الخدمات للضيوف أو لمرافقتهم فى الزيارات مجموعة الشباب تعمل مع الرجال والفتيات لمرافقة النساء لأمورهن كما كونت فرقة مبسطة للفنون الشعبية وأغانى المنطقة .

قام أبناء الحنونى بمساعدة الشباب المختار لتلك المهمة بإعداد معسكراً شتوياً مزوداً بخيام ومراتب وأغطية ودورات مياه ( بارد وساخن ) ومنطقة طعام وكل هذا أعُد على الطراز الصعيدى والذى هو مخالف لما إعتاد عليه الضيوف القادمون لأنهم يريدون المعرفة والاستمتاع .

أعد سعيد الحنونى ميزانية لهذ المشروع السياحى العائلى لعائلة والدته فهم أهل الصعيد ذو كرم وجود كما أنهم يرغبون فى رد حُسن الاستقبال والمودة التى قوبلت بها الأم وسامى الحنونى بالإضافة إلى النفحة النقدية من ميراث لم يكن احد يعرف عنه شيئاً وكان من الممكن ضياعه أو عدم الاهتمام بأن يعود لأصحابه .. كانت " لوو " ذات نظرة مستقبلية هامة مع أبناء الخالات والعمات حيث رأت نظرة إلى المستقبل بأن تمد جسور

التعاون الفنى والاقتصادى معهم .. كما أنهم مدخلها إلى السوق الاوربية المشتركة إذا حدث تعاون اقتصادى مع أقاربها .

أرسل " على الحنونى " خفيره ليخبر السيدة " لوو " بأنه سيساهم مع أبنائه فى إستقبال أقارب زوجته وما عليها إلا أن تخرج إلى الفرائدة لمشاهدة ما أعده الحنونى الكبير .. سعدت " لوو " بذلك حيث كانت تشعر بأن زوجها مهمل كل الإستعدادت لاستقبال أقاربها .. خرجت إلى الفرائدة ومعها أبناؤها الذين كانوا فى اجتماع لاستكمال إجراءات الاحتفال .. وإندهشت هى وأبناؤها مما شاهدوه .. حيث شاهدت أكثر من خمسين رجلاً من فلاحى ميت الحنونى ممسكين بالنبابيت .. وسألت زوجها قائلة سنيوريه هنونى كبير جايب سوية فلاهين معاك .. أنت رايه "رايح" تعمل واهد مظاهرة ؟

أجابها الحنونى الكبير بكل جدية .. حنجوم بحرب مع جرايبك الإيضاليين .

نظرت " لوو " لأبنائها مندهشة بينما كان الأبناء غارقين فى الضحك مما فعله أبوهم مع أمهم كمزحة حتى تنبهت إلى ذلك وضحكت لهذا الملعوب الذى قام به الحنونى الكبير والذى وعدها أن يختار من بين هؤلاء مجموعة للقيام بعرض ( التحطيب ) أمام الضيوف وسعدت بهذا كثيراً .

كان بادياً فى الأفق أن " لوو " لن تضيع وقتها وأنها تريد أن تدخل عالم العمل والإنتاج مستفيدة من خبرتها مع أبيها " دوكيا " ثم بعد ذلك من خبرتها مع زوجها وكيف أنها وأمها مارتا نصحتا الحنونى بالاستعانة بالمتخصصين أى أهل العلم والخبرة وقد دفع هذا بمشروع عزبتهم إلى التطور والتحديث .. وكانت مصممة على السير فى هذا الإتجاه مستفيدة بالخبرات والعلماء والميكنة والمعدات الحديثة .

سامى الحنونى هو الأخر فى شمال إيطاليا قريباً من الحدود مع المانيا وقريباً من جبال الألب حيث الشتاء القارس فلاحظ إرتفاع أسعار الخضروات والفاكهة بما يساوى ٥٠٠ % وقام بحسبة بسيطة وهى أنه لو أمكن إستيراد تلك الخضروات والفواكه والزهور من مصر وبعد تكلفة الشحن والنقل والضرائب والرسوم وجد أنه يستطيع تحقيق مكسب يزيد على ٢٢٠ % من ثمن الشىء المباع مع إدخال عملة صعبة إلى البلاد وأوضح هذا لشقيقته سعاد والتى طلبت منه تزويدها بدراسة للسوق الإيطالى وهى الخبيرة الاقتصادية والتى تستطيع أن تقرر مدى إقتصادية أى مشروع بناء على الدراسات التى تقوم بها وكانت تشعر أن السوق الإيطالية سوق واعدة مستهلكة وممر ومنفذ هام لدول الإتحاد الأوربى .

حضر الفوج الأول من السياح الإيطاليين أبناء عائلة " كاتيافيلى " فى بداية شهر نوفمبر وقد رتبت مرافقة الوفود بين الأخوين سعد وسلامة الحنونى .. كما سارت خطة الترفيه والترويح عنهم أحسن ما يكون وكان الزائرون فى منتهى السعادة بهذا الجو الجديد عليهم سواء من جلوسهم ليلاً أمام المشاعل أو طريقة طهى الخراف فوق النار أمامهم وشرب الشاى ومشاهدة ألعاب السمر والتحطيب وتناول فاكهة البلح الجديدة عليهم .

تجول الضيوف فى عزبة الحنونى وشاهدوا جودة الأرض والمزروعات كما لاحظوا دفء الطقس الذى يساعد النباتات على النمو ونوعية تلك النباتات وتربية الحيوانات من أبقار وجاموس وماعز ودواجن وأرانب .. كانت العزبة متميزة وكان واضحاً سعادتهم بما يشاهدونه ويلمسونه وقد تذوقوا الأطعمة الفلاحى من فطير مشلتت وعسل نحل وقشدة وجبن .. وكان بادياً عليهم النشاط والحيوية لما شعروا به من دفء الطقس مقارنة ببلادهم شديدة البرودة فى تلك الأوقات من السنة حيث يعم البرد القارس والجليد أماكن شتى من أوربا .. كان واضحاً أن السيدة " لوو "

تريد إخبارهم عملياً بما تنتوى عليه ومن إعلامهم به خلال تلك الزيارة حتى تُعطى العين القرار قبل العقل .

فى اليوم الأخير من الزيارة عُقد إجتماع وحضرته " لوو " مع إبنيها سعيد وسعاد الحنونى لكيفية عمل مشروعات مشتركة لعائلة " كاتيافيلى " فى مصر وتبارى كل فى تخصصة فى عرض فكرته المبدئية .. شرحت سعاد الحنونى فكرة عائلتها الخاصة بالإنتاج الزراعى والذى يُحفظ ويصدر لأوروبا عن طريق العائلة .. أى إنه مشروع مشترك بين لوو وابناء العمات والخالات .. ثم زودتهم بدراسة مبدئية قامت بها لهذا الغرض .. وقد شكرهم الزوار كثيرا بأن أمتعتهم مصر سواء فى القاهرة ومشاهدة الأهرامات أو فى الأقصر ومشاهدة الآثار العظيمة أو فى منطقة ميت الحنونى وما شاهدوه من متعة سواء فى الطعام أو الاستقبال أو العروض الفنية التى قدمت لهم .. واختتمت بفائدة كبيرة وهى كيفية مد جسور الاستثمار مع إبنة العمة والخالة " لوو " .

وصرح أحدهم بأنه من الواجب عليهم إخبار الوفود القادمة بتلك المعلومات مع وعد بوضع هذا المشروع أمام مجلس العائلة فى أول إجتماع لهم فى العام الجديد حتى يؤخذ التصويت عليه لتتبناه ويصبح مشروعا ضخما يتناسب وحجم العائلة الكبيرة .. وانه كرجل إقتصاد يعتقد بأنه مشروع يستحق الدراسة والبحث لأن إمداد شمال أوربا بالخضروات الطازجة طوال العام وخاصة فترة الشتاء لهو عمل مربح ومطلوب التركيز عليه وليس هناك منافسون لهم فى هذا المشروع .

استمرت الوفود الإيطالية فى التوافد على مصر وخاصة منطقة ميت الحنونى تلبية لدعوة ابنة العمة " لوو " وفى نهاية زيارة كل وفد كانت تزودهم " لوو " ببعض الهدايا من البيئة المصرية متمثلة فى الجلباب المطرز للسيدات والعقود والأساور الفرعونية وبعض التماثيل المقلدة

للآثار الفرعونية وأكلمة صوف ملونة ومرسوم عليها آثار مصر والتى كانت تحوز إعجابهم وهم يغادرون أرض مصر مهد الحضارة الإنسانية العظيمة ومن على ضفاف نهر النيل الخالد الشامخ والذى كانوا يقفون أمامه مبهورين من عظمته وحجمه بالنسبة لأنهار أوربا المتواضعة أمامه .

البرقيات تنهال على ميت الحنونى عرفاناً وشكراً وتقديراً لما لاقاه الضيوف أثناء تواجدهم مع الوعد بعمل مشروع إستثمارى مع إبنة العمة وأن الدراسات قد قاربت على الإنتهاء وبمشاركة سامى الحنونى الذى كان يحضر الإجتماعات كفرد من عائلتهم أولاً ثم هو ممثل لوالدته السيدة "لوو"

أرسل سامى ببرقية إلى والدته يخبرها فيها بأن العائلة فى إيطاليا قررت القيام بالمشروع والذى تقدمت به إليهم سعاد الحنونى المتمثل فى تخصيص المساحة الجديدة من الأرض والتى تبلغ ( خمسمائة فدان ) لزراعة الخضروات والزهور معتمدة على الزراعة العضوية بدون تدخل أسمدة كيماوية وقد بلغ حجم المشروع من ناحية التكلفة ( خمسة عشر مليون دولار ) يتحمل الجانب الإيطالى ٦٦ % وإبنة العمة ٣٤ % على أن يقوم الجانب الإيطالى بعملية التسويق فى الإتحاد الأوربى لأن إيطاليا إحدى دول السوق الأوربية المشتركة .

أرسل " البرتو " بخطاب رسمى إلى السيدة " لوو " موضحاً فيه كل بنود المشروع طالباً منها الموافقة أو التعديل على أى بند تشعر من خلاله بعدم تجاوبها معه كما أوضح أن الشريك الإيطالى سيقدم المعونة الفنية للمشروع هدية لإبنة العمة دون حسابها فى التكلفة كما أن جميع معدات المشروع والتى سيوفرها الشريك الإيطالى ستقدم بسعر مخفض سواء من إيطاليا أو من أى دولة من دول الإتحاد وبالتالى سيخفض هذا من نفقات المعدات بحوالى ٨ % .. وأن نسبة المشاركة المعمول بها بينهم ستكون هى الأساس فى إقتسام الأرباح حسب نسبة رأس المال .. وإذا أمكن لإبنة

العمة توفير الإعاشة للخبراء الذين سترسل بهم العائلة كمنحة فهذا يعتبر تكرماً وتفضلاً منها .

من ضمن بنود الإتفاق أن رأس المال المشروع سيدفع على ثلاث أقساط سنوية متساوية بين الشريكين كما أن عوائد المشروع فى نهاية السنة الأولى ستصل إلى ١٥ % ثم تزيد فى السنة الثانية إلى ٣٤ % ثم فى نهاية السنة الثالثة إلى ٦٦ % وفى نهاية السنة الرابعة بعد أن يكتمل بناء المشروع وتعمل جميع أقسام المشروع سيصل إلى ١٠٠ % .. جميع تلك النسب مقومة إلى رأس المال الأساسى وهو (خمسة عشر مليون دولار) .

كان واضحا أن عائلة "كاتيافيلى" قد درست ملف الجدوى الإقتصادية والتى تقدمت به سعاد الحنونى خبيرة الإقتصاد والتى درست الإقتصاد الأكاديمى فى جامعة القاهرة بكلية السياسة والإقتصاد (شعبة إقتصاد) على أيدى الأساتذة العظام فى هذا الصرح العلمى والذى يحوى نخبة من خيرة أساتذة العالم الذين نهلوا من العلوم الأوربية الحديثة وقننوها لتتماشى مع المجتمع المصرى وظروفه .

******

بعد وصول خطاب " السيد البرتو " والمرفق به عقد الشركة الذى قرأته لوو بوضوح ومعها إبنتها سعاد والتى كانت سعيدة بأن العقد حوى جزءاً كبيراً من دراستها للمشروع التى قدمتها للجانب الإيطالى بنفس لغتهم حتى لا يحدث لبس فى الترجمة .. نظرت الأم إلى إبنتها بسعادة بأن تحقيق حلمها قد ظهرت بوادره فى أن تتعلم بناتها حيث لم تواتها تلك الفرصة ثم قالت لها .. أشكرك كثيراً سعاد على ما قمت به من إعداد دراسة هذا المشروع ولولا تلك الدراسة ما كان أبناء العمات والخالات قد وافقوا بمثل تلك السرعة على مشروعنا أو التسهيلات المقدمة سواء من المعونة الفنية أو تخفيض أسعار المعدات بنسبة كبيرة تساعد على تقدم المشروع وتعطينا

قوة على المشاركة معهم حيث ان إمكانياتنا المادية ضئيلة بالنسبة لهم .. اكملت حديثها قائلة : إسمع بنت سعاد يوم باكر ثلاثاء .. إرسلى فى طلب إجتماع ساعة عسرة صباحاً أمام سراية هنونى ويهضر ولد سعيد والبابا هنونى كبير وسنيوريه سوقى وسنيوريه فهمى وطبعاً أنا وأنت .. فاهم .. وبعد ذلك عرفى كل إهوة بهضور يوم جمعة ناكل سوا سوا بعائلات علسان أهتاج أهذ "اخذ" موافقات على مسروع كبير وعظيم مع عائلة الماما مفهوم سعاد ؟

سعاد توافق امها الرأى والتى كانت قليلة الكلام مثل والدها قوية فى عملها وشديدة الصلابة مثل جدتها " مارتا " مفهوم مام ..

وفى اليوم التالى حضر المجتمعون حيث رحبت بهم السيدة " لوو " وطلبت من ابنتها سعاد قراءة خطاب السنيوريه " البرتو " فقرة فقرة وسعيد يقوم بالترجمة لكل فقرة .. نُفذ طلبها والجميع مهتمون بما سيسمعونه من هذا الخطاب والذى كانوا يعلمون ما تنوى عليه السيدة الكبيرة .. أما المقدس شوقى المحب للأرقام فأخرج نوته من جيبه وقلما ليسجل بها ملاحظاته

انتهت سعاد من قراءة الخطاب وسعيد يترجم للآخرين .. نظرت اليهم السيدة " لوو " .. بعد سماع واهد هطاب وواهد عقد أهب أعرف رأى كل واهد .. بدأ الحديث .. على الحنونى قائلا:آنى مش موافج على المشروع ده والخواجات جرايبك حيبلعونا ومش حنجدر نعمل حاجة معاهم ومن رأيى إننا نعمل فى عزبتك زى إللى حُصل فى عزبة الحنونى من زمان ..

المهندس فهمى أيد رأى الحنونى الكبير ..

المقدس شوقى طلب أن يعطى رأيه فى آخر الكلام ..

سعاد الحنونى أيدت المشروع وألقت بوجهة نظرها الإقتصادية ..

سعيد أيد المشروع ..

لوو أيدت المشروع .. نظر الجميع إلى المقدس شوقى منتظرين رأيه .

قال : حاتكلم وتفهموا من حديتى ايه هو الرأى الصُح ..

حيث قال نصيبك فى المشروع ( خمسة ملايين دولار ) وأنتى معاكى ( تنين وتلات إربع ) يكون ناجصك تنين وربع .. حنعوضهم كيف ؟ أجول كيف .. تمن الأرض بتاعة المشروع مليون ( " لوو " تبتسم أنه إستطاع تقليل العجز .. ) وعوايد المشروع حسب العجد فى السنتين الأولنيين حوالى ٤٠ % من رأس المال .. يعنى حيكون لك تجريبا مليون ونص فى السنتين الأولنيين .. يعنى أنتى بعد السنة التانية من الشغل حتدفعى كل المطلوب منك .. يعنى جبل ما تهل السنة التالته حتكونى دفعت كل إللى مطلوب منك ومن السنة التالته للربح تجدرى توفرى ربحك .. زين ومليح .. تجولوا إيه فى التفصيلة المليحة دية ..!

أسعد كلام المقدس شوقى المجتمعين وخاصة " لوو " وسعاد وقد دفعه الحنونى الكبير فى كتفه قائلاً أنا بجول عليك ضجرم كبير وطلعت مرتى كسبانة من جرايبها .

أكمل المقدس كلامه قائلاً .. الدراسة بتجول المشروع حيحتاج حوالى متين نفر لغرض الزراعة والمصنع بعد ما يكمل حيحتاج سبعين نفر واللوارى محتاجة تلاتين نفر .. يعنى إحنا داخلين على زنجة شغل علشان الغلابا إللى فى العزبة يشتغلوا وياكلوا عيش .. ثم نظر إلى السيدة " لوو " قائلاً وإلا إيه رأيك يا ست هانم ؟ .. شكرته " لوو " كثيراً ..

وقالت له : لقد قرأت ما فى رأسى سيد مقدس .. وافق المجتمعون على تنفيذ المشروع .. وانتهى الاجتماع .

يوم الجمعة وبعد الإنتهاء من تناول الغداء شرحت ووضحت سعاد لإخوتها المشروع بالتفصيل وبعد ذلك طلبت " لوو " أخذ الأراء .. وقد رفض عدد من الموجودين الموافقة على المشروع وخاصة أزواج بنات "

لوو " وزوجات أبنائها .. وقالت " لوو " إننى أطلب رأى أبنائى وبناتى لأن هذا هو ميراثهم مستقبلاً .. وتضايق البعض وخاصة الدكتور عادل دعبس زوج د. سيدة الحنونى قائلاً : طالما أنه ليس لنا صوت فلماذا نحضر ؟ وأراد مغادرة المكان ولكن الأم الشجاعة " لوو " كانت أسرع منه حيث صاحت فيه ونهرته أمام الجميع قائلة له إنت زوج إبنتى وعليك إحترامى مثل ما تحترم أمك .. وإننى أطلب حضوركم لتكونوا على علم بما يجرى فى العائلة وليس لتقرروا ما يجب أن يكون وكما يقول المثل " من حكم فى ماله ما ظلم " .. ساد صمت لفترة أعقبه كلام أبنائها مؤيدين مشروعها ثم تلاهم بناتها أما الباقى فقد فهم الرسالة وهو وجودكم للعلم بالشىء وليس لتقرير ما يجب أن يكون .

خلع سلامة حذاءه وتربع وقرأ بعض ما تيسر من القرآن الكريم من سورة الإسراء :

بسم الله الرحمن الرحيم "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً " صدق الله العظيم.

أسعد ما قام به سلامة الجميع حيث طرد روح الشيطان التى أرادت أن تسيطر على الإجتماع وأن البعض يتناسون أنفسهم ويفرضون رأيهم وحكمهم على الآخرين وعلى ما يمتلكونه .. بينما هم فى الحقيقة لا يملكون شيئا لأن الميراث لم يتم بعد وأن كل شىء بميعاد وأنه لا سيطرة لزوج على مقدرات زوجته وها هو " على الحنونى " الزوج والرجل الصعيدى لم يقترب من مال زوجته ولكن أحد أزواج بنات " لوو " يريد أن يكون قيماً ويعطى من الآراء ما يجب أن يؤخذ به .

أسعدت تلاوة سلامة الجميع خاصة " على الحنونى " الذى طلب منه أن يقرأ قرآن الجمعة كل أسبوع فى مسجد الجد إبراهيم الحنونى .. اعتذر الجميع للأم " لوو " .. شاكرين فضلها عليهم وجهدها الذى ما زالت تقوم به

من أجل العائلة ومن أجل أحفادها .. غادروا سراية الحنونى وهم سعداء بأن أمهم وفى هذا العمر ما زالت قوية وتفكر فى إقامة مشاريع .. وأى مشروع هذا الذى يستثمر ملايين الدولارات .

طلبت " لوو " من ابنها سعيد إرسال المعدات التى فى حوزته إلى مزرعة " لوو " .. وقد أخبرها سعيد بأن هذا بالحساب حيث إنها شريكة الآن .. وافقت على كلام إبنها ثم سألته الرأى والنصيحة فى عودة سامى لتولى هذا المشروع وقد أقرها على ذلك حيث أن المشروع ملىء بالمعدات .. من مصنع تنظيف الخضروات وحفظها وتغليفها وجرارات استصلاح الأرض ومعدات الرى الحديث وطلمبات المياه .. كذا أسطول من لوارى النقل المزودة بثلاجات ومبردات .. كل هذا يدخل فى دائرة إختصاص سامى كمهندس محترف .

فى اليوم التالى إتصلت لوو بإبنها سامى فى صقلية طالبة منه إنهاء عمله والحضور بأسرته لبدء المشروع .. ولكن سامى إعتذر بإنه يتولى منصباً هاماً فى الشركة .. لكن " لوو " صرخت فيه قائلة مهما توليت أى منصب فإنك ما زلت تعمل عند الآخرين ويجب عليك الحضور لتساعد الاما مثل ما تفعل أختك سعاد .. طلب منها مهلة للتفكير ولكنها غضبت منه وقفلت التليفون منهية المكالمة .. جلس سامى قليلاً يتذكر ويفكر ما هو الأصوب له .. ولكنه تذكر ما حدث لشقيقه سعيد عندما أراد أن يعمل بالجامعة وقد أقنعه الجميع حتى هو بأن يعمل فى العزبة وها هو سعيد حل محل أبى المنهك .. ياه على الإنسان إنه ينس نفسه والأيام .. لقد كنت حامل لواء أن يعود المتعلمون للعمل بقراهم ورفع مستوى أهل العزب والنجوع .. كيف نسيت ذلك .. وها هى أمى تعدتِ السبعين عاماً بعامين وما زالت تعمل وتطلبنى وأتردد .. لا وقت للتردد .. لا تغضبى منى يا أمى سوف أحضر لأجلك ولأجل أمى الكبرى مصر .. سوف أفعل كل ما فى وسعى لأساعد المحتاج .. أنها مصر التى تحتاج تضافر كل الجهود بالعمل الحق

وليس بالأغانى والهتافات .. من باكر سوف أتقدم بإستقالتى لمستر دوجلاس وأنا أعلم أنه سيغضب لهذا لكنه سيجد من يحل محلى ولكن من يحل محلى فى مشروع أمى .

أخبر سامى نور بما نوى عليه من العودة لأرض الوطن ومساعدة والدته فى مشروعها الضخم والذى سيتكلف الملايين والتى أسعدها هذا الخبر وصرخت بكل حب وسعادة للعودة إلى أرض الوطن ومعها أبناؤها الثلاثة .. ولكنها سألت سامى أين سنعيش ؟ فى الإسكندرية أو فى ميت الحنونى .. فأخبرها بإنها ستعيش فى الإسكندرية لأن مدارس الأبناء وجزء من عمله فى الإسكندرية لأنها ميناء التصدير إلى نابولى .

أسعد هذا نورا كثيراً فقد كانت تواقة إلى والديها خاصة أن زوج شقيقتها شمس رجل عنيد ويمنعها من زيارة والديها حينما ترغب ويريد أن تكون تلك الزيارات فى المواسم والأعياد .

اليوم التالى لمحادثة سامى مع والدته إتصلت نور بالسيدة " لوو " تعتذر لها عما بدر من سامى فى محادثة الأمس .. ولكن الأم شديدة البأس أخبرتها أن سامى ولد مش كويس ولم يأخذ حظه من تربيتها لبعده عنها وكيف لها أى نور أن تعتذر لأم عن تصرف سىء من ابنها .. آسفه نور ليس هذا مجال حديث وأنتِ ليس لك دخل بما حدث وأنه خطأ الابن تجاه الأم .. أخبرتها نور أن سامى قرر العودة وهو لا يستطيع أن يعصى لك أمراً وأنه اليوم سيخبر رئيس الشركة برغبته فى إنهاء عقده معها وسنعود فى خلال أسبوعين إن شاء الله .. وأسعد هذا الخبر " لوو" كثيراً .

كان واضحاً عزم وقوة تصميم السيدة الكبيرة على اقتحام الصعب الذى تمرست عليه فى جنوب الصعيد على يد والديها وزوجها الحنونى الكبير وإن هذا المشروع الضخم لا يجب أن تهاب منه وأنها ستتوكل على الله ويساعدها أبناؤها وأقرباؤها .

بعد وصول فاكس من عائلة " كاتيافيلى " بموعد وصول وفد إقتصادى للقاهرة لتأسيس الشركة المقترحة وقبل الموعد المحدد من قبل الشركة توجهت " لوو " يصحبها زوجها وإبنها سعيد ومحامى الشركة الجديدة ومحاسبها إلى عمارتهم بالقاهرة واستقبلوا الوفد ووضعوا كل بنود العقد ورأس المال الإسمى ورأس المال المدفوع ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وحددوها فى العقد وأن المدير التنفيذى للشركة بالموقع هو سامى الحنونى واسم المدير المقيم بمدينة نابلى أيضاً وبعد التوقيع رفع كل هذا إلى هيئة الاستثمار بوسط القاهرة والتى وافقت على المشروع والذى يتمشى مع سياسة الدولة من حيث إقامه مشاريع إنتاجية غذائية والتصدير وتشغيل عمالة مصرية وقيامه فى الأراضى المستصلحة الجديدة والبعد عن الأماكن الزراعية الحالية .

عاد سامى إلى القاهرة بين سعادة العائلتين فى الإسكندرية وميت الحنونى وألحق أطفالة بإحدى مدارس اللغات بالإسكندرية وأقامت نور مع أبنائها بشقتهم بحى رشدى كما زودتهم " لوو " بخادمة لتسهيل عمل ومعيشة نور لغياب سامى فى جنوب البلاد حيث أرض المشروع كما ساعدهم العم عويضة فى توفير عدة شقق سكنية فى منطقة جديدة بالإسكندرية لإقامة العاملين الذين سيتواجدون قرب الميناء لتسهيل العمل عليهم .. كما أسعد عودة سامى كلاً من مدحت صديقه وزوجته سلوى لعودة أصدقاء الشباب بعد غيبة عدة سنوات .. أما الأطفال فكانت سعادتهم كبيرة لأنهم سيذهبون لزيارة الجد وصفى والجدة مديحة كما أنهم فى كل أجازة سيقضونها فى ميت الحنونى مع جدتهم " لوو " والجد الحنونى الكبير والذى كان يجلس الأطفال بجواره بداخل عبايته ويقص عليهم القصص الخيالية عن أبو رجل مسلوخة وجنية البحر والشاطر حسن وكانت تلك الحكايات تستهويهم وخاصة أن الجد كان ينام وهو يقص تلك الروايات والأطفال يحاولون إيقاظه وفتح عينيه حتى يستمعوا إلى المزيد من تلك

الحكايات المسلية لهم بالإضافة إلى الجرى واللعب بداخل العزبة مع أبناء الأعمام والعمات .

وصلت موافقة هيئة الإستثمار على تأسيس " الشركة المصرية الإيطالية لإنتاج وتسويق المنتجات الزراعية " لـوو .. ومديرها التنفيذى سامى على إبراهيم الحنونى ونائب المدير السيدة سعاد على إبراهيم الحنونى وهى خاضعة لقانون الاستثمار رقم ....

أصبحت الشركة كياناً إقتصادياً رسمياً أمام الجهات الرسمية فى الدولة ولا مجال للف والدوران مع أجهزة الدولة المعرقلة كما أن وجود شريك أجنبى يجعل الموظفين بالحكم المحلى أكثر اهتماماً حتى لا تتدخل سفارة تلك الدول شاكية المتسبب لعرقلة إستثمارات مواطنيها مثل ما يفعلون مع المصريين الذين يقاسون من بيروقراطية تلك الأجهزة .

# (٢٩)

## بداية العمل مع الايطاليين

استفاد سامى من الخبرات التى اكتسبها من العمل مع الشركات الأجنبية وكذا من نظم الإدارة الحازمة فترة وجوده بالجيش وإتباع مبدأ ( الثواب والعقاب ) الفورى ولا مجال للوساطه والمحسوبية والإبتعاد عن كلمة " معلشى " التى أفسدت نظم الإدارة المتعاقبة كما كان الفضل لنظام وإدارة " على الحنونى " فى ميت الحنونى أيضاً حيث نهل من هذا المنهل القوى والذى تشربه الحنونى الأب من الخواجة " دوكيا " والسير على منهج البحث العلمى الذى كان يسير عليه المهندس فهمى فى كل مشكلة تواجهه فى عمله مع الأخذ فى الإعتبار الأسلوب المحاسبى الشديد والذى إتبعه العم شوقى حيث لا مجال لترك قرش واحد بدون معرفة أوجه الصرف ووجود فواتير للشراء لكل صنف كل هذا مع أخذ التطور العلمى فى آلات المحاسبة والكمبيوتر والتى بدأت تغزو مجال العمل .

ولهذا قسم العمل فى المشروع إلى أقسام ووضع على كل قسم مسئول خبير فى مجاله ومتبعاً نفس منهج الإدارة بالجيش .. أى الثواب والعقاب وقد قسم المشروع إلى الإدارات :

إدارة إنتاج الحاصلات الزراعية .. مزودة بخبراء وفنيين متخصصين فى مجال الإنتاج الزراعى بطرق الرى الحديث وتسوية الأرض ومقاومة الآفات الزراعية بالطريقة اليدوية وعدم إستخدام المبيدات لأن تلك الحاصلات مصدرة لدول تمنع إستخدام تلك المبيدات كما يتم تغذية النباتات بإستخدام مخصبات الأرض الطبيعية من فضلات المواشى ولذا فقد تم اجراء تعديل فى عنابر تسمين تلك المواشى بحيث تم تغطية الارض بالبلاط الاسمنتى وعمل لها مصارف تجمع فى خزان حيث يتم سحب كل

تلك الفضلات سواء صلبة أوسائلة وتضرب برفاص حتى تصبح سائلة ليمكن دفعها فى خراطيم الرى الحديث بعد مرورها على فلاتر كى تنقى من الشوائب العالقة بها .

إدارة عصر وتجفيف وتغليف الإنتاج المصدر .. ومجال عمل تلك الإدارة هو المصنع حيث تتسلم الإنتاج الزراعى الجيد ويفرز وينتقى الصالح للتصدير ويعقم ويغلف بعد أن يوزن ويغلف فى عبوات ثم يدخل الثلاجات مع مراعاة طبع تاريخ الإنتاج وفترة الصلاحية وقد إختير لهذه الإدارة سنيوريه " دوبرنين " الإيطالى لخبرته فى هذا المجال .

إدارة نقل المحاصيل .. وهى لوارى ضخمة مزودة بمبردات حتى ميناء الإسكندرية حيث تشحن فى مراكب معدة لذلك .. وقد اختير عدد من السائقين المهرة الذين اجتازوا إختبارات تدل على عدم تناولهم المخدرات أو الكحوليات .

إدارة تسويق المنتجات الزراعية .. القسم الخارجى وهذا تتولاه عائلة " كاتيافيلى" والقسم الداخلى ويتولاه أحد الخبراء فى هذا المجال لتزويد السوق المحلى بالمنتجات المطلوبة والفائضة عن حاجة التصدير كما روعى فى هذا الشخص إجادته للغة الإيطالية حيث سيقوم بزيارة إيطاليا كل فترة لمعرفة الأنواع المطلوبة أكثر أو بعض المشكلات التسويقية هناك من حيث جودة التغليف والحفظ حتى تكون إدارة المشروع على علم مسبق بكل المشاكل حتى لو كانت خارج البلاد .

أختير مكتب إستشارات هندسية على أعلى مستوى لوضع تصميمات المشروع مع وجود فنى إيطالى ومعه تصميمات المصنع حتى يراعى كل شىء أثناء الإنشاءات وبعد هذا إتصل سامى بعمه عويضه عارضاً عليه مساهمة شركته فى الإنشاءات حيث وافق العم على القيام بكل الإنشاءات

الهندسية مع ترشيح شركة ( ..... ) حددها للقيام بإنشاءات المصنع حيث أن شركته ليس لها خبرة فى هذا المجال .. وأسعد هذا سامى كثيراً بأن العم عويضة مثل الأجانب لا يتدخل فى عمل ليس أهلاً ولا خبيراً فيه بعكس الآخرون الذين يزجون بأنفسهم فى أعمال لا يفهمون فيها وتكون النتيجة كارثة لصاحب المال .

قرر سامى الحنونى مع مدير الإدارة الزراعية الاستفادة من خبرة المهندس فهمى فى تسوية الأرض على هيئة مصاطب حتى يتم توفير المال والوقت كما أن نظام الرى الحديث لا يحتاج إلى التسوية الشاملة وخاصة أنه ظهر نظام جديد للتسوية باستخدام أشعة الليزر بدلاً من العين المجردة والتى تخطىء كثيراً .

أعد سامى منطقة المشروع حيث زودها بخيام للنوم والراحة وصالة طعام ومطبخ ودورات مياه .. كل هذه الإجراءات لخبرات سابقة استفاد منها سامى من عمله مع الشركات العالمية والتى تعد التجهيزات الإدارية للعاملين قبل بدء العمل لأن أى عامل يحتاج إلى كل تلك التجهيزات التى تساعده على الإنتاج ثم الحصول قسط من الراحة وتناول طعامه بهدوء وتوفير عمال لنظافة تلك الأماكن وعمال لنظافة ملابسهم .. لم يترك سامى الحنونى اى شىء ادارى للصدفة .. حتى المثلجات والمشروبات من شاى وقهوة لم ينسه او يغفل عنه .

مخطط المشروع هو بدء الإنتاج الأولى خلال عام .. ولهذا سارت خطوات المشروع فى نفس الوقت الذى كانت الارض تعد فيه وتسوى وتجهز كما كانت الإنشاءات تقام على قدم وساق وقد أشرك المعلم عويضه صديقه السابق المعلم حسن قروانة فى المساعدة فى إستكمال بعض الإنشاءات حتى ينتهى كل شىء فى موعده .. أما السيدة " لوو" فقد إفتتحت فصلاً دراسياً لتعليم بعض الشباب والمرشحين للعمل فى المشروع اللغة

الإيطالية حيث سيعمل هؤلاء الشباب مع الخبراء ولذا فيجب عليهم دراسة لغتهم لسهولة التعامل وتوفيراً للمال بدلاً من إحضار مترجمين فى كل تخصص .

أما ابطال الغزو السابق للصحراء ( الحنونى الكبير وفهمى وشوقى ) فقد قرروا أن يلازموا المشروع للمساعدة فى دفع همم الشباب وتقديم الخبرة والمساعدة إذا إحتاجوها وكم هى غنية تلك الخبرات التى حصلوا عليها قرابة الخمسين عاماً بإمكانيات قليلة وظروف أصعب من تلك الظروف التى تقابل شباب اليوم .. وكما قال الحنونى لولا ما قام به الأبناء والأجداد لما كان الأبناء يعملون بيسر وسهولة فى تلك الأيام .

الأمور تسير على ما يرام فجنود العم عويضة من المهندسين والعمال يقومون بعملهم خير قيام ولا دخل من جهة سامى الحنونى فى عملهم .. فلهم رئيس ويعلمون ما يفعلون وفى نفس الوقت يعلمون أن مدير المشروع مهندس ضليع وعمل مع أكبر شركات عالمية وله خبرة وكان هذا دافعاً لزيادة الجودة والإتقان .. كل اسبوعين يحصل سامى الحنونى على أجازة للتوجه إلى الإسكندرية للتمتع بأسرته خاصة أطفاله وهم فى هذا العمر الزمنى الأقل من عشرة أعوام فيكون لحديثهم الجميل واللعب معهم ممتع قبل أن تثقل عليهم الدراسة بأعبائها وظلالها وخاصة الثانوية العامة والتى أعطت كل شاب عمراً فوق عمره بعشرة أعوام .. مع التمتع بالجلوس مع صديقه العزيز مدحت واسترجاع ذكريات عشرة أعوام مضت من عمرهما

بعد مضى سبعة أشهر على العمل فى المشروع بدأت تظهر بعض البنايات كما أن إدارة الإنتاج الزراعى إنتهت من تسوية الأرض على هيئة مصاطب حسب طبيعتها وهى الآن مشغولة بنقل كميات من الطمى والذى إستطاع سعيد الحنونى توفيره واحضاره نظراً لقربه من نهر النيل ومن بعض الأماكن الأخرى من مزرعة الحنونى خاصة بركة المياه والتى كانت تحوى مئات الأطنان من الطمى المتراكم والمترسب بها لعدة عقود سابقة .

أصبح هناك عمل فنى جديد فى مجال الزراعة وهو الاعتماد على المخصبات الطبيعية وكان طمى النيل من أهمها وهو فى نفس الوقت سيحتفظ بماء الرى فترة أطول فى الرمال التى تشبه المصفى فى سرعة فقدها كما أن الطمى سيزود النباتات بجزء هام من غذائه وفى نفس الوقت يحمى البذور من ضوء الشمس والذى يقتل جنين النبات فى بداية نموه لو تعرض لأشعة الشمس المباشرة .

الحاج حسن الطنبور إنتهى فى الإسكندرية من إنشاء المخازن والمستودعات وجراج اللوارى وأماكن إستراحة العاملين ومكتب الشركة هناك كما أن خمسة عشر لورى ( مبرد ) وصل ميناء الإسكندرية وبعد ثلاثة أشهر ستصل الدفعة الثانية ليصل الإجمالى إلى ثلاثين مبرداً هى إحتياجات المشروع ويمكن الزيادة لو حدث تحسن على بعض المزارع المجاورة والتى اقترحها المقدس شوقى على " سامى " بأنه يمكن تشغيل المجاورين معه وتصدير منتجاتهم بزيادة فى السعر للضعف لو اتبعوا نفس نظام الزراعة مثلهم بل أنه أشار على سامى بأن الجانب الإيطالى يجب ان يعد فى حسابه للمعدات المرسلة للمصنع بأن تكون مجهزة لعصر وتجفيف عصير الطماطم والذى يحدث فيه زيادة فى الإنتاج خاصة فى فصل الصيف ويمكن تصديره لهم فى صورة عجائن الطماطم .. ولاقت تلك الفكرة استحساناً مما جعله يرسل بفاكس لمكتب العائلة فى نابولى والذى أسعدته تلك الفكرة وأرسلوا بالموافقة ولكن سيكون له خط إنتاج مستقل وهذا زيادة فى التكلفة مقداره ستمائة ألف دولار وسيكون نصيبهم مائتين وعشرة آلاف دولار يمكن خصمها من حصة أرباحهم لهذا الخط وأسعد هذا " لوو " كثيراً وضحك " على الحنونى " قائلاً المجدس شوجى ينفع يكون وزير اقتصاد للبلد !

بدأت التجارب الأولية لتشغيل المشروع فى شهر نوفمبر من عام ١٩٨٦ بحضور كبار القوم فى عزبة ميت الحنونى صاحبة المشروع

والذى تحمل إسمها يافطة كبيرة توضع على بوابة الشركة .. شاهدت " لوو " المساحة الضخمة من الأرض والتى تبلغ حوالى خمسمائة فدان وهى مزروعة بنبات البسلة والطماطم والفلفل والبطاطس وبعض النباتات الشتوية (كرنب - خس - قرنبيط – خيار ..... ) أدمعت عيونها ورفعت يدها للسماء شاكرة نعمة ربها عليها وهى تشاهد المئات من العاملين يعملون لديها وتقول لابنها : ولد سامى كل أولاد كتير يعملون هنا ياخد فلوس كويس علسان مستقبل يفتة بيت وجواز ويعيس سوا سوا مع واهد عروسه .. يضحك إبنها مؤكدا كلامها .. وقد دفعها هذا أكثر لشكر الله .. ويخبر سامى جميع الحاضرين بأن كل هؤلاء العاملين من عزبة الحنونى والذين تعلموا فى مدرستها باستثناء السائقون وفنيو الماكينات .. وينظر فى ورقه معه ويقول أن عدد العاملين فى المشروع ( مائتين وسبعين ) منهم مائتين واثنى عشر من ميت الحنونى .. وصفق الجميع لهذا الخبر .

ثم قال .. شركة الحنونى للمقاولات تقوم بإعداد المدينة السكنية للعاملين حيث سيتم تسكينهم خلال عام .. وقطعت " لوو " حديث إبنها ..

قائلة : العمال من عزبة ميت الهنونى ويعملون هنا لا يتسلموا سقق من مسروع إلا بعد زواج من بنت من ميت هنونى .. فاهم ولد سامى .. نظر الجميع إليها بدهشة فأكملت .. مس عاجب كلام سنيوريه سوقى؟! .. وإندفع الجميع مؤيدين فكرتها والتى لم تخطر على بالهم .

فى الجهة الأخرى نزل خبر السيدة الكبيرة بعدم استلام أى عامل من ميت الحنونى شقة إلا بعد الزواج من إحدى فتيات القرية كأسعد خبر على الفتيات والأمهات بل والآباء حيث أيقنوا أن تلك السيدة تفكر فى كل شىء ولا يفوتها أى شاردة أو واردة .

إتصلت إدارة الإستثمار بمحافظة قنا بالمهندس سامى الحنونى تخبره بتحديد الأول من شهر مارس القادم لإفتتاح السيد المحافظ لهذا المشروع

حيث سيتواجد سعادة سفير إيطاليا بالقاهرة بناء على دعوة له من عائلة " كاتيافيلى " المشاركة فى المشروع .. وبعد هذا توالت زيارات المسئولين للمشروع قبل تشريف حاكم الإقليم له .

حضر مدير الإستثمار فى المحافظة إلى موقع المشروع وتقابل مع المهندس سامى وطافا سوياً بكل أماكن المشروع .. الرجل دقيق وواضح فى حديثه حيث أخبر المهندس سامى أنه إتفق مع المحافظ على أن يصبح هذا المشروع استرشادياً لأجهزة المحافظة والتى لاهم لها سوى الجرى خلف المسئولين لتحقيق مكاسب شخصية تاركين أمور الإستثمار جانباً .. أسعد هذا سامى كثيراً أن يجد أحد المسئولين يشد من أزر تلك المشاريع وينظر إلى مصلحة الناس وأراد سامى أن يتعرف عليه أكثر حيث أنه لم يسمع به وخاصة أنه أجهد نفسه فى هذا اليوم سيراً على الأقدام ولمثل من فى عمره يعتبر جهداً كبيراً عليه حيث قارب الستين عاماً من عمره .. اضحك هذا مدير الاستثمار واسمه " مسعد " الرجل كان يعُرف نفسه بهذا الاسم بدون ألقاب قبل أو بعد إسمه .. ودع سامى قائلاً ستسمع عنى كثيراً لو بقى هذا المحافظ فى عمله حيث أنه له من الأراء الطموحة الكثير ويريد أن يفعل شيئاً لأبناء هذه المحافظة غير التودد للسيد الرئيس والهتاف له قبل وبعد كل صلاه مثل باقى المرتزقة الموجودين فى الدولة وما أكثرهم .. ضحك سامى كثيراً وقال فى نفسه ها أنا أقابل شخصية جديدة .

أرسل سامى من يستطلع له الاخبار عن مدير الإستثمار فى المحافظة ويدعى مسعد " حاف " حيث قرر أن يعطيه سامى لقباً فكل شخص فى هذه البلد له عدة ألقاب حتى المتوفين فلابد أن نقول المرحوم فلان وبجانبها الوظائف المتعددة التى تقلدها .. وطالما ان الرجل زاهداً فى الألقاب فهذا اسم على مسمى .. ذهب مندوب سامى إلى ديوان عام محافظة قنا يسأل عن السيد مسعد حاف .. وقد اضطرب الموظف من سؤال مندوب سامى قائلاً :حضرتك بتهزر .. إسكت احسن لو سمعك متعرفش حيحصلك إيه ..

ده راجل متعب وجارف الإدارة وحكمى وحتى كوباية الميه مش بيرضى يشربها .. الله يمسى أيامك يا فرج بيه .. إسمه فرج وكان فارجها علينا كلتنا وكانت الفلوس زى الرز .. وأنت جاى تجولى مسعد حاف .. ده اسمه مسعد مغمس بالأوامر والجزاءات والمحاكمات لالالا ده مليش دعوه بيه يا بوى .. أصله يا سيدى فاكرنا فى الديش وإحنا عسكر عنده .. ده كان لوا فى الديش .. يا مسهل زيح الهم من على الجلب .

عرف سامى من هو رئيس إدارة الاستثمار إنه / اللواء مسعد طه .. وهو رجل عسكرى قوى ظل فى الخدمة العسكرية حتى حصل على رتبة لواء ومعروف عنه أنه إستمر طوال خدمته والتى استمرت أكثر من ثلاثين عاما فى جبهة القتال سواء قبل حرب ١٩٧٣ أو بعدها وهو رجل نظيف اليد وجاء للإدارة منذ ثلاثة شهور بعد استلام المحافظ الجديد عمله حيث وجد الإدارة غارقة فى وحل الرشاوى والمحسوبية والفساد .. فجاء هذا الرجل مستخدما كل أسلحة الإدارة الحازمة .. ومنهم من قضى نحبه وحول على المحاكم ومنهم من ينتظر .

فى يوم الإفتتاح حضرت عائلة الحنونى مبكراً والشركاء الإيطاليين وبعض رجال الإعلام من صحافة وتلفزيون وكان سابقاً لهم مدير الإستثمار بالمحافظة حيث حياه سامى الحنونى ورحب به قائلاً : أهلا سيادة اللواء وحياه الرجل طالباً منه عدم قول ذلك ثانية قائلاً له أنا لى اسم أتشرف به ولا داعى للرتب لأنها لن تضيف لى شيئاً .. ثم تجول بصحبة سامى فى أرجاء المشروع حتى يتأكد أن جميع خطوات المشروع والتى يريد المحافظ أن تكون واضحة أمام جميع الزوار والمسئولين بالمحافظة بغرض السير على نهجها إذا كانت ذات جدوى إقتصادية .

بعد قليل حضر الشركاء الإيطاليون ثم بعض مسئولى المحافظة وفى الموعد المحدد حضر المحافظ يرافقه سفير إيطاليا بالقاهرة والملحق التجارى بالسفارة وقد أسعد حضور المحافظ فى توقيته أسرة الحنونى خوفاً

من تكرار تأخر المسئولين كما هى عادتهم حتى ينتظرهم الناس لتعطيهم مهابة وتشعرهم بأنهم من آل فرعون .. وبدأ الحفل بأن تقدم مسئول الإعلام بالمحافظة وأشاد بالدور الهام الذى يقوم به السيد الوزير الدكتور المحافظ تنفيذاً لتوجيهات السيد رئيس الجمهورية الذى يرعى مصالح الجماهير ويبث الخير فى ربوع الوطن تحت قيادته الملهمة .

ثم تلى ذلك كلمة السيد أمين الحزب بالمحافظة والذى أشاد بالتعاون البناء بين أمانة الحزب وبين السيد المحافظ حتى يخرج مثل هذا المشروع إلى النور .. كان التجهم بادياً على أسرة الحنونى وخاصة سامى وشقيقته سعاد .. وكان التالى فى إلقاء كلمته هو المحافظ شخصيا .. ولكن سامى الحنونى استأذن من المحافظ أن يوضح بعض الأمور بكلمة صغيرة قبل أن يلقى سيادته بكلمته .. وافق المحافظ رغم إمتعاض أولى الأمر بالمحافظة سواء الحزبيين أو وظائف الدرجة العليا من أن يدخل هذا المضمار هذا الشاب حتى لو كان المدير التنفيذى للمشروع .. استهل سامى الحنونى كلمته والتى كان يقوم بترجمتها شقيقه سعيد إلى الإيطالية بأن وجه الشكر إلى الله عز وجل على نعمته ومساعدته لهم لإتمام مثل هذا المشروع ثم توجه بشكره إلى والده " على الحنونى " ووالدته السيدة " لوو دوكيافيلى " والعاملين من أبناء عزبة الحنونى كما قال أوجه شكرى للشركاء الإيطاليين ورغم أنهم شركاء وضيوف إلا أنهم يجلسون فى آخر صف من صفوف المدعوين .

اعترض أمين الحزب وطلب من مدير المشروع عدم تضييع وقت الحاضرين فى شكر أسرته وإعطاء الفرصة للسيد الوزير الدكتور المحافظ حتى يلقى كلمته .. أكمل سامى الحنونى كلمته طالباً من أمين الحزب الهدوء حتى ينهى كلامه مثل ما جلس الجميع صامتين حتى انتهى من حديثه الطويل والخارج عن الواقع والحقيقة .

حدثت همهمة بين الجالسين وأسرع المحافظ بقوله يهمنى أن أسمع رأى مدير المشروع فليكمل ولا يعقب أحد .. ساد صمت قطعه حديث سامى قائلاً : هذا مشروع خاص قامت به السيدة " لوو " وباقى أسرتها فى إيطاليا ( يشير اليهم ) وهم جلوس فى الصفوف الخلفية كما سبق ونوهت بينما جلس فى الأمام أعضاء مجلس الشعب والشورى ومدير الأمن والمباحث وغيرهم من كبار رجال المحافظة .. ثم أكمل حديثه : هذا مشروع خاص ولا دخل للمحافظة أو الحزب به سوى أنه يقع فى نطاق محافظة قنا إذن فلماذا أمين الحزب ينسب إلى المحافظة أو إلى نفسه عملاً لم يقدم فيه مليماً ولم يقدم فيه نقطة عرق .. ثم وجه الشكر للسيد المحافظ على تشريف المشروع ومعه المسئولون .. صفق المحافظ لكلمة سامى وبالتالى صفق التابعون للمتبوع وقام ممسكاً بيد سامى ناظراً إلى جميع الزوار قائلاً الآن نتوجه لمشاهدة المشروع .

كانت كل خطوة فى المشروع يتولى المسئول عنها شرحها لهم حتى انتهوا من زيارة جميع أقسام المشروع ثم عاد الزوار إلى مكان الإجتماع الأول ووقف المحافظ يرتجل كلمة بعد أن رفض أن يقولها من النص المكتوب له سلفاً .

شكر جميع المشاركين فى المشروع من الجانب الإيطالى أو من أسرة الحنونى وبالأخص مدير المشروع وموجهاً حديثه إلى كبار مسئولى المحافظة بأن ينشطوا لعمل مشاريع مماثلة للتى شاهدوها اليوم .. كما وجه شكره إلى أسرة " كاتيافيلى " الشركاء فى المشروع طالبا منهم زيادة التعاون مع محافظة قنا فى مجالات الإستثمار المختلفة .. ثم أكمل كلمته قائلا أعترف لكل السادة الحاضرون أن قدرات الأجهزة الحكومية ضعيفة بالمقارنه بما شاهدناه ولمسناه هذا اليوم ( ونظر جهة سامى الحنونى ) قائلاً أرجو من مدير هذا المشروع أن يفكر فى مشروع إقليمى على مستوى المحافظة لزيادة الرقعة الزراعية وفتح مجالات عمل أمام الشباب متعهدا

امامكم بأن باب مكتبى مفتوح له ويحضر فى أى وقت يشاء (ناظرا جهة مدير مكتبه) الأستاذ جودة سامعنى (أسرع الرجل بالوقوف) حاضر سيادة المحافظ .. ثم نظر جهة سامى الحنونى ..

قائلاً : لا تنس ما طلبته منك أمام هؤلاء السادة ( التفكير فى مشروع قومي ) ثم سأل سامى كم يبلغ عدد العاملين فى هذا المشروع ؟ وفتح سامى أجندة معه قائلاً (٣٤٢) مهندس وفنى وعامل .. منهم (١٢) خبير إيطالى .. (٢٨) فنى وعامل ذو خبرة من خارج المحافظة والباقى (٣٠٢) من محافظة قنا ( من عزبة الحنونى ) وهى عزبة والدى .

استأذن أمين الحزب من السيد المحافظ بأن يوجه سؤالين لمدير المشروع .. وقد أشار له المحافظ بالموافقة فقال :

السؤال الأول : لماذا هذه التفرقة فى أن تعين هذا العدد من عزبتكم ؟ إن هذه عدم عدالة لأنكم ترغبون الدخول فى الإنتخابات القادمة لمجلسى الشعب والشورى وتريدون شراء الأصوات ؟

قال سامى : السيد أمين الحزب بفرض إنه يوجد مشروع إقتصادى فى المحافظة وتريد عاملين لتشغيله ولديك العديد من العاطلين هل ستستعين بعمال من خارج المحافظة أو من المحافظة المكدسة بالعاطلين ؟ تلعثم أمين الحزب ولم يعرف كيف يجيب فأنقذه المحافظ قائلاً :

بالتأكيد سيتم تعيين أبناء المحافظة .

أمين الحزب . السؤال الثانى : بعد الجولة التى قمنا بها فى كل أرجاء المشروع لم نلاحظ فى أى مكتب أو عنبر إنتاج صورة السيد الرئيس ؟.. نظر إليه سامى الحنونى ..

قائلاً : أى رئيس تقصد ؟

أجاب أمين الحزب : لا يوجد سوى رئيس واحد .. رئيس الجمهورية والذى نسير على نهجه ونصائحة ويغمرنا بالعز .

أجاب سامى .. هذا مكان عمل وإنتاج وليس قاعة محاضرات .. كما إننا قد علقنا ماهو أهم وأكبر من صورة الرئيس ( الجميع ينظرون للمحافظ ومدير الأمن برغبتهم بالتصرف مع هذا الملحد لرئيسه ) أكمل سامى لقد علقنا إسم الجلالة وهذا يكفى ولن نعلق صور أشخاص .

تدخل المحافظ شاكراً مدير المشروع لكل التوضيحات قائلاً :

هذه أمور شخصية وليس لها علاقة بالواقع .. لأن الواقع يطالبنا بالعمل لزيادة الدخل القومى .. ثم قام ملوحاً شاكراً للجميع مرافقاً السفير فى العودة وقد جرى خلفه كبار رجال المحافظة .

سارت خطوات المشروع حسب الخطة الإنتاجية الموضوعة له وهذه أولى شحنات التصدير محملة على أربع شاحنات تبريد ضخمة متجهة إلى ميناء الإسكندرية لتدر عائداً بالعملة الصعبة على أصحابه والعاملين والدولة وقد رافق مدير المشروع وبرفقته مدير التسويق تلك الشحنة حتى يشاهد سامى الحنونى إجراءات تصديرها ويعرف عن قرب ماهى المشاكل التى قد تواجههم ليضع الإجراءات الكفيلة بتلافى ذلك مع أن الخبراء الإيطاليين بالمشروع أكدوا له أن كل شىء يسير على ما يرام كما أن مركب الشحن ما زالت راسية فى الميناء مستعدة لنقلها إلى ميناء نابلى .. تم كل شىء كما هو مخطط له وها هى مركب الشحن قد تسلمت الشحنة من المبردات لتحفظها فى مبرداتها .. وعاد السائقون باللوارى إلى مكان الاستراحة الموجود فى أطراف المدينة للمبيت والتوجه إلى دشنا غدا .

كان مدحت صديق سامى يرافقه إلى الميناء والذى سأله هل تلك اللوارى ستعود إلى دشنا فارغة ؟ توقف سامى لحظات وهو يفكر كيف فاته التفكير فى ذلك وهذا ما يضع تكلفة زائدة على إقتصاديات المشروع وبالتالى يقلل من المكاسب المرجوة وأكد له مدحت على وجوب أن تعود تلك الشاحنات محملة .

ودع سامى صديقه متجها إلى شقته فى رشدى ليمضى عدة أيام مع أسرته بعد عناء العمل الشاق فى الفترة السابقة وبعد أن إستراح قليلاً أمسك بالتليفون طالباً عمه عويضه والذى أجابه من الناحية الأخرى مهنئا على المشروع والذى أفردت له بعض الصحف عدة صفحات وأخبره سامى بالمشكلة التى واجهته من عودة اللوارى فارغة سائلاً كيف يحل هذه المشكلة .. طالبه عمه عويضه بعدم سفر اللوارى وسيخبره باكر ماهو الحل الأمثل لعلاج هذا .. وشكره سامى كثيرا على وعد بإتصال باكر بينهما .

اليوم التالى صباحاً وسامى نائماً من مجهود الأيام السابقة أيقظته نور لتخبره أن عمه على التليفون يريد محادثته حيث إنتبه سامى وقفز من سريره لمحادثة العم آملا أن يستطيع عمه أن يوفق فى ملء نصف حمولة اللوارى وهذا العمل سيغطى جزءاً كبيراً من التكلفة ويعود عليهم بعائد .

سأل العم سامى عن حمولة كل لورى حيث أخبره أن اللورى يستطيع تحميل ثلاثين طناً وهنا هتف العم كده كويس .. قائلاً بأن يرسل سامى بثلاثة لوارى عصر اليوم إلى مصنع حديد الدخيلة لتحميل حديد تسليح إلى كوم أمبو وباكر يحمل اللورى الأخير ثلاثين طناً إلى نفس المنطقة من مصنع أسمنت الإسكندرية وطلب منه العم بعد ذلك بأن يرسل له بفاكس إلى مكتبه بمواعيد رحلات اللوارى وعددها وحمولتها حتى يستطيع إعداد الحمولات العائدة مع اللوارى بدلاً من عودتها فارغة وشكره سامى كثيراً مع توضيح من العم بأن المحاسبين فى الشركتين سيتولون مهمة الحسابات ثم سأله عن الدفعة المستحقة من الإنشاءات فى المصنع وإنها لم تصل إليه حتى الآن فاعتذر سامى لهذا التأخير مؤكداً لعمه بأنه قد وقع تلك الشيكات واحتمال أن المحاسب قد تأخر فى إرسالها إلى شركته وإنه سيتابع هذا الأمر الآن .

أسعد خبر عودة اللوارى محملة السائقين لأن هذا معناه استقرار فى قيادة اللورى على الطريق حيث المسافة طويلة كما أنه سيعود عليهم بفائدة

مادية من شركة " لوو" لأن هذا من ضمن حوافز الإنتاج والتى تتبعها الشركة .

عاد سامى إلى شركة " لوو " سعيداً بما حققه حتى الآن من تصدير أولى شحنات إنتاجهم كما وفقه الله بمساعدة العم عويضة فى عودة اللوارى محملة إلى جنوب الصعيد كما أمضى ثلاثة أيام مع أسرته سعد فيها بزوجته وأطفاله .. وبمجرد وصوله إلى مقر الشركة أخبرته شقيقته سعاد بأن الأستاذ جودة مدير مكتب المحافظ إتصل يسأل عنه وأن المحافظ منتظر إبلاغه بما كلفه به منذ أسبوعين أثناء إحتفال المحافظة بإفتتاح مشروع " لوو " فأخبرها سامى أنه سيكرس المتبقى من هذا الأسبوع لإنهاء ما كلفه به المحافظ .

كان لقرار السيدة " لوو أو لبنى " بأن توزع المساكن والتى قاربت على الانتهاء للعاملين من عزبة الحنونى بشرط زواجهم من فتيات من العزبة له أثر كبير وفعال وشعرت الفتيات أن الخطاب يدقون على الأبواب ومن الآن فالفتيات لهن الرأى واختيار وهذا فى حد ذاته يعتبر إشباعاً لكبريائهن وغمر عزبة الحنونى مناسبات الخطبة والأفراح حيث ستسلم للعاملين الشقق المخصصة لهم من قبل إدارة المشروع وها هى " لوو " قد استطاعت القضاء على المشكلة الثانية فى العزبة وهى توقف الزواج وما يصاحبها من مشاكل إجتماعية مثل ما قضت على مشكلة البطالة بتشغيل الشباب فى المشروع .

لم يمض على إنتاج المشروع سته أشهر إلا وقد فرغت عزبة الحنونى من الشباب والذين انتقلوا بزوجاتهم إلى شركة لوو وتبقى بالعزبة كبار السن الذين كانوا يعملون منذ زمن .. لكن كبار السن هؤلاء كانوا قادرين على العطاء بعد انتشار الميكنة الزراعية فى كل شىء ولقد ودع هؤلاء المزارعون العمل الشاق .

وفى هذه الأثناء كان سامى الحنونى مشغولا بالتخطيط لمشروع إقليمى على مستوى المحافظة كما كلفه بها حاكم الإقليم الذى كان باديا عليه النشاط ويعاونه ويدفعه إلى هذا مسئول الإستثمار بالمحافظة والذى كان واضحا للعيان بأن الرجل يريد دفعة قوية فى هذا المجال خاصة بعد التجربة الناجحة والتى قرأ وسمع عنها عن الحنونى الكبير وما فعله منذ أعوام بعيدة وهاهو إبنه يشب على نفس النهج والمنوال وإفتتح مشروعا للتصدير لأوربا بعد أن قامت مزرعة الحنونى بالتصدير إلى داخل الوطن .. إذن هى قفزات ناجحة ولكن تريد التخطيط السليم والإدارة الواعية .

# (٣٠)

## محافظ قنا النشيط

بعد عودة محافظ قنا من افتتاح مشروع " الشركة المصرية الإيطالية لتصدير الحاصلات الزراعية " لوو كان يتمنى أن يقيم مشروعاً عملاقاً يفيد أهل محافظته ويصبح نموذجاً يحتذى به داخل المحافظة بل كان خياله أوسع بأن التجربة لو نجحت فيمكنه أن يزود بها زملاءه من المحافظين لنشرها كل في محافظته .. وكان المحافظ على بينة وعلم من أن البيروقراطية فى الحكومة هى سبب ما تعانيه مصر وهو الأستاذ الجامعى وأحد أهم الجراحين فى مصر وكيف كانت العمليات الجراحية التى يقوم بها مع نخبة من زملائه تفشل أو لا تنجح كما ينبغى بسبب تلك البيروقراطية المتمثلة فى الإهمال واللا مبالاة وأنه لا سبيل للتقدم إلا بالاعتماد على الإدارة القوية خارج نفوذ السيطرة الحكومية .. لأن الإدارة علم وخبرة وقرارت يتحملها المسئول دون انتظار الأوامر التى تهبط عليه من العاصمة ومن المكاتب المكيفة ومن موظفين كبار خارج التخصص والرؤية لما يصدرون من قرارات واجبة التنفيذ .. كان يوضح ذلك إلى مسئول الاستثمار فى محافظته والتى شعرسامى من خلاله بأنه قد وجد الرجل المناسب والذى يستطيع الشد من أزره ومساعدته فى هذا المجال .

جلس المحافظ يحسبها بالورقة والقلم وبناء على أسعار السوق .. كانت المشكلة واضحة أمامه وتنحصر فى عدة نقاط :

١- البطالة الواضحة فى المحافظة حتى أن آخر إحصاء أمامه يقول: إن بالمحافظة ما يقرب من ٢٢٠ ألف شاب لا يجدون عملاً منتجاً وأن عدد الفتيات فى سن العمل ولا يعملن يصل إلى ضعف عدد الشباب .

٢- عدم مقدرة الشباب على الزواج ( وقد علم كيف عالجت السيدة لوو تلك المشكلة ) وما يترتب عليها من مشاكل اجتماعية خطيرة .

٣- قذارة المدن من الازدحام فكل شيء يصب فى المركز أو عاصمة المحافظة لقلة فرص العمل ولقلة الخدمات بالقرى .

٤- التلوث البيئى من ازدحام الناس وتزاحمهم فى بقعة صغيرة وهذا يساعد على انتشار الأمراض .

٥- السفه فى استغلال المدخرات لو وجدت وأمامه كشف بأن أكثر من ٨٠٠ مواطن من أبناء قنا لهم فيلات فى الساحل الشمالى وشرم الشيخ وكل شاليه لايقل تكلفته عن مليون جنيه

٦- التزاحم على المواد التموينية وخاصة رغيف الخبز .. وكيف نكون بلدا زراعيا وليس لدينا ما نطعم به الإنسان أو الحيوان أو الطير.

٧- المشاكل الأمنية والتى يلعب عليها المفسدون والذين يستغلون احتياج الناس ووقت فراغ الشباب فيدفعون بهم الى أتون الإرهاب ومخالفة القانون وما يحمل أولى الأمر فى الدولة من أعباء بشرية ومادية .

قرر المحافظ استغلال كل ما هو متاح فى المحافظة والضرب بعرض الحائط بكل القوانين والتعليمات التى تصدر له لو كانت ستعرقل خططه للدفع باقتصاد الوطن .. ثم نظر إلى رئيس الاستثمار ..

قائلاً .. رئيس الجمهورية له الحق فى اتخاذ كل الإجراءات التى يرى إنها مناسبة لصالح الوطن .. أليس هذا صحيحاً ؟ وأيده رئيس الاستثمار على ذلك مؤيداً ومستشهداً بأن الرئيس السادات ذهب لزيارة القدس لقناعته بأن هذا فى صالح البلد مع ما ترتب على تلك الزيارة من انعكاسات سلبية له داخل وخارج مصر .

يسأله المحافظ .. لماذا لا يقوم المحافظ وكل مسئول بعمله داخل وظيفته من هذا المنطلق ولا ينتظر التوجيهات والتى أعمتنا بها وسائل الإعلام والمسئولون؟ .. هل تعتقد أن رئيس الجمهورية هو علامة فى كل الأمور ؟ ألم يقرأ المسئولون بأن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يستشير الصحابة بل ويأخذ بآراء الآخرين دون توجيهات الرسول باستمرار رغم أن الرسول لا ينطق عن الهوى إنما هو وحى يوحى علمه شديد القوى ..

صدقنى يا لواء مسعد إننى أشعر بالقرف والغثيان عندما أسمع بناء على توجيهات الرئيس وأننى مستعد لترك مكانى لو كان هذا شرطاً لبقائى بأن أصبح مثل حيوانات السيرك التى تنتظر الأمر من المدرب لتقوم بفقرتها إنى أنتظر هذا المهندس وما يحمله فى جعبته ولنفعل مثل الدول المتقدمة والتى تستفيد بالعقول بدلا من أن تستفيد بالأجساد التى تهرول خلف المسئول مقدمة الطاعة والولاء على مصلحة الشعب حتى وصلنا إلى ما نحن فيه نبحث عن لقمة الخبز ويستسهل كبار مسئولى الدولة التوجه إلى بعض الدول العربية للتسول رغم أن كل الإمكانيات موجودة لدينا لنعود أحسن مما كنا عليه وخاصة بعد توقف الحروب ليوفروا نفقات الأمن والحراسة والمظاهر الخداعة لهذا العمل القومى .

إن الإحصائيات التى أمامى والتى تقول بأن الشباب من الذكور العاطل أكثر من ٢٢٠ الف تخيل لو كل شاب ينتج فى اليوم بما يساوى عشرة جنيهات وأيام العمل السنوى ٣٠٠ يوم فهذا معناه أن الشاب ينتج بمفرده ٣٠٠٠ جنيه ولو ضربت هذا الرقم فى عدد العاطلين منهم لوصلنا إلى ما يقرب من ٦٥٠ مليون جنيه ولو أضيفت الفتيات لوصل الرقم إلى اثنين مليار جنيه سنويا .. كل هذا معطل بسبب الروتين الحكومى وفى محافظة واحدة .

ما زال المحافظ يحدث مدير الاستثمار فى المحافظة .. تقارير الرقابة الإدارية أمامى عن الخمس سنوات السابقة فى عهد زميلى السابق وهو رجل نظيف ويخاف الله تقول أن الرشاوى والمحسوبية عمت كل مكان فى المحافظة وأن كل المشاريع التى أمر بإنشائها سرقت أثناء الإعداد والبعض بعد الانتهاء اوأثناء التشغيل وكلها حققت خسائر فى ميزانية الدولة والمحافظة .

إتصل سامى الحنونى بمدير مكتب المحافظ يستأذن فى مقابلته حسب الاتفاق السابق وبعد هذا الاتصال بنصف ساعة عاود مدير مكتب المحافظ الاتصال بسامى الحنونى يخبره بأن سعادة المحافظ منتظره مساء الغد بعد صلاة المغرب بنصف ساعة .. فى الموعد كان سامى الحنونى فى مكتب مدير مكتب المحافظ وخرج الأستاذ جوده السكرتير من عنده قائلاً له سيادة المحافظ فى انتظارك .

دخل سامى الحنونى إلى مكتب المحافظ لأول مرة فى حياته حيث شاهد المحافظ واقفاً لاستقباله بوجه بشوش ومصافحاً بحرارة طالباً من مدير مكتبه عدم السماح لأحد بالدخول عليهم وأن يقطع كل الاتصالات التليفونية إلا لأمر هام وطارىء أو إتصال رئيس الوزراء .. جلسوا على مائدة الاجتماعات وكان المحافظ يجلس على يمين سامى الحنونى والذى فتح خرائط على ورق " كلك " من الذى يستخدم فى الرسومات الهندسية وخرائط الجيش وبادره .

المحافظ : إيه إللى جهزته لنا يا باشمهندس ؟

سامى : سيادة المحافظ لقد خططت هذا المشروع ليكون تجربة تقوم بها جميع عناصر الإنتاج فى المحافظة .. التخطيط يشمل إستصلاح (١١٠٠) فدان من الأراضى الصحراوية المنتشرة فى غرب وشرق المحافظة .

المحافظ : لماذا ألف فدان ومائة ؟ كان يمكنك زيادة التجربة فى مساحة أكبر .. أنا فى سباق مع الزمن ( ثم أخرج ورقة من دوسيه أمامه ) قائلاً : أمامى خطاب من مكتب العمل بالمحافظة يوضح أن عدد العاطلين فى المحافظة من الشباب سيصل نهاية العام القادم إلى ٣٠٠ الف شاب فقط بدون ذكر الفتيات .

سامى : سيادة المحافظ دائماً ما تكون التجربة فى مساحة أقل حتى يمكن السيطرة عليها ونستخلص منها النتائج وهذه المساحة هى ضعف المساحة التى استصلحتها العام الماضى فى شركة " لوو " وهى ستصبح المدرسة التجريبية لكل أجهزة المحافظة وأعضاء مجلس الشعب والشورى والأحزاب والأجهزة التنفيذية ومديرية الشباب .

المحافظ : أشكرك للتوضيح ولتكمل ولن أقاطع حديثك الشيق .

سامى : أساس التجربة على (١١٠٠) فدان من أراضى المحافظة الخالية من الموانع ( الدفاع / الثقافة / البترول ) أو أراضى ملحية أوبها ألغام .. سيتم الاستصلاح ونحدد لكل مائة فدان بئر مياه للرى .. وكل بئر يقسم إلى عشرين قطعة .. والقطعة خمسة أفدنة ستسلم خمسة أفدنة إلى الشباب ومغطاة بشبكة رى بالتنقيط وحظيرة صغيرة بها عدد من إناث الماعز والأغنام وحظيرة أخرى لتربية الدجاج وباقى الطيور المنزلية ومخزن لتخزين المنتج حتى التسويق .. ومزودة بمنزل صغير وبه كل وسائل الخدمات العصرية من مياه نظيفة وحمام حديث وحجرتين للنوم وقاعة استقبال كما تزود بالإضاءة الكهربية وثلاجة وغسالة ملابس ومطبخ وكل هذا يعمل بالطاقة الشمسية والتى سيحضره الشركاء الإيطاليون حتى يمكن تصنيعه بعد ذلك بالمحافظة .. سنكون شركة لتسويق هذا المحصول أو يمكن أن تقوم إدارة شركة لوو بالتسويق لهم حتى يقفوا على أقدامهم (المحافظ يبتسم ويدون بعض الأشياء فى الدوسيه الذى أمامه) .. سنقيم معسكراً للشباب فى منتصف المساحة المستصلحة وسيزود بأماكن للمبيت

والراحة وقاعة طعام وصالة لمشاهدة التلفزيون والإطلاع حتى لا يشعر الشباب بالضيق والضجر من العيشة فى الصحراء وفى مكتب سيادتكم وبطريقة عشوائية يتم اختيار الشباب المرشح لهذا المشروع .. سيكافأ الشاب بعشرة جنيهات يوميا من أيام العمل أما أيام التمارض والأجازات فلن يدفع له وأساس العشرة جنيهات هى الإنتاج الجاد ومن يقل انتاجه يقل عائده عن هذا المبلغ وبتكرار الخطأ يفصل من المشروع .. الإعاشة بالمجان وسنقوم نحن عائلة الحنونى على إطعامهم وتولى الشئون الإدارية لهم مجانا والمبلغ اليومى للعمل سيحفظ فى رصيد الشاب وكمثال على ذلك .. لو عمل الشاب ٣٠٠ يوم فى السنة سيتوفر له ٣٠٠٠ جنيه تكون مقدماً لتلك المزرعة والتى حُسبت تكلفتها بحوالى ٢٠,٠٠٠ جنيه يخصم ثلاثة آلاف يتبقى عليه سبعة عشر ألفاً .. بعد بداية المشروع والتصدير يخصم نصف المبلغ العائد ويعطى الباقى ليعيش هو وزوجته والتى ستتملك معه الخمسة أفدنة وكل شىء فى هذا المشروع ولقد صمم المشروع على أنه بعد إنتاجه بعام لن يحتاج الشباب شيئاً سوى الشاى والسكر والملابس لكن كل شىء سيتوفر من مأكل ومشرب ( خضروات / لحوم / فاكهة / خبز ) .. لأن المائة فدان التى لم تقسم سيزرع منها عشرون فداناً قمحاً لطعام العائلات وثمانون فدانا ذرة لطعام الطيور المنزلية والأغنام والماعز وتوزع عليهم بالتساوى بالثمن أيضاً .

المحافظ : ألاحظ إنك أقمت معسكراً للفتيان للتدريب ولم يكن هناك المقابل للفتيات لأنه بهذا الشكل يكون الشباب قد تدرب على كل شىء ومُعد ولكن الفتيات لم يتم تدريبهن مثل الشباب .. ماذا حدث هل هو نظام أهل الصعيد ؟

سامى : أبداً سيدى المحافظ الفتيات لهن نصيب الأسد فى المشروع وسيتم عمل معسكر يتم فيه تدريب الفتيات على أسلوب الزراعة الحديثة وعلى كيفية رعاية الطيور المنزلية وكيفية رعاية الأغنام والماعز

واكتشاف الأمراض ثم الرعاية الطبية ورعاية الأطفال والنظام الأمثل لنظافة منزل الأسرة .. كل هذا سيتم بأيدى متخصصين متبرعين لأنهن شقيقاتى ولهن خبرة فى تلك المجالات .. وسيقسم هذا المعسكر إلى جزءين .. الجزء الأول يتولى التدريب على تلك الأمور التى تحدثت عنها لحوالى سته أشهر والجزء الثانى يقوم ببناء المنازل وتوصيلات المياه ودهان المنازل وبناء الحظائر كل شىء سيقومون به لتخفيض النفقات ولجعلهم يشعرون بالولاء لهذا المكان لما قاموا به من مجهود ثم يتم تبديل بين القسمين كما أن هذا المعسكر ستتطوع فيه عشر أمهات لمرافقة الفتيات حتى يشعر باقى الأهالى بأن هناك توجد أمهات يشرفن على الفتيات طوال تلك الفترة وستكافأ الفتيات مثل الشباب فى المكافأة المادية ويحجز الدخل كرصيد يضاف الى ثمن المشروع .. ما زال سامى يشرح للمحافظ كل صغيرة وكبيرة وكيفية اختيار هؤلاء الشباب حتى نقضى على المحسوبية والواسطة والتى أفسدت كل شىء فى مصر وجعلت صاحب الحق لايحصل عليه بينما صاحب المحسوبية يحصل على كل شىء .

غادر سامى مكتب المحافظ بعد الثانية عشرة مساءً وقد أرهقه الحوار حيث كان الرجل دقيقا فى خطواته ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وسأل واستفسر عنها شاكراً سامى على وعد بلقاء قريب بعد أن يقوم بمراجعة كل ما قال عنه بخصوص ذلك المشروع القومى .. لقد وضع المحافظ رهاناً بينه وبين نفسه بنجاح هذا المشروع أو تقديم الاستقالة لأنه يريد أن يستأصل هذا المرض الفتاك بالمجتمع وهو الانتهازية والمحسوبية والشللية والتكاسل واستغلال النفوذ وكان يرثى لحال كبار رجال الدولة من الرئيس لرئيس وزرائه لما يواجهونه من مجهود ضخم لكبر حجم الدولة وزيادة مشاكلها ولكنه كان معتقدا أن لكل شىء حلاً وكيف لا والصين الشعبية والتى يزيد تعدادها عن المليار نسمة تقدمت وتطورت بعد أن كانت من الدول التى تحدث بها المجاعات .

أما سامى الحنونى فكان مشغول البال بما هو مقدم عليه متخوفا من الفشل والذى قد يسببه أصحاب المصالح بالمحافظة كما أن مشروع شركة "لوو" مازال يحبو ولكنه كان واثقا أن الله معه وأن الله يكافىء من أحسن عملا .. وصل سامى بعد الفجر ووجد أمه تنتظر قدومه جالسة فى الفراندة وبعد أن ألقى عليها تحيته .. نظرت إليه موبخة لأنه لم يتصل بها ليطمئنها على نفسه كما تقتضى الظروف ذلك وقدم لها اعتذاره لانشغاله .. ثم تركته يأخذ كفايته من النوم حتى يكون جاهزا بدنيا ونفسيا لإستكمال أعماله فى شركتها حيث كانت قوافل اللوارى تتجهة إلى ميناء الإسكندرية كل يومين وبدلا من أربعة لوارى فى الشحنة الأولى ها قد وصل العدد إلى سبعة لوارى أى أن الخمسة عشر لوريا تعمل بالتناوب أسبوعيا وتعود محملة باحتياجات الصعيد من المواد فى كل التخصصات وقد أقام له المعلم عويضة مكتبا للنقل يشرف عليه ليقدم الخدمة لابن أخيه وفى نفس الوقت يساعد المقاولين الذين هم يرتبطون بأعمال كبيرة فى جنوب البلاد .

فى اليوم التالى لإجتماع الحنونى مع المحافظ حضر أمين الحزب إلى مكتب الأستاذ جودة مدير مكتب المحافظ ثم أخبره بأنه مساء أمس وهو عائد إلى منزله شاهد مكتب المحافظ مضاء وسأله ما هو العمل الهام الذى جعل المحافظ يسهر لهذا الوقت المتأخر .. وقد تطوع الرجل كما هى عادتنا بأن نقول كل شىء بلا سبب وبأن المحافظ كان فى اجتماع كبير مع المهندس الحنونى مدير مشروع الشركة الإيطالية " لوو " .. وسأله الرجل وما هو الغرض فأوضح جودة بأنك تعلم بأن المحافظ طلب منه خطة للاستثمار فى المحافظة على غرار مشروعهم فى يوم الإفتتاح .. تذكر الرجل وسأله عما توصل إليه معه ولكنه أخبره بأن المحافظ سيعقد اجتماعا بعد يومين مع وكيل وزارة الزراعة لانتقاء الأراضى القابلة للإستزراع .. همهم الرجل .. ثم ترك المكتب مستأذنا وغادره إلى مكتب مدير العلاقات العامة بالمحافظة والذى رحب به الرجل .. فهو الرجل الحزبى الأول فى

المحافظة والذى يمثل الحزب الحاكم واعتذر له بأنه سيطلب مكالمة سرية للحزب فترك له الرجل المكتب حتى لا يعرف أسرار الحزب وبعد أن تأكد أنه بمفرده اتصل بوكيل وزارة الزراعة وبعد الترحيب المتبادل أخبره بأنه بعد عدة ايام سيتقابل مع وزير الزراعة فى اجتماع اللجنة البرلمانية وسيوصى له بمد خدمته عاماً آخر ومذكراً الوزير بأنه لا ينسى مجهودات وكيل الوزارة مع الحزب ثم تطرق إلى مشروع المحافظ طالباً منه غلق كل مناطق الزراعة الهامة أمام مشروع المحافظ وفتح المناطق البعيدة حتى لا يعملها المحافظ (على حد تعبيره) ويطيح فينا لأنه جاى سُخن على الجميع وأيده فى ذلك وكيل وزارة الزراعة شاكراً له أن نبهه وحذره إلى ذلك قائلاً سأعمل اللازم وإطمئن كما أرجو أن أطمئن على حالى بعد عودتك من القاهرة .

مرّ اليومان والمحافظ عاكف على دراسة ملف الحنونى ثم طلب من مدير مكتبه الاتصال بمكتب وكيل وزارة الزراعة لاجتماع عاجل مساء على أن يحضر معه خريطة الأراضى المستصلحة أو القابلة للإستزراع بالمحافظة .. مساء حضر مسئول الزراعة الأول بمحافظة قنا ومعه أوراقه وعقد اجتماعاً كبيراً مع المحافظ للاطلاع على أرض المحافظة القابلة للاستزراع .. فتح المحافظ الخريطة التى أمامه وسأله .

المحافظ : أين القطعة التى طلبت منك تحديدها لهذا المشروع ؟

وكيل الوزارة : يشير إلى الخريطة حيث دائرة حمراء قائلاً هية دى يا سيادة المحافظ .. وأخذ فى تعديد مميزاتها ومحاسنها لمثل هذا المشروع .

المحافظ : ناظراً إليه بدهشة .. هية دية أرض المشروع القومى للمحافظة والتى اخترتها ؟ .. ثم نظر الى الخريطة سائلاً وكل تلك الرسومات والألوان ماذا تعنى ؟

وكيل الوزارة : هذة القطعة لرجال المخابرات وهذه القطعة للقوات المسلحة وهذه لرجال الشرطة وتلك لرجال وأعضاء مجلسى الشعب والشورى .. وكل تلك الأماكن لها خطابات تخصيص عندى من وزارة الزراعة .

المحافظ : ناظراً إليه بتعجب قائلاً .. إمال أنا شغلتى إيه هنا لما الوزارة فى مصر بتعمل كل حاجة يعنى أنا على كده مليش شغلانه ؟! .. على كل حال بكره حنروح نشوف ما اخترته من أرض لصالح المشروع .

انتهى الاجتماع وكان مكتب المحافظ قد طلب تواجد سامى الحنوتى باكر قبل التاسعة لمرافقة المحافظ فى تحديد أرض المشروع .. صباح اليوم التالى توجه المحافظ إلى القاعدة الجوية حيث تنتظره طائرة هليكوبتر لنقله ومرافقيه إلى أرض المشروع وكان بصحبتهم مدير الإستثمار وأمين الحزب .. وصل الوفد إلى الأرض المحددة والتى إستلم قائد الطائرة الخريطة من وكيل وزارة الزراعة للتوجه إليها .. غادر الجميع الطائرة والمحافظ ينظر يميناً ويساراً ولا يشاهد أثرا لحياة قريبة وقد وجه سؤاله لقائد الطائرة عن المسافة التى قطعتها الطائرة .. فأخبره إنها ٢١٥ كيلو .. نظر المحافظ باستياء إلى وكيل وزارة الزراعة طالباً العودة إلى القاعدة الجوية بينما كان أمين الحزب سعيداً ويشد من أزر مسئول الزراعة بالمحافظة والذى كان سعيداً هو الآخر بأن مد فترة خدمته عاماً آخر قد قاربت من التحقيق .

الجميع فى مكتب المحافظ .. أمسك الرجل بالتليفون طالباً وزير الزراعة وجاء صوته من الجهة الأخرى حيث حدثه المحافظ بكل جدية طالباً منه نقل وكيل وزارته من المحافظة فوراً وحاول الوزير علاج ما حدث من مشكلة ولكن المحافظ أنذره هو الآخر بانه سيضطر إلى الإتصال برئيس الوزراء لتنفيذ طلبه مما اضطره الى الموافقة على إنهاء عمل وكيل وزارته فى هذا اليوم .. توتر وكيل الوزارة وأصبحت عينه زائغه وهو

يسمع خبر إنهاء خدمته بعد أن كان يُمنى نفسه بمدها عاماً آخر فوق سن الستين وصرخ بدعائه على أمين الحزب الذى تسبب فى هذا داعياً الله بإنزال أكبر عقاب عليه وسقط مغشياً عليه .. وصل الطبيب وسيارة إسعاف ولكن الطبيب أبلغ الجميع بأن الرجل فارق الحياة بأزمة قلبية حادة ونقلوه إلى المستشفى بينما المحافظ ما زال عاقداً اجتماعه وأمسك بتليفونه للمرة الثانية طالباً أمين عام الحزب بالقاهرة والذى جاء الرجل محادثاً بلطف ولكن المحافظ طلب منه استبدال أمين الحزب بالمحافظة بشخص آخر فحاول الاعتذار ولكن المحافظ أخبره بأنه سيتصل برئيس الحزب أو يرسل باستقالته إلى رئيس الجمهورية مما جعل أمين عام الحزب يوافق فى لحظتها بإعفاء أمين الحزب من منصبه وتعيين شخص آخر ونظر أمين الحزب إلى المحافظ وتلاحقت أنفاسه حيث طلب المحافظ إخراج هذا الرجل خارج مبنى المحافظة وألا يعود إلى داخل المحافظة بعد هذا اليوم وتوزع نشرة على جميع الإدارات بخصوص ذلك .

لم يتبق سوى مدير الاستثمار وسامى الحنونى وكانوا سعداء بما تم ولكنهم كانوا فى دهشة من قوة هذا الرجل وشجاعته فى اقتحام الصعب ثم نظر إليهم قائلاً الأن سنأخذ هذه القطعة واختار أقرب قطعة إلى النيل والتى كانت محددة سابقاً إلى رجال المخابرات ورئاسة الجمهورية .

طلب المحافظ استدعاء مدير عام الزراعة وأصدر قراراً بتكليفه بهذا العمل حتى تبت الوزارة فى المسئول القادم وطلب منه بالاشتراك مع رجال المساحة بالمحافظة بتحديد المكان الذى إختاره وأن يوافيه بالخطاب موقعا منه ومن رئيس المساحة قبل ظهر الغد .

طلب المحافظ أن يعدوا قاعة كبار الضيوف فى المحافظة حتى يبيت بها سامى الحنونى انتظاراً للغد .. ثم فض الاجتماع .

صباح الغد كان نبأ ما حدث قد إنتشر فى ديوان عام المحافظة بل وبعض المحافظات المجاورة وأصبح جميع العاملين يخشون هذا الرجل

والذى قال أحدهم ( ده يابوى جاى يلبسنا الطرح ) وأصبح كل موظف ومسئول خائفاً على وظيفته حتى الجهات التى لا تخضع للمحافظ مثل الأمن والرقابة الإدارية علمت ماهى إمكانياته وأنه يستطيع ببساطة الإتصال بالمسئول الأكبر خاصة أنهم علموا إنه راغب فى تقديم استقالته وأنه لن يبكى على مركزه وبالتالى فهو جاهز لأن يطربقها على رؤوس الجميع .

استلم سامى خطاب التخصيص ووجد إن المساحة التى طلبها المحافظ هى أربعة آلاف وخمسمائة فدان وُدهش سامى الحنونى لأنها مساحة كبيرة .. ولكن المحافظ طمأنه بأن المساحة المستصلحة أكبر وبدلاً من توزيع خمسة أفدنة سنزيدها إلى عشرة أفدنة لنجعل أمام تلك الأسر نظرة أبعد إلى المستقبل ونسلمهم خمسة أفدنة مستصلحة وخمسة يستصلحونها على مدى الأعوام وبناء على إمكانياتهم .. وبهذا سوف تستهلك ألفين ومائتى فدان وسنقسمها الى مرحلتين وستبدأ بالمرحلة الاولى وإذا أستطعت مساعدتك فى خلال الستة أشهر ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية .. ابتسم سامى الحنونى ولكن المحافظ داعبة قائلاً :

أكيد بتقول هذا المحافظ طماع .. مما اضحك الموجودين ولكن سامى قال كنت أفكر بأن سيادتكم ذو طموح عال .. ثم أعطاه المحافظ مهلة شهر للاستعداد ثم يبدأ العمل قائلا له سأباشرك انا شخصياً أو اللواء مسعد .. أحدنا سيكون بجوارك لتسهيل عملك .. نظر إلى الجميع قائلاً .. أيها السادة إنها مرحلة تحدى فى المحافظة وأن نثبت لأنفسنا اننا رجال قادرون على خدمة هذا الوطن أونذهب لبيوتنا نجلس مع أطفالنا ونترك رجال أشداء آخرين يقومون بهذا العمل .. وفقكم الله .

حل أول الشهر حيث سيبدأ المشروع كما سبق وأخبر المحافظ سامى الحنونى وتأكد لسامى أن كل المعدات موجودة فى أرض المشروع كما إن المعسكر قد تم إعداده وكل المرافق اللازمة لتحرك المشروع كما وصلت أمس دفعات الشباب والتى اختارتهم المحافظة بلجنة كونها المحافظ بنفسه .

ووضع لها من الأسس والقوانين التى تقلل بقدر الإمكان من الوساطة والمحسوبية يعاونه فيها مدير الاستثمار بالمحافظة .. المنطقة المقرره لهذا المشروع كمرحلة أولى علقت عليها يافطة توضح ذلك وعليها رقم القرار الذى أصدره المحافظ كما تم تحديدها بسور من السلك الشائك حتى تكون المنطقة معروفة وفى نفس الوقت تعمل على حماية المعدات من اللصوص والخطرين كما أرسلت مديرية الأمن بقوة لها لحماية المنطقة .

فى الأيام السابقة كان الشباب على أهبة الاستعداد للتحرك مدفوعين برغبة كبيرة لتحقيق هدف غال وهو العثور على عمل منتج ومستمر يستطيع كل شاب أن يظهر فيه قدراته .. قامت ادارة الاستثمار وادارة العلاقات العامة بالمحافظة بعمل محاضرة عن المشروع والهدف منه واسلوب المكافأة والعقاب وشرح مفصل لخطوات المشروع حتى الانتهاء منه

وصل المحافظ وشاهد الشباب أن حاكم إقليمهم استيقظ مبكراً وتحمل مشاق السير مائة كيلو وهى المسافة التى تفصل ارض المشروع عن مدينة قنا .. تشجع الجميع بمن فيهم سامى الحنونى حينما شعروا بان الرجل جاد فى كل تصرفاته ومن ميزانه المتابعة وعدم إغفال أى أمر أصدره فتحركت قوافل الشباب مقسمين إلى مجموعات وتساندهم المعدات .. اما المحافظ فكان أسعد الموجودين وقضى طوال اليوم معهم ثم ذهب لمتابعة معسكر الفتيات ثم عاد للشباب وهكذا .

من ضمن المساعدات التى أعدها المحافظ هو تزويد المشروع بخط تليفونى فى أرض المشروع لتسهيل المعاونة للقائمين على المشروع كما زودهم بوحدة أسعاف لمواجهة أى أى ظرف طارىء .. جلس سامى مع المحافظ الذى أبلغه بأن صندوق خدمات المحافظة سيتولى الإنفاق على المشروع من الميزانية وكل المطلوب من سامى هى الإدارة الحازمة كما أخبره بأن مدير الاستثمار بالمحافظة سيكون الذراع اليمنى له فى أى

احتياجات وشكره سامى على تولى المحافظة الصرف على المشروع وهذا سيساعد كثيرا لإننا نحتاج لشراء معدات حديثة تساعد على سرعة الإنجاز وتكون نواة لاسم شركة تؤسس فى المحافظة لتتولى مثل تلك الأعمال مستقبلا لأن المشروع لن يقف عند استصلاح عدة آلاف من الأفدنة .. كما اخبره سامى باحتياجهم لطمى النيل أوتربة سوداء لتضاف على الأرض الرملية للمساعدة فى نمو النباتات ووعده المحافظ خيرا وأنه سيبحث كل شىء .

بعد قليل شاهدوا موكبا من السيارات قادما فى اتجاههم وتبين أنه موكب رؤساء المصالح بالمحافظة عندما شعروا أن المحافظ مختف ولا يعرفون له مكانا لكن المتلصصين أخبروهم بمكانه فحضروا مسرعين وطالبهم المحافظ بالعودة إلى أماكنهم محذراً من تكرار ذلك طالباً من مدير مكتبه خصم وقود السيارات عليهم لأنه لم يكلفهم بعمل مع إعتبار هذا اليوم خصماً من أجازاتهم لأنهم أهملوا أعمالهم .

عاد الجميع ساكنين صامتين من سوء استقبال المحافظ لهم مبدين اعتذارهم له كما أوضح المحافظ لسامى الحنونى أن أى مسئول يعترض عملك إرفع سماعة التليفون ستجدنى أو ستجد اللواء مسعد للمساعدة وسوف أرسل بتعليمات إلى جميع الأجهزة بعدم الاقتراب من تلك المنطقة .. غادرهم المحافظ محييا الجميع عائدا إلى عمله .

أثناء العودة طلب المحافظ من مدير مكتبه أن يتصل بالمسئولين عن التربية والتعليم والرى والزراعة لإجتماع عاجل فى مقر ديوان عام المحافظة .. ثم إتصل شخصيا بوزير الزراعة طالبا منه الموافقة على نقل تربة سوداء إلى أرض المشروع وحاول الرجل التهرب بأن هذا من إختصاص الحاكم العسكرى فاخبره المحافظ بانه سيقوم بالاتصال به وعندها تراجع فى آخر لحظة طالبا منه عدم انتشار ذلك حتى لا نفاجأ بعودة التبوير مرة ثانية وشكره المحافظ على ذلك .

فى ديوان عام المحافظة طلب المحافظ من القائم بعمل وكيل وزارة الزراعة تنفيذ خطة تجريف بعمق عشرة سنتيمترات لمساحة محددة يتم تعويضها برمال من الصحراء لتجعل الأرض صفراء وهذا يعتبر من أحسن أنواع الأراضى فى الزراعة وأن تكون المساحة المبدئية خمسة آلاف فدان .. ثم طلب من وكيل وزارة الرى تحديد أماكن الطمى حتى نساعد المشروع كما يرسل بمهندسيه لتحديد الأسلوب الأمثل لمد أنبوب مياه سعة متر ونصف لأرض المشروع الحالية والمستقبلة كما طلب من وكيل وزارة التربية والتعليم تجهيز كل ورش المدارس الصناعية ومراكز التدريب للعمل بالمشروع مستغلين إمكانيات تلك الورش وسيمنح الطلاب والمدرسين والفنيين مكافأة على ذلك لإعداد الأبواب والشبابيك والأسرة وغرف الجلوس والسفرة لمنازل الشباب .. وطالبهم بعمل فريق للذهاب لأرض المشروع لمقابلة مديره المسئول لمعرفة الاحتياجات وتوقيتاتها بحضور مدير الاستثمار بالمحافظة كما طلب من مدير مكتبه الاتصال بمديرية الكهرباء للتأكد من وصول التيار الكهربى للمنطقة .. وإذا لم يكن قد تم ذلك فيتعين إرسال المتسبب للشئون القانونية .. فتح المحافظ بابين فى الفترة الأخيرة:

الباب الأول التحقيقات والجزاءات والثانى هو باب المنح والمكافآت .

# ( ٣١ )

## الرئيس ومجلس المحافظين

العمل يسير على قدم وساق فى المشروع وأوضح سامى الحنونى للشباب بأننا لسنا حكومة بل نحن أفراد عاديون ولكن شعارنا العمل بجد ونشاط وكلكم تعلمون أو تسمعون عن عائلة الحنونى وما هم فيه من كفاح ثم انتقل إلى الشرح فى تفاصيل المشروع وهو يحذر من التكاسل أو التواكل بعدها توجه فريق العمل إلى أعمالهم بجد ونشاط ثم طلب سامى من مدير الإستثمار بالمحافظة أن يزوده بماكينة لصناعة الطوب الرملى حيث يمكن إستغلال الخامات المتيسرة بالمنطقة وهذا ايسر وأوفر من شراء الطوب من أقرب مكان وبعد أقل من ثمانية وأربعين ساعة كانت ماكينة الطوب الرملى فى أرض المشروع كما طلب من عمه عويضه مساعدته فى إمداده بفنى من كل تخصص لتدريب العاملين على الإنشاءات من بناء وسباك صحى وخرسانة وباب وشباك ومحارة ودهانات وأرسل إليه عمه بكل تلك التخصصات لدفع هذا المشروع الإنتاجى والتعليمى وأصبحت المنطقة شعلة من النشاط وبها أكثر من خمسمائة فتى وفتاة ومعاونين مما دفع بالمحافظ لدفع عدد من المهندسين حديثى التخرج للتعلم والتدرب فى المشروع حتى تتكون قاعدة مستمرة لاستمرارية هذا المشروع وامتداده لمناطق أخرى من المحافظة .

بعد مرور شهرين على عزل وكيل وزارة الزراعة من منصبة وتنحية أمين الحزب فى المحافظة أيضاً عن مسئولياته السياسية طالب رئيس الجمهورية باجتماع عاجل مع رئيس الوزراء ودار هذا الحديث فى الإجتماع :

رئيس الجمهورية : السيد رئيس الوزراء .. إيه حكاية محافظ قنا والدوشة إللى عاملها ؟ .. كل التقارير أمامى بتقول أنه طايح فى المحافظة

وتسبب فى إحالة وكيل وزارة للمعاش قبل موعده مما أدى إلى وفاته ثم تدخل فى حل وإبدال أمين الحزب فى محافظته كما حول مدير التعليم إلى التحقيق وأبلغ الجهاز المركزى للمحاسبات بالتحقيق مع المدير المالى بالمحافظة .. إيه حكايته ؟

رئيس الوزراء : أنا تابعت كل تلك الأمور لأن كل تلك التغييرات فى الكوادر العليا كانت بموافقتى والحقيقة أنه رجل نشيط وعايز يعمل حاجة فى محافظته وهو على كل حال أحسن من ناس نايمة كتير ومحافظاتها تئن من وطأة الإهمال والفساد وبعض المحافظين الراغبين فى الإصلاح إذا أرادوا عمل شىء وقف لهم أصحاب المصالح بالمرصاد ومن بينهم بعض النواب مستغلين حصانتهم بأنهم من الحزب الحاكم فيضطروا للسكوت وأن يستمر الحال كما هو عليه حتى وصلنا إلى ما نحن فيه والرجل شريف وعايز يدفع بمحافظته للأمام .

رئيس الجمهورية: صحيح أن كل التقارير أمامى بتشيد بنزاهته لكن كتر المشاكل مع المعاونين ستسبب حقدا وتوقف دولاب العمل فى المحافظة.

رئيس الوزراء: بالعكس سيادة الرئيس نحن محتاجين مثل تلك النوعية لترفع الظلم والإهمال من فوق كاهل الشعب المطحون والذى توفر الدولة لهم كل شىء لكنه يضيع فى الاستهتار والمحسوبية وهذا يقلل من فرص النجاح فى خطط التنمية والتى تقوم بها الدولة منفقة مئات المليارات من الجنيهات سنويا والتى تعدها وزارة التخطيط لأن التخطيط بدون تنفيذ سليم لا فائدة منه وسيادتكم تعلم مدى ما يقاسيه الشعب من إهمال فى خدمات فى الصحة والتعليم والبطالة وسوء حالة المدن

رئيس الجمهورية: يعنى أنت متابع حركة ونشاط المحافظين وخاصة محافظ قنا ومطمئن على عدم تجاوزه

رئيس الوزراء: نتركه يعمل وإذا نجح فيكون قدوة للآخرين وإذا فشل يكون درسا وعبرة لهم أيضا مع أمنياتى له بالنجاح .

رئيس الجمهورية: ضاحكا يعنى إذانجح نصفق له وإذا فشل نقذفه مع الآخرين بالحجارة!

رئيس الوزراء: سأحاول مساعدته والأخذ بيده وسأكون فرملة الأمان لوقفه إذا إحتاج إلى ذلك ولاتنسى سيادة الرئيس أن الرجل رجلنا وإذا نجح فهو نجاح لنا ولذا فنحن أمام تجربة قوية قد تدفع بالمحليات للأمام .

رئيس الجمهورية: لكننى غير مستريح لتدخل السلطة التنفيذية فى تغيير رموز السلطة التشريعية وتضايقت من أمين عام الحزب عندما وافق المحافظ على تغيير أمين الحزب بالمحافظة .

رئيس الوزراء: سيادة الرئيس أن بعض أمناء الحزب فى المحافظات يفرضون سيطرتهم على بعض المحافظين وهذا يقلل من قوته كحاكم للإقليم ويجعله ذيلاً لأمين الحزب وقد انتشرت بين هؤلاء الأمناء المحسوبية وبيع ضمائرهم والجرى خلف تحقيق مكاسب لأهل دوائرهم الإنتخابية ولسيادتكم أن تتخيل بعض نواب المجلس التشريعى لا يفهمون فى السياسة أو الاقتصاد .. كيف نتخيل مجلسا نيابيا أكثر من نصف أعضائه غير متعلمين أو متخصصين فى أعمال فنية رفيعة .. كيف سيدخل هؤلاء الأعضاء لجنة الصحة وكيف يناقشون الأمراض مع الأطباء أنه نظام أعرج قرره الرئيس عبد الناصر لأن هذه الطبقة كانت مهمشة وأنا أعتقد أنه لو طال به العمر لألغى هذا النص من الدستور .. هناك إتفاقيات دولية هامة تحتاج آراء المتخصصين والذين يجلسون فى بيوتهم تاركين أصحاب الحناجر القوية يقررون سياسة الدولة.

رئيس الجمهورية : ممتعضا من هذا الحديث .. انا لا أريد أن أدخل بيدى فى عش الدبابير الآن ولنترك هذا الحديث ولنقوم بزيارة مفاجئة غداً

لمشروع هذا المحافظ المشاكس ولتبلغه بانتظار مندوب من مجلس الوزراء للإطلاع على هذا المشروع فى الموقع على أن تخفى شخصياتنا .

رئيس الوزراء : هل تبلغ المحافظ بإنتظار هذا المندوب فى موقع المشروع ليكون فى إنتظارنا ؟ .

رئيس الجمهورية : هل لوجوده أهمية ؟

رئيس الوزراء : أعتقد سيادة الرئيس أن وجوده يعطى معنى له وللجميع بمن فيه العاملين لمساندة الدولة له .

رئيس الجمهورية : ليكن ولا تفصح عن شخصياتنا على أن يحضر بدون حاشية له .

رئيس الوزراء : إطمئن سيادة الرئيس فإن هذا المحافظ يتحرك بدون حاشية ومن يترك عمله ويتبعه يحوله للتحقيق .

رئيس الجمهورية : مازحاً .. لو فعلت مثل محافظ قنا سيعم الضرر غالبية موظفى الدولة .

صباح اليوم التالى محافظ قنا متواجد فى أرض المشروع ليس لاستقبال مندوب رئيس الوزراء فقد ألمه ذلك كثيراً وهو مشغول لأقصى درجة ولكنه حضر من أجل المشروع والذى كان يشعر بسعادة عندما يأتى فى كل مرة ويشاهد خطوة للإمام .. المحافظ جالسا اسفل شمسية من شماسى البلاج على كرسى متواضع وبجواره التليفون الخاص بالمشروع وأمامه أوراق المشروع يفحصها من حين لآخر ويفكر ويضيف أفكارا مستقبلية جديدة ثم سمع وشاهد طائرة هليكوبتر هبطت قريبا من أرض المشروع وشاهد سيارة جيب عسكرية مقفولة توجهت لمكان هبوط الطائرة والسيارة قادمة نحوه وهو مازال جالسا واضعا ساق على ساق وممسكا بأوراقه حتى وقفت السيارة أمامه وهو فى ضيق من القادم الذى سيحاول تقمص شخصية رئيس الوزراء .. هبط ضابطان من الشرطة العسكرية

التابعة للقوات الجوية وفتحا بابا السيارة وكان القادمان رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء .. هبط المسئولان الكبيران أمام المحافظ مباشرة فوقف المحافظ محييا وصولهما بهذه السرية ومرحبا بهما فى أرض مشروع شباب محافظة قنا .

نظر الرئيس إلى يافطة المشروع وابتسم للمحافظ قائلاً : قال طيب نرجو النجاح لتعمم تلك التجربة على مستوى الجمهورية ثم سار الثلاثة يتبعهم ضابطا الحراسة المزودان بأسلحة خفيفة حتى إقتربا قليلاً من بعض الشباب الذين يعملوا فى المشروع وقد تعودوا على رؤية المحافظ وبعض المسئولين حيث تبادل الشابان الحديث التالى :

الشاب الأول : تصور يا رضوان ياخوى أنى فاكر شفت إتنين الأفنديات دول جبل كده .

الشاب الثانى : لع أنى مش فاكر إنى شفت ولا نفر منهم جبل الساعة دى لكن الرجل أبو نضاره شمس الزين المليح ده شبه الريس .. شاب آخر يرفع صوته قائلاً بالروح بالدم نفديك ياريس .. المحافظ مشيراً للجميع بالعمل ولا هتافات وإلا مصيره الطرد من المشروع ومضيفاً .. كفانا الهتافات التى أضاعتنا .. هنا عمل فقط .

رئيس الوزراء : مبتسماً بعد أن نظر جهة الرئيس الذى كان باديا عليه السعادة .. سيادة المحافظ قليلاً من الهتاف لا يضر خاصة أنهم لأول مرة يشاهدون الرئيس وهم شباب صغير وسعداء بوجوده بينهم .

المحافظ : بعد نهاية المشروع سنهتف جميعا ولن يكون الهتاف للرئيس بل لهؤلاء الشباب تكريما لجهدهم وعملهم .

رئيس الوزراء : يعنى أفهم من كده أن ما فيش حد فى المحافظة بيهتف لك .

المحافظ : المكان إللى بأروح له إما يهربوا منه أو يقفلوا بقهم ويشتغلوا

رئيس الجمهورية : ضاحكاً .. فعلاً أنت عامل دوشة فى الصعيد وسمعت أن الناس بتقول أنهم بيدخلوا بيوتهم من المغرب وبناموا .. يضحك الثلاثة بينما هم سائرون تغوص اقدامهم فى أرض المشروع .. بينما الشباب يعمل مابين بناء أو فاردا للخراطيم وجرارات زراعية تسوى الأرض حتى وصلوا إلى منطقة تمركز المشروع وسأل المحافظ أحد الأشخاص أسفل جرار زراعى يقوم باصلاحه .. فين المهندس سامى مدير المشروع ؟ .. خرج هذا الشخص الذى فوجىء به المحافظ وهو يرتدى أفرول وكل يديه مغطاه بزيت ماكينة الجرار حيث رحب بهم وعرف المحافظ لكل من الرئيس ورئيس الوزراء بالمهندس سامى الحنونى مدير عام المشروع بينما سامى الحنونى يرحب بهم ..

قائلاً : يابوى .. تنين كبارات البلد إهنه .. بينما الرئيس ضاحكاً من حديثه ..

قائلاً : بقالنا ساعتين وما فيش حاجه نشربها يظهر أن محافظة قنا بخيلة ويضحك مرافقوه .. ولكن سامى يقول كيف دا راجل زين وابن عمنا

ينظر الرئيس للمحافظ وإلى سامى .. آه أنتم قرايب ؟

ولكن سامى يوضح أنه رجل شرجاوى صُح وأن الصعايدة ولاد عم الشراجاوة فيضحكون ثانيه ويذهب سامى إلى سيارة نصف نقل قريبة منهم ويحضر منها سجادتين صلاة ويفرشهما للضيوف فوق الرمال فى ظل مقطورة السباخ ويطلب منهم التفضل بالراحة ثم يذهب إلى السيارة ويعود ومعه " كولر " مخصص للتبريد وبداخله بعض علب العصائر ويحيي ضيوف المحافظة والمشروع .. بعد إن جلس الرئيس وأسند ظهره الى كلوتش المقطورة وبعد أن شرب قليلاً من العصير وجه سؤاله إلى سامى الحنونى ..

قائلاً له .. أعطنى فكرة عن المشروع أولاً ثم عن نفسك وعن طموحك .. شرح سامى للرئيس فكرة المشروع الذى كلفه به المحافظ أثناء افتتاح

مشروع خاص لهم وكيفية تنفيذ المشروع ثم فكرة عن عائلته وعن تعليمه وعمله بالخارج عدة سنوات وعن طموحه وهو الاستثمار فى استصلاح الأراضى الصحراوية ويشير لهم عن الطبيعة والهدوء حيث لا زحام ولا تلوث مثل القاهرة .. وأيده الرئيس بأن البعض من مستشاريه يعرضون عليه أفكار استصلاح الأراضى الصحراوية ولكنه يشعر أن هناك صعوبة فى التنفيذ وكيفية التغلب عليها .

سامى الحنونى : سيادة الرئيس .. المطلوب هو الدعم الشعبى لمثل تلك المشروعات الاستراتيجية لأن هذه الأرض التى تشاهدها ستظل تعطى الخير حتى قيام الساعة ولذا فنحن فى إحتياج الى دعم شعبى ولنا فى الماضى البعيد والقريب الدليل على ذلك .. الأهرامات .. نشاط محمدعلى .. حفر قناة السويس .. بناء السد العالى .. كل تلك المشاريع كان الشعب خلفها لأن أجهزة الدولة أصبحت مريضة منذ عقود .

الرئيس : أنت شايف أن أجهزة الدولة غير مخلصة ؟

سامى الحنونى : بكل أسف سيادة الرئيس هذا حقيقى .

الرئيس : لو كنت رئيساً لمصر ماذا كنت فعلت ؟

سامى الحنونى : ( يصمت فترة لهذا السؤال المباغت ) كنت فعلت مثل ما فعل محمد على مع المماليك !

الرئيس : ضاحكاً .. مذبحة أخرى ؟

سامى الحنونى : بل عدة مذابح .. فالتضحية بعدة مئات من الفاسدين ستفيد عدة ملايين بل مئات الملايين على مدى الدهر .. الفساد والمحسوبية وصلت إلى كل القطاعات وعلى مستوى شخصيات ومراكز لم تكن تخطر ببالنا .. الموضوع يحتاج إلى مشرط جراح ماهر .

الرئيس : ناظراً جهة المحافظ قائلاً .. ما هو إحنا معانا جراح وباين عليه أنه ماهر .. ثم نهض الرئيس من جلسته قائلاً الواحد من زمان مقعدش القعدة دية بحرية وبدون حراسة ودوشة .. ثم وقف وقال إذا كان فى العمر بقية فسوف أحضر بإذن الله لزيارة تلك الأرض وأشاهد ماذا حدث لها بعد هذا العمر .

وصل المسئولان الكبار إلى مكان العربة الجيب التى اقلتهم وودعوا المحافظ وسامى الحنونى شاكرين مجهودهما متمنين أن يتم المشروع على أحسن ما يكون .. وما زال الشباب فى عملهم تحت درجة الحرارة المرتفعة منفذين لتعليمات سامى الحنونى ومتخوفين من غضبة المحافظ والذى كان هو العفريت الذى يخوف به العامة الموظفين بأنهم سيشتكون إلى المحافظ .

الرئيس جالس فى الطائرة وقد أنهكه التعب والإرهاق بعد تلك الجولة فى درجة الحرارة المرتفعة والسير فى الرمال ثم نظر إلى رئيس الوزراء :

الرئيس : الرجاله إللى كنا فى ضيافتهم من شويه أقوياء ونحتاج زيهم كتير علشان نهضة مصر .

رئيس الوزراء : سامى الحنونى كان واضحاً فى عرض أسباب المشكلة .

الرئيس : يعنى أعمل زى محمد على .. لا . لا .. الزمن غير الزمن لكن ممكن الدبح بطريقة تانية .. إنتقاء القيادات الفاسدة والتحقيق معهم وإحالتهم إلى المعاش ونتخلص من شرورهم .. ثم طلب الرئيس من رئيس الوزراء عقد اجتماع مجلس المحافظين وسيرأسه شخصيا .

عُقد اجتماع مجلس المحافظين وحضره جميع المحافظين بالجمهورية ورئيس الوزراء ووزيرا الإعلام والزراعة وشرح الرئيس لهم زيارته المفاجئة لمحافظة قنا وما شاهده على الطبيعة هناك والنشاط الهام والحيوى الذى يقومون به طالبا منهم أن يقتدوا بالتجربة فى قنا كما طالبهم بإقتلاع

جذور الفساد وتحويلهم للتحقيق والمحاكمة وإبلاغ الوزراء المسئولين عنهم لإحالتهم إلى المعاش المبكر .

انتهى الإجتماع وإلتف كثير من المحافظين حول صاحب التجربة والتى أشاد بها الرئيس يسألونه العون ومدهم بكل تفاصيلها .

سامى الحنونى هو الآخر كان مندفعا لتحقيق الإنجاز الذى طلب منه وخاصة بعد زيارة رئيس الجمهورية والذى أعطى دفعة قوية للمشروع وكان راغباً فى الانتهاء من المرحلة الأولى ليتجه إلى المرحلة الثانية .

محافظ قنا فى زيارات دائمة شبه أسبوعية لأرض المشروع حتى أن موظفى ديوان عام المحافظة كانوا يتمنون أن ينتقل مكتبه لأرض المشروع حتى يأخذوا راحتهم ويتنفسوا من الضغط المستمر عليهم خاصة أن كل عدة أسابيع يحول أحد المسئولين إلى التحقيق أو إلى نيابة الأموال العامة .. فالكل يخشى الرجل لكن الشعب فى المحافظة كان سعيداً ويدعو له بدوام البقاء خاصة بعد التحسن الملموس والواضح فى إنهاء خدماتهم بدون مشاكل وتعقيدات أو رشاوى أو واسطة كما أن التزويغ من العمل أو التسكع قد تلاشى إلى درجة كبيرة حيث إلتزم الموظفون وقبلهم المسئولون الكبار بمكاتبهم خاصة بعد الجولات المفاجئة التى كان يقوم بها على الجمعيات الإستهلاكية والقهاوى لضبط المخالفين وتحويلهم إلى التحقيق أو توقيع الجزاءات الفورية عليهم .

سار مخطط المشروع كما حدد له مع بعض العقبات البسيطة والتى كان يتصدى لها مدير الاستثمار بالمحافظة الذى كان سعيداً بهذا الإنجاز مما دفع بعض المستثمرين للتقدم لبدء مشروعات إنتاجية أخرى عندما شعروا أن بالمحافظة قيادة واعية تعمل على تسهيل وتشجيع الاستثمار وفى بعض الأحوال كان المحافظ يتدخل لإزالة العقبة التى تقف أمام منفذ المشروع .

مضى الآن على بداية المشروع أربعة أشهر وبدأت تظهر نتائج تلك الأعمال فقد انتهوا من سبعين بالمائة من المستهدف حيث أقيم أكثر من سبعين منزلاً وتمت زراعة سبعمائة وخمسين فداناً كما يقوم الشباب بفرد الطمى أو التربة السوداء فى خطوط تحت خراطيم المياه لتساعد النبات على مقاومة الرمال واحتفاظ تلك التربة السوداء بالمياه وكل زرعة يتم تحريك خطوط الزراعة قدم يمين أويسار إلى أن تصبح الأرض وقد انتشرت بها التربة السوداء على مدى الأعوام التالية .

فى إحدى تلك الزيارات حضر المحافظ كعادته وكان لصيقا بالشباب ويتناول طعامه معهم وبصحبته أحد الضيوف والذى تعرف عليه سامى الحنونى مرحبا بالسيد محافظ أسوان .. حيث كان المحافظ منذ إجتماع الرئيس معهم مهتما بتلك التجربة وطلب كل بيانات المشروع من معاونيه ومن هى اليد المنفذة لهذا المشروع حتى حصل على كل البيانات التى يريدها ومن ثم قرر زيارة أرض المشروع على الطبيعة ليقف على كل شىء ويرافقه بعض المعاونين بالمحافظة والمسئولين عن مثل تلك الأنشطة

فى أرض المشروع شاهد محافظ أسوان موظفى الرى والزراعة وهم يعملون مع الشباب بل وشاهد الفتيات وهن يقمن بالبناء وتركيب المواسير ومحارة المنازل من الداخل والخارج ومصنع الطوب الرملى كما شاهد معسكر الفتيات والتدريبات العملية لتدريب أمهات المستقبل على إدارة شئون المزرعة وشاهد الشباب من الجنسين وهم سعداء رغم ظروف العمل الصعبة وسأل بعضهم عن كيفية إرتفاع روحهم المعنوية رغم ظروف العمل والطقس وأجابه أحدهم بأنه الأمل .. ايوه الامل والذى نعلم أنه بعد شهرين من الآن سيتسلم كل شاب منا مزرعة بمنزل مُعد ومؤثث وسيتزوج ويبدأ حياة جديدة تكفل له المعيشة الميسرة بعيداً عن الجرى خلف وظيفة لاتشبع طموحه وأن كل شىء بالقسط ولكن بالعمل سنسدد الأقساط مثل ما نقوم به الآن ولو نظرت سيادتكم لهذه الأرض منذ عدة شهور لوجدتها

صحرا جرداء وفى القريب ستعطى منتجات من ذرة وخضروات وترى الخضرة منتشرة فى الأماكن التى زرعت بها .. هذا هو مستقبلنا .

بعد إنتهاء الزيارة سأل محافظ أسوان زميله محافظ قنا عن كيفية إختيار الشباب لرفيقة حياته ؟ ضحك المحافظ من السؤال قائلا له أنها كانت من الأمور الصعبة فى المشروع ولكن بدهاء وذكاء إحدى الأمهات المرافقات للفتيات عرضت علينا فكرة بأن نقيم ونُعد حفلات سمر أسبوعية ونترك الشباب لعملية الاختيار ولكن تحت الإشراف المباشر للأمهات .. الفتيات يبلغ عددهن أكثر من مائتين ونفذت التجربة منذ شهرين ولسيادتكم أن تتصور أنه حتى الآن تم الإعلان عن اتفاق أكثر من مائة وخمسين شابا لشريكة حياته والباقى قادم إن شاء الله .

بعد ترك الشباب للعمل جلس مسئولوا محافظة أسوان مع محافظ قنا وسامى الحنونى يتناولون الشاى ووجه محافظ أسوان السؤال إلى سامى الحنونى عن مدى إمكانية تطبيق مثل هذا المشروع فى محافظته ؟

أجاب سامى الحنونى محافظ أسوان قائلا : بان محافظته بها ميزة غير موجودة فى باقى محافظات الجمهورية وهى السد العالى وبحيرة ناصر .. قاطعه المحافظ بأن مياه البحيرة تخص كل الجمهورية وأنه لاسيطرة للمحافظة عليها لإنها تتبع وزارة الرى .. لكن سامى أكمل حديثه قائلا أن النيل يحمل كل عام فى الفياضان مايقرب من مائة ألف طن من الطمى ونحن بعد مرور أكثر من عشرين عاما على بناء السد نجد أن خلف السد الآن اثنين مليون طن طمى وهى كفيلة بتغطية اثنين مليون فدان من الأرض الصحراوية والتى تحتاج إلى هذا الطمى وتوفير الأسمدة الكيماوية باهظة الثمن وهى فى نفس الوقت ضارة على الإنسان والحيوان من كثرة إستخدامها وسنوفر خمسمائة مليون جنيه ثمن الأسمدة الأزوتية ويمكن استغلال هذا المبلغ فى إنشاء شركة بالمحافظة لخدمة أهالى أسوان أولا والجمهورية ثانيا بل يمكن اشراك القوات البحرية مع هيئة قناة السويس فى

إقامة هذه الشركة والتى تستوعب ما يزيد على مائتى ألف من شباب أسوان وتفتح منطقة الحدود مع السودان فى إنشاء مجتمع جديد .. ثم أن الزراعة على طمى النيل ستساعد على زيادة التصدير إلى الدول الأوربية والتى تحتاج إلى المنتجات الزراعية المنتجة على الأسمدة العضوية الطبيعية .. كما يمكن لدول شرق آسيا (اليابان وكوريا الجنوبية) المساعدة فى ذلك ونحصل على العائد من تلك المنتجات وبالتالى نكون إستفدنا بالطمى ثم وفرنا عملة صعبة فى شراء الاسمدة والأهم تشغيل الشباب وتطهير البحيرة حتى تستوعب مياها أكثر ولا نحتاج لتصريفها من مفيض توشكى كما حدث قبل ذلك خوفا من ارتفاع منسوب المياه .

السعادة واضحة على وجوه الجميع وشكر محافظ أسوان سامى الحنونى على إقتراحه ولكنه أضاف أن الفكرة إستراتيجية وتحتاج لوقت وإجراءات واتفاقات دولية ولكنى أسأل عن تنفيذ تجربة قنا فى محافظة أسوان .. وأفاده سامى بأنها من الممكن ذلك ولسيادتكم أن ترسلوا لنا بمجموعة من الشباب الأكفاء لمتابعة نشاطنا وفهم التجربة على الطبيعة ثم يعودون إلى المحافظة لتطبيقها .

محافظ أسوان .. كنت أطمع فى مجهودك معنا بعد الانتهاء من مشروع محافظة قنا .. تدخل محافظ قنا فى الحديث موضحا للمحافظ بأن سامى الحنونى رجل أعمال ويمتلك شركة وإننا سنتركه حتى يعود ويستكمل عمله الخاص وانه يؤسس لنا كوادر فنية تكون مهمتها السير على نفس المنوال الذى يقوم به وانا انوى أن أتقدم للمجلس المحلى لمحافظة قنا بمشروع تأسيس شركة قنا للاستثمار الزراعى وستكون شركة مساهمة بعيدة عن مجال الحكومة وأجهزتها البالية .

إنتهى المشروع وأصبح كاملا بمساحة ألف ومائة فدان تم زراعة ( ألف فدان لشباب الخريجين مستصلحة وألف فدان لم تستصلح وسيتم استصلاحها بأيدى الشباب المدرب مستقبلاً ) ومائة فدان زرعت قمحاً

وذرة لإطعام الأسر والحيوانات والطيور المنزلية كما سبق وحددت بالمشروع .

إدارة العلاقات العامة بالمحافظة تستعد لعقد قران جماعى للشباب والفتيات الذى تم الإتفاق فيما بينهم لأن يصبحوا أزواجاً وسيعقد الحفل فى إستاد المحافظة وبعد إتمام القران والذى استمر ثلاثة أيام سخر له كل مأنونى المحافظ وعلى نفقتها .. أقيم إحتفال كبير فى إستاد المحافظة لزواج مائتين وإثنى عشر شاباً على مثيلهم من الفتيات ولم يتبقى سوى ثمانى حالات لم يحدث تجاوب بين الطرفين ! أى أن المحافظة استطاعت توفير (٤٠٠) وظيفة ومعيشة وسكن وإنتاج لهذا العدد .. وسلم مدير العقود وأملاك الدولة للشباب عقود التملك مشاركة بين الشاب وزوجته .. أى أن الاثنين يمتلكان العشرة أفدنة مشاركة بينهما كما أعلن المحافظ بأن السيد رئيس الوزراء قد أعفى الشباب من ثمن الأرض المطلوب سدادها لمصلحة أملاك الدولة .. وبالتالى انخفض سعر الأرض ثلاثة آلاف جنيه وهلل أهالى الشباب من الجنسين لهذه المنحة من الحكومة كما قد سدد كل شاب ما يساوى ثلاثة آلاف جنيه من مجهود عمله وعمل زوجته فى الستة أشهر ( بواقع ١٥٠٠جنيه ) لكل منهم طوال عملهم وهكذا استطاعت الدولة مع مجهود الشباب من الجنسين سداد ربع ثمن تكفلة الأرض .. كانت كل الدراسات تنبىء بأنه بعد مرور سبع سنوات من انتاج الخمسة أفدنة فقط يمكن سداد باقى الثمن بدون فائدة أما من يتأخر فتحسب عليه فائدة مضاعفة وكانت الأقساط فى متناول الشباب لأن شركة " لوو " لاستصلاح الأراضى ستقوم بالتسويق للإتحاد الأوربى بسعر مضاعف للسعر فى السوق المحلى وهذا يدر عائداً مجزياً للشباب .. خصص النصف لاستهلاكه والنصف الآخر لسداد الدين .

كان الشباب الذين عُقد قرانهم يشاهدون فى العقد الذى تسلموها من مدير الاملاك رقم المزرعة .. ونُظمت رحلة لجميع الشباب وعائلاتهم ليتعرف كل فتى وفتاة على المزرعة والتى كانت تحمل يافطة برقمها

الموجود بالعقد .. وفوجيء الجميع بمكونات المنزل والذى كان مؤثثا بطريقة بسيطة ومزودا بكل الآلات الحديثة لتساعدهم على الحياة وكلها تعمل بالطاقة الشمسية وهكذا خرج هذا المجتمع الجديد من سوق الاستهلاك سوى استهلاك الهواء والشمس والتى أعطاها الله للبشرية مجانا وباستمرار

مضى أسبوعان على زواج الشباب والزائر لهذا المكان يشاهد هؤلاء الشباب يسعون فى أرضهم حيث أصبحت لهم خبرة ستة أشهر فى إعداد الأرض وزراعتها والبناء والإصلاح وأعدت إدارة المشروع نواة مزرعة الحيوانات من ماعز وأغنام (زوجين من كل فصيل) وتم تلقيحها قبل إحضارها للشباب بمعرفة مديرية الطب البيطرى وخمسون زوجا من الدواجن البلدى لكل زوجين من الشباب لتتحمل ظروف الصحراء وعدة أزواج من إناث الأرانب وعدة أزواج من الحمام .. واندفعت الفتيات لمباشرة أعمالهن فقد سبق أن تدربن على هذا العمل .

على الجانب الآخر كان سامى الحنونى ومعاونوه فى بداية المرحلة الثانية للمشروع وهى بنفس نظام المرحلة الأولى .. وسارت سيرا حسنا فقد تم الاستفادة من أخطاء التجربة الأولى كما أن شباب المرحلة الثانية من الجنسين قد تأكد لهم بالدليل القاطع وليس إعلاميا كما يحدث بأن ما يقال ينفذ مع وعد من المحافظ بأن يطلب منحة رئيس الوزراء من إعفائهم من ثمن الأراضى من مصلحة أملاك الدولة أسوة بشباب المرحلة الاولى كما أن المعاونين لمدير المشروع سامى الحنونى أصبحوا أكثر خبرة .. أما الجهات الرسمية فى المحافظة فقد شعر الكثيرون منهم بالسعادة بعد أن استفاد هؤلاء من الحوافز سواء لطلاب المدارس الصناعية والذين قاموا بتصنيع المنتجات الخشبية من المشروع (باب - شباك - سراير - ترابيزات - موائد ) كل شيء كذلك مسئولو الزراعة والذين حصلوا على ميزات نظير إستقطاع عشرة سم من الأرض السوداء وتعويضها برمال وقامت مديرية الزراعة بتقليب الأرض مجانا لتعطى إنتاجا أفضل كما إتصل المحافظ بوزير المالية لإعفاء أصحاب تلك الأراضى من ضريبة الأطيان الزراعية عن هذا العام للتشجيع فى المستقبل وتكونت كوادر فعالة فى هذا

المشروع من الأسطوات المهرة والذين أرسلهم عويضة الحنونى للمساعدة فى المشروع كذا المهندسين الجدد والذين طلب المحافظ إنضمامهم لهذا المشروع للعمل والتدرب الفعلى لأن الدراسة شىء والعمل والخبرة شىء آخر .. كانت المحصلة رائعة وها هو سامى الحنونى قد إقترب من نهاية العام وأوشكت المرحلة الثانية على الانتهاء ونجحت محافظة قنا فى ظرف عام من الإنتهاء من استصلاح ما يقرب من أربعة آلاف وخمسمائة فدان وتشغيل ما يقرب من ألف شاب وفتاة فى مشروع إنتاجى يقدر عائده السنوى بعد أن تكتمل منظومة الإنتاج على ما يقرب من نصف مليار جنيه

بنفس إجراءات إختيار شباب المرحلة الأولى تمت أيضا بالنسبة لشباب المرحلة الثانية وبطريقة عشوائية خارج أى محسوبية على قدر الإمكان وكان المحافظ يقول وهو سعيد أن اللواء مسعد طبق نظام التجنيد والذى لا يخر الميه فى طريقة الاختيار حتى أن الشباب الذى لم يوفق فى الاختيار كان يعتقد أن الفرصة آتية طالما أن هناك عدالة فى الاختيار خارج المحسوبية والشللية .

كانت تلك المعلومات والإجراءات التى تمت فى المحافظة قد غيرت من نظرة الناس إلى المحافظ كثيراً وشعر الكارهون له بانه رجل مستقيم وأنه ببساطة جعل من تراوده نفسه للفساد أن يقلع عن ذلك كما وضعت المفسدين أمام ضمائرهم مما قلل هذا المرض المستشرى فى المحافظة ولم تخرج إشاعة واحدة بأن فلان إبن فلان حصل على أرض "وهو لا يستحقها " لأن اللجنة كانت دقيقة فى معاييرها وكما تقول حكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب " المساواة فى الظلم عدل " .. فما بالك بالمساواة فى الحق .

نظر المحافظ إلى ما تم إنجازه على الأرض وما تم إعداده من كوادر بشرية .. ولهذا فقد تشجع لتكوين الشركة المقترحة بتشجيع وموافقة المجلس المحلى للمحافظة بل وتسابق رجال الأعمال لمساندة المشروع بتقديم بعض الأشياء العينية للمشروع كما كان الفلاحون أكثر استعداداً لقد أراضى الخريجين بالتربة التى يحتاجها المشروع مستقبلاً .

# ( ٣٢ )

## رسالة إلى الرئيس

جلس الرئيس فى مكتبه للاطلاع على التقارير التى أمامه وحضرمدير مكتبه يستأذنه لعرض خطة زيارته لمشاريع الشباب فى محافظة قنا وخطة التأمين الشخصى له ولكن الرئيس رفض خطة التأمين طالباً منه سرية الزيارة فقط وأنه ذاهب لزيارة شباب مصر متسائلا كيف لرئيس دولة يحبه شعبه أن يسير بكل تلك الحراسات وكأنه ذاهب لحرب أنه لشيىء سيىء .. حاول مدير مكتبه المجادلة ولكن الرئيس رفض ذلك قائلاً لو حدث لى مكروه فيكون هذا قدرى وموعدى مع الله .. خرج مدير مكتبه متوتراً من اندفاع الرئيس وهو يعلم أن البلد مملوءه بجماعات تريد عمل أى شىء للاستيلاء على الحكم وعقد اجتماعاً مع وزير الداخلية ومدير المخابرات وقائد الحرس الجمهورى عارضاً فكرة رفض الرئيس الحراسة والحماية طالباً منهم العون لعلاج تلك المشكلة لأن الرئيس منذ زيارته لتلك المنطقة منذ عدة أشهر وهو يرفض الحراسة القوية له .. طمأنه كل من مدير المخابرات ووزير الداخلية على أن كل المعلومات لديهم مطمئنة وأنهم يستطيعون عمل كردونات بعيدة عن ملاحظة الرئيس كما يتم دفع رجال مباحث أمن الدولة بملابس مدنية مسايرة لأبناء تلك المنطقة للمساعدة على تأمين الرئيس .

الرئيس فى مكتبه يطالع تقارير الوضع الاقتصادى حيث كان أمامه تقريران : الأول من وزارة الاقتصاد والذى يعطى صورة بيضاء عن اقتصاد مصر حيث الاكتشافات البترولية وزيادة عوائد قناة السويس وزيادة تحويلات المصريين بالخارج .. بينما الثانى من الأمم المتحدة والذى يحذر مصر من الوضع الاقتصادى لأنها تستورد أكثر من ربع غذائها بسبب تآكل الأرض الزراعية تحت الإنشاءات والمبانى وقلة الناتج القومى

كما يقر التقرير أن مصر سوف تستورد ثمانين فى المائة من غذائها بعد عشرين عاما تحت الزيادة المطردة لعدد السكان .. كان الرئيس ميالاً إلى تصديق تقرير الأمم المتحدة لأن التقريرين يسيران فى إتجاهين متضادين .. ولذا فقد قرر الرئيس أن تكون الفترة القادمة عمل مشروع قومى لزيادة الرقعة الزراعية مستفيدا من تجربة محافظة قنا والتى يشرف عليها هذا الشاب الطموح ( الحنونى ) ولهذا فهو مصمم أن يعرف إلى أين وصلت تلك التجربة حتى يوجه أجهزة الدولة إلى هذا الاتجاه مستفيداً من تجربة محافظ قنا والذى جعل المشروع فى أيدى أمينة وموهوبة وقادرة على العطاء بدون غرض شخصى .

طلب الرئيس من مدير مكتبه إخبار المدعوين لزيارة مشروع الشباب أن يرتدوا ملابس بسيطة بعيداً عن البدلة الكاملة لأن المنطقة رملية وسنسير فيها ونجالس الشباب لنشعرهم بما قاموا به من عمل مجيد .. أعيد ثانية ملابس بسيطة والسيدات كذلك يرتدين ملابس تتناسب مع السير فى الرمال .

قبل الزيارة بيومين أخبر المحافظ سامى الحنونى بزيارة الرئيس لأرض المشروع طالباً منه ألا يفصح عن شخصية الزائر مع التوضيح للشباب بأن هناك زيارة قادمة .. فى موعد الزيارة هبطت ثلاث مروحيات كبيرة تابعة للقوات الجوية لأرض المشروع وكان المحافظ وسامى الحنونى واللواء مسعد ومسئولو الأمن بالمحافظة بملابسهم المدنية فى استقبال الزائرين .. هبط الرئيس ومرافقوه إلى أرض المشروع ولم تكن فى استقبالهم أى لافتات أو شعارات بالروح والدم نفديك ياريس أو طلاب من المدارس وقوفا منذ عدة ساعات أو موسيقى .. ثم وجه الرئيس للمحافظ سؤالاً ..

قائلا : الشباب عرفوا إنى جاى أزورهم النهارده ؟ .. طلب المحافظ من سامى الحنونى الإجابة على سؤال الرئيس ..

قـال : نعـم سيادة الـرئيس يعلمـون منـذ يـومين أن سيادتك ستحضر لزيارتهم اليوم وفى هذا التوقيت تقريبا ..

الرئيس مازحاً : رئيس الجمهورية يحضر لزيارة الشباب مهنئاً لهم على مجهودهم وزواجهم ولا يحضرون لاستقباله أو لاستقبال مرافقيه وكل تلك الشخصيات الرفيعة فى الدولة ( مشيراً لمرافقيه ) ؟! .

أجاب سامى الحنونى سيادة الرئيس إن الشباب كان أمامهم اختياران لاستقبال سيادتكم ... " الأول " هو الاستقبال المعروف بصور الرئيس والهتافات وترك أعمالهم .." والثانى " هو العمل الجاد والشاق .

الضيوف الذين كانوا فى مرافقة الرئيس كلهم ضيق من اللا مبالاة التى أبداها المسئولون أو الشباب الذين لم يهرعوا للهتاف للرئيس بل وحمل سيارته كما سبق وأن فعل البعض هذا فى الماضى .. لقد ولى وذهب الإحترام والتقدير والإجلال .. تنبه المسئولون لقول الرئيس .. نحن الذين سنصفق لهؤلاء الشباب .. لقد نجحوا فى الإمتحان وهذا هو أول اختبار لهم .. ثم نظر إلى معاونيه قائلاً : أيها السادة أمامكم ساعتان جولة حرة فى هذه القرية وكل مسئول يتوجه لمنزل أحد الشباب يجلس معه ويسمع منه هو وزوجته ويفهم تجربتهم مهنئاً لهم ما قاموا به ولا يزيد عدد المسئولين عن اثنين فى كل منزل .. هذا أمر .. ثم تعودون بعد أن تشاهدوا كل شىء مسجلين سلبيات وإيجابيات التجربة لنناقشها بعد ذلك .

تحرك الضيوف كل فى اتجاه ولاحظوا وقوف كل زوجان أمام مزرعتهما مرحبين بالضيف القادم عليهما .. كان المسئولون فى منتهى السعادة وقد فارقهم الإحساس باللا مبالاة والتى فكروا فيها أول هبوطهم من الطائرة فقد تعودوا على وضع قديم وما زال قائماً ولكن هنا كان النظام يختلف وقد سعد الشباب فهذا يحادث وزيراً أو رئيس هيئة او وكيل وزارة أو قائداً عسكرياً كبيراً يسمع عنه ويشاهده فى التلفزيون .. وكان سامى الحنونى قد قرر توحيد أزياء الشباب حيث كلف الجانب الإيطالى

باستحضار بنطلونات ( جينز ) للجميع .. الشباب كان يرتدى ( تى شيرت ) نصف كم أما البنات فكن يرتدين نفس النوع ولكن بكم طويل كما كان الجميع يرتدى ( الكوتشى ) .. الضيف يجالس ويتحاور مع الزوج والزوجة الصغار والذين هم فى عمر أبنائهم وبناتهم .. إنهما يتجولان فى المزرعة برفقة ضيوفهما مشيرين وموضحين لهم نوعية المزروعات وحظيرة الأغنام والماعز ومؤكدين لهم أن كل شىء هما الذين قاما به سواء بناء المنزل أو الدهانات بالإضافة إلى تسوية الأرض وفرد شبكة الرى بالتنقيط أو الزراعة .. أعجب الضيوف بتصميم المنزل ومحتوياته الحديثة واعتمادهم على الطاقة الشمسية .. الرئيس بدوره يمر عليهم جميعاً ملوحاً لهم وقد تبادل معه الشباب السلام والتحية وأخذ بعض الصور التذكارية حيث نظر إلى محافظ قنا مستأذنا فى ذلك !! .. وأضحك هذا الجميع .. كل ضيف بعد الانتهاء من جولته مع الأسرة الصغيرة يجلس ليستريح فى منزل الشباب ويقدمان له مشروبا ويكمل حديثه معهما بل ان البعض يعطى الزوجين ( كارت بيانته الشخصية ) والخاص به مؤكداً مساعدتهما لو احتاجا أى شىء فى عمله ليقدم يد المساعدة لهما حيث قال البعض لهؤلاء الشباب .. أنتم دُرة مصر كلها .

عاد الزوار إلى مكان البداية حيث كانت هناك خيمة منصوبة وجلس الجميع وإلتف الشباب حول الرئيس وضيوفه والرئيس هنأ الجميع على هذا النصر على الطبيعة طالباً منهم الاستمرار فى العطاء وعدم التكاسل والخمول مع التنبيه بعدم الكثرة فى الإنجاب حتى يمكن تربية أبنائهم التربية الصالحة مع الاستمرار فى الاطلاع على كل ما هو جديد .. وزعت الزوجات الصغيرات على الضيوف الحلوى والشربات بهذه المناسبة .

عصراً تحرك ركب الرئيس إلى مكان إنتظار الطائرات وأثناء مصافحة الرئيس لأصحاب المشروع قدم سامى الحنونى إلى الرئيس ظرفاً قائلاً أرجو الاهتمام به وأن تقرأه سيادتكم .. فضحك الرئيس ..

قائلا : أول ما أركب الطياره حأرميه فى الهوا ..

الرئيس فى مكتبه يجلس ليستريح من عناء المشوار والتجول قائلا لمدير مكتبه أين خطاب الحنونى ؟ عرض عليه أن يؤجله لباكر لأنه متعب .. ولكن الرئيس أجابه متعب صحيح لكن السعادة بالنجاح وأن تجد معاونين يفكرون وينفذون دون إنتظار أوامر منى فهذه قمة السعادة .. أحضر مدير مكتب الرئيس الخطاب وقدمه له وشكره طالبا تركة فترة حتى يستدعيه .

الرئيس بمفرده يفتح الخطاب ويفكر .. هل سامى الحنونى يريد مكافأة على ما فعله؟ .. ثم قال فى نفسه إنه يستحقها بدون أن يطلبها ..

كانت هذه صيغة الخطاب الذى يقرأه الرئيس :

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**السيد رئيس الجمهورية :**

تحية طيبة وبعد ..

أرسل لسيادتكم بهذا الخطاب من صحراء مصر القاحلة وبجوارى المئات من الشباب من الجنسين يعملون بكل همة ونشاط وأقصى طموح لهم هو أن يجدوا عملا يتعيشون منه ... سيدى الرئيس رغم ما قمت به من إنجازات فى الفترة السابقة من حكمك فاننى أريد أن تتوج هذه الفترة بعمل قومى لا ينساه الناس حاليا أو مستقبلا مثل ما لاننسى تأميم القناة وبناء السد العالى وحرب أكتوبر وهذه اعمال خالدة للوطن وللقادة صانعيه .. أن كل مشاريعنا فى مصر لا تحتاج لتمويل أو خبرات أجنبية .. أن غالبية محافظات مصر بها أو قريب منها مناطق صحراوية باستثناء وسط الدلتا ويمكن إنشاء تجمعات زراعية جديدة لتلك المحافظات تستوعب الأعداد الهائلة من الشباب العاطل والمتسكع بدون عمل والفترة التى يتسكعون فيها

هى مرحلة الإنجاز لأى إنسان .. ثم أن بحيرة ناصر مليئة بطمى النيل والتى تستطيع أن تمد تلك الأراضى بالطمى الذى يساعد على سرعة وجودة الزراعة الحديثة .. كما يمكن الاستفادة من منطقة العلمين بأن نكلف إحدى الدول المتقدمة لتقوم بتطهيرها وإعدادها للزراعة فى مقابل تصدير حاصلات زراعية لتلك الدول حتى نسدد هذا الدين .. سيدى الرئيس من تجربة والدى منذ خمسين عاما وتجربتى الشخصية بعد ذلك ومع إخوتى الشباب الصغير هنا أستطيع أن أقول أنه يمكن إستصلاح مساحات كبيرة لنفتح فرص عمل أمام الجميع ونخفف الضغط المتزايد على مدن الوادى..

كل هذا سيدى الرئيس يحتاج إلى سلطة رئيس الجمهورية ليكون قانوناً ويحتاج من المسئول الذى يكلف به الإقامة فى المناطق المستصلحة قريباً من العاملين ويزود بطائرات هليكوبتر ووسائل اتصال لاسلكية للسيطرة على تلك المشروعات .. كما انى أعتذر سيادة الرئيس بأنى أقدمت على التقدم باقتراحى هذا .. لكنها بلدنا ومن الواجب على كل فرد فينا أن يضع حجراً فى هذا البنيان حتى يكبر ويزداد ...

**شكرا سيادة الرئيس ...**

**سامى الحنون**

******

بعد انتهاء الرئيس من قراءة خطاب سامى الحنونى أشر على أكثر من نصفه دليلاً على أهمية تلك الفقرات التى تناولها الخطاب والذى كان بادياً على الرئيس وهو يطلع عليه .. فقد كان يقرأه بتمهل وعناية ممسكا بقلمه مؤشراً على الجمل الهامة التى يحتويها من وجهة نظره وهو المسئول الأول فى مصر .. ولم يكن الخطاب يحوى مظلمة أو خدمة من الرئيس أو ذم وقذف فى بعض الناس .. طلب الرئيس من مدير مكتبه الحضور له وبعد أن حضر طلب منه نقل كل الفقرات التى أشر عليها سيادته فى ملف خاص

ويأتى به إليه غداً مع حفظ هذا الخطاب فى ملف مشروع محافظة قنا والذى أنشأه الرئيس بعد الأحداث التى حدثت فى المحافظة ثم توالت إلى أن وصلت الى مشروع قومى هام تنظر إليه القيادة السياسية بكثير من الاهتمام

اليوم التالى أثناء اجتماع الرئيس مع كبار مستشاريه ومجلس المحافظين بحضور رئيس الوزراء والوزراء المعنيين بتجربة محافظة قنا حيث طالبهم بإعطائه انطباعا عما لاحظوه وشاهدوه أمس فى محافظة قنا وكان الحاضرون سعداء بتلك التجربة الرائدة والفريدة والتى طبقت بالمحافظة راجين أن تنفذ فى باقى المحافظات .. بعد هذا وجه الرئيس سؤاله إلى محافظ قنا طالبا منه شرح أهم أسباب نجاح تلك التجربة باختصار .. وقف المحافظ يوضح الأسباب التى أدت إلى نجاح التجربة :

*عدم التدخل الحكومى المباشر .. فلم نقم بعمل سوى (تحديد أرض المشروع - تحديد المسئول عن إدارة المشروع - اختيار الشباب المنفذ والمستفيد) .

*المتابعة الميدانية سواء من المحافظ أو من مدير الإستثمار بالمحافظة والذى بذل مجهودا كبيرا مع مدير المشروع مانعين أجهزة المحافظة عنهم منعا للعراقيل .

*توزيع الأرض على الشباب المحتاج فعلاً .. وقد ساعدهم هذا معنويا بأن المشروع أقيم لصالحهم مع أهمية تعاونهم مع إدارة المشروع .

ثم أشار المحافظ لكتيب بيده قائلاً كل خطوات تنفيذ المشروع مع التجارب المستفادة من تنفيذ التجربة وضعها كل من مدير الاستثمار اللواء مسعد والمهندس سامى الحنونى ومتوفر منها عدة نسخ لجميع السادة الراغبين فى الاطلاع على التجربة خارج قاعة الاجتماعات .

أصدر الرئيس تعليماته إلى كل المحافظين بتحديد مساحة عشرة آلاف فدان فى كل محافظة لتعاينها إدارة المساحة العسكرية ثم بعد ذلك تنفذ

تجربة محافظة قنا على أن يكون فى معلوم الجميع أن نجاح كل محافظ فى تنفيذ تجربة قنا سيكون من ضمن معايير الكفاءة له مع الالتزام بالدقة فى توزيع تلك الأراضى على المحتاجين كما يبلغ مدير مكتبى بأى شخصية أمنية أو حزبية أو مسئول يحاول المساندة أو مساعدة آخرين فى دخول هذا المشروع بدون وجه حق وسيكون على المخطىء حسابه من هذا المكان سواء بالفصل من الحزب أو الإحالة إلى المعاش المبكر .. شكرا أيها السادة .. وانتهى الاجتماع ..

بعد انتهاء الإجتماع طلب الرئيس من مدير مكتبه الإعداد لاجتماع لبعض المسئولين فى الدولة عصر اليوم وهم ( وزراء : الدفاع - الرى - السياحة - الثقافة - المالية - الزراعة - التجارة الخارجية ) .. حضر المسئولون الكبار فى الدولة الاجتماع الذى قرره رئيس البلاد وعرض عليهم الفقرات التى احتواها خطاب الحنونى دون إبلاغهم عن مصدر هذه الافكار ويسألهم عن رأيهم بعد اطلاعهم على تلك الاقتراحات .. المسئولون يقرأون الفقرات التى وزعت عليهم سعداء بأفكار الرئيس الرائعة والتى لم تخطر على فكراحد منهم ( الرئيس يسمع كل مديح وثناء من مسئوليه وهو يقول فى نفسه .. لقد سمعتم عن هذا من قبل وتعلمون أكثر ولكنكم كسالى تريدون الراحة والمنفعة الشخصية ) .. الرئيس يوضح أن أفكاره هذه ( مدير مكتبه ينظر اليه مبتسماً ) سيتم تنفيذها فى الصحراء الغربية وموجها حديثه لوزير الدفاع .. توزع خرائط على جميع الوزراء الموجودين لصحراء مصر الغربية صباح الغد وانتظر منكم أيها السادة فى اجتماع سيعقد بعد ثلاثة أيام ومعكم الخرائط التى وزعت عليكم وعليها توضع الأماكن التى تحتاجها كل وزارة حتى يتم المشروع بعيداً عنها .

خرج الوزراء من مكتب الرئيس يدعون له بطول العمر والصحة والبقاء فى منصبة لخدمة الشعب وأن يجود عليهم بأفكاره واقتراحاته المفاجئة لهم .. بينما الرئيس بالداخل يوضح لمدير مكتبه أنه لو عرض الأفكار باسم الحنونى لهاجموها جميعا منتقدين مقدمها .. الأفكار تأخذ قيمتها من شخصية ومكانة الذى تقدم بها دون النظر لأهميتها أو ضآلتها .

توجه سامى الى الإسكندرية لمباشرة أعمال شركة " لوو " والتى إبتعد عنها فترة (عاماً كاملاً ) كما إنه يقضى أوقاتاً سعيدة مع أطفاله خاصة ( مى ) الصغرى والتى تجلس على ساقيه طوال اليوم وهو يداعبها سعيدة بشقاوتها ونور تخبره بأنه يدلعها أكثر من أخوتها وهو ينفى ذلك موضحاً ان السبب فى ذلك يرجع إلى إنها الصغرى وتحتاج إلى حبه وحنانه لأن إخواتها وفى نفس عمرها كان دائم الوجود بينهم ولكن الظروف الآن تجعلنى بعيداً عنها كثيراً وهى صغيرة وتحتاج الأب أيضاً مثل ما تحتاج الأم .. ثم طلب منها الاستعداد للخروج سوياً فى تلك الليلة للتنزه وتناول العشاء مثل أيام زمان بمفردهما تاركين أطفالهما فى رعاية الخادمة كاملة

وحل المساءُ وخرج سامى برفقة زوجته يشاهدان معالم الإسكندرية الشابة الفاتنة طوال عمرها لأنها دائمة التجدد والتقدم وكان الخريف مُقبلا وقد غادر المصيفون المدينة وبدا واضحاً أنها استعادت عافيتها بعد شهور الصيف الضاغطة عليها وعلى ساكنيها .. توجه سامى برفقة زوجته إلى محل ( لافوجيه) والذى كانوا يتقابلون فيه قبل خطوبتهم وعلى أماكن التعارف والذكريات الجميلة حيث مدحت وسلوى بصحبتهم وهم شباب يافع وتذكرت ذلك نور ..

قائلة له : ياريتك كنت عرفتهم ييجو يسهروا معانا وابتسم سامى ..

قائلاً : تفضلى .. أهم جُم .. نظرت نور ولم تصدق نفسها أن الأيام تعود ثانية ويتجمع الأربعة بعد مرور أكثر من عشرة أعوام على أول لقاء بينهم .

جلسوا جميعاً وتناولوا عشاءهم ومدحت وسلوى يثنيان على مجهود سامى فى مشروع محافظة قنا ويوضحان أنهما كانا فى منتهى السعادة وهما يشاهدانه برفقة الرئيس ورئيس الوزراء ووسائل الإعلام تحيط به والصحافة توجه له الأسئلة عن هذا المشروع .. استأذن سامى بعد العشاء من الزوجين مدحت وسلوى بأنه سيتجول مع نور بداخل المدينة وإفترقوا حيث سار سامى متأبطاً ذراع زوجته كأنهما فى شهر العسل أو فترة

الخطوبة حتى وصلا محطة الرمل والهواء المنعش يعيد لهما سحر الأيام الماضية .. وقفت نور صامته من هول المفاجأة .. فقد شاهدت دار السينما تعرض فيلم ( موعد غرام ) بطولة الراحل عبد الحليم حافظ وسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة .. نظرت إلى سامى ..

قائلة : ممكن حبيبى سمسم يسمح ندخل ونشوف الفيلم .. ابتسم سامى ابتسامة عمره حيث قال : .. روح سمسم .. حبيب سمسم حياتى .. مشتاق لعينيكى مشتقالك .. يا أعز نوال فى حياتى .. ضحكت ..

قائلة : أنا نوال يا سمسم ؟ .. إبتسم ..

قائلاً : .. معلوم .. نوال إللى كان سمسم إلى الأبد بيبعت لها الورد كل يوم .. فاكرة .. تنظر له بكل حب ورومانسية قطعها عليهم بائع التذاكر المتجول ( تذكرتين فى اللوج أحسن مكان ) دفع له سامى بالثمن وبقشيش كبير جعل الرجل يدعوا له بأن يكون من أكابر البلد قائلاً : روح يارب تترقى وتبقى محافظ .. وقد أضحك هذا الزوجين حيث ..

قالت نور : ياريتك كنت زودته شوية علشان تبقى أكبر من محافظ .. ضحك الزوجان ودخلا إلى دار السينما وكانت ممتلئة عن آخرها واندهشت نور ..

قائلة : بعد أكتر من خمسة وعشرين سنة ولسه الناس بتحب الفيلم ده .. نظر إليها سامى مبتسماً ..

قائلاً : أنا أعرف ناس غيروا أسماءهم علشان الفيلم .. تضحك زوجته

قائلة : بأحبك يا سمسم وإلى الأبد .. بدأ عرض الفيلم وراحت نور فى غيبوبة الرومانسية والتى حدثت منذ عشرة أعوام .. أما سامى فكان سعيداً بأن زوجته فى حلم وهى مستيقظة كما كان سعيداً وهو يستمع لأغانى عبد الحليم وخاصة أغنية صدفة لأنها السبب فى صدفة حياته السعيدة .. وما حدث من عشرة أعوام حدث ثانية وقد قبلت نور زوجها سامى قبلة

خفيفة أعادت دماء الشباب إليه وخرجا إلى الشارع تتأبط ذراعة اليمنى وسارا كثيراً هذه المرة فقد تعود الشعب المصرى على السهر حتى الصباح وبعد أن أرهق نور السير توجها إلى سيارتهما واستقلاها عائدين إلى منزلهما بادئين أيام عسل أخرى .

وصلت الخرائط من الوزراء إلى مدير مكتب الرئيس والذى طلب إرسالها الى مدير المساحة العسكرية لتجميع احتياجات الوزارات فى خريطة واحدة تعرض عليه بعد أسبوع وحضر مدير المساحة ومعه بعض المعاونين وعرضوا الخريطة على الرئيس والذى شاهد الخريطة كلها لمنطقة الصحراء الغربية مؤشرا عليها من الوزارات وأن بعض الوزارات تشترك فى عدة أماكن .. طلب الرئيس الوزراء المعنيين لاجتماع عاجل باكر بحضور مدير المساحة العسكرية ووجه الرئيس سؤاله لهم .. لم تتركوا مكانا فارغا سوى المليون فدان المحشوة بالألغام وكل الأراضى تحتاجونها ؟! .. ثم سأل وزير الدفاع : لماذا تحتاجون كل تلك الآراضى .. فأجاب لتدريب الفرق العسكرية وميادين رماية للقوات الجوية .. إجابة الرئيس ألا تكفى مساحة ٥٠٠ كيلو مربع للتدريبات .. وافق الوزير طالباً من الرئيس احتمالات زيادة المساحة فى المستقبل لزيادة مسافات رمى الأسلحة الكبيرة .. وسأله الرئيس ماذا تفعل الدول الأوربية حيث تغطى كل أراضيها بالأشجار والزراعات .. وأجابه الوزير يتم التدريب وتحدث خسائر فى الزراعات قد تصل إلى ٧ % من مساحة الأرض .. إبتسم الرئيس قائلاً ٧ % خسائر أحسن من ١٠٠ % .. حنسيب الأرض كلها للتدريب .. وناقش وزير البترول والذى أكد على وجود آبار بترول وغاز طبيعى وطلب منه الرئيس تعويض أصحاب الآراضى فى حالة وجود إكتشافات بترولية ثم نفس السؤال لوزير الثقافة والذى أوضح عن إحتمال وجود آثار فرعونيه حيث تشير الدراسات أن بعض عمال معبد آمون رع تركوا المعبد وساروا فى الصحراء الغربية واحتمال أن يكونوا أقاموا بعض

التماثيل .. الرئيس وقتها نستولى على الأرض التى يتأكد وجود آثار أسفلها ثم كرر سؤاله لوزير السياحة وتلقى نفس الأجابات السابقة .

اصدر الرئيس قرارا جمهوريا لرئيس الوزراء بأن تكرس كل الأراضى الصحراوية لتنفيذ التوسعات فى الاستصلاح ويكون ذلك هو النشاط الأول والسابق على كل أنشطة الدولة باستثناء الدفاع .. على أن تكرس لوزارة الدفاع الأراضى التى يثبت عدم صلاحيتها للاستصلاح .. أنهى الرئيس الاجتماع طالبا من مدير المساحة العسكرية إعداد خريطة استصلاح وتعمير لمنطقة الصحراء الغربية بناء على قراره لرئيس الوزراء .

الرئيس جالس مع رئيس الوزراء بمفردهما وقد اخبره الرئيس بأن المشروع والخطة التى عرضتها على الوزراء هى من أفكار الحنونى منفذ مشروع شباب قنا والذى زرناه منذ أسابيع قليلة .. إبتسم رئيس الوزراء قائلاً :

إنها خطة طموحة وضخمة مثل الأفكار التى يؤمن بها هذا الشاب .. وأيده الرئيس ..

ثم تساءل الرئيس : من يكون القادر على تنفيذ تلك الخطة ؟! .. أوضح له رئيس الوزراء ليس هناك شخص قادر على تنفيذها مثل الذى فكر فيها وهو خبير بفطرته وتربيته فى بيت يغامر منذ جده الأكبر إبراهيم الحنونى ثم والده حتى السيدة " لوو " والدته تعشق تلك الأفكار إنها عائلة مغامرة فى إستصلاح الأراضى وقد تكون الأراضى الصحراوية قد عرفتهم وتخشاهم فتنصاع لإرادتهم!! .. أضحك هذا التعبير الرئيس كثيراً متمنياً أن تخاف وتخشى الصحراء من كثير من المصريين (ثم أكمل حديثه) لكن لو كلف شخص بهذا العمل سيكون وضعه فى البروتوكول بدرجة رئيس للوزراء وسيحصل على سلطات رئيس الجمهورية فى تلك المنطقة وقد

يكون هناك تعارض أوتداخل بينكما .. فكر فى هذا ثم إخبرنى برأيك؟ .. أعاد رئيس الوزراء رأيه أمام الرئيس ومصمما عليه قائلاً : حتى لو نجح بنسبة النصف فنكون قد حققنا قفزة كبيرة فى هذا المجال والذى نتعامل معه بمسكنات كما لا تنسى سيادة الرئيس أنه بالإضافةِ لما سبق له من الخبرة ومن أن الفكرة " فكرته " فهو شاب صغير السن قادر على العطاء لفترة طويلة ومتمرس .

الرئيس قائلاً : تؤيد فكرتى بأن يعمل بدرجة رئيس للوزراء أم ان هذا المنصب كبير عليه ؟ يجيب رئيس الوزراء ما المانع فى هذا أن عدد رؤساء الوزراء السابقين فى مصر يتجاوز الخمسة عشر وما المانع أن يزيدوا شخصاً آخر لكنه سيفيد ولاتنس سيادة الرئيس أن هذه الدرجة وسلطتك ستساعده كثيراً ضد خفافيش الكسل والمعارضة لكل تقدم وهذا مطلوب وكانت التجربة واضحة فى قنا فلولا دفع المحافظ له وشعور الآخرين أنه قريب من المحافظ وسلطته ما إستطاع أن يفعل شيئا بل كان قد غادر أرض المشروع وعاد إلى شركته يا نسا ..

قال الرئيس : شكراً سيادة رئيس الوزراء على مشورتك .

حضر رجال المساحة العسكرية إلى مكتب الرئيس حسب أوامره السابقة لهم وفردوا الخريطة أمامه ولم يتركوا موقعا فى الصحراء الغربية وإلا وضعوا عليه البيانات حتى حقول الغام العالمين كانت بياناتهم تؤكد جودة الأرض للزراعة ولكن بعد التطهير من الألغام وفوجىء الرئيس بأن المساحة الصالحة للزراعة تعدت الخمسين مليون فدان سواء من درجة الملوحة أو نوعية التربة أو توفر المياه الجوفية أسفلها وقد لمعت عيناه أنه لو تحقق ١٠ % من تلك المساحة فيمكن لمصر أن تنهى كل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية .. إتصل الرئيس بمدير مكتبه طالبا منه إبلاغ المهندس سامى الحنونى المشرف على مشروع شباب قنا بموعد مقابلتى

بعد ثلاثة أيام مع إرسال طائرة هليكوبتر لإحضاره من قنا وتوفير سيارة معه .

وصلت مكالمة مدير مكتب الرئيس إلى سامى الحنونى بلقاء الرئيس يوم الأربعاء المقبل الساعة الخامسة مساء فى قصر الرئاسة وأسعد هذا الجميع خاصة السيدة " لوو " والتى كانت تتابع نشاط سامى مع محافظ قنا ولقاءاته بعد ذلك مع الرئيس وكان الجميع يعتقدون أن تلك المقابلة ستتم ليكرم الرئيس سامى على نشاطه فى المحافظة ولم يشذ عن هؤلاء سوى صباح فهمى زوجة سعيد الحنونى والتى قالت أن سامى يستحق أن يكون رئيسًا للوزراء أو وزيراً .. وصاح الجميع منكرين عليها هذا القول بحجة إنها تحلم بحلم بعيد المنال .. ولكن الأم " لوو " قالت إنه بشرى من صباح أن يصبح سامى رئيساً للوزراء حيث ضحكت " سنية " الشقية آخر العنقود قائلة أن نور ستقول للناس أن حبيبى سمسم إلى الأبد أصبح رئيساً للوزراء إلى الأبد .. وقد إنفجر الجميع ضاحكين على هذه القفشة من شقيقتهم الصغرى وخاصة على الحنونى لأن أى شىء تقوله أو تفعله صغيرته يقابل هواه .

قبل الثالثة مساء يوم الاجتماع وصل سامى إلى قصر الرئاسة مستقلاً سيارة رئاسية بعد أن أقلته طائرة من طائرات القوات الجوية ( هليكوبتر ) من قنا .. استقبل مدير مكتب الرئيس المهندس سامى الحنونى باش الوجه ومبتسماً ومرحباً به فهو ضيف الرئيس لأن ضيوف رئيس الجمهورية من الشخصيات الهامة سواء محلياً أو دولياً وأخبره أن الرئيس سيكون فى استقباله فى موعده وطلب سامى أن يؤدى صلاة الظهر حيث إقترب موعد صلاة العصر فأفسح له الرجل مكاناً فى إحدى قاعات الاستقبال لأن قصر الرئاسة قليل الحركة الآن والسبب فى ذلك قلة الزوار وخاصة أن الرئيس قد فرغ نفسه لهذا اللقاء والذى كان يعتبره لقاءً استراتيجيا مثل قرارات الحرب .. وهى بالفعل حرب على البطالة وتدهور الإقتصاد .. بعد انتهاء سامى من الصلاة وتناول مشروب يهدىء من توتره لهذه المقابلة والتى كان

يشعر أن خلفيتها خطابه الذى سلمه للرئيس منذ ما يزيد على الشهر واعتقد أن الرئيس قد غضب من محتوى خطابه ولكنه تراجع بأن الخطاب ليس فيه نقداً للرئيس وأن كل النقد منصب على الإهمال والتسيب فى الإدارة الحكومية وهذا ليس شخصاً طبيعياً بل إنه شخص معنوى وأنه نتاج عشرات الأعوام السابقة وإنه يعرض نصيحة وليس نقداً وأن هذه بلدنا ولا يجب أن نعاقب لمثل هذا الخطاب .. استراحت نفسه بعد أن هاجمته تلك الهواجس والتخوفات ونظر إليه مدير المكتب قائلاً تفضل سيدى .. سيادة الرئيس فى انتظار معاليكم وقد أسعده هذا اللقب والذى لم يوجهه إليه أحد من قبل سواء فى عزبة الحنونى أوعمله فى إيطاليا .. هندم سامى من ملابسه داعياً الله أن تتم هذه المقابلة على خير .. دخل إلى المكتب الفاخر والذى يتوسطه مكتب رئيس الجمهورية .. وقف الرئيس مستقبلاً الحنونى كما كان يناديه بهذا الإسم وإنه لشرف أن يحصل الحفيد على لقب الجد .. طلب الرئيس من مدير مكتبه عدم الإزعاج .

جلس الحنونى الصغير فى مواجهة الرئيس على ترابيزة الإجتماعات وفتح الرئيس ملف الصحراء الغربية والذى أعدته إدارة المساحة العسكرية بتكليف من الرئيس وحدثه الرئيس : وهو يناوله الملف .. إطلع عليه وإعطنى رأيك فيما يحتويه من معلومات .. سامى يطلع على الملف وتسابق عيناه الصفحات من شدة وعظمة تلك المعلومات وكل فقره ينظر سامى جهة الرئيس وهو مندهش لما يقرأه .

انتهى سامى من الاطلاع على الملف قائلاً : سيادة الرئيس كل تلك المناطق والمساحات فى الدولة صالحة للزراعة ونحن نتزاحم فى الدلتا وخط الصعيد أو نسافر للخارج للعمل فى أعمال متدنية تاركين الأهل والأبناء بدون رعاية الأب ونترك هذا الخير .. مساحات ضخمة وأسفلها مياه جوفية تكفى مئات السنين والشباب موجود على القهاوى وفى الشوارع او فى المنازل يسبب المشاكل لأهله .. أنها معضلة كبيرة .. أسعدت تعليقات

وحماسة الحنونى الرئيس الذى حدثه مازحا أنه قرأ لأحد الحكماء أو الشعراء العرب يصف تلك الحالة بقولة نحن كالحمار يحمل أسفارا فى الصحراء ويكاد يموت ظمأ من العطش وكل ما فوق ظهره مياه .. سعد سامى بهذا الوصف الموجز لحالتنا حيث أكمل الرئيس حديثه قائلا: هل آن الأوان أن نفيق من نومنا ونجمع رباعى الخير (الأرض - الماء – البشر - المال) ونغير حياة وطبيعة بلدنا لقرون قادمة وهل آن الأوان أن نقلل أو نزيل الفقر المستشرى فى البلد وهل آن الأوان أن نصبح مصدرين لا مستوردين ؟ وهل نستطيع أن يصبح رغيف خبزنا اليومى مصريا بدلا من كونه دوليا ؟ الآن سواء أمريكيا أو استراليا أو باكستانيا لأن إنتاجنا من القمح لا يزيد على ٣٠ % من إستهلاكنا وهذا معناه إستيراد ٧٠ % من خبزنا من إعانات دولية تؤثر على استقلال قرارنا .. هل يمكنك وأنت تتسول أو تقترض أن تتخير بضاعتك وتفرض شروطك ؟ وهل يمكن أن تعود صحراء مصر الغربية سلة الخبز للإمبراطورية الرومانية بل ونعيد تاريخ الأمجاد لمساعدة العرب والأفارقة ألا تتذكر أيام سيدنا يوسف وكان الناس من الدول المجاورة يأتون للحصول على هبات مصر ومساعداتها وهذا مذكور فى القرآن الكريم .. لو لم تكن مصر غنية وحدث حلم فرعون بأنه شاهد سبع بقرات سمان يأكلهن سبعا عجافا ما استطاعت مصر أن تخزن طعاما يكفيها سبع سنين .. لا أظن ولم نكن موجودين الآن لأن أجدادنا كانوا ماتوا جوعا .

أجاب : سامى الحنونى يمكن حدوث ما تتمناه سيادة الرئيس لو وجد فى مصر رئيس مثلك يدفع بتلك المشروعات للأمام ..

قاطعه الرئيس قائلا : أنا بشر مثلك ولكن قدرى هو الذى وضعنى فى هذا الموقع .. ثم نظر الرئيس إلى سامى الحنونى سائلا هل تعرف شخصا قادرا على تحمل تبعات هذا العمل القومى ويستطيع أن ينفذه ؟ سامى يفكر

قليلاً قائلاً سيادة الرئيس لمعلوماتى البسيطة لا أجد شخصاً يستطيع تحمل مثل هذا العمل الوطنى الجبار .. يسكت الرئيس قليلاً ..

قائلاً : لكننى انا أعرف الشخص المناسب الذى يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل .. الرئيس يتحدث بجدية وثقة واضحة قائلاً : حنونى .. أنت الشخص الذى يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل أمام الله أولا ثم أمام الشعب المحتاج ثانيا .. اضطرب سامى الحنونى ولم يستطع ان يفتح فمه وتغيرت ملامح وجهه إلى الجمود وعقله يقفز داخل رأسة لا يستطيع إعطاءه الرّد على هذا التكليف الرهيب "محاوراً نفسه" مثل أن تطلب من طفل حمل جمل حقيقى وليس جمل حلاوة او لعبة .. لالالا .. وكيف؟ .. يادوب على تصليح وزراعة خمسمائة فدان حتى أن أرض مشروع الشباب فى قنا أخذت منى وقتا وجهدا .. أنها مهمة صعبة .. الرئيس ترك سامى يفكر وإنهمك فى النظر للخريطة وتركه يستجمع فكره وإرادته لأن الرئيس شخصيا تحير فى إختيار الشخص المناسب .. وحتى رئيس الوزراء الداهية أيده لهذه العملية ولترشيحه سامى الحنونى حتى إذا نجح سامى استفاد الرجل من هذا النجاح ويكون أمام الرئيس والتاريخ أن فى عهده أبلت الوزارة بلاءً حسنا وإذا فشل وهو معتقد أنه سيفشل فيكون قد أزاحه من أمامه ويكون الرئيس فشل فى تلك التجربة ولا يعيدها .. يبتسم الرئيس لأفكار رئيس وزرائه الذى يحترم ذكاءه ولكنه كان يجب عليه أن يفكر فى أن الأخرين أذكياء .. يتنهد الرئيس قائلاً : يا طابت يا إتنين عور لكنى واثق أنها ستطيب حتى لو بنسبة ٢٠ % وسوف أعطيه كل صلاحيات الرئيس باستثناء إعلان الحرب على الدول وسأتركه يفعل ويلعب فى هذا الملعب الجبار .. الصحراء الغربية .. قطع الرئيس خلوة سامى الحنونى قائلاً : عايزك تضع لى تصورك لتنفيذ تلك المهمة .. فاهم يا حنونى .. سامى متلعثماً ..

فاهم يا سيادة الرئيس .

الرئيس يطلب حضور مدير مكتبه بالقرار الذى أعُد قبل ذلك وناول الرئيس الملف والذى فتحه وأخذ القلم المخصص لتوقيعات القرارت الجمهورية .. ثم وقع القرار وكتب التاريخ أسفل توقيعه وناول مدير مكتبه نسخة من القرار طالبا منه قراءته أمامهما . قرأ مدير المكتب نص القرار الجمهورى .. بعد الاطلاع على الدستور .. ثم مادة (١) .. وركز مدير المكتب على المادة الثانية لأن المادة الأولى مكررة لكن المادة الثانية كانت هامة .. مادة (٢) قرر رئيس الجمهورية تعيين المهندس سامى على الحنونى رئيساً تنفيذياً لهذا المشروع بدرجة رئيس وزراء وأن تنتقل له سلطات رئيس الجمهورية فى مناطق المشروع المحددة بالمرفق ( أ ) ويكون لقبه على المكاتبات الرسمية " **الحاكم العام لصحراء مصر الغربية** " .. مادة (٣) تفصل منطقة الصحراء الغربية والتى يتولى الحاكم الجديد الإشراف عليها من الإدارة المباشرة لمجلس الوزراء .

طلب الرئيس من سامى الحنونى الإنتظار فى الاستراحة المجاورة استعداداً لحلف القسم أمامه ( اليمين الدستورى ) .. غادر سامى مكتب الرئيس إلى الإستراحة والرجل ينظر إليه بإشفاق بعد أن حمله أعباء ضخمة ولكنها أقدار البشر مثل الضباط والجنود الذين يدخلون الحروب دفاعاً عن الأوطان مضحيين بحياتهم وغالبا لا يتمتعون بحلاوة ونتيجة أعمالهم لأنهم يكونون فى عداد الشهداء .. هذه هى الحياة ولابد من التضحية من أجل إسعاد الآخرين .

أقبل موظفو وعمال الرئاسة إلى سامى الحنونى يدربونه لحلف اليمين الدستورية واضعين الأمشاط فى شعره ومهندمين ملابسه ثم موظفو البروتوكول يدربونه كيف يتوجه مع الرئيس لحلف اليمين ثم كيفية التحدث معه بعد ذلك .. وما كان مسموحاً له قبل هذا أصبح غير مسموح بعده .. ولكن سامى رفض تعليماتهم منكراً أنه جاء إلى هنا موظفاً ولهذا طالبهم بتركه كما هو وإلا عاد وأخبر الرئيس .. صمت الجميع بإشارة من مدير

مكتب الرئيس والذى كان يعلم مهمة سامى الحنونى فليس الرجل ذاهباً لحفل إستقبال العيد القومى لإحدى الدول بل أنه ذاهب لغبار ورمال الصحراء الغربية القاسية .. انتهت إجراءات حلف سامى اليمين الدستورية أمام الرئيس .. وشرعت مديرية أمن قنا فى إجراءات الحراسة على سامى الحنونى وتأمين حراسته وعمل حراسات على أهله وعزبة الحنونى .. كذلك مديرية أمن الإسكندرية والتى أرسلت بحراسة على مسكن عائلة سامى فى حى رشدى وأصبح الناس يسيرون لمنازلهم من الشوارع الخلفية واضطربت حركة المرور هناك .

على الجانب الآخر فى عزبة الحنونى حيث يجلس الحنونى الكبير أمام الصندوج أبو جزاز ( التليفزيون ) يشاهد فيلم كرتون عن ( ميكى ماوس ) وهو يغالب النوم وقد تنبه إلى كلمة الحنونى ففتح عينيه وشاهد إبنه سامى فى الشاشة يصافح رئيس الجمهورية فى الصور التذكارية والتى تلتقط فى تلك المناسبات فصرخ منادياً على زوجته والتى أقبلت مسرعة لخوفها على زوجها أن يكون أصابه مكروه لأنه مريض فأشار إليها لتشاهد التلفزيون والتى هتفت آه ربى أنه ولد سامى إبنى هبيب قلب وأمعاء و أدمعت عيناها فرحة وهى تسمع المذيع يعلن بأن الرئيس أصدر قراره الجمهورى رقم ( ..... ) بتعيين السيد سامى على الحنونى حاكماً عاماً لصحراء مصر الغربية وبحيرة ناصر بدرجة رئيس وزراء وفوضه كل صلاحيات رئيس الجمهورية عدا إعلان الحرب .. وهتف على الحنونى قائلاً ليه كده ياريس كنت تسيبها علشان الولد يحارب الخواجات إللى جم من إيضاليا وإحتلوا الأرض إللى ريح العزبة .. وأضحك هذا زوجته حيث قالت له ولد سامى إبننا يهب الأهل فى بلاد الأجداد .. سنيوريه هنونى .. رووه نام إبنك بقى رئيس وزراء وأنت مازلت تكره أبناء العم فى وطنى .. زفرت قائلة أين أنت مام ؟ .. أين أنت داد ؟ لتروا وتشاهدوا حفيدكم ولد سامى بقى ماسك صهراء فى مصر هاكم عليه .. ثم توجهت لحجرتها تصلى ركعتين شكرا لله .. رنين جرس التليفون لم ينقطع عن سراية الحنونى لتلقى التهانى من

الأعمام فهمى وشوقى بطرس لأخيهم الحنونى الكبير ثم أعضاء مجلسى الشعب والشورى بالمحافظة وقام خفر الحنونى بإطلاق الأعيرة النارية فى الهواء لهذا الحدث العظيم وكان أسعد الناس بهذا الخبر هما محافظ قنا واللواء مسعد مدير الإستثمار بالمحافظة واللذان قالا أن الرئيس قرر أن يغير وجه مصر بهذا القرار .. أنه قرار صائب .

فى الإسكندرية وفى حى رشدى حيث أسرة سامى الحنونى ولمياء وطارق منهمكين فى إنهاء واجب المدرسة بينما أنهت مى واجب الحضانة مع مدرستها وأمامها واجب هام فى المنزل وهو مشاكسة أخوتها وهم يذاكرون وتأخذ اقلامهم تلعب بها مما يدفعهم للإحتجاج وارتفاع الأصوات وأصبحت نور لا تستطيع تحملها فتركتها وجلست فى سريرها تستريح وتستعيد ذكريات الأسبوع الماضى وما حفل به ومفاجأة سامى لها ومقابلاتهم مع مدحت وسلوى ثم مشاهدتهم لفيلمها المفضل موعد غرام وعودتها عشرة أعوام لذكريات أسعد أيامها وهى فتاة جميلة ولم تقاس بعد الأم الحمل والولادة ثم الآن شقاوة الأطفال وخاصة " مى " ابنتها الصغرى التى كانت مثل القط فى المنزل تجدها فى كل مكان ما بين إرباك لنظام المنزل أو كسر بعض الأطباق أو مشاغبة شقيقها وشقيقتها لدرجة أن الخادمة كاملة أرادت ترك العمل مما تفعله الصغيرة بهما .

أقبلت مى على نور تتحسس خدها فقبلتها نور بكل حب بينما مى تسأل أمها ليه يامامى بابا فى التلفزيون وأنت لأ؟ .. ضحكت نور قائلة هو بابا فى التلفزيون ؟ أجابتها آه مامى .. طلبت منها تركها وتذهب لتلعب حيث كانت متعبة ولكن الصغيرة كانت مصممة أن تحضر أمها لتشاهد والدها فى التلفزيون حيث طلبت نور من لمياء شقيقتها أن تذهب وتشاهد من فى التلفزيون شبه والدها حتى تنتهى من دوشة مى .. بينما صاح طارق ضاحكاً قائلاً أنت عارفه مى يا مامى كل ما تشوف واحد ماشى فى الشارع تفتكره بابا .. بينما قامت لمياء الكبرى مصطحبة مى إلى التلفزيون لتشاهد.

الشخص الذى يشبه والدها حيث فوجئت بأنه هو والدها والمذيع يتحدث عن سامى الحنونى فأسرعت لمياء إلى أمها طالبة منها الحضور لمشاهدة والدها وأن مى كانت مدركة لمن تكون تلك الصورة أنها لوالدها وليس لشبيه به وقفت نور وأبناؤها أمام التلفزيون وهم يسمعون ما يقال غير متفهمين ما هو والصحراء الغربية والحاكم العام ولكن الواضح أن والدهم قد تقلد منصبا هاما وأنه أصبح مشهوراً .

رنين التليفون لا ينقطع فى منزل نور سواء من والدها ووالدتها وشقيقتها شمس وصديقتها سلوى ومدحت الجميع يشكرون الله أن اختار الرئيس أحد الشباب ليتولى منصباً رفيعاً فى الدولة بدلاً من السادة الموجودين والذين يتركون الوزارة إلى الإنعاش ثم إلى القرافة .. الآن أصبح أحد الشباب الواعى يتقلد منصباً رفيعا فى الدولة .. أما سامى والذى كان مرهقا منذ الصباح بعد أن غادر منزله متجها إلى قصر الرئاسة واجتماعه مع الرئيس وهذا الحمل القاسى الذى وضعه الرئيس على كتفه لم يكن قادراً على عمل شىء سوى أن إتصل بوالديه متحدثا بإختصار إلى الغد حتى يكون قد إستراح ثم اتصل بزوجته وأبنائه وهم يتخاطفون سماعة التليفون ليحدثوا والدهم خاصة مى والتى كانت تحدث والدها عن القطة والبطة وبوبى الجيران ولا تعلم ما يقاسيه والدها ورغم هذا كان حديثها وكلامها مختلفا عن الآخرين مما أدخل البهجة الى نفسه .

رافق أحد موظفي الرئاسة الحاكم العام لإقليم الصحراء الغربية سامى الحنونى إلى قصر الضيافة التابع للرئاسة حتى يستريح الليلة إنتظاراً للغد .. توجه سامى لينال قسطا من الراحة حيث كان العاملون على خدمته متواجدين وقد وفروا له كل إحتياجاته الشخصية من ملابس داخلية وبيجامة نوم وفوط وعدة حلاقة حتى يستطيع أن يكون بعد ان يستريح فى أحسن حالاته وعلم من مدير مكتب الرئيس أنه سيتناول طعام الغداء معه ظهر الغد .. فى الغد وبعد أن تناول المسئولان الكبيران غداءهما سويا سأل

الرئيس الحاكم العام للصحراء الغربية عن خطته لتنفيذ هذا البرنامج وأجابه سامى بانه بلور بعض الأفكار والتى تمت تجربتها من قبل وهى :

المناطق التى حددتها إدارة المساحة العسكرية ستكون أقاليم إنتاجية وتسويقية مستقلة معتمدة على إمكانياتها الذاتية .

الاستعانة بجهاز الخدمة الوطنية للقوات المسلحة فى تجهيز معسكرات الشباب الذين سيعملون فى المشروع وكذا مناطق التجنيد لتجميع الشباب على مستوى الجمهورية وإعطائهم فترة تدريب عسكرى لينخرطوا فى نظام إنضباط شديد مثل الجنود كما سنستعين بإدارة الشرطة العسكرية لإعداد قوات أمن (مدنى) للقيام بأعمال الشرطة المدنية .. كما سيتم تجميع كل ما يفيد فى إنشاء خطوط سكك حديدية لعمل خطوط على المناطق المستصلحة .

عقد مؤتمر علمى على أعلى مستوى يحضره كبار العلماء فى مصر والعالم بخصوص هذا المشروع وعلى رأسهم الدكتور فاروق الباز .. كما سنستعين بمؤلفات الدكتور جمال حمدان فى موسوعته شخصية مصر .

عمل إتفاقات دولية مع كل الدول المتقدمة .. المانيا لتطهير حقل العلمين وإعداد الأرض للزراعة والعائد تصدير حاصلات زراعية من تلك المنطقة .. اليابان وكوريا الجنوبية مع هيئة قناة السويس لتطهير بحيرة ناصر والاستفادة من طمى البحيرة .. فرنسا لتخطيط المدن المحيطة بتلك التجمعات .. إنجلترا لمد خطوط سكك حديدية بين الوادى والدلتا إلى عمق الصحراء للمناطق التى سيتم إستصلاحها .. أما الصين فستقوم مع المصريين بمد خطوط برية لربط تلك التجمعات بالوادى وأيطاليا بتصميم مشروع الاستفادة من منخفض القطارة لتزويد تلك التجمعات بالطاقة الكهربائية .

لذا فأحتاج تجنيب دخل قناة السويس ومساعدة وزارة الدفاع لعسكرة المنطقة بالكامل حتى ننهى العمل بسرعة وانضباط وسوف أستغل العام الأول فى أنهاء كل الاقتراحات لدفع الدول للمساعدة على إنهاء الاتفاقيات ودخولها حيز التنفيذ وإعداد الطرق وخطوط السكك الحديدية.

الرئيس : هل ستكتفى بدخل القناة فى إنهاء هذا العمل القومى ؟

الحنونى : سنعتمد على معاونة الدول الأجنبية بحق الإنتفاع بدلاً من الأرض الصحراء فما المانع أن تعدها دولة ما ونعطيها حق إنتفاع من الإنتاج ما يساوى ٥٠ % من عائد ما أصلحته والباقى يعود للشباب وهذا لفترة معينة أعتقد أنها ستكون حوالى عشرة أعوام كذلك الدول التى ستساعدنا سنعطيها ميزة البحث عن البترول والغاز بدون دفع رسوم تنقيب وإذا إحتجنا أى إضافة مادية سنشرك البنوك الوطنية فى المساعدة .

انتهى اجتماع سامى الحنونى مع الرئيس وعليه الإندفاع نحو التنفيذ وكانت تجربة قنا ماثلة أمامه وبدأ إجتماعه مع وزير الدفاع والذى عرض عليه إحتياجاته من الوزارة ووافق عليها الرجل مبدياً تعاوناً كبيراً مع الحنونى وسوف تتولى أجهزة الوزارة إقامة المعسكرات العشرة فى المناطق التى حددتها إدارة المساحة العسكرية وتجهيزها إدارياً وحراستها ثم طلب منه تزويد المشروع بالطائرات الهليكوبتر القديمة والتى لاتفيد فى أغراض القتال مع تزويده بأكبر عدد من ضباط القوات المسلحة المتقاعدين لتولى قيادة تلك المعسكرات وتنفيذ التعليمات وكانت صورة اللواء مسعد أمامه واضحة .. كما كان يعرف هذا منذ عمل ضابطا فى سلاح المهندسين العسكريين أثناء حرب الاستنزاف .. وماهى الإدارة العسكرية الحازمة وما يتولد عنها من إنجازات .

قام سامى بعقد إجتماعات على طول الخط مع كبار الخبراء فى جميع المجالات لأنه مجتمع جديد لذا فقد كان فى احتياج لكل الأراء والخبرات وأقبل المدعوون المصريون من جميع أنحاء العالم بنفس راضية وعلى نفقتهم الخاصة لخدمة مصر عندما شعروا أن هنالك جدية وأن بمصر رجالاً شرفاء يعملون دون ضوضاء حيث منع سامى الحنونى أى تصريحات مثل ( أكبر مشروع فى الشرق الأوسط .. مصر ستكون أكبر مصدر فى العالم وهكذا من المانشتات التى أفقدتنا المصداقية أمام أنفسنا )

الإتفاقيات الدولية لاقت صعوبة فى الفترة الأولى وساعد أبناء العمة لوو فى إيطاليا وأسرة " كاتيافيلى " فى عقد أول صفقة مع المشروع وصدق عليها البرلمان الإيطالى وشعرت الدول الأخرى بأن الإيطاليين ينوون السيطرة على المشروع خاصة بعد علمهم بأنهم أخوال حاكم إقليم الصحراء الغربية .. وأوعز سامى للبعض بهذا السر مما دفعهم إلى الإنكباب على عمل الإتفاقيات بخطى سريعة وشروط ميسرة لأن منافسيهم جاهزون .

قبل مرور العام الأول كانت كل التجهيزات التى طلبها سامى الحنونى قد أعدتها القوات المسلحة وبالتالى تحددت أماكن المعسكرات كما ان الشركات الإنجليزية بدأت تتعرف على الأماكن المطلوب مد الخطوط الحديدية وكذلك الصينيون لمد طرقهم .. أما اليابانيون والكوريون فقد أقاموا أربعة محطات ضخمة لاستخراج الطمى من باطن البحيرة وتجفيفه كل هذا قبل نهاية العام .. فى بداية العام التالى كان لدى المشروع رصيد كبير من طمى النيل وإدارة المشروع تحاسبهم عن كل شيكارة زنة ٥٠ كج بدفع جنيه واحد ثمنا لها ..

أما الإيطاليون فقد أشركوا بعض الشركات فى مشروع منخفض القطارة لاستخراج الكهرباء لأن هذا المشروع يعتبر ضخما ويحتاج الى

استثمارات كبيرة ووقت لأنه مكون من عدة مشروعات متداخلة فى بعضها البعض ولهذا كونوا مجموعة شركات عالمية فى مجال مد أنابيب المياه من البحر الأبيض إلى المنخفض وشركة لتركيب التوربينات المولدة للطاقة وشركة توزيع الطاقة ثم شركة لاستغلال المنطقة سياحيا وشركة لإستخراج وصيد الأسماك وشركة استثمار عقارى لتسويق الأرض التى ستحيط بالمنطقة لأنها ستكون مثل المناطق السياحية فى مصر (الساحل الشمالى وشرم الشيخ) وسيقبل عليها المصريون والأجانب للتمتع بجوها وطقسها الجاف وكان أهم شىء قرره الحنونى هو عدم الاقتراب من الواحات وتركها بطبيعتها الخلابة وعدم مد الزحف العمرانى إليها حتى لايؤثر على جمالها لكن يتم مساعدتها عن بعد سواء بالطرق والمواصلات أو بتشغيل أبنائهم .. كانت خطته واضحة للجميع .

ومن جهة اخرى استطاع سامى الحنونى بمعاونة علماء مصر بالخارج الذين اقبلوا للمساهمة فى نهضة مصر الحديثة ان يعدوا وينشؤا خطوطا ضخمة من انابيب المياه التى تقوم بسحب مياه الصرف الصحى من الوادى ومن مصرف بحر البقر الذى كان يلقى بتلك المياه فى بحيرة المنزلة والدفع بها فى اتجاه الصحراء الغربية وانشاء احواض ضخمة تخزن بها تلك المياه ويسلط عليها نوع من الاشعة تقوم بقتل كل الطفيليات والجراثيم ثم تصفيتها ودفعها فى انابيب بلاستيك ذات فتحات كبيرة ومدفونة اسفل التربة لمنع التلوث لتقوم برى مساحة من الاراضى على الحدود الغربية مع ليبيا وبتالى تنشأ غابة ضخمة من الاشجار الخشبية المستوردة فسائلها من اوساط افريقيا لملائمة الطقس الحار فى الصحراء والغرض من ذلك :

*انشاء حزام اخضر بعرض كيلومتر وبطول الحدود الغربية من تلك الاشجار لمنع التصحر ومنع تحرك الغرود الرملية الضارة على الاراضى الجديدة

*نواة لغابة خشبية تسد احتياجات مصر ويصدر الباقى الى الخارج

*المياه المتسربة فى باطن الارض ستصبح بمثابة مصدر متجدد للمياه الجوفية وبالتالى لا تنضب المياه من باطن الارض لأن مياه الصرف الصحى تمثل حوالى ٦٠% من المياه التى تستهلكها مصر كل عام سواء فى الزراعة او الاستهلاك الادمى

*هذه الاشجار قادرة على مقاومة اسراب الجراد لأن اوراقه لزجة فاذا وقف عليها الجراد لا يستطيع الطيران او التحرك ويقتل

*منع رياح الخماسين التى تهب على الجمهورية من الغرب فى بداية فصل الربيع وما تحمله من اضرار صحية لعدم القدرة على التنفس الصحيح

*تقوم على تلطيف درجة الحرارة فى منطقة الصحراء الغربية

*منع التلوث الناتج من دفع تلك المياه الضارة بالصحة فى مصرف بحر البقر الذى يمر من خلال محافظتى القليوبية والشرقية ويفسد مياه بحيرة المنزلة وبالتالى الثروة السمكية

# (٣٣)
# بعد مُضى عـام على المشـروع

مضى عام على حلف سامى الحنونى لليمين الدستورية أمام الرئيس .. وكان الرئيس متابعا لكل خطوة فى المشروع دون سؤال سامى عن ذلك حتى لايحدث إرباكا لخططه لكن مصادر الرئيس من المعلومات كانت تخبره بالاجتماعات التى كان يعقدها مع وفود الدول والشركات وخاصة عندما علم الرئيس أن اليابانيون والكوريون بدأوا فى تطهير بحيرة ناصر وأن كميات ضخمة من الطمى بجوار البحيرة إنتظاراً لتجفيفها وتعبئتها واستقل الرئيس طائرة هليكوبتر وشاهد بنفسه كل الإنجازات وكانت سعادته كبيرة حيث قال لمرافقيه : أنها جبال ضخمة سينجح الحنونى فى استغلالها

الشهر التالى قام الرئيس بزيارة خاصة الى مناطق عمل مجموعة الشركات التى تعمل فى مشروع منخفض القطارة وشاهد عدة أماكن يعمل بها العديد من الشباب ثم واصل تقدمه حتى انتهى المطاف به فوق حقل الغام العلمين الذى طهره الألمان ويقومون الأن باستصلاح الأرض وقد انتهوا من مساحة كبيرة .

كان الرئيس فى حالة ضيق .. فهو يرغب فى إعلام الناس بما يحدث من نجاحات فى الصحراء الغربية ولكن تعليمات الحنونى جعلته يحترم رأى الرجل تاركاً كل إنسان يعمل بطريقته رغم أن أعدادا كبيرة من الناس كانت تتحدث عما يحدث فى الصحراء من أبنائهم الذين يقومون بالاستصلاح هناك وفى أجازاتهم يخبرونهم بما يعملون ولكنهم يخبرونهم بمنطقتهم وليست كل المناطق ولكن الرئيس لاحظ شيئين هامين ..

**الأول :** هو انخفاض الازدحام بالقاهرة ..

**الثانى :** زيادة إعلانات الشركات فى المدن الجديدة عن إحتياجاتها الى عمال وموظفين بل ازدادت الحوافز لتلك الوظائف كما أنه لم يتقدم للحكومة

خلال الشهور الستة إلا ١٧ % من عدد العاملين الذين يرغبون فى الحصول على وظائف مقارنة بالعام الماضى وإتصل الرئيس بوزير الدفاع ليعلم منه عن عدد الذين قامت إدارة التجنيد بإرسالهم إلى الصحراء الغربية فأخبره الرجل بأنه حتى الآن يزيدون على اثنين مليون ومائتى ألف شاب وفتاه .. ضرب الرئيس المكتب بيده قائلاً : لقد نجحت يا حنونى .. لقد فرغت البلد من هذا العدد بزحامه وطعامه ومشاكله .

الرئيس يجلس مع مستشار الأمن القومى سائلاً إياه عن آخر أخبار أمن البلد وما يدور فى الشارع المصرى .. وأجابه بأن الحالة الأمنية تحسنت خلال الستة أشهر الماضية بنسبة تصل إلى ٣٨ % والسبب فى ذلك أن كثيراً من الشباب غير متواجد أو مشغول وأن الأكثر أهمية أن أصحاب اللعب فى أفكار الشباب لا يجدون أحداً يسمعهم .. فكل الطرق مقفولة أمامهم ثم يضيف : أعتقد سيادة الرئيس أن موضوع الصحراء الغربية جذب غضب وضيق الكثيرين فى مصر وجعل آلاف الشباب يشعرون أن أمامهم أمالاً للمستقبل .

كانت كل المعلومات أمام الرئيس .. لكن الشىء الذى لم يكن الرئيس متعوداً عليه سواء قبل توليه الرياسة أو بعدها أن يجد مسئولاً عازفاً عن مقابلته .. أنه لم ير أو يقابل الحنونى منذ حلف اليمين حتى الإحتفالات القومية لا يحضرها .. توتر الرئيس وماذا يفعل أنه لا يريد إرباكاً لهذا الشاب خاصة انه يسير على طريق صحيح وقرر بينه وبين نفسة التحامل حتى يقرر سامى دعوته إلى زيارة المنطقة .

إستجاب الله لأمنيات الرئيس فقد طلبه سامى الحنونى للقاء هام فى منطقة حقول الشيطان بالعلمين وأرسل الرئيس بعيونه لتعلم ما يريده الحنونى من تلك الزيارة حيث أخبروه أن الألمان أنهوا بعض المزارع وأن

الخضرة بدأت تنتشر هناك .. قبل الرئيس الدعوة وهناك تقابل مع الحنونى ورئيس الشركة الألمانية وبعض معاوني الحنونى حيث كانت المفاجأة هى إكتشاف ثلاثة حقول بترولية ذات إنتاج إقتصادى عال وأربعة حقول غاز طبيعى كانت قابعة تحت الألغام طوال تلك الأعوام .. كانت بشرى سارة

وكما يقول الرئيس : أنه كاد يبكى فرحا لولا أن تماسك لأن تلك الاكتشافات ستدخل للخزانة المصرية أكثر من عشرة مليارات دولار سنوياً تزداد إلى أن تصل فى ذروة الإنتاج إلى ما يربو من سبعة عشر مليار دولار .

أعاد الرئيس قوله السابق ثانية : لقد نجحت يا حنونى حيث كل المعلومات توضح أن جميع الإتفاقيات الدولية والتى أبرمها الحنونى تسير حسب المعدل والمستهدف بل أن بعض الدول طلبت عقد إتفاقيات أخرى للبحث عن البترول والغاز الطبيعى والثروات المدفونة تحت باطن الأرض من معادن وخلافه مما جعل وزير البترول يسرع إلى رئيس الوزراء محتجا بأن إقليم الصحراء الغربية سيطر على الثروة البترولية من غاز طبيعى وزيت البترول وانه يرغب فى عرض هذا الموضوع على الرئيس ولكن رئيس الوزراء رفض ذلك موضحا له أن الرئيس هو الذى طلب ذلك من الرئيس الحنونى وإنه يسير بمعدلات أسرع مما كانت تفعله وزارة البترول وكلها ثروات عائدة إلى الدولة .

اقترب العام الثانى من نهايته وما زال الرئيس يود أن يفرح شعبه بأخبار اقتصادية تعيد الأمل إليه بأن غداً يوم أفضل من الأمس ولكن الحنونى مازال على عناده مع وسائل الإعلام مما جعلها تبحث عن الأخبار من الجهة الأخرى وهم الشركاء الذين ليس عندهم مثل هذا الحظر فقالوا كل ما يعرفونه عن نشاطهم دون تدخلهم فى أعمال الشركات الأخرى وأسعدت تلك المعلومات جموع الشعب حيث إنها معلومات غير صادرة عن الحكومة وما يعلمه الشعب من عدم صدق تقارير الحكومة التى تكون

مغالطة ولكن تلك المعلومات والتى تخبرهم بانهم ينشئون ويقيمون مشاريع ضخمة دون ذكر ذلك رسمياً .

اجتمعت معلومات الإعلام الداخلى الصادرة عن الجهات الأجنبية مع المعلومات المتواردة من الشباب الذى يعمل فى تلك المشروعات وأيقن الشعب أن الحكومة تعمل فى صمت بدلا من الدعاية الإعلامية التى أضاعت على الشعب أحلاما تلو الأحلام بالرخاء وهى غير صادقة .. كان الناس فى حب وشوق إلى أن تقول الحكومة الحقيقة حتى إذا كانت الحقيقة وردية صمتت الحكومة وأجهزتها .. بينما كان الحنونى لا يريد الإنشغال بالإعلام حيث إنها أداة هامة ولكنها معرقلة حتى يتم الانتهاء مما يفعله .

الأراضى تم استصلاحها وها هى القطارات تنقل طمى النيل القادم من بحيرة السد العالى ليخلط بالتربة الرملية التى تكون مثل الصنفرة على النباتات فتقتل الأجنة الصغيرة لتلك النباتات كما يحتفظ الطمى بالماء ويغذى النبات ويعمل على حماية النباتات قبل إنباتها من تحت التربة من أشعة الشمس التى تقضى على جزء منها .. بينما يتم الآن تركيب توربينات محطة الكهرباء على مشروع منخفض القطارة والصينيون يقومون بنشاط كبير فى تمهيد الطرق ومعدلاتهم تثبت أنهم سائرون على نفس الخطة التى تقدموا بها وأقيمت أكثر من نصف طول الطرق الحديدية التى خُطط لها وجماعات الإستصلاح تثبت إنها تقترب من الانتهاء من إنشاءات المبانى السكنية فى الأراضى المستصلحة على غرار مشروع قنا لكن التغيير الذى حدث عن مشروع قنا هى مشكلة الزواج حيث قرر المشروع أن يحضر الشاب قسيمة زواجه قبل استلام الأرض حتى يكون قد إختار واتفق ووافقت عليه العروس وحتى يُكتب إسمها فى عقد الملكية .

قام الرئيس بزيارة لعدد من المزارع التى بدأت التجارب الأولية فى الزراعة وكم كان سعيداً وهو يرى الأراضى المستصلحة وقد غمرها اللون الأخضر أما الأراضى التى تحت الاستصلاح فكان الشباب يفرشونها

بالطمى القادم من بحيرة ناصر من مسافات بعيدة ومكلفة لكنها لمرة واحدة ويبقى هذا الطمى فى الأرض يساعدها على حُسن الإنتاج والزراعة .

نهاية العام الثالث وقد تم الإنتهاء من زراعة عشرة تجمعات زراعية سواء متجمعة أو متفرقة حسب طبيعة الأرض كما وصلت إليها الطرق البرية أو السكك الحديدية أو الإثنان سوياً ولم يتبق على الإنتهاء من مشروع الكهرباء سوى سته أشهر وقد إقتربت شركة التوزيع من توصيل خطوطها الى كل المزارع تقريباً وقد تكالب العديد من شركات السياحة على منطقة القطارة لشراء أراض للإستغلال السياحى كما كونت شركة موحدة لنقل الغاز الطبيعى من الصحراء وشركة أخرى لنقل زيت البترول وكل تلك الشركات امتصت عمالة من داخل الوادى .. أما عن مشروع سامى ونتائجه فآخر المعلومات التى وصلت للرئيس تخبره بأن عدد الشباب والفتيات الذين سيستوعبهم المشروع هو ثلاثة ملايين ومائة ألف هذا غير قطاعات الخدمات من محلات وأطباء ومستشفيات وبقالة وحلاقين وكلها احتياجات لخدمة البشر المقيمين بالمناطق الجديدة وتقدر أعدادهم بحوالى إثنين مليون غير العائلات .

كانت الخطة التى وضعها الحنونى تقر توزيع عشرة أفدنة على كل شاب وهذا يعنى أن مليون فدان سيتم توزيعهما على مائة ألف شاب ومتزوجين من مائة ألف فتاة فيكون المليون موزعة على مائتى ألف شاب وفتاة وبالتالى العشرة مليون فدان بالخطة ستوزع على إثنين مليون من الشباب والفتيات كما يعمل فى بحيرة ناصر وشركات الكهرباء سواء إنتاج اوتوزيع والطرق والسكك الحديدية أكثر من مليون من الشباب .. وقد بدأت شركات التسويق العالمية تعمل بعد ان أعدت مصانع تنقية ونظافة وتغليف وتجفيف المنتجات لتنقلها إلى بلادها سدادا لديونها على حكومة الصحراء الغربية مستغلة ميناء مطروح وهكذا ابتلع هذا المشروع أكثر من خمسة ملايين من المواطنين وخاصة الشباب وبدأ يدر للدخل القومى أموالا ..

خاصة أن العاملين فى داخل الوادى تخلصوا من عبء الصرف على أبنائهم وبناتهم مما ساعدهم على الإدخار وتحسين مستواهم وقلل من المشاكل الاجتماعية واعطى الفرصة أمام الأباء والأمهات للعناية بالأطفال الأصغر والذين كان أخوتهم الكبار مانعين عنهم الفرص سواء فى التعليم أو الحياة .

الآن مضت أربع سنوات منذ كلف الرئيس الحنونى بالمهمة الملقاة على عاتقة وجلس الرئيس مع الحنونى ورئيس وزراء الحكومة المركزية لبحث نتائج ماتم فى الأعوام الأربعة السابقة وقد أثنى الرئيس على الحنونى قائلا لقد إنتهيت من كل ما كلفتك به فى موعده ولكن الحنونى اعتذر بأنه لم ينته كما يجب حيث أن قطاع الخدمات سيأخذ منه العام الخامس ولذا فهو يطلب عاما آخر .. وقد أسعد هذا الرئيس وإستأذن من الحنونى أن يلقى خطابا على الشعب يعلن فيه نجاح أبناء مصر فى مضاعفة أرضهم الزراعية .. وافقه الحنونى مقترحا على الرئيس خطة جديدة تعتمد على شراء الأراضى القديمة فى الوادى والدلتا مقابل أرض أخرى مستصلحة مضاعفة للمساحة المشتراه وهذا يمكن الحكومة المركزية من أن تعيد إلى الأرض القديمة الخصوبة وإقامة مشاريع رى حديثة توفر جزءاً كبيراً من المياه لرى الأرض المستصلحة وتزيد غلة الفدان وأسعد هذا الرئيس قائلاً سنجلس سوياً لنرى ما تفكر فيه ثم يكون خطاباً آخر وقال الرئيس : لقد حرمتنى طوال تلك المدة من الخطابات وإلقاء التصاريح الصحفية .. لكنى الآن سألقى خطاباً على أساس واضح وحقيقى ..

ألقى الرئيس بخطابه والذى أسعد جموع الشعب فقد شعروا أنهم مقبلون على حياة أحسن مضمونة العيش لهم ولأبنائهم ولا داعى للتعليم الجامعى طالما كان الطالب غير متفوق لأنه سيتسلم أرضاً جديدة يعمل بها ويعيش مع أسرته وهذه كانت خطة الحنونى القادمة وهى إستصلاح خمسة ملايين

فدان سنوياً لمدة خمس سنوات حتى تتشبع مصر ويكون أمام الأجيال القادمة فرص عمل فى مجالات أخرى تخدم التصنيع الزراعى .

كلف سامى الحنونى القوات المسلحة بالتعاون مع الجامعات على تأهيل الخريجين الجدد واختيار الأصلح للعمل فى تخصصاتهم خاصة بعد الحالة المتردية فى التعليم وليس كل خريج طب يصلح ان يكون طبيباً ولا كل خريج هندسة يصلح ان يكون مهندساً وهكذا .. وقد اختيروا بعناية وإختبارات أفرزت الكثير من الطالحين الذين لا يملكون سوى ورقة عليها اسمهم بأنهم حصلوا على شهادة كذا وأوفد المختارين بعناية الى بعض الدول الأوربية لزيادة تعليمهم وتدريبهم .. وهذا ما حدث فى قطاع المدارس وفى جميع المراحل حيث إكتشفوا إن بعض المدرسين لا يفقهون شيئاً فى مادتهم العلمية وليس لديهم خبرة فى سلوكيات المعلم التربوى .. سار كل تخصص على هذا المنوال بإنشاء مجتمع حديث خال من الأمراض الإجتماعية مع قانون بتار فى التنفيذ كحاكم عسكرى فعلاً دون الاسم فمن يخطىء يعاقب بالمحكمة .. أقيمت إنشاءات حكومية على أعلى مستوى من العناية وكان الجمال والنظافة والصيانة لتلك الإنشاءات هو الثلاثى الحاكم لها فقد كانت مسئولية المدير الفنى غير مسئولية مدير الشئون الإدارية المتولى النظافة والصيانة والتجميل وركزوا على دورات المياه مع إلغاء ما يسمى بالساعى فالكل يتبع شركة النظافة التى تقوم بكل شىء بعيداً عن الساعى الذى يفتح بوفيه فى دورة المياه وما أقذرها فى مصر .

عاد المبعوثون الذين تعلموا أساس مهنتهم بعيداً عن المحسوبية والشللية والمنفعة وشاهدوا نظم الإدارة السليمة وتدربوا على أعمالهم وعينوا تحت بند المكافأة والعقاب ولهم مديرون ينظمون لهم قواعد للتقييم على الكمبيوتر كما حصلوا على مرتبات مجزية وسكن وظيفى راق كما أرسل الحنونى فى إستجلاب تخصصات أجنبية ذات خبرات طويلة وبمرتبات مجزية لتتولى الإدارة فى كل قطاعات الخدمات حتى يتعود

المصريون على نظم الإدارة الحديثة المتطورة عالمياً وبعيداً عن كلمة السحر " معلش " .

جميع المشاريع الإنتاجية بدأت تدخل فيما يسمى فى علم الاقتصاد بنقطة التعادل او الانتاج الحدى وهى النقطة التى تتساوى فيها المبالغ المنفقة مع المبالغ العائدة وهى الأساس فى الحكم على المشروع اقتصادياً .. و نجحت تلك المشاريع اقتصادياً لأنها تدار من دول ترغب فى الربح و ( مصر ) لم تدفع شيئاً .. لذا فهم يبذلون كل جهدهم لنجاح مشروعاتهم وتسويقها وخاصة أن تلك المشروعات لها فترة ضمان عشرين عاما من تلك الشركات لإدارتها وصيانتها وأصلاحها .

أسعدت نقطة التعادل رئيس الوزراء المركزى وهو رجل اقتصاد ويفهم فى تلك الموضوعات حيث ذهب ليبشر الرئيس قائلا: الأن أستطيع أن أقول أن الحنونى نجح بجدارة ووضح له (نقطة التعادل) .

مضى الأن خمس سنوات على تكليف الرئيس للحنونى بهذه الخطة الاستراتيجية لنهضة مصر .. كان من المعروف لدى رئيس الجمهورية أن الحنونى يريد الإستقالة وبعد مناقشات بينهما أوفى الرئيس بوعده نظراً لأن الحنونى له من الأبناء ثلاثه وهم الأن فى مراحل الثانوى والإعدادى ويريد التفرغ لهم ولمشروع " لوو " والذى كان يسير بكل نجاح بفضل إدارة شقيقته سعاد الحنونى .

طالب الرئيس بإجتماع لمجلس الوزراء .. وقبل الإجتماع بأسبوع أمر بأن يعد كل وزير تقريراً عن تأثير مشروع الصحراء الغربية على الوزارة .. وهذا الاجتماع بحضور سامى الحنونى .. حيث قال له بالحرف الواحد ده يومك يا حنونى أنت صاحب الفرح .

فى إجتماع الرئيس مع مجلس الوزراء الموسع والذى يحضره سامى الحنونى ومساعدوه وعلى رأسهم اللواء مسعد الذراع اليمنى فى المشروع

هذا الرجل الغامض الساكن قليل الحديث حيث كان صوته عميقاً إذا تكلم كما أنه المسيطر على القيادات العسكرية التى أتى بهم الحنونى بعد التقاعد فهم وقود تلك الملحمة الإستراتيجية للنهضة الاقتصادية والعمرانية فقد ساعدوا فى غزو الصحراء مثل ما قاموا قبل ذلك بغزو العدو المعتدى على أرض الوطن وهم جنود مجهولون يعملون ولا يتحدثون فليس لهم نقابة أو أحد يتحدث عن مشاكلهم وأحوالهم صامتين كما قال رسول العزة أنهم فى رباط إلى يوم القيامة .

الرئيس يتوسط قاعة الاجتماعات الضخمة ومظاهر السعادة واضحة على الجميع حيث افتتح الرئيس الإجتماع بتلاوة آية من القرآن الكريم .. بسم الله الرحمن الرحيم " وقل اعملوا فسيرى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) صدق الله العظيم [1]

قال : أيها السادة قبل أن أتحدث أنوه أننى كلفت مدير المخابرات بإحضار كل المعلومات والتقارير التى طلبتها من الوزراء لأننى أريد الدقة ولنتعلمها على كبر .. المهم أن نتعلمها وكما قال السابقون أن الصدق منجى من المهالك .. لذا فأى مسئول لا يتأكد من صدق تقريره فيعتذر عن تقديمها حيث سيكون مخالفاً لتقرير المخابرات ويتولى مدير المخابرات العامة تلاوة تقرير المسئول نيابة عنه ولا إحراج فى ذلك .. ثم فى نهاية تقاريركم سيتحدث السيد رئيس وزراء الصحراء الغربية رغم أنه لم يكن عنده وزراء بل جنود مصر الأوفياء .. السادة الوزراء لتتحدثوا فى المفيد وبترتيب البروتوكول الذى تجلسون بنظامه .

وزير الداخلية : تركيزاً على القاهرة والتى بها ربع سكان الجمهورية .. بالمقارنة بخمس سنوات سابقة .. إنخفضت نسبة الجرائم إلى أن وصلت

---

[1] سورة التوبة

إلى ٢٢ % .. لا تسول ولاسرقات سيارات .. سيولة تامة فى حركة المرور .. انعدام عمل التيارات الدينية بالسياسة لأن جميع الشباب الذين كانوا وقودا لها قد اصبحوا فى الصحراء الغربية .. كما رفع الكثير من المواطنين الستائر الحديدية التى كانوا يضعونها على منازلهم خوفا من السرقات .. تحسن كبير فى تعامل رجال الأمن مع المواطنين لقلة المشاكل وقلة الاحتكاكات .. كل هذا ينعكس على محافظات الجمهورية بصورة أحسن كما إنخفضت نسبة استخراج جوازات السفر أوتصاريح العمل لعدم الحاجة إليها إلا للمسافرين للحج والعمرة أو السياحة .

**وزير التموين :** نسبة الإكتفاء من المحاصيل ١٠٠ % ومستودعات القمح والذرة ممتلئه بها .. كذا الزيوت والسكر والدقيق مما أدى إلى تحسن فى رغيف الخبز لتنافس المخابز على جذب المواطنين للشراء منهم , مع تغليف عبوات الخبز منعا للتلوث .. أما اللحوم الحمراء والبيضاء وبيض المائدة فالتجار يشتكون من كثرة الكميات الموجودة لديهم وقد انخفضت أسعارها وأصبحت مُيسرة لذوى الدخل المحدود.

**وزير التجارة الخارجية :** بلغت كميات المعونة للدول الأفريقية الفقيرة والتى أرسلت فى العام الماضى اثنين مليون طن قمح وثلاثة ملايين طن ذرة .. هذا بالإضافة إلى تصدير خمسة مليون ونصف مليون طن قمح لبعض دول شرق آسيا وثلاثة ملايين طن أرز وسبعة ملايين طن ذرة وخمسة ملايين دجاجة مذبوحة ومثلجة كما وصلت التعاقدات مع وزارة الحج السعودى على تصدير أكثر من مليون من رؤوس الأغنام ومائتين وسبعين ألفا من رؤوس الأبقار كلها حية لموسم الحج هذا غير التعاقدات على كميات السكر والزيوت النباتية والحيوانية والبقوليات .

**وزير الصحة :** إنخفاض كبير فى نسبة الأمراض المعدية مع قلة إنتشار مرض البلهارسيا نظراً لإرتفاع الوعى الصحى بين المواطنين.

وارتفاع المستوى الإقتصادى كما انعدمت تقريباً أمراض الجهاز التنفسى لنقل المصانع وقلة كثافة السكان فى الكيلومتر المربع .

**وزير البيئة** : تعتبر وزارة البيئة المستفيد الأول من كل ما حدث حيث يصل ترتيب القاهرة الآن إلى رقم ٣٥ بالنسبة لعواصم العالم فى نظافة البيئة وخلوها من أمراض الجهاز التنفسى كما أشار زميلى وزير الصحة وسيقفز هذا المستوى لرقم متقدم عالمياً لو تم نقل مصانع الأسمنت فى حلوان والحديد والصلب وبعض مصانع المسبوكات من القاهرة وكل هذا لخلو مياه النيل من مسببات السرطان وجهود الوزارة مع المراكب السياحية فى ذلك ومنع المصانع التى تصرف مخلفاتها فى النيل مثل مجمع الالمنيوم.

**وزير الإسكان والتعمير** : نواجه ثلاث مشاكل .. قفل عدد كبير من الشقق السكنية فى القاهرة والأقاليم .. ترك مناطق التعمير فى المدن الجديدة دون بناء .. توقف التعمير وشراء أراضى تعمير فى المدن التى تم إنشاؤها (الرئيس ومجلس الوزراء يضحكون) .

**وزير التعليم** : أقول مثل زميلى وزير التعمير حيث نواجه مشاكل .. حيث قلت كثافة الفصول الدراسية من ٤٢ تلميذا إلى ٢٨ تلميذا هذا مع توقف المدارس على فترة واحدة كما قل عدد المدرسين الذى تحتاج إليهم المدارس .. أما الإيجابيات فهى عكس ماسبق وذكرته بالإضافة الى عبوة اللبن الحليب والتى تصرف لطلاب الحضانة والإبتدائى والتى بدأت تؤتى ثمارها فى تحسن حالة التلاميذ الصغار الإستيعابية (الرئيس مازحا خلاص سابوا الفول للخيل) يضحك المجتمعون .. ثم أن وجبة الغذاء والتى تقررت منذ شهرين كان الإقبال عليها شديدا حيث أن الشركة الأجنبية والتى إتفق معها السيد رئيس وزراء الصحراء الغربية كانت ممتازة ورائعة ومقبولة من الطلاب فى مختلف المراحل ( الرئيس مداعبا أصل الشركة بتاعة قرايب الحنونى .. إيطاليين ) الجميع ضاحكون .. كما إستطاعت المدارس

أن تتبنى الأنشطة الثقافية من رسم وموسيقى وشعر وخطابة ومسرح مدرسى والأهم هو النشاط الرياضى حيث أقيمت ملاعب على بعض أراضى المدارس القديمة .

**وزير التعليم العالى** : إنخفاض يصل إلى ٥٠ % من المتقدمين لمكتب التنسيق بالجامعات حيث أن الطلاب إكتفوا بالحصول على شهادة متوسطة أو الثانوية العامة ولولا شرط أنه لن يتسلم أرضاً فى الصحراء الغربية إلا الحاصلون على شهادة متوسطة لكان الشباب قد تركوا المدارس الثانوية وقد أثر هذا على مشكلة الدروس الخصوصية والتى تلاشت تقريباً .. كما أن سعة المدرج الدراسى فى الجامعات وصل إلى ما يقرب من المستوى العالمى فى حدود ٢٢٠ طالباً .

**وزير السياحة** : زيادة التدفقات السياحية حيث أن قلة الزحام قد ساعدت على حركة السائحين وزيادة نظافة المدن كما أن المناطق الجديدة استهدفها السائحون ليشاهدوا على الطبيعة تلك التجربة المصرية الفريدة .

١٠- **وزير الإعلام** : تغيير فى إرسال البرامج خاصة التلفزيونية والابتعاد عن الخلاعة ومواكبة الوضع الجديد تمشيا مع وضع الشباب الذى يعمل ويكافح فى الصحراء وليس من المعقول أن تعرض عليه رقصات وأغانى ماجنة خليعة وستكون هناك طفرة إعلامية تتمشى مع روح هذا العصر الذى يبنى فيه الشباب وطنهم .

١١- **وزير المالية** : منذ عامين لم نفتح اعتمادات استيرادية .. كما أنه سيتم دفع آخر قسط لديون مصر الخارجية بعد شهرين فى ميعاد إستحقاقه .. ميزان المدفوعات تحسن واصبح لصالح مصر بزيادة ١٧مليار دولار هذا العام .. تحسن فى قيمة العملة أمام العملات الأجنبية حيث وصل سعر صرف الجنيه أمام الدولار إلى ١٤٠ قرشا للدولار مع تحسن هذا الوضع عندما ننتهى من دراسة إستخدام الجنيه فى دفع رسوم قناة السويس

والبترول والغاز الطبيعى للدول المستوردة والفنادق والشركات السياحية حيث سيحدث إندفاع لشراء الجنيه والإحتفاظ به ويصبح بالتالى من العملات القوية عالمياً .

١٢ - وزير الخارجية : كل ماقيل ينعكس علينا كوزارة خارجية فى تحسن العلاقة مع الدول القوية التى ترغب فى صداقة القوى أو الدول الفقيرة والتى تطمع فى معونات إقتصادية لها وبالتالى فإن الدبلوماسيين المصريين قد أصبحوا فى وضع بروتوكولى أفضل كما أن مشاكل المصريين بالخارج قلت لعودة عدد كبير منهم ولم يتبق إلا رجال الأعمال أو الذين يتقلدون مناصب رفيعة فى تلك الدول المتواجدين بها .

الرئيس ناظراً جهة مدير مخابراته الذى فهم مغزى تلك النظرة حيث قال الرجل بأن كل ماقيل هومطابق للحقيقة بل أننا كجهاز أمنى كبير وجدنا انه حدثت إنعكاسات إيجابية ضخمة من الطفرة الإقتصادية التى حدثت ولكنها تدخل فى صلب عملنا وقد وضعنا أمام سيادتكم هذا التقرير والذى يصب فى صالح الأمن القومى لمصر .

شكر الرئيس الجميع ثم طلب من سامى الحنونى أن يتحدث حيث صفق له الجميع بحرارة حيث قال : أن كل ماتم هو تضافر عناصر الدولة من أول الرئيس الذى قرر أن يدخل معركة التنمية من أصعب طرقها وهو الزراعة وغزو الصحراء وهى مرحلة صعبة بكل المقاييس وليس أمامنا سوى ذلك .. لكن لا تنسوا أيها السادة فى غمرة أفراحنا ونجاحنا أن هناك أكثر من ثلاثة ملايين من الشباب اليافع هم أبطال تلك التجربة هم الذين تحملوا العمل والطقس بالغ السوء .. هم الذين سيكملون نهاية التجربة ليسلموها لأبنائهم ولكنى أحذر أن تمتد يد الإهمال والبيروقراطية الحكومية لهم ولهذا فقد وضعت نظاماً أرجو أن يوافق الرئيس عليه ويرسله إلى مجلس الشعب للتصديق بأن تعتبر تلك التجمعات هى تجمعات اقتصادية أى أن الأساس فيها هو الربح وليس تعيين مدير ورئيس وخلافه ولهذا ربطتها بالإنتاج

والتسويق وسيتولى الإشراف عليها شركات التسويق العالمية التى تريد الربح .. والربح لا يأتى إلا من تحسن أحوال من يعملون بها وسيكون دور الحكومة هو الإشراف وحماية حقوق الشباب أصحاب الأرض لتكون حكما بين المنتج والمسوق وستقوم شركات التسويق بعمل الإدارة المحلية من نظافة وصحة وتعليم وهى التى ستدفع المرتبات ولهذا يهمها أن تصل إلى أعلى نتيجة والكسلان مصيره الطرد بدون مناقشة ولا لف ولا دوران .. إعمل بجد وخذ حقك .. الأمر الثانى هو المدارس والمستشفيات والتى تديرها أطقم أجنبية والذين يفهمون أسس الإدارة الحديثة وليس عندهم كلمة المصريين الساحرة (معلش) وقد أضحكت هذه الكلمة كل الموجودين .. سكت الحنونى قائلا أشكركم كثيرا على ثنائكم على ماقام به ثلاثة ملايين مصرى من الشباب ورجال القوات المسلحة الشجعان وعلماؤنا الأفذاذ.. شكرا أيها السادة .

**الرئيس :** أيها السادة من يتذكر منذ خمس سنوات وما آل إليه حالنا الإقتصادى وما كانت ستصل إليه الأمور لو بقينا على مانحن فيه ..لا أعلم ولكنى أقولها بكل صراحة أنه بعد الله عز وجل كان الفضل فى هذا المشروع لثلاثة رجال .. أشكرهم بالإنابة عن الشعب المصرى .. الرجل الأول الأستاذ الدكتور حمدى الشرقاوى محافظ قنا والذى كان يتولى المحافظة ومنذ سبعة أعوام دخل بمشرطه الجراحى مستأصلا دابر الفساد فى محافظته يعاونه أحد القادة العسكريين السابقين وهوالرجل الثانى وهو موجود معنا وهو اللواء مسعد الذى كان سندا قويا للمحافظ ثم تعاون مع هذا الشاب الأسطورى سامى الحنونى حفيد المصريين الفراعنة وحفيد الرومان العظام والذين أنشأوا فى الصحراء الغربية أكبر مزارع لهم حيث كانت تطلق عليها سلة الغذاء للإمبراطورية .. وكان الحفيد مع القدر أن يعود مستلهما قوة وجبروت الفرعون العظيم والذى نفتخر اننا أحفادهم .. الآن فقط يمكننا الافتخار لكن قبل ذلك أعتبرها إهانة لهم أن أحفادهم بهذا الكسل والخمول .. لقد أندفع الحفيد للحضارتين ونفذ ما طلب منه وصدقونى إننى

تحادثت مع مستشارى الاقتصادى بأن الحنونى لونجح فى تنفيذ عشرة فى المائة لأصبح بطلا وأكون من السعداء أيها السادة أرجو أن تحيوا معى الرجال الثلاثة الدكتور الشرقاوى واللواء مسعد والمهندس سامى الحنونى .. أنهم رجال مصر الشرفاء وإننى أهدى لهم قلادة النيل العظمى لهذا المجهود الإنسانى وما فعلوه للأجيال القادمة .. الجميع وقوفا تحية للرجال الثلاثة .

الرئيس : أيها السادة منذ يومين فى اجتماع بينى وبين سامى الحنونى سألته ماذا تريده من مصر جزاء ما فعلت .. وقد سألنى هل ستوافق سيادة الرئيس ؟.. ولقد أندفعت بمشاعرى وليس بمنصبى معه مجيبا إياه .. كل ماتطلبه من إمكانيات مصر سأوافق عليه حتى لوطلبت منصبى سأتنازل عنه طواعية لك لأنك تستحق أكثر من هذا .. تعتقدوا أيها السادة ماذا طلب الحنونى منى ..( الجميع جلوس ويتمنون أنهم لو كانوا بدلا من الحنونى وقد انفرجت أسارير أحدهم أنه لو كان مكان الحنونى سيطلب أن يكون الرئيس) أيها السادة والذين سرحتم بضع ثوان .. لقد طلب الحنونى منى أن أعفيه من عمله لأنه يحتاج الى متابعة شركته وأبنائه (همهمة من الحاضرين) .. لقد أخذت الدولة من عمره سبعة أعوام شديدة إثنين فى قنا وخمسة على مستوى الصحراء الغربية والتى سيصبح إسم هذا الإقليم منذ اليوم ( غرب مصر ) وليأتى آخر من بعدنا ويقيم حضارة فى شرق مصر وهكذا .. لو لم أكن وعدته لما كنت نفذت رغبته وإننى أعلن موافقتى على إستقالة سامى الحنونى حامل قلادة النيل العظمى مكلفاً حامل تلك القلادة وزميل كفاحه اللواء مسعد لتكملة ما بداه .. الجميع ( تصفيق حاد وتبادل للقبلات بين مسعد والحنونى وقيام الوزراء مهنئين الرجلين قائلاً أحدهم ( خير خلف لخير سلف ) .

وهكذا بعد الاجتماع أقسم اللواء مسعد اليمين الدستورية ليكون حاكماً عاماً لإقليم ( غرب مصر ) بعد أن أصدر الرئيس قراراً جمهورياً بذلك وبعد أن أقسم اللواء مسعد لتولى مهام منصبه جلس الرجال الثلاثة ( الرئيس وسامى الحنونى واللواء مسعد ) للتشاور.. حيث تحدث الرئيس إليه قائلاً : بأن ظروفك أحسن من ظروف الحنونى ويمكنك عمل قفزات إنتاجية تدفع بعجلة الاقتصاد للأمام وأيده اللواء مسعد على ذلك . ثم سأل الرئيس المهندس سامى الحنونى عن المشروع الذى كان يحلم به لو بقى فى موقعه أو أن يتولى اللواء مسعد إتمامه .. وذكر الحنونى أن المشروع الأول فى أعالى النيل وهو مشروع ضخم يقوم على تطهير البحيرات الإستوائية لتزيد كمية المياه إلى دول حوض النيل بثلاثة أضعاف بدلاً من مليارات الأمتار المكعبة التى تضيع فى المحيط الهندى والبخر حول بحيرة فيكتوريا وكنت أنوى عمل إتفاق مع كل من ليبيا والسعودية يدفعان التكلفة المادية وتتحمل مصر الأعمال الفنية وهى تساوى الثلث على أن تحصل الدولتان على ثلاثة مليارات متر مكعب من مياه النيل ونزيد كميات المياه للدول العشر فى إتفاقية حوض النيل بمقدار سبعين بالمائة لمقاومة الجفاف والتصحر وما يقاسيه هؤلاء المساكين .. أما المشروع الثانى وهو حفر قناة مطروح والتى تأتى من البحر الأبيض مخترقة الصحراء الغربية حتى حدود السودان وتشاد وليبيا وستفيد مصر لحركة نقل البضائع والسياحة والانتعاش الاقتصادى والثروة السمكية ثم الحصول على رسوم عبور للدول الإفريقية والتى تحتاج إلى مثل هذا المنفذ المائى .. والمشروع الأخير هو عمل شبكة إلكترونية لمقاومة الجراد والذى يهاجم مصر من الغرب ويدمر الثروة الزراعية رغم إننا أنشأنا وحدات لمقاومة الجراد من الطائرات الحربية القديمة لتواجه الجراد على الحدود الليبية ورش أسرابه بمواد تمنعه من الطيران والسقوط حتى لا تؤثر على البيئة .

نظر إليه الرئيس سعيداً بما يجول فى خاطر الحنونى قائلاً للواء مسعد هل تستطيع تنفيذ تلك المشاريع ؟ وأجابه مسعد بأنه كان رفيق الحنونى فى تلك التصورات وأنه شارك فى كل المباحثات الأولية مع الدول المشاركة ونملك الآن يتواجد سبعين مهندسا من مهندسى الرى المصريين فى دول أعالى حوض النيل لعرض تصور هذا المشروع عليهم ومعظم الدول سعيدة بذلك حيث أنهم لن يساهموا إلا بتوفير أراضى المشروع حيث سيتم شق فرع آخر للنيل بعيداً عن الفرع الحالى ليدخل مناطق جافة مثل صحرائنا وتحتاج المياه كما أن دول الإتحاد الأوربى ستساهم بعمل السدود لتلك الدول لحجز المياه كمنحة لمنع تسلل المهاجرين الأفارقة الغير شرعية إلى بلادهم .. أما مشروع القناة فالمباحثات فى بدايتها مع الجانب اليابانى إنتظاراً لدراسة الجدوى الاقتصادية والتى طلبها المهندس سامى من أحد بيوت الخبرة الأجنبية .

الرئيس : أحييكم على ما تقومون به وتنامون وأنتم تفكرون فى وطنكم وأرجو أن تعمل على إنهاء تلك المشروعات ولك نفس سلطات الحنونى وأعتقد أنها أفادتكم .. سامى الحنونى : أفادتنا سيادة الرئيس خاصة أمام الروتين الحكومى والتى كانت تفتح لنا الأبواب لأننا معنا رخصة الرئيس .

يضحك الرئيس من كلمة رخصة وينظر إلى اللواء مسعد قائلاً : معك نفس الرخصة .. أشكركم كثيراً وفقكم الله ..

غضب الشعب المصرى لنبأ إستقالة الحنونى من منصبه مما اضطر الرئيس إلى إلقاء بيان للشعب مؤيداً غضبهم لكنه قال لهم : الرجل يحتاج للراحة والإشراف علي أسرته فليس من المعقول أن نكون أصحاب مصالح وأنانية ونغفل حقه ثم أن المسئول الحالى شريكه فى التنفيذ .. يجب أن نشكر الحنونى ونطلب من مسعد تكملة المسيرة ونحن خلفه .

جلس الرئيس مع كبار مستشاريه طالبا رأيهم فيما لو أنهى مدة الرئاسة الثانية والتى تنتهى العام القادم وأن يرشح الحنونى لدخول الإنتخابات الرئاسية خلفاً له .. وقد تدافع المستشارون طالبين بقاءه طوال الحياة وأنهم بدونه لن تتقدم مصر ولا تعرف الاستقرار .. وقاطعهم الرئيس قائلاً : أيها السادة ما زلتم عند سياستكم السابقة التأييد والروح والدم .. أرجوكم أنسوا تلك المهاترات وأنه لو جاء أحد بعدى ستفعلون معه مثل ما تفعلونه الآن .. أنكم كبار ومستشارو الرئيس كيف تطاوعكم أنفسكم لمثل هذا القول .. ألا نجد رجلاً واحداً فى هذه البلد يقول كلمة حق ؟ الا تخجلون أن بعض الدول المجاورة والتى لا يزيد عدد سكانها عن بضعة ملايين ولم تكمل الخمسين عاماً ونسمع إنتقادات ونشاهد إنتخابات حرة نزيهة ؟ أرجوكم انهوا تلك المهزلة والتى نتوارثها جيلاً بعد جيل .. كفاكم .. إنى اشعر بالاشمئزاز من ذلك ولا تفترضوا إننى عليم ببواطن الأمور ولكن الأقدار هى التى أعطتنى هذا المنصب .. إنى أسأل عن كيفية ترشيح الحنونى رئيساً للجمهورية وكلكم تعلمون أنه يحمل جنسية مزدوجة وهذا ضد الدستور ؟! .. فقد رأيتم ماذا فعل هؤلاء الرجال الثلاثة محافظ قنا السابق والحنونى ومسعد .. لقد فعلوا أكثر منا جميعا .. أشيروا على .

أجمع الحاضرون على أن هذا يحتاج إلى تغيير بند فى الدستور وهذا عمل صعب وستقوم المعارضة برفض التغيير ليس من أجل الحنونى فإن له شعبية طاغية ولكن لعدم فتح المجال أمام آخرين ..

قال الرئيس لقد فهمت وعملية التغيير قد تفتح الباب أمام بعض ضعاف النفوس .. ان رأيكم سديد..

اللواء مسعد حاكم إقليم مصر الغربى يسير على درب صديقه ورفيقه السابق ولكنه بدأ يربط المجموعات الزراعية والتى كانت تصلح أراضى مرتفعة تحتاج إلى تكلفة عالية فجعلها مراعى وتوسع فى عملية الثروة الحيوانية كما أن مشروع تطهير البحيرات العظمى وبحيرة فيكتوريا يسير

على قدم وساق بعد أن وافق السعوديون والليبيون على تمويل المشروع والإتحاد الأوربى سيتولى بناء السدود والقنوات المائية للدول الفقيرة لوقف طوفان الهجرة الأفريقى إلى بلادهم حيث شبهها أحد المسئولين هناك بأنه غزو من نوع آخر سيقضى على الإستقرار فى أوربا.

سامى الحنونى يعيش منذ أسبوعين مع أسرته بالإسكندرية حيث ابنته الكبرى لمياء فى الثانوية العامة وحينما يشاهده الناس يرحبون به قائلين ياوش الخير ريحتنا وريحت عيالنا وسيدة تقول وإلا البنات إللى كانوا حيعنسوا من قلة الجواز .. كان يقضى وقتا ممتعا مع صديقه مدحت .. أما زوج شمس شقيقة نور فقد امتنع عن زيارته بعد أن كان يلهث خلفه سعيداً بأنه عديل وقريب رئيس وزراء الصحراء الغربية أما الآن فلا احتياج له .. فى عزبة الحنونى كان أهل العزبة سعداء بما أنجزه ابن قريتهم الحنونى الصغير وكانوا يفاخرون بأن الحنونى منهم وهو الذى صنع نهضة مصر الحديثة.

جلس سامى فى المساء مع عائلته فى ميت الحنونى حيث يحادث والديه وإخوته وعائلاتهم والحنونى الكبير يتحدث مرحبا بأبنائه وعائلاتهم قائلاً : والله يا ولد فلحت ونفعت واستفدت من الصعايدة وإللى أهل البندر فى بحرى بيتمجلتوا عليهم .. ياه يابوى فينك يا إبراهيم ياحنونى تشوف الولد سامى كان زين والله ياوله يا سامى كنت بأشوفك فى الصندوج الجزاز وأجول الولد ده شبه سامى ابنى تجوم الست أم سعيد .. تقاطعه .. "سنيوريه هنونى أرجوك بلاش إم .. قول أم رئيس وزراء" .. يهلل الإخوة ضاحكين ويعقب الحنونى والله كلامك زين يا أم رئيس الوزرا .. ثم يوجه حديثه إلى زوجته السيدة " لوو ".. فاكرة ياست الحلوين لما كانت المنطجة دية خرابة وساكن فيها العفاريت والحيات والله أيام صعبة والله يا ولد أن أمكم ست زين وعال خالص .. صُح .. ابناؤه جميعاً فى صوت واحد صُح يابا .. مش حأوصيكم عليها .. وخلوا بالكم منها دى برضه إسمها وليه .. تقاطعه

أرجوك سنيوريه هنونى مس تقول ولية .. قول " لوو مارتا كاتيافيلى " .. يصيح ياه يابوى كل ده إسم .. فينك ياخاله مارتا ست زين والله وإلا العم دوكيا راجل زين والله .. هوه صحيح كان جلدة ويدوب بيدفع كام ميلم للعامل لكن كان راجل طيب .. " لوو " تستفهم عما يقوله الحنونى عن والدها كويس وإلا مس كويس وقد أخبرها الأبناء بأنه كلام زين حيث أجابت صُح .. وقد أضحك هذا التعبير ابناءها حيث قالت عسرة ثلاثين سنه مع سنيوريه هنونى .. وقد قفز الحنونى من جلسته قائلاً : حيلك .. تلاتين سنه ! .. إمال سعيد إللى عدى الخمسين مين تكون أمه ؟ نظرت إليه قائلة : معى تهاف سنيوريه هنونى غلطة .. يعنى إيه غلطة فى عسرين عام .. هاجة بسيطة .. امضت الأسرة ليلة سعيدة .. عصر اليوم التالى جلس الحنونى الكبير مع صديقى العمر المقدس شوقى والمهندس فهمى يتذكرون أيام زمان والنوادر التى كانت تحدث وكيف كانت ميت الحنونى قليلة العدد ولا يوجد راديو ولا كهرباء وكانت الناس مش عارفه حاجه فى الدنيا .. ياه فينها أيام .. دلوجت يابوى الفلاحين عارفين كاس العالم والدورة الأولمبية وبيروحوا يعملوا حج وعمرة .. أمضوا سهرة ممتعة ولكن ظروفهم الصحية كانت غير جيدة فقد اقتربت أعمارهم من الثمانين عاماً .

علمت لوو أن عزيز أبن ( ميشيل ) عامل الكاوتش قد نجح فى الثانوية العامة وهو الابن الأكبر وقرر دخول الجامعة كما كانت تشعر بسعادة غامرة عندما يأتى الأبناء ليحدثوا ماما صباح أو عمى سعيد .. وما زالت بشرى الأم متوعكة صحياً كما أن باقى أبنائها يسيرون فى نهج التعليم بتفوق مثل أبناء العزبة حيث أن قانون حكومة الصحراء الغربية لا تمنح أى إنسان أرضاً أوعملاً إلا بعد أن يحصل على التعليم المتوسط ..

وُفقت لمياء فى إمتحان الثانوية العامة حيث كانت ميولها أدبية مثل والدتها .. أما طارق فكان مثل والده يعشق الرياضيات منذ صغرة وكان فى

السنة الثانية ثانوى أما صغراهم مى فهى الآن منقولة إلى الصف الثالث الإعدادى ..

شركة " لوو " حققت نجاحاً كبيراً وقد دفعت " لوو " مستحقاتها كشريكة وهى الآن تحصد الأرباح وشعر أبناؤها وبناتها أنها كانت بعيدة النظر وذات فكر ثاقب ومن كان يعارضها أصبح الآن يقول أنه أخطأ وإنها كانت محقة فيما تقول وتقرر .. وكانت دائماً لا تنس أهلها فى نابلى هؤلاء القوم الذين أعطوها حقاً ضائعاً .

بعد عدة شهور تدهورت صحة الحنونى الكبير ثم قابل ربه عن عمر يناهز الثمانين عاماً وقد بكاه كل أهل عزبة الحنونى لما قام به مؤسس تلك العزبة وكما يقول البعض تشهد الأشجار والأرض كم سار وعرق الحنونى فى تلك الأرض .. كما أن أبناءه يترحمون على هذا الأب العصامى الذى كان لا يعرف القراءة أو الكتابة إلا قليلاً ولكنه كان خبيراً فى كل شىء فلقد تعلم فى مدرسة الحياة وعمره ثمانية أعوام بعيداً عن والديه منفرداً فى مكان مظلم موحش يخاف منه الرجال الكبار .. وهكذا تدور الحياة دورتها .. أما الأم " لوو " فهى ما زالت متماسكة رغم ضعف نظرها واستخدامها لنظارة طبية تساعدها على القراءة والكتابة .. اقترح كبار السن فى عزبة الحنونى أن يقام مولد كل عام يسمى مولد شيخ الحنونى تكريماً لمؤسس العزبة ولكن سعيد ابنه رفض ذلك .

فى الإسكندرية جلس سامى الحنونى قريباً من قلعة قايتباى على الكورنيش البعض يُشبه عليه والبعض نسى من هو الحنونى المغامر فى صحراء مصر الغربية منذ عشرة أعوام .. يُحدث نفسه .. إنها أيام نعيشها .. البعض يترك أثراً وذكرى والبعض يغادر دنياه كالأنعام لا يعرف أحد عنه شيئاً .. إنها الحياة بمرها وحلوها .. الآن مصر تمر بحُلوها بعد أن قاست المُر كثيراً .. اليوم قرأت أن القرى والمدن فى الوادى تشكو قلة العاملين

وأن الأرض القديمة يعيش عليها كبار السن .. فين أيام ما كانت الشوارع ممتلئة بالشباب المتسكع أو الجالس على القهاوى يدخن الشيشة والفتيات يسرن فى الشوارع على غير هُدى وينظرن الى هؤلاء الجالسين بالمقاهى لعلها تجد شاباً يتزوجها ويخرجها من حالة العزوف التى لازمت جميع الشباب عن الزواج .. كل تلك المشاكل نابعة من شيء واحد .. الاقتصاد أى الفراغ وعدم وجود عمل .. الآن الشباب جميعا يعملون .. صحيح أن غرب مصر لا يستقبل سوى المتعلمين أو الذين يجيدون القراءة والكتابة حتى أن اللواء مسعد أصدر قراراً بالا يحضر آباء الشباب والأمهات لزيارة أبنائهم وبناتهم إلا بعد اجتياز إمتحان للقراءة والكتابة حتى يكون غرب مصر بدون أمية وقد دفع هذا بالكثير من الآباء والأمهات للذهاب لفصول محو الأمية الحقيقية لأنهم لا يطالبون بشهادة بل يجُرون اختباراً عند بوابة المرور لإقليم غرب مصر .. إنها قفزة للأمام أن نتعلم ونتقدم .

سامى يتحرك بين دشنا والإسكندرية لمباشرة أعمال شركة " لوو " والآن فقد أصبحت الشركة تقف على أقدام ثابتة وطلب منه عمه عويضه الذى كان مريضاً ويصارع الموت أن يصبح شريكاً له بنسبة من أرباح الشركة حيث أنه أنجب ( إناثا ) ولا يعرفن شيئاً عن المعمار .. وتحير سامى والذى كان يفكر فى فتح مكتب استشارات هندسية بعد أن قرر أن يترك إدارة الشركة لشقيقته سعاد والتى أدارتها بنجاح فترة انشغاله مع محافظ قنا ثم بعد ذلك خمس سنوات فى المشروع القومى المصرى بالصحراء الغربية والذى أطلق عليه اسم ( **الفراعنة قادمون** ) .. تذكر سامى كل مآثر عمه عويضة هذا العم الذى قليلاً ما يقابل الناس مثله فى الشهامة والمروءة .. يتذكر أيام أن أعد له هذه الشقة .. عاد سامى إلى الوراء أكثر من ثمانية عشر عاماً عندما نقله رئيس مجلس الإدارة عنوة إلى

الإسكندرية وتذكر الآية القرآنية : بسم الله الرحمن الرحيم " وَعَسى أنْ تُكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" صدق الله العظيم [1]

وتذكر عندما أخبره عمه بأن حى رشدى هذا من الأحياء ( الزين ) .. أى ولد يستمنى أن ياخد شجه فيه .. وضحك عندما تذكر شفيق ابن الحاج حسن الطنبور " الله يرحمك " يا حاج حسن .. وحينما سألته .. هيه الشجه فين يا شفيج ياخوى .. وأجابنى شفيج .. ما أنى جُلت لك فى رشدى .. رشدى .. أجول تانى بجالى يومين بأجولك رشدى .. إسمع يا سامى ياخوى .. لو نسيت جول رشدى أباظه .. تعرفه .. سامى أيوه أعرفه الولد إللى بيمثل فى السيما لكن معرفش شكله .. ويجيب شفيج .. مش مهم شكله .. " يسألنى شفيج " أنت ساكن فين ياولد الحنونى ؟ .. اجيبه .. أيوه .. آهه فى .. أيوه .. جايه يابوى مش عايز عجله ودربكة .. ايوه رشدى أباظه .. يضحك الولد شفيج .. صُح ياولد الحنونى .. والله زين عليك ياخوى .. خلاص النفر يطمن عليك .. أه عليك يا إسكندرية .. حلوة وجميلة والله يابوى ومنها مرتك أم صغارك .. والله الوليه نور دية بنت حلال لالالا بنت عم وصفى لحد يسمعنى بأجول بنت حلال يفتكر أن أبوها اسمه عم حلال !

ما زال يحدث نفسه .. لابد أن أجف مع عمى عويضه الراجل الزين الصُح .. يذهب إليه سامى ويوافق عمه على الإشراف على الشركة وحدد له العم ١٥ % من مكاسب الشركة كأجر له وهو المسئول عن كل شىء بدلاً منه سواء الآن أو بعد الوفاة .. سجُل العقد فى الشهر العقارى والذى حرره مدير الشئون القانونية بالشركة وفى اليوم التالى يقابل عويضة ربه عن عمر يقارب الخامسة والثمانين بعد أن ترك أكبر شركة مقاولات فى مصر .. سارت أمور سامى الحنونى على منوال العم ويعيش مع أسرته ويراعى أبناءه حيث إلتحق طارق بكلية الهندسة والصغرى مى بالثانوى

---

[1] سورة البقرة

وعزبة الحنونى يديرها بكل كفاءة إخوته سعيد وسنية الصغرى التى قاربت أن تكون جدة .

سافر سامى إلى ميت الحنونى حيث إتصل به شقيقه يخبره بوفاة العم شوقى .. كان شوقى وفهمى هما رائحة الحنونى المتبقية رغم أنهما منذ عامين وحالتهما الصحية متدهورة ولا يتذكران الأشخاص .. وبعدها بأسبوع لاقى المهندس فهمى ربه وهكذا رحل الفرسان الثلاثة بعد أن أسسوا إمبراطورية الحنونى وساهموا فى إقامة إمبراطورية " لوو " ثم من أعمالهم أسسوا جيلاً جديداً تولى إدارة شئون الدولة حيث وصل سامى الحنونى إلى منصب كبير " رئيساً للوزراء " .

سامى يجلس مع نور فى أحد المحلات الجميلة والتى تطل على الكورنيش ويتذكران أيامهما الماضية حيث بدأ الشيب يغزو شعره الجميل وبدأ نظره يضعف ويستعد لعمل نظارة للقراءة ... ينظر الى نور قائلاً : احبك ..

تبتسم قائلة : وأنا بحبك .. أنت سمسم .. سمسم إلى الأبد .. ويضحكان سوياً وتقف سيارة ملاكى أمامهما ويغادرها رجل وبجواره زوجته التى ما زالت جالسة قائلة له : شوية بس لما الأغنية تخلص :

وتنساب أغنية عبد الحليم حافظ من الراديو

| | |
|---|---|
| كان يوم حبك | اجمل صدفة |
| لما قابلتك | مرة صدفة |
| ياللى جمالك | اجمل صدفة |
| كان يوم حبك | صدفة |
| صدفة قابلتك ولاعلى بالى | شفت ساعتها جمال الدنيا |

صدفة لقيتنى تغير حالى وتبدلت لوحدى ف ثانية

خدنى جمال الروح والخفة كان يوم حبك اجمل صدفة

تنظر نور لزوجها وهما يسمعان صوت عبد الحليم حافظ من راديو السيارة وقد عادت نور برأسها للخلف ودمعت عيناها من شدة التأثر .. ونظر اليها سامى ..

قائلاً : بتدمعى ليه ؟ .. فنظرت إليه ..

قائلة : الزمن والعمر جريوا بنا وكبرنا ..

أجابها : إحنا مكبرناش .. ده عمرنا .. وده سننا .. ودى حياتنا .. وربنا يديم علينا نعمته .. ونفرح بأولادنا .. وأمسك بيدها وسارا قليلاً يتنفسان من عبير الهواء القادم من جهة البحر وغابا عن الأنظار عائدين إلى منزلهما الكائن بحى رشدي أباظه ! .

**تمت بحمد الله**

**أسامة على الصادق**

**موبايل :0127970032**

# فهرس


| الفصل | العنوان | صفحة |
|---|---|---|
| | إهـــــداء | ٤ |
| | الجـزء الأول * على الحنونى | ٧ |
| ١ | إبراهيم الحنونى | ٩ |
| ٢ | عصـارة دوكياليسس " دوكيـا " | ١٣ |
| ٣ | صـراع الإرادة والحيـاة | ٢٣ |
| ٤ | " لـــــوو " | ٣١ |
| ٥ | بداية اختلاف الاشقاء | ٤٥ |
| ٦ | اللقاء الحاسم | ٥١ |
| ٧ | عويضة الحنونى | ٦٥ |
| ٨ | رحيل مارتا | ٧٧ |
| ٩ | المقدس شوقى | ٨٩ |
| ١٠ | نشاط لـــوو | ٩٧ |
| ١١ | حريق فى العزبة | ١٠٧ |
| ١٢ | سامى بالإسكندرية | ١١٩ |
| ١٣ | موعد مع الحب | ١٢٩ |
| ١٤ | صـــــــدفة | ١٣٩ |
| ١٥ | سر زيارة مدحت | ١٥١ |
| | الجـزء الثـانـى * سـامى الحنـونى | ١٥٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٦ | لقـاء الخميس | ١٥٩ |
| ١٧ | ماذا يدور على الجانبين؟ | ١٧٥ |
| ١٨ | مـوعد غـرام | ١٨٣ |
| ١٩ | سامى واسرته فى ايطاليا | ٢٠٣ |
| ٢٠ | لـوو تعرف المشكلة | ٢٢٣ |
| ٢١ | اللـقاء الاسطورى | ٢٦٣ |
| ٢٢ | الجنـاح المـلكى | ٢٧٧ |
| ٢٣ | عـودة لبنى من ايطاليا | ٢٩١ |
| ٢٤ | الشيخه هـوانم | ٣٠٣ |
| ٢٥ | نتيجة الشعوزة | ٣١٧ |
| ٢٦ | ميشيل او "ميشيلان" | ٣٣٧ |
| ٢٧ | مشاكل تواجه عزبة الحنونى | ٣٥٣ |
| ٢٨ | الإيطاليون فى ميت الحنونى | ٣٦٣ |
| ٢٩ | بداية العمـل مع الإيطاليين | ٣٧٩ |
| ٣٠ | محافظ قنا النشيط | ٣٩٥ |
| ٣١ | الرئيس ومجلس المحافظين | ٤١١ |
| ٣٢ | رسـالة الى الرئيس | ٤٢٧ |
| ٣٣ | بعد مُضى عام على المشـروع | ٤٥٣ |

## إصدارات الكاتب

### كتاب الناس والحرب

طبع هذا الكتاب فى شهر مايو ٢٠٠٧ .. وقد تحدثت عنه صحيفتى الأسبوع والمصرى اليوم كما افردت له جريدة "الوفد" اربعة مقالات على اربعة اسابيع متوالية .

كما أعد عنه فيلم تسجيلى بعنوان " عدى النهار " واذاعته قناة دريم الفضائية .. الكتاب يتحدث عن ستة من شباب مصر لم تزد أعمارهم عن أربع وعشرين عاماً اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ . الذين ضلوا الطريق فى صحراء سيناء الشاسعة اثناء انسحابهم تنفيذا للأوامر حيث كانوا بمفردهم بالإضافة إلى جهلهم بتلك الصحراء ..

وفى خلال ثمانية وعشرين يوماً سار فيها هؤلاء الشباب مسافة لا تقل عن تسعمائة كيلو متر فى لهيب حرارة شهر يونيو القاتلة .. كيف عاشوا وما تعرضوا له من موت محقق سواء لصعوبة حصولهم على المياه أو بسبب هجمات العدو الاسرائيلى .. لكن هؤلاء الشباب رغم هذه الصعاب استطاعوا ان يقدموا عمل مجيد بمعاركهم مع العدو والتى فرضت عليهم ودمروا خلالها طائرة هليكوبتر ودبابتين ومقتل ما لا يقل عن عشرين اسرائيلياً .. وفى اليوم الاخير لانسحابهم تعرض أحدهم لانفجار لغم أرضى أودى بحياته ووصل الخمسة إلى الضفة الغربية لقناة السويس بسلاحهم الشخصى استعداداً لجولة أخرى مع المعتدى .. نال الكتاب تعليقات بعض الكتاب والمفكرين بكثير من المديح والثناء ..

### تحت الطبع :

**بثينة** .. رواية تقع احداثها فى حى شعبى .. انه حى بولاق أبو العلا .. تجمع الرواية بين الدراما القوية والكوميديا العالية البعيدة عن الإسفاف .. أساس الرواية واقعى أيضاً مع بعض اضافات من الكاتب حتى يكتمل البناء الدرامى ليصل إلى القارئ بالصورة المرجوة .

## إصـــــدارات الكاتب:

* الناس والحـــــرب .. الطبعة الثانية مايو ٢٠٠٩

* الحب والحـــــرمان

* حـــورية بين النخيل

* مـــــــــصر التي .. الطبعة الثالثة .. يناير ٢٠٠٩

* نُص نقـــــــــل .. الطبعة الثانية .. مايو ٢٠٠٩

* مُسافرٌ زاده الخيال

* همســـات مصرية

* بنت الباشـــــــا

* بُثينـــــــــــة